الصُّلحِ. ﴿وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ فتحَ خيبرَ غِبَّ انصرافِهم، وقيلَ مكَّةَ أو هَجَرَ.

وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾

(١٩) ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾ يعني مغانِمَ خيبرَ. ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ غالباً مراعياً مقتضى الحكمةِ.

(٢٠) ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ وهي ما يفيءُ على المؤمنين إلى يوم القيامة. ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ﴾ يعني مقامَ خيبرَ. ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ﴾ أي أيديَ أهلِ خيبرَ وحلفائِهم من بني أسدَ وغطفانَ، أو أيدي قريش بالصلح. ﴿وَلِتَكُونَ﴾ هذه الكفةُ أو الغنيمةُ. ﴿آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ أمارةً يعرفون بها أنهم من الله بمكانٍ، أو صِدْقَ الرسول في وعْدِهم فتحَ خيبرَ في حينِ رجوعه من الحديبية، أو وعْدَ المغانم أو عنواناً لفتح مكَّةَ، والعطفُ على محذوفٍ هو علةٌ لكفَّ، أو عجَّلَ مثلُ لتسلموا، أو لتأخذوا أو العلةُ لمحذوفٍ مثلُ فعلَ ذلك. ﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ هو الثقةُ بفضلِ الله والتوكُّلِ عليه.

(٢١) ﴿وَأُخْرَىٰ﴾ ومغانمُ أخرى معطوفةٌ على هذه، أو منصوبةٌ بفعلٍ يفسِّره قد أحاط الله بها مثلَ قضَى، ويُحْتَمَلُ رفعُها بالابتداءِ لأنها موصوفةٌ وجرُّها بإضمارِ ربَّ. ﴿لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا﴾ بعد لما كان فيها من الجولةِ. ﴿قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾ استولى فأظْفَرَكُم بها وهي مغانمُ هوازنَ أو فارسَ. ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ لأن قدرته ذاتيةٌ لا تختصُّ بشيء دونَ شيء.

(٢٢) ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكةَ ولم يصالحوا. ﴿لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ﴾ لانهزموا. ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾ يحرسُهم. ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ ينصرُهم.

(٢٣) ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ﴾ أي سنَّ غلبةَ أنبيائه سُنَّةٌ قديمةٌ فيمن مضى من الأمم كما قال تعالى ﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾[1]. ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ تغييراً.

(٢٤) ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ أي أيدي كفارِ مكَّة. ﴿وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾ في داخل مكَّةَ. ﴿مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ أظهركم عليهم، وذلك أنَّ عكرمةَ بنَ أبي جهلٍ خرجَ في خمسمائةٍ إلى الحديبية، فبعث رسولُ الله ﷺ خالد بنَ الوليد على جُنْد فهزمَهم حتى أدخلَهم حيطانَ مكَّةَ ثم عاد[2].

---

(١) المجادلة: «٢١».

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ج٢٦/٩٥) عن ابن حميد الرازي وهو ضعيف. وقال الحافظ في «الكافي الشافي» (ص١٥٣ رقم ٤٢٤): «وفي صحته نظر لأن خالداً لم يكن أسلم في الحديبية وظاهر السياق أن هذه القصة كانت في الحديبية...» هـ.

وقيل كان ذلك يومَ الفتحِ واسْتُشْهِدَ به على أنَّ مكةَ فتحتْ عُنْوَةً وهو ضعيفٌ إذ السورةُ نزلتْ قبلَه. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من مقاتلتِهم أولاً طاعةً لرسوله وكفِّهم ثانياً لتعظيم بيتِه، وقرأ أبو عمرو بالياء ﴿بَصِيرًا﴾ فيجازيهم عليه.

هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾

(٢٥) ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ﴾ يدلُّ على أنَّ ذلك كان عامَ الحديبية، والهدي ما يُهْدَى إلى مكَّةَ. وقرىء الهديُ وهو فعيلٌ بمعنى مفعولٍ، ومحلُّه مكانُه الذي يحلُّ فيه نحرُه والمرادُ مكانُه المعهودُ وهو مِنَى لا مكانُه الذي لا يجوزُ أنْ يَنْحَرَ في غيرِه، وإلا لما نَحَرَهُ الرسولُ ﷺ حيث أحْصِرَ فلا ينتهضُ حجَّةً للحنفيةِ على أنَّ مذْبَحَ هدْيِ الْمُحْصَرِ هو الحرمُ. ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ لم تعرفوهم بأعيانهم لاختلاطِهم بالمشركين. ﴿أَن تَطَـُٔوهُمْ﴾ أنْ توقعوا بهم وتبيدُوهم قال:

وَوَطِئْتَنَا وَطْأً عَلَى حَنَقٍ وطْءَ الْمُقَيَّدِ ثَابِتَ الهَرَمِ

وقال عليه الصلاةُ والسلام «إنَّ آخرَ وطأةٍ وطِئَهَا الله بوجٍّ»[1] وهو وادٍ بالطائفِ كان آخِرَ وقعةٍ للنبي ﷺ بها، وأصلُه الدوسُ وهو بدلُ الاشتمالِ من رجالٍ ونساء أو من ضميرِهم في تعلَموهم. ﴿فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم﴾ من جهتهم. ﴿مَّعَرَّةٌۢ﴾ مكروهٌ كوجوبِ الديةِ والكفَّارةِ بقتْلِهم وللتأسُّفِ عليهم، وتعييرُ الكفارِ بذلك والإثمُ بالتقصيرِ في البحثِ عنهم مفعلةٌ من عرَّه إذا أعْرَاهُ ما يكرهُه. ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ متعلِّقٌ بأنْ تطؤوهم أي تطؤُوهم غيرَ عالمينَ بهم، وجوابُ لولا محذوفٌ لدلالة الكلام عليه، والمعنى لولا كراهةَ أنْ تهلِكوا أناساً مؤمنينَ بينَ أظْهُرِ الكافرين جاهلينَ بهم فيصيبُكم بإهلاكهم مكروهٌ لما كفَّ

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٧٢) والبيهقي في الأسماء والصفات ص٤٦١، من حديث يعلى العامري. وفيه سعيد بن أبي راشد: مقبول، قاله الحافظ في التقريب. وقال عنه الذهبي في «الكاشف» صدوق.
والحديث له شاهد من حديث (خولة بنت حكيم) أخرجه أحمد (٦/ ٤٠٩) والبيهقي في الأسماء والصفات (ص٤٦١). وفي إسناده: محمد بن أبي سويد الطائفي: مجهول، قاله الحافظ في التقريب.
وخلاصة القول أن الحديث حسن والله أعلم.
قلت: أول البيهقي الحديث ومذهب السلف إمرار صفاته تعالى كما جاءت دون تأويل ولا تعطيل ولا تكييف.

أيديَكُم عنهم. ﴿لِيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ علَّةٌ لما دلَّ عليه كفُّ الأيدي عن أهل مكَّةَ صوناً لمن فيها من المؤمنين، أي كان ذلك ليدخلَ اللهُ في رحمته أي في توفيقه لزيادةِ الخير أو للإسلام. ﴿مَن يَشَآءُ﴾ مِنْ مؤمنيهم أو مشركيهم. ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾ لو تفرَّقوا وتميَّز بعضُهم من بعض، وقرىء تزايلوا. ﴿لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ بالقتل والسبي.

(٢٦) ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مقدَّرٌ باذكُر أو ظرفٌ لعذبنا أو صدُّوكم. ﴿فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ﴾ الأنفةَ. ﴿حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ التي تمنعُ إذعانَ الحقِّ. ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فأنزَل عليهم الثباتَ والوقارَ وذلك ما رُوِيَ أنه عليه الصلاة والسلام لما همَّ بقتالهم بعثُوا سهيلَ بنَ عمرو وحويطبَ بنَ عبدالعزَّى ومكرِزَ بنَ حفص ليسألوه أنْ يرجعَ من عامِه على أنْ يُخلِيَ له قريشٌ مكَّةَ من القابلِ ثلاثةَ أيامٍ، فأجابهم وكتبوا بينَهم كتاباً، فقال عليه الصلاة والسلام لعليٍّ رضي الله عنه «اكتبْ بسم الله الرحمن الرحيم» فقالوا ما نعرفُ هذا اكتبْ باسمك اللهمَّ ثم قال: «اكتبْ هذا ما صالح عليه رسولُ الله أهلَ مكَّة» فقالوا: لو كنا نعلمُ أنك رسولُ الله ما صددْناك عن البيت وما قاتلْناك، اكتبْ هذا ما صالح عليه محمد بنُ عبد الله أهلَ مكَّةَ، فقال عليه الصلاة والسلام: «اكتب ما يريدون» فهمَّ المؤمنون أن يأبوا ذلك ويبطشُوا عليهم فأنزلَ الله السكينةَ عليهم فتوقَّروا وتحمَّلوا[1]. ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ كلمةَ الشهادة أو بسم الله الرحمن الرحيم محمدُ رسول الله اختارَها لهم، أو الثباتَ والوفاءَ بالعهد، وإضافةُ الكلمةِ إلى التقوى لأنها سببُها أو كلمةُ أهلِها. ﴿وَكَانُوٓا أَحَقَّ بِهَا﴾ من غيرهم. ﴿وَأَهْلَهَا﴾ والمستأهِلينَ لها. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ فيعلِّمُ أهلَ كلِّ شيء ويسرُه له.

(٢٧) ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا﴾ رأى عليه الصلاة والسلام أنه وأصحابَه دخلُوا مكَّة آمنين وقد حلَّقوا وقصَّروا، فقصَّ الرؤيا على أصحابه ففرحوا وحسِبوا أن ذلك يكونُ في عامِهم، فلما تأخَّر قال بعضُهم والله ما حلقْنا ولا قصَّرنا ولا رأينا البيتَ فنزلتْ[2] والمعنى صدقُه في رؤياهُ. ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ ملتبِساً به فإن ما رآه كائنٌ لا محالةَ في وقْتِه المقدَّر له وهو العامُ القابلُ، ويجوزُ أنْ يكونَ بالحقِّ صفةَ مصدرٍ محذوفٍ أي صدقاً ملتبساً بالحقِّ وهو القصدُ إلى التمييز بينَ الثابتِ على الإيمان والمتزلزِلِ فيه، وأنْ يكون قسماً إما باسم الله تعالى أو بنقيضِ الباطل وقوله: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾ جوابُه وعلى الأوَّلينِ جوابُ قسم محذوف. ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ تعليقٌ للعدةِ بالمشيئة تعليماً للعبادِ، أو إشعاراً بأن بعضَهم لا يدخل لموتٍ أو غيبةٍ أو حكاية لما قاله ملك الرؤيا، أو النبيُّ ﷺ لأصحابه. ﴿ءَامِنِينَ﴾ حالٌ من الواو، والشرطُ معترِضٌ. ﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ أي محلقاً بعضُكم ومقصِّراً آخرون. ﴿لَا

---

(١) أخرجه ابن هشام في «السيرة» (٣/ ٤٢٧، ٤٤٠) وأحمد في المسند (٤/ ٣٢٤ ـ ٣٢٦) من طريق ابن إسحاق. وقد صرح بالسماع عند ابن هشام وسنده متصل ورجاله ثقات ولم يصرح ابن إسحاق بالسماع عند أحمد.
والخلاصة أن الحديث حسن.
وأخرجه البخاري (٥/ ٣٠٣ ـ ٣٠٤ رقم ٢٦٩٨، ٢٦٩٩) ومسلم (٣/ ١٤٠٩ ـ ١٤١١ رقم ٩٠، ٩١، ٩٢/ ١٧٨٣) من حديث البراء بن عازب ومسلم (٣/ ١٤١١ رقم ٩٣/ ١٧٨٤) من حديث أنس.

(٢) أخرجه البيهقي في «الدلائل» (٤/ ١٦٤) وابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ج٢٦/ ١٠٧) بإسنادين أحدهما إسناد البيهقي، وهو إسناد صحيح إلى مجاهد.

﴿تَخَافُونَ﴾ حالٌ مؤكِّدة أو استئنافٌ أي لا تخافون بعدَ ذلك. ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾ من الحكمة في تأخير ذلك. ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ من دون دخولكم المسجدَ أو فتحِ مكَّة. ﴿فَتْحًا قَرِيبًا﴾ هو فتحُ خيبرَ ليستروحَ إليه قلوبَ المؤمنين إلى أنْ يتيسَّر الموعودُ.

هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾

(٢٨) ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ﴾ ملتبساً به أو بسببِه أو لأجلِه. ﴿وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ وبدين الإسلام. ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ ليغلِبَه على جنسِ الدين كلِّه بنسْخِ ما كان حقاً، وإظهارِ فسادِ ما كان باطلاً، أو بتسليط المسلمين على أهلِه إذْ ما من أهل دينٍ إلا وقد قهرهُم المسلمونَ، وفيه تأكيدٌ لما وعدَه من الفتح. ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ على أن ما وعدَه كائنٌ أو على نبوَّته بإظهارِ المعجزات.

(٢٩) ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ جملةٌ مبيِّنة للمشهود به، ويجوزُ أنْ يكونَ رسولُ الله صفةً ومحمدٌ خبرٌ محذوف أو مبتدأ: ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ معطوفٌ عليه وخبرهما. ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ وأشدَّاء جمعُ شديد ورحماءُ جمع رحيم، والمعنى أنهم يغلُظُون على مَنْ خالف دينَهم ويتراحمون فيما بينَهم كقوله ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[1]. ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ لأنهم مشتغلون بالصلاة في أكثرِ أوقاتِهم. ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ الثوابَ والرضا. ﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ يريد السمةَ التي تحدُثُ في جباههم من كثرة السجود، فعلى من سامَه إذا أعلَمه وقد قرئت ممدودةً ومن أثرِ السجود بيانُها أو حالٌ من المستكنِّ في الجارِّ. ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى الوصف المذكور، أو إشارة مبهمةٌ يفسِّرها كزرع. ﴿مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ صفتُهم العجيبةُ الشأنِ المذكورةُ فيها. ﴿وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ﴾ عطفٌ عليه أن ذلك مثلُهم في الكتابين وقوله: ﴿كَزَرْعٍ﴾ تمثيلٌ مستأنَفٌ أو تفسيرٌ أو مبتدأ، وكزرع خبرهُ. ﴿أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾ فراخَه يُقَالُ أشطأ الزرع إذا فرَّخَ، وقرأ ابن كثير وابن عامر برواية ابنِ ذكوانَ شَطَأَه بفتحاتٍ وهو لغةٌ فيه، وقرىء شَطَاهُ بتخفيفِ الهمزة، وشطاءَه بالمدِّ، وشَطَه بنقل حركةِ الهمزة وحذفِها، وشَطْوه بقلبها واواً. ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ فقوَّاه من المؤازرةِ وهي المعاونةُ أو من الإيزارِ وهي الإعانة، وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوانَ فآزَره كأجَرَه في آجَرَهُ. ﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾ فصار من الدقةِ إلى الغلظِ. ﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ فاستقامَ على قصبه جمع ساقٍ، وعن ابن كثير سؤقَه بالهمزةِ. ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ بكثافته وقوَّته وغِلْظِه وحُسْنِ منظره. وهو مَثَلٌ ضربَه الله تعالى للصحابة قلُّوا في بدء الإسلام ثم كثُرُوا واستحكموا فترقَّى أمرهم بحيث أعجبَ الناسَ. ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ علةٌ لتشبيههم بالزرع في زكاته واستحكامه أو لقوله:

---

(١) المائدة: «٥٤».

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ فإنَّ الكفارَ لما سمعوه غاظَهم ذلك ومنهم للبيان. عن النبيِّ ﷺ «من قرأ سورةَ الفتح فكأنما كان ممنْ شهدَ مع محمدٍ عليه الصلاة والسلام فتحَ مكَّةَ»[1].

☆ ☆ ☆

(١) وهو حديث موضوع.
أخرجه ابن مردويه والواحدي بالإسناد إلى أبي بن كعب.
وقد تقدم الكلام عليه في أواخر سورة آل عمران.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾

سورة الحجرات مدنية[1] وآيها ثمانِ عشْرَة آيةً

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا﴾ أي لا تقدموا أمراً، فحذفَ المفعولَ لِيُذْهِبَ الوهْم إلى كلِّ ما يمكن، أو تُرِكَ لأنَّ المقصود نفيُ التقديم رأساً، أو لا تتقدموا ومنه مقدمةُ الجيش لمتقدِّميهم، ويؤيده قراءة يعقوبَ لا تَقَدَّموا. وقرىء لا تَقْدُموا من القدوم[2]. ﴿بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ مستعارٌ مما بين الجهتين المسامتتينِ ليدي الإنسان تهجيناً لما نُهُوا عنه، والمعنى لا تقطعُوا أمراً قبلَ أنْ يحكُما به.

---

(١) أخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزلت سورة الحجرات بالمدينة.
وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير مثله.
وقال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٥/١٢٩): «وهي مدنية بإجماع من أهل التأويل رضي الله عنهم».

(٢) تصدير الخطاب بالنداء لتنبيه المخاطبين على أن ما في خيره أمر خطير يستدعي مزيد اعتنائهم بشأنه وفرط اهتمامهم بتقلّيه ومراعاته، ووصفهم بالإيمان لتنشيطهم والإيذان بأنه داع إلى المحافظة عليه ووازع عن الإخلال به (س٨/ ١١٥).

وقيل المراد بين يدي رسولِ الله ﷺ، وذِكْرُ اللهِ تعظيمٌ له وإشعار بأنه من الله بمكان يوجبُ إجلالَه. ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في التقديم أو مخالفةِ الحكم. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لأقوالِكم. ﴿عَلِيمٌ﴾ بأفعالِكم.

(٢) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾ أي إذا كلَّمتموه فلا تجاوِزوا أصواتَكُم عن صوته. ﴿وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ ولا تبلغوا به الجهرَ الدائرَ بينكم بلِ اجعلوا أصواتكم أخفضَ من صوته محاماةً على الترحيبِ ومراعاة للأدب. وقيل معناه ولا تخاطبوه باسمِه وكنيتِه كما يخاطِبُ بعضُكم بعضاً وخاطبوه بالنبيِّ والرسول، وتكريرُ النداءِ لاستدعاءِ مزيدِ الاستبصارِ والمبالغةِ في الاتعاظ والدلالة على استقلالِ المنادى له وزيادةِ الاهتمام به. ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ كراهةَ أن تحبطَ فيكون علَّةً للنهي، أو لأنْ تَحْبَطَ على أنَّ النهي عن الفعل المعلَّلِ باعتبار التأديةِ لأن في الجهر والرفعِ استخفافاً قد يؤدي إلى الكفرِ المحبِط، وذلك إذا انضمَّ إليه قصدُ الإهانة وعدمُ المبالاةِ. وقد روي أنَ ثابتَ بنَ قيس[1] كان في أذنه وقرٌ وكان جهورياً، فلما نزلتْ تخلَّف عن رسول الله ﷺ فتفقَّده ودعاه، فقال: يا رسولَ الله لقد أنزلت إليك هذه الآيةُ وإني رجل جهِيرُ الصوتِ فأخاف أنْ يكون عملي قد حبطَ، فقال عليه الصلاة والسلام: «لست هناك، إنك تعيشُ بخير وتموتُ بخير وإنك من أهل الجنة»[2]. ﴿وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ أنها محبطةٌ.

(٣) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ﴾ يخفِضونَها. ﴿عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ مراعاةً للأدب أو مخافةً عن مخالفة النهي. قيل كان أبو بكر وعمرُ بعدَ ذلك يُسِرَّانه حتى يستفهِمَهما. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾ جرَّبها للتقوى ومرَّنها عليها، أو عرَّفها كائنةً للتقوى خالصةً لها، فإنَّ الامتحانَ سببُ المعرفة. واللامُ صلةٌ محذوف أو للفعل باعتبار الأصل، أو ضربَ الله قلوبَهم بأنواعِ المحنِ والتكاليف الشاقةِ لأجل التقوى، فإنها لا تظهرُ إلا باصطبارٍ عليها، أو أخلصَها للتقوى منِ امتحنَ الذهب إذا أذابه وميَّز إبريزَه من خُبْثِه. ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم. ﴿وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ لغضِّهم وسائرِ طاعاتهم، والتنكيرُ للتعظيم، والجملةُ خبر ثانٍ لإنَّ، أو استئنافٌ لبيان ما هو جزاء الغاضين إحماداً لحالهم كما أخبرَ عنهم بجملة مؤلفةٍ من معرفتين، والمبتدأ اسمُ الإشارة المتضمِّنُ لما جُعِلَ عنواناً لهم، والخبرُ الموصول بصلةٍ دلَّتْ على بلوغِهم أقصى الكمالِ مبالغةً في الاعتدادِ بغضِّهم والارتضاءِ له، وتعريضاً بشناعة الرفعِ والجهْرِ وأنَّ حالَ المرتكِبِ لهما على خلاف ذلك.

(٤) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ﴾ من خارجها خلْفَها أو قُدَّامَها، ومن ابتدائيةٌ فإنَّ المناداةَ نشأت من جهة الوراءِ، وفائدتُها الدلالةُ على أنَّ المنادى داخلَ الحجرةِ إذ لا بدَّ وأنْ يختلفَ المبتدأُ والمنْتَهَى بالجهةِ، وقرىء الحُجُرَاتِ بفتح الجيم وسكونِها وثلاثتُها جمعُ حجرةٍ وهي القطعةُ من الأرضِ المحجورةُ بحائط، ولذلك يقال لحظيرةِ الإبلِ حجرةٌ. وهي فعلةٌ بمعنى مفعولٍ كالغرفةِ والقبضةِ، والمراد حجراتُ نساءِ النبي عليه الصلاة والسلام وفيها كنايةٌ عن خلوته بالنساءِ ومناداتِهم من ورائِها،

---

(١) هو ثابت بن قيس بن شماس بن زهير بن مالك بن امرىء القيس بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج أبو محمد وقيل أبو عبدالرحمٰن خطيب الأنصار شهد أحداً وقتل باليمامة [تجريد أسماء الصحابة. الذهبي ج١ ص٦٤].

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ٦٢٠ رقم ٣٦١٣) و(٨/ ٥٩٠ رقم ٤٨٤٦) ومسلم (١١/ ١١٠ رقم ١٨٧، ١٨٨) عنه.

إما بأنهم أتوها حجرةً حجرةً فنادَوْهُ من ورائها، أو بأنهم تفرَّقوا على الحجراتِ متطلبين له، فأسندَ فعلَ الأبعاضِ إلى الكلِّ. وقيل إن الذي ناداه عيينةُ بنُ حصن والأقرع بنُ حابس، وَفَدَا على رسولِ الله ﷺ في سبعين رجلاً من بني تميم وقتَ الظهيرة وهو راقدٌ فقالا يا محمد اخرجْ إلينا، وإنما أُسْنِدَ إلى جميعهم لأنهم رضُوا بذلك أو أَمَرُوا به، أو لأنه وجد فيما بينَهم. ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ إذ العقلُ يقتضي حسنَ الأدبِ ومراعاةَ الحشمةِ سيَّما لمن كان بهذا المنصبِ.

وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾

(٥) ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ﴾ أي ولو ثبتَ صبرُهم وانتظارُهم حتى تخرجَ إليهم، فإنَّ أنَّ وإنْ دلَّتْ بما في حيِّزها على المصدرِ دلتْ بنفسها على الثبوتِ، ولذلك وجبَ إضمار الفعل وحتى تفيدَ أنَّ الصبرَ ينبغي أنْ يكونَ مغنياً بخروجه، فإنَّ حتى مختصَّةٌ بغاية الشيءِ في نفسه ولذلك تقول: أكلتُ السمكةَ حتى رأسَها، ولا تقول حتى نصفَها، بخلافِ إلى فإنها عامةٌ، وفي إليهم إشعارٌ بأنه لو خرجَ لا لأجلهم ينبغي أنْ يصبروا حتى يفاتِحَهُم بالكلام أو يتوجَّه إليهم. ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ لكان الصبرُ خيراً لهم من الاستعجالِ لما فيه من حفظ الأدبِ وتعظيمِ الرسول الموجِبَيْنِ للثناءِ والثواب والإسعافِ بالمسؤولِ، إذ روي أنَّهم وفدوا شافعينَ في أَسَارَى بني العنبرِ فأطلق النصفَ وفادى النصفَ. ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ حيث اقتصرَ على النصحِ والتقريعِ لهؤلاء المسيئين الأدبَ التاركين تعظيمَ الرسول عليه الصلاة والسلام.

(٦) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ فتعرفوا وتصفَّحوا، روي أنه عليه الصلاة والسلام بعث الوليد بنَ عقبة[(١)] مصدقاً[(٢)] إلى بني المصطلقِ وكان بينه وبينهم إحنةٌ[(٣)]، فلما سمعوا به استقبلوه فحسِبَهم مقاتليه فرجعَ وقال لرسول الله ﷺ قد ارتدوا ومنعُوا الزكاةَ فهمَّ بقتالهم فنزلتْ[(٤)]. وقيل بعثَ

---

(١) الوليد بن عقبة بن أبي معيط إبان بن أبي عمرو ذكوان بن أمية بن عبدشمس في دمشق، من مسلمة الفتح وأمه أروى أم عثمان بن عفان.
[تجريد أسماء الصحابة. الذهبي ج٢ ص١٢٩].

(٢) عاملاً في الصدقة.

(٣) الإحنة: العداوة.

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٣/ ٤٠١ رقم ٩٦٠) وابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ج٢٦/ ١٢٣) من حديث أم سلمة.
وأورده الهيثمي في «المجمع» (٧/ ١١١) وقال: «رواه الطبراني وفيه موسى بن عبيدة وهو ضعيف».
● وبنحوه أخرجه أحمد في المسند (٤/ ٢٧٩) والطبراني في الكبير (٣/ ٣١٠ رقم ٣٣٩٥) من حديث الحارث بن ضرار الخزاعي.
وأورده الهيثمي في «المجمع» (٧/ ١٠٩): «رجال أحمد ثقات».
وانظر «الكافي الشافي» (ص١٥٦ رقم ١٨). وتفسير ابن كثير (٤/ ٢٢٣). =

إليهم خالد بنَ الوليد فوجدهم منادين بالصلاة متهجدينَ فسلَّموا إليه الصدقاتِ فرجعَ[1]، وتنكيرُ الفاسقِ والنبأ للتعميم، وتعليقُ الأمر بالتبين على فسقِ المخْبَرِ يقتضي جوازَ قبولِ خبرِ العدْلِ من حيثُ أن المعلَّقَ على شيءٍ بكلمةٍ إنْ عدمَ عند عدمِه، وأنَّ خبرَ الواحدِ لو وجب تبيُّنه من حيث هو كذلك لما رتب على الفسقِ، إذ الترتيبُ يفيد التعليلَ وما بالذات لا يعلَّلُ بالغير. وقرأ حمزةُ والكسائيُّ فتثبتوا أي فتوقَّفوا إلى أن يتبيَّن لكم الحالُ. ﴿أَن تُصِيبُوا﴾ كراهةَ إصابتِكم. ﴿قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ﴾ جاهلينَ بحالهم. ﴿فَتُصْبِحُوا﴾ فتصيروا. ﴿عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾ مغتمينَ غمّاً لازماً متمنينَ أنه لم يقعْ، وتركيبُ هذه الأحرفِ الثلاثة دائر مع الدوامِ.

وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾

(٧) ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ﴾ أنَّ بما في حيِّزه سادٌّ مسدَّ مفعولي اعلموا باعتبار ما قيِّد به من الحال وهو قوله: ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ فإنه حالٌ من أحدِ ضميري فيكم، ولو جُعِلَ استئنافاً لم يظهر للأمر فائدةٌ. والمعنى أنَّ فيكم رسولَ الله على حالٍ يجب تغييرُها وهي أنكم تريدون أنْ يتَّبعَ رأيكم في الحوادثِ، ولو فعل ذلك لعِنتُم أي لوقعتم في الجهدِ من العنَتِ، وفيه إشعارٌ بأن بعضَهم أشارَ إليه بالإيقاع ببني المصطلق وقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾ استدراكٌ ببيان عذْرِهم، وهو أنه من فَرْطِ حبِّهم للإيمان وكراهتِهم للكفر حملهم على ذلك لمَّا سمعُوا قولَ الوليد، أو بصفةِ مَنْ لم يفعلْ ذلك منهم إحماداً لفعلهم وتعريضاً بذمِّ مَنْ فعل ويؤيدُه قولُه: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ أي أولئك المستثْنَوْنَ هم الذين أصابوا الطريقَ السويَّ، وكرِهَ يتعدَّى بنفسه إلى مفعولٍ واحد فإذا شُدِّدَ زادَ له آخرَ، لكنه لما تضمَّن معنى التبغيضِ نُزِّلَ كرهَ منزلةَ بغضَ فَعُدِّيَ إلى آخرَ بإلى، أو نُزِّلَ إليكم منزلةَ مفعولٍ آخرَ. والكفر: تغطيةُ نِعَمِ الله بالجحودِ، والفسوقُ: الخروجُ عن القصد، والعصيان: الامتناعُ عن الانقياد.

(٨) ﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ﴾ تعليلٌ لكرَّه أو حبَّبَ، وما بينَهما اعتراضٌ لا للراشدون فإنَّ الفضلَ فعلُ الله، والرشدُ وإن كان مسبّباً عن فعلِه مسندٌ إلى ضميرِهم أو مصدرٌ لغير فعلِه فإنَّ التحبيبَ والرشدَ فضلٌ من الله وإنعامٌ. ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بأحوالِ المؤمنين وما بينهم من التفاضُلِ ﴿حَكِيمٌ﴾ حيث يفضلُ وينعِم بالتوفيق عليهم.

(٩) ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾ تقاتلوا والجمعُ باعتبار المعنى فإنَّ كل طائفةٍ جمعٌ.

= وخلاصة الحديث أنه حسن والله أعلم.

(١) قال ابن حجر في «الكافي الشافِ» (ص١٥٦ رقم ١٩): لم أره.

﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ بالنُّصح والدعاءِ إلى حكم الله تعالى. ﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى﴾ تعدَّتْ عليها. ﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾ ترجعَ إلى حكمِه أو ما أمرَ به، وإنما أُطْلِقَ الفيءُ على الظلِّ لرجوعِه بعد نسخِ الشمسِ، والغنيمةُ لرجوعِها من الكفار إلى المسلمين. ﴿فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ﴾ بفصلِ ما بينَهما على ما حكم الله، وتقييدُ الإصلاحِ بالعدل ها هنا لأنه مظنةُ الحيفِ من حيثُ إنه بعدَ المقاتلةِ. ﴿وَأَقْسِطُوا﴾ واعدلوا في كلِّ الأمور. ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ يحمدُ فعلَهم بحسنِ الجزاء. والآيةُ نزلتْ في قتالٍ حَدَثَ بين الأوسِ والخزرجِ في عهده عليه الصلاة والسلام بالسعفِ والنعال[1]، وهي تدل على أنَّ الباغي مؤمنٌ وأنه إذا قبضَ عن الحرب ترك كما جاء في الحديث لأنه فيء إلى أمرِ الله تعالى، وأنه يجبُ معاونةُ مَنْ بُغِيَ عليه بعد تقديم النصحِ والسعي في المصالحةِ.

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾

(١٠) ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ من حيثُ إنهم منتسبونَ إلى أصلٍ واحدٍ وهو الإيمان الموجبُ للحياة الأبدية، وهو تعليلٌ وتقرير للأمرِ بالإصلاح ولذلك كرَّره مرتباً عليه بالفاءِ فقال: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ ووضعَ الظاهرَ موضعَ الضميرِ مضافاً إلى المأمورينَ للمبالغةِ في التقرير والتخصيصِ، وخصَّ الاثنين بالذِّكر لأنهما أقلُّ مَنْ يقعُ بينَهم الشقاقُ. وقيل المراد بالأخوين الأوسُ والخزرجُ. وقرىء بين إخوتِكم وإخوانِكم. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في مخالفة حكمه والإهمالِ فيه. ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ على تقواكُم.

(١١) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ﴾ أي لا يسخرْ بعضُ المؤمنين والمؤمناتِ من بعض إذ قد يكون المسخورُ منه خيراً عند الله من الساخِرِ. والقومُ مختصٌّ بالرجال لأنه إما مصدرٌ نُعِتَ به فشاعَ في الجمع، أو جمعٌ لقائمٍ كزائرٍ وزَوْرٍ والقيامُ بالأمور وظيفةُ الرجال كما قال تعالى ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾[2] وحيث فسِّر بالقبيلينِ كقومِ عادٍ وفرعونَ؛ فإما على التغليبِ أو الاكتفاءِ بذكرِ الرجالِ على ذكرهنَّ لأنهنَّ توابعُ. واختيار الجمع لأنَّ السخريةَ تغلِبُ في المجامعِ. وعسى باسمِها استئنافٌ بالعلة الموجِبَةِ للنهي، ولا خبرَ لها لإغناءِ الاسمِ عنه. وقرىء عسوا أنْ يكونوا، وعسينَ أنْ يكنَّ فهي على هذا ذاتُ خبرٍ. ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أي ولا يغتبْ بعضُكم بعضاً فإنَّ المؤمنين كنفس واحدةٍ، أو لا تفعلوا ما تلمزون به فإن من فعل ما يستحقُّ به اللمزَ فقد لمزَ نفسَه. واللمزُ الطعنُ باللسان. وقرأ يعقوب بالضمِّ. ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ ولا يدْعُ بعضُكم بعضاً بلقب السوءِ، فإنَّ النبزَ مختصٌّ بلقبِ السوءِ عُرْفاً. ﴿بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ أي بئس الذِّكْرُ المرتفع للمؤمنين أنْ يُذْكَروا بالفسوق بعدَ دخولهم الإيمانَ واشتهارِهم به، والمراد به إما

(١) أخرجه البخاري (٤/ ٢٩٧ رقم ٢٦٩١) ومسلم (٣/ ١٤٢٤ رقم ١٧٩٩) من حديث أنس.

(٢) النساء: «٣٤».

تهجينُ نسبةِ الكفر والفسقِ إلى المؤمنين خصوصاً إذ روي أنَّ الآيةَ نزلتْ في صفيةَ بنتِ حييٍّ رضي الله عنها، أتتْ رسولَ الله ﷺ فقالت: إن النساءَ يقلْنَ لي يا يهوديةُ بنتُ يهوديين، فقال لها «هلا قلتِ إن أبي هارونُ وعمي موسى وزوجي محمدٌ عليهم السلام»[1] أو الدلالةُ على أنَّ التنابُزَ فِسقٌ والجمعُ بينه وبين الإيمان مستقْبَحٌ. ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ﴾ عما نُهِيَ عنه. ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ بوضعِ العصيان موضعَ الطاعةِ وتعريضِ النفس للعذاب.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾

(١٢) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ كونوا منه على جانبٍ، وإبهامُ الكثير ليَحتاطَ في كل ظنٍّ ويتأملَ حتى يعلمَ أنه من أي القبيلِ، فإن من الظنِّ ما يجب اتباعُه كالظنِّ حيث لا قاطعَ فيه من العملياتِ وحسنِ الظنِّ بالله سبحانه وتعالى، وما يحرم كالظنِّ في الإلهيات والنبواتِ وحيث يخالفُه قاطِعٌ وظنِّ السوءِ بالمؤمنين، وما يباحُ كالظنِّ في الأمور المعاشية. ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ مستأنَفٌ للأمرِ، والإثمُ الذَّنْبُ الذي يستحقُّ العقوبة عليه. والهمزةُ فيه بدلٌ من الواو كأنه يَثِمُ الأعمالَ أي يكسِرها. ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ ولا تبحثوا عن عورات المسلمين، تفعَّل من الجسِّ باعتبار ما فيه من معنى الطلبِ كالتلمُّسِ، وقرىء بالحاء من الحسِّ الذي هو أثر الجسِّ وغايتُه، ولذلك قيل للحواسِّ الخمس الجواسُّ. وفي الحديث: «لا تتبعوا عوراتِ المسلمين، فإن من تتبعَ عوراتِهم تتبعَ الله عورته حتى يفضحَه ولو في جوف بيته»[2]. ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ ولا يذكُرْ بعضُكم بعضاً بالسوء في غيبتِه. وسُئِلَ عليه الصلاة والسلام عن الغيبة فقال «أنْ تذكرَ أخاك بما يكرهُ، فإن كان فيه فقدِ اغْتَبْتَهُ، وإن لم يكن فيه فقد بهتَّه»[3]. ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ تمثيلٌ لما يناله المغتابُ من عرضِ

---

(١) ذكره الواحدي في «الأسباب» (ص٣٩٣) عن عكرمة عن ابن عباس به بدون سند.

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ٣٧٨ رقم ٢٠٣٢) وابن حبان (ص٣٥٩ رقم ١٤٩٤ ـ موارد).
وقال الترمذي: حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث الحسين بن واقد. وروى عن أبي برزة الأسلمي عن النبي ﷺ نحو هذا.
● والشاهد الذي أشار إليه الترمذي أخرجه أبو داود (٥/ ١٩٤ رقم ٤٨٨٠) وأحمد في المسند (٤/ ٤٢١) من حديث أبي برزة الأسلمي.
● وله شاهد من حديث البراء بن عازب أخرجه أبو يعلى في المسند (٣/ ٢٣٧ ـ ٢٣٨ رقم ٢٢/ ١٦٧٥).
والخلاصة أن الحديث صحيح والله أعلم.

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٠١ رقم ٧٠/ ٢٥٨٩) وأبو داود (٥/ ١٩١ رقم ٤٨٧٤) والترمذي (٤/ ٣٢٩ رقم ١٩٣٤) من =

المغتابِ على أفحشِ وجهٍ مع مبالغاتِ الاستفهام المقرِّرِ، وإسنادِ الفعلِ إلى أحدٍ للتعميم، وتعليقُ المحبة بما هو في غاية الكراهةِ وتمثيلُ الاغتياب بأكْلِ لحم الإنسان وجعْلُ المأكولِ أخاً وميتاً وتعقيبُ ذلك بقوله: ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ تقريراً وتحقيقاً لذلك. والمعنى إن صحَّ ذلك أو عرضَ عليكم هذا فقد كرهتموه ولا يمكنكم إنكارُ كراهته وانتصابُ ميتاً على الحال من اللحم أو الأخ. وشدَّده نافع. ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ لمن اتقى ما نُهِيَ عنه وتابَ مما فرطَ منه، والمبالغةُ في التَّوابِ لأنه بليغٌ في قَبُولِ التوبة إذ يجعلُ صاحِبَها كمن لم يذنِبْ، أو لكثرةِ المتوب عليهم أو لكثرة ذنوبهم، روي: أنَّ رجلينِ من الصحابة بعثا سلمانَ إلى رسول الله ﷺ يبغي لهما إداماً، وكان أسامةُ على طعامه فقال: ما عندي شيءٌ فأخْبَرَهُما سلمان فقالا: لو بعثناه إلى بئرٍ سميحةٍ لغارَ ماؤُها، فلما راحا إلى رسول الله ﷺ قال لهما: «مالي أرى خضرةَ اللحمِ في أفواهِكما»؟ فقالا: ما تناولْنا لحماً، فقال: «إنكما قد اغتبتما» فنزلتْ[1].

(١٣) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ من آدمَ وحواء عليهما السلام، أو خلقنا كلَّ واحد منكم من أب وأمٍّ فالكل سواءٌ في ذلك فلا وجه للتفاخُر بالنسبِ. ويجوز أنْ يكون تقريراً للأخوة المانعة عن الاغتياب. ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ﴾ الشعبُ الجمع العظيم المنتسبون إلى أصلٍ واحد وهو يجمع القبائلَ. والقبيلة تجمعُ العمائرَ. والعمارة تجمع البطونَ. والبطن تجمع الأفخاذَ. والفخذ يجمعُ الفصائلَ، فخزيمةُ شعبٌ، وكنانة قبيلةٌ، وقريش عمارةٌ، وقصيٌّ بطنٌ، وهاشم فخذٌ، وعباسُ فصيلةٌ. وقيل الشعوبُ بطونُ العجم والقبائلُ بطونُ العرب. ﴿لِتَعَارَفُوٓا۟﴾ ليعرف بعضُكم بعضاً لا للتفاخرِ بالآباء والقبائل. وقرىء لتعارفوا بالإدغام ولتتعارفوا ولتعرفُوا. ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ فإنَّ التقوى بها تكملُ النفوسُ وتتفاضلُ بها الأشخاص، فمن أراد شرفاً فلْيَلْتَمِسْه منها كما قال عليه الصلاة والسلام: «من سره أن يكون أكرمَ الناس فليتقِ الله»[2] وقال عليه الصلاة والسلام «يا أيها الناس إنما الناسُ رجلان: مؤمن تقيٌّ كريم على الله، وفاجر شقيٌّ هينٌ على الله»[3]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بكم ﴿خَبِيرٌ﴾ ببواطنِكم.

(١٤) ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا﴾ نزلت في نفر من بني أسدٍ، قدموا المدينةَ في سَنَةٍ جدْبةٍ وأظهروا الشهادتينِ، وكانوا يقولون لرسول الله ﷺ أتيناك بالأثقالِ والعيال ولم نقاتِلْك كما قاتلك بنو فلانٍ، يريدون الصدقةَ ويمنُّون[4]. ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟﴾ إذ الإيمانُ تصديق مع ثقة وطمأنينةِ قلبٍ، ولم يحصلْ لكم

= حديث أبي هريرة.

(١) قال الحافظ في «الكافي الشافِ» (ص١٥٨ رقم ٣٦): «هكذا ذكره الثعلبي وربيعة بغير سند ولا راوٍ. وفي الترغيب لأبي القاسم الأصبهاني من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن عبدالرحمن بن أبي ليلة نحوه» هـ.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٢٧٠) وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢١٨) من حديث ابن عباس.

(٣) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٨٩ رقم ٣٢٧٠) من حديث ابن عمر في سياق أطول من ذلك وهذا جزء منه.
وقال الترمذي: وعبدالله بن جعفر يضعف، ولا نعرفه إلا من هذا الوجه. وصححه الألباني في الصحيحة رقم (٢٧٠٠).

(٤) أخرج الطبراني بسند حسن عن عبدالله بن أبي أوفى أن ناساً من العرب قالوا: يا رسول الله، أسلمنا ولم نقاتلك وقاتلك بنو فلان فأنزل الله «يمنون عليك أن أسلموا».
وأخرج البزار من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله.
وأخرج ابن أبي حاتم مثله عن الحسن وأن ذلك لما فتحت مكة. =

إلا لما منتم على الرسول عليه الصلاة والسلام بالإسلام وتركِ المقاتلة كما دل عليه آخرُ السورة. ﴿وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا﴾ فإن الإسلام انقيادٌ ودخول في السِّلْمِ وإظهار الشهادتين وتركُ المحاربةِ يشعرُ به، وكان نظمُ الكلام أن يقول لا تقولوا آمنا ولكن قولوا أسلمنا. أوْ لم تؤمنوا ولكن أسلمتُم فعدلَ منه إلى هذا النظم احترازاً من النهي عن القولِ بالإيمان والجزْم بإسلامِهم، أوْ لم تؤمنوا ولكن أسلمتُم فعدلَ منه إلى هذا النظم احترازاً من النهي عن القولِ بالإيمان والجزْم بإسلامِهم، وقد فقدَ شرطَ اعتباره شرعاً. ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ توقيتٌ لقولوا فإنه حالٌ من ضميره أي: ولكن قولوا أسلمنا ولم تواطىء قلوبُكم ألسنتَكم بعدُ. ﴿وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ بالإخلاص وتركِ النفاق. ﴿لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ﴾ لا ينقِصْكم من أجورها. ﴿شَيْـًٔا﴾ من لاتَ يليت ليتاً إذا نقصَ، وقرأ البصريانِ لا يألتكم من الألْتِ وهو لغة غطفانَ. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لما فَرَطَ من المطيعين. ﴿رَّحِيمٌ﴾ بالتفضُّل عليهم.

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ ۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

(١٥) ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ﴾ لم يشكُّوا منِ ارتاب مطاوع رابَه إذا أوقعه في الشكِّ مع التهمةِ، وفيه إشارة إلى ما أوجبَ نفيَ الإيمان عنهم، وثمَّ للإشعار بأنَ اشتراطَ عدم الارتياب في اعتبار الإيمانِ ليس حالَ الإيمان فقطْ بل فيه وفيما يستقبلُ فهي كما في قوله ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾[1]. ﴿وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ في طاعته والمجاهدةِ بالأموال والأنفُسِ تصلحُ للعبادات المالية والبدنية بأسْرها. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ الذين صدقوا في ادعاءِ الإيمان.

(١٦) ﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾ أتخبرونه به بقولِكم آمنَّا. ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ لا يخفى عليه خافيةٌ، وهو تجهيلٌ لهم وتوبيخٌ. روي أنه لما نزلت الآيةُ المتقدمةُ جاؤوا وحلفوا أنهم مؤمنون معتقدون، فنزلت هذه الآيةُ.

(١٧) ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ﴾ يعدُّون إسلامَهم عليك مِنَّةً وهي النعمةُ التي لا يستثيبُ موليها ممن

= وأخرج ابن سعد عن محمد بن كعب القرظي قال: قدم عشرة نفر من بني أسد على رسول الله ﷺ. سنة تسع وفيهم طلحة بن خويلد ورسول الله في المسجد مع أصحابه فسلموا وقال متكلمهم: يا رسول الله إنا شهدنا أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنك عبده ورسوله وجئناك يا رسول الله ولم تبعث إلينا بعثاً ونحن لمن وراءنا سلم فأنزل الله «يمنون عليك أن أسلموا».

وأخرج سعيد بن منصور في سننه عن سعيد بن جبير قال: أتى قوم من الأعراب من بني أسد النبي ﷺ فقالوا: جئناك ولم نقاتلك فأنزل الله «يمنون عليك أن أسلموا».

انظر [أسباب النزول، السيوطي ص٢٧٢، ص٢٧٣].

(١) الأحقاف: «١٣».

بذَلها إليه، من المنِّ بمعنى القطْعِ لأنَّ المقصودَ بها قطعُ حاجته. وقيل النعمة الثقيلة من المنِّ. ﴿قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسْلَٰمَكُم﴾ أي بإسلامِكم، فَنُصِبَ بنزعِ الخافضِ أو تضمينِ الفعلِ معنى الاعتدالِ. ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ على ما زعمتُم مع أنَّ الهدايةَ لا تستلزمُ الاهتداءَ وقرىء إنْ هداكم بالكسْرِ، وإذ هدَاكم. ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في ادعاء الإيمانِ، وجوابُه محذوف يدلُّ عليه ما قبلَه أي فللَّه المنةُ عليكم، وفي سياق الآية لطفٌ وهو أنهم لما سمُّوا ما صدَر عنهم إيماناً ومنُّوا به فنفَى أنه إيمانٌ وسمَّاه إسلاماً بأن قال يمنُّون عليكم بما هو في الحقيقة إسلامٌ وليس بجدير أنْ يُمَنَّ به عليك، بل لو صحَّ ادعاؤُهم للإيمان فللَّه المنةُ عليهم بالهداية له لا لهم.

(١٨) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ما غابَ فيهما. ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ في سرِّكم وعلانِيَتِكُم فكيف يخفَى عليه ما في ضمائركم، وقرأ ابنُ كثير بالياء لما في الآية من الغيبة. عن النبيِّ ﷺ «من قرأ سورةَ الحجراتِ أُعْطِيَ من الأجر بعددِ مَنْ أَطاع اللهَ وعصاهُ»[1].

☆ ☆ ☆

(١) أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي من طرق عن أبي بن كعب به.
وهو حديث موضوع.
كما في «الكافي الشافِ» (ص١٥٩ رقم ٤٠).
وتقدم الكلام في آخر سورة آل عمران.

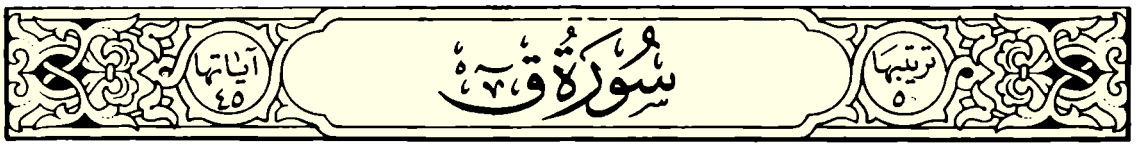

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾

سورة قٓ مكية[1]، وهي خمس وأربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ الكلامُ فيه كما مرَّ في صٓ والقرآنِ ذي الذكر. والمجيدُ: ذو المجد والشرفِ على سائر الكتبِ، أو لأنه كلامُ المجيدِ، أو لأن من عَلِمَ معانيه وامتثل أحكامَه مُجِّدَ.

(٢) ﴿بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ إنكار لتعجُّبهم مما ليس بعجبٍ، وهو أن ينذِرَهم أحدٌ من جنسهم أو من أبناء جِلْدَتِهم. ﴿فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ﴾ حكايةٌ لتعجُّبهم، وهذا إشارة إلى اختيار اللهِ محمداً ﷺ للرسالةِ. وإضمارُ ذكرِهم ثم إظهارُه للإشعار بتعنُّتهم بهذا المقالِ، ثم التسجيلُ على كفرِهم بذلك، أو عطفٌ لتعجُّبهم من البعثِ على تعجبهم من البِعْثَةِ، والمبالغةُ فيه بوضعِ الظاهرِ موضعَ ضميرِهم، وحكايةُ تعجبهم مبهماً إنْ كانت الإشارةُ إلى مَنْهم يفسِّره ما بعدَه، أو محملاً إن كانت الإشارة إلى محذوف دل عليه «منذر» ثم تفسيره أو تفصيله لأنه أدخل في الإنكار إذ الأول استبعاد لأن يفضل عليهم مثلهم، والثاني استقصار لقدرة الله تعالى عما هو أهون مما يشاهدونه من صنعه.

(٣) ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ أي أنرجع إذا مِتْنا وصِرْنا تراباً، ويدل على المحذوفِ قوله: ﴿ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ﴾ أي بعيدٌ عن الوهم أو العادةِ أو الإمكانِ. وقيل الرجع بمعنى المرجوعِ.

---

(١) قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٥/١٥٨) «وهي مكية بإجماع من المتأولين» هـ.

(٤) ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ ما تأكلُ من أجساد موتَاهم، وهو ردٌّ لاستبعادهم بإزاحةِ ما هو الأصلُ فيه، وقيل إنه جوابُ القسمِ واللامُ محذوفٌ لطولِ الكلام. ﴿وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ﴾ حافظٌ لتفاصيلِ الأشياءِ كلِّها، أو محفوظٌ عن التغيير، والمراد إما تمثيلُ علمِه بتفاصيلِ الأشياءِ بعلمِ مَنْ عنده كتابٌ محفوظ يطالعُه، أو تأكيدٌ لعلمِه بها بثبوتها في اللوح المحفوظ عندَه.

(٥) ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ﴾ يعني النبوةَ الثابتةَ بالمعجزات، أو النبيَّ ﷺ، أوِ القرآنَ. ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ﴾ وقرىء لما بالكسرِ. ﴿فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ مضطربٍ من مَرَجَ الخاتَمُ في أُصْبُعِهِ إذا خرج، وذلك قولُهم تارةً إنه شاعرٌ وتارة إنه ساحرٌ وتارة إنه كاهنٌ.

أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾

(٦) ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟﴾ حين كفروا بالبعث. ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ﴾ إلى آثار قدرةِ الله تعالى في خلْق العالَم. ﴿كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا﴾ رفعناها بلا عَمَدٍ. ﴿وَزَيَّنَّٰهَا﴾ بالكواكب. ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ فتوقٍ بأنْ خلَقَها ملساءَ متلاصقةَ الطباقِ.

(٧) ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا﴾ بسطْناها. ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ جبالاً ثوابتَ[1]. ﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ﴾ أي من كل صِنْفٍ. ﴿بَهِيجٍ﴾ حسنٍ.

(٨) ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ راجعٍ إلى ربه متفكّرٍ في بدائع صنعِه، وهما علتانِ للأفعالِ المذكورة معنى وإنِ انتصبتا عن الفعلِ الأخير.

(٩) ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا﴾ كثيرَ المنافع ﴿فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ﴾ أشجاراً وأثماراً. ﴿وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ﴾ وحبَّ الزرع الذي من شأنه أن يُحْصَدَ كالبرِّ والشعيرِ[2].

(١٠) ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ﴾ طوالاً أو حواملَ من أبسقتِ الشاةُ إذا حملتْ فيكون من أفعلَ فهو فاعلٌ، وإفرادها بالذِّكْرِ لفرْطِ ارتفاعِها وكثرةِ منافعها[3]. وقرىء باصقاتٍ لأجل القافِ. ﴿لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ منضودٌ بعضُه فوق بعض، والمرادَ تراكمُ الطلعِ أو كثرةُ ما فيه من الثمرِ.

(١١) ﴿رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ﴾ علّة لأنبتْنا أو مصدرٌ، فإنَّ الإنباتَ رزقٌ. ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ﴾ بذلك الماءِ. ﴿بَلْدَةً

---

(١) والتعبير عنها بالرواسي للإيذان بأن إلقاءها بإرساء الأرض بها (س٨/ ١٢٦).

(٢) وتخصيص إنبات حبه بالذكر لأنه المقصود بالذات (س٨/ ١٢٧).

(٣) وتوسيط الحب بين النخل وبين الجنات لتأكيد استقلالها وامتيازها عن البقية، مع ما فيها من مراعاة الفواصل (س٨/ ١٢٧).

مَّيْتًا﴾ أرضاً جدْبةً لا نماءَ فيها. ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾ كما حييتْ هذه البلدةُ يكون خروجُكم أحياءً بعد موتِكم[1].

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾

(١٢، ١٣) ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ﴾ ﴿وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ﴾ أراد بفرعونَ إياه وقومَه ليلائم ما قبلَه وما بعدَه. ﴿وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ﴾ أخدانه لأنهم كانوا أصهارَه.

(١٤) ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ﴾ سبق في الحِجْر والدخانِ. ﴿كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾ أي كلُّ واحد أو قوم منهم أو جميعِهم، وإفرادُ الضمير لإفرادِ لفظه. ﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ فوجبَ وحلَّ عليه وعيدي، وفيه تسليةٌ للرسول ﷺ وتهديدٌ لهم.

(١٥) ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ﴾ أي أفعجَزْنا عن الإبداءِ حتى نَعجزَ عن الإعادةِ، من عيِيَ بالأمرِ إذا لم يهتدِ لوجه عملِه، والهمزةُ فيه للإنكارِ. ﴿بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي هم لا ينكرون قُدْرَتَنا على الخلْق الأولِ بل هم في خلْطٍ، وشبهةٍ في خلقٍ مستأنَفٍ لما فيه من مخالفةِ العادةِ، وتنكيرُ الخلقِ الجديدِ لتعظيمِ شأنه والإشعارِ بأنه على وجه غير متعارَفٍ ولا معتادٍ.

(١٦) ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ ما تحدِّثه به نفسُه وهو ما يخطر بالبال، والوسوسةُ الصوتُ الخفيُّ ومنها وسواسُ الحلْي. والضميرُ لما إنْ جُعِلَتْ موصولةً والباء مثلُها في صوتٍ بكذا، أو للإنسان إنْ جُعِلَتْ مصدريةً والباءُ للتعدية. ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ أي ونحنُ أعلمُ بحاله ممن كان أقربَ إليه من حبلِ الوريد، تجوُّزٌ بقرب الذاتِ لقرب العلمِ لأنه موجِبُه، وحبلُ الوريد مَثَلٌ في القربِ قال: والموتُ أدنى من الوريد. والحبلُ العِرْقُ وإضافته للبيانِ، والوريدانِ عرقَانِ مكتنفانِ بصفحتي العُنُقِ في مقدَّمِها متصلانِ بالوتين يَرِدَان من الرأسِ إليه، وقيل سُمِّي وريداً لأن الروحَ ترِدُه.

(١٧) ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾ مقدَّرٌ باذْكُر أو متعلِّقٌ بأقربُ، أي هو أعلمُ بحاله من كل قريب حين يتلقَّى أي يتلقنُ الحفيظانِ ما يتلفظُ به، وفيه إيذانٌ بأنه غنيٌّ عن استحفاظ الملكينِ فإنه أعلمُ منهما ومطَّلِعٌ

---

(١) قوله «كذلك الخروج».
قدم فيها الخبر للإشارة إلى القصر.
وما فيه من معنىٰ البعد للإشعار ببعد رتبتها، أي مثل تلك الحياة البديعة حياتكم بالبعث من القبور لا شيء مخالف لها.
وفي التعبير عن إخراج النبات من الأرض بالإحياء وعن حياة الموتىٰ بالخروج تفخيم لشأن الإنبات وتهوين لأمر البعث وتحقيق للمماثلة بين إخراج النبات وإحياء الموتىٰ لتوضيح منهاج القياس وتقريبه إلى أفهام الناس (س٨/ ١٢٧).

على ما يَخْفَى عليهما، لكنه لحكمةٍ اقتضتْه وهي ما فيه من تشديد يثبِّطُ العبدَ عن المعصية، وتأكيدٌ في اعتبار الأعمال وضبطِها للجزاءِ وإلزامٌ للحجَّةِ يوم يقومُ الأشهاد. ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ أي عن اليمين قعيدٌ وعن الشمال قعيدٌ، أي مقاعدُ كالجليسِ فحذفَ الأولَ لدلالة الثاني عليه كقوله: فإني وقيارٌ بها لغريبُ. وقد يُطْلَقُ الفعلُ للواحدِ والمتعدِّد كقوله تعالى ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾[1].

مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾

(١٨) ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ﴾ ما يرمي به من فِيْه[2]. ﴿إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ﴾ مَلَكٌ يرقُب عملَه. ﴿عَتِيدٌ﴾ معدٌّ حاضرٌ، ولعلَّه يكتبُ عليه ما فيه ثوابٌ أو عقاب وفي الحديث: «كاتب الحسناتِ أمينٌ على كاتب السيئاتِ فإذا عمل حسنةً كتبها ملك اليمين عشراً، وإذا عملَ سيئة قال صاحبُ اليمين لصاحب الشمال دعْه سبعَ ساعاتٍ لعله يسبحُ أو يستغفرُ»[3].

(١٩) ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾ لما ذكر استبعادَهم البعثَ للجزاءِ وأزاحَ ذلك بتحقيق قدرتِه وعلمه أعلمَهم بأنهم يلاقون ذلك عن قريبٍ عند الموت وقيامِ الساعة، ونبه على اقترابه بأن عبَّر عنه بلفظ الماضي، وسكرةُ الموت شدَّتُهُ الذاهبةُ بالعقلِ والباءُ للتعديةِ كما في قولك: جاء زيدٌ بعمرو. والمعنى وأحضرت سكرةُ الموتِ حقيقةَ الأمرِ أو الموعودَ الحقَّ، أو الحقَّ الذي ينبغي أن يكونَ من الموت أو الجزاءِ، فإنَّ الإنسانَ خُلِقَ له أو مِثْلُ الباءِ في ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾[4]. وقرىء سكرةُ الحقِّ بالموتِ على أنها لشدتها اقتضتِ الزهوقَ أو لاستعقابها له كأنها جاءتْ به، أو على أنَّ الباء بمعنى مع. وقيل سكرةُ الحقِّ سكرة الله وإضافتُها إليه للتهويلِ. وقرىء سكراتُ الموتِ. ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي الموتُ. ﴿مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ تميل وتنفرُ عنه والخطابُ للإنسان.

(٢٠) ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾ يعني نفخةَ البعث. ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ﴾ أي وقتُ ذلك يومَ تحقُّقِ الوعيد

---

(١) التحريم: «٤».

(٢) وتخصيص القول بالذكر لإثبات الحكم في الفعل بدلالة النص (س٨/ ١٢٩).

(٣) أخرجه البيهقي في «الشعب» (٥/ ٣٩١ رقم ٧٠٥١) والطبراني في الكبير (٨/ ٢١٧ ـ ٢١٨ رقم ٧٧٦٥) وأبو نعيم في الحلية (٦/ ١٢٤) كلهم من طريق عروة بن رويم.
وأخرجه البيهقي في «الشعب» (٥/ ٣٩٠ رقم ٥٠٤٩) والطبراني في الكبير (٨/ ٢٩٥ ـ ٢٩٦ رقم ٧٩٧١) من طريق جعفر بن الزبير.
وأخرجه الطبراني في الكبير (٨/ ٢٢٥ رقم ٧٧٨٧) من طريق ثور بن يزيد. كلهم عن القاسم أبي عبدالرحمن عن أبي أمامة.
وأورده الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٢٠٨) وقال: رواه الطبراني بأسانيد ورجال أحدها وثقوا وقال في طريق جعفر بن الزبير: فيه جعفر بن الزبير وهو كذاب.
وحسن الألباني الحديث في «الصحيحة» (٣/ ٢١٠ رقم ١٢٠٩).

(٤) المؤمنون: «٢٠».

وإنجازِه، والإشارة إلى مصدر نُفِخَ[1].

(٢١) ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ ملكانِ أحدُهما يسوقُه والأخرُ يشهدُ بعمله، أو مَلَكٌ جامعٌ للوصفين. وقيل السائقُ كاتبُ السيئات، والشهيدُ كاتب الحسناتِ. وقيل السائق نفسُه أو قرينه والشهيدُ جوارحُه أو أعمالُه، ومحلُّ معها النصبُ على الحالِ من كلٌّ لإضافتِه إلى ما هو في حكمِ المعرفة.

لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾

(٢٢) ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ على إضمارِ القولِ، والخطابُ لكلِّ نفسٍ إذ ما من أحدٍ إلا وله اشتغالٌ ما عن الآخرةِ أو للكافرِ. ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ﴾ الغطاءُ الحاجبُ لأمورِ المعادِ وهو الغفلةُ، والانهماكُ في المحسوساتِ والإلفُ بها وقصورُ النظر عليها. ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ نافذٌ لزوال المانع للأبصارِ. وقيل الخطابُ للنبي عليه الصلاة والسلام والمعنى: كنتَ في غفلة من أمرِ الديانة فكشفْنا عنك غطاءَ الغفلة بالوحْي وتعليم القرآن، فبصرُك اليومَ حديدٌ ترى ما لا يرون وتعلمُ ما لا يعلمونَ. ويؤيد الأولَ قراءةُ من كسرَ التاءَ والكافاتُ على خطابِ النفس.

(٢٣) ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ﴾ قال الملكُ الموكَّل عليه. ﴿هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ﴾ هذا ما هو مكتوبٌ عندي حاضرٌ لديَّ، أو الشيطانُ الذي قُيِّضَ له هذا ما عندي وفي ملكتي عتيدٌ لجهنَّم هيأتُه لها بإغوائي وإضلالي، وما إنْ جُعِلَتْ موصوفةً فعتيد صفتُها وإنْ جعلتْ موصولةً فبدلُها أو خبرٌ بعد خبر أو خبرٌ محذوفٌ.

(٢٤) ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ﴾ خطابٌ من الله تعالى للسائقِ والشهيد، أو الملكين من خزنةِ النار، أو لواحدٍ وتثنيةُ الفاعلِ منزَّلٌ منزلةَ تثنيةِ الفعلِ وتكريرُه كقوله:

فإنْ تَزْجُرَاني يَا ابْنَ عَفَّانَ أَنْزَجِرْ وإنْ تَدَعَانِي أَحْمِ عِرْضاً مُمنعاً[2]

أو الألفُ بدلٌ من نون التأكيدِ على إجراءِ الوصلِ مجرى الوقفِ، ويؤيده أنه قرىء أَلْقِيَنْ بالنونِ الخفيفةِ. ﴿عَنِيدٍ﴾ معاندٍ للحق.

(٢٥) ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ كثيرِ المنعِ للمالِ عن حقوقه المفروضةِ. وقيل المرادُ بالخيرِ الإسلامُ فإنَّ الآيةَ نزلت في الوليد بنِ المغيرة لما منعَ بني أخيه عنه. ﴿مُعْتَدٍ﴾ متعدٍّ. ﴿مُّرِيبٍ﴾ شاكٍّ في الله وفي دينه.

(٢٦) ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ مبتدأٌ متضمِّنٌ معنى الشرط وخبرهُ. ﴿فَأَلْقِيَاهُ فِي ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ﴾ أو بدلٌ من كلِّ كفار فيكون فألقياه تكريراً للتوكيد، أو مفعولٌ لمضمَرٍ يفسِّره فألقياهُ.

(٢٧) ﴿۞ قَالَ قَرِينُهُۥ﴾ أي الشيطانُ المقيَّضُ له، وإنما استُؤْنِفَتْ كما تُسْتَأْنَفُ الجملُ الواقعةُ في حكايةِ

---

(١) وتخصيص الوعيد بالذكر مع أنه يوم الوعد أيضاً لتهويله، ولذلك بدىء ببيان حال الكفرة (س٨/ ١٣٠).

(٢) من الطويل.

التقاولِ فإنه جوابٌ لمحذوفٍ دلَّ عليه. ﴿رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُ﴾ كأنَّ الكافرَ قال هو أطغاني فقال قرينُه ربَّنا ما أطغيتُه بخلافِ الأولى فإنها واجبة العطفِ على ما قبلَها للدلالةِ على الجمعِ بينَ مفهوميهما في الحصولِ، أعني مجيءَ كلٍّ نفس مع الملكينِ وقولَ قرينِه: ﴿وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ فاعنتُه عليه فإنَّ إغواءَ الشياطين إنما يؤثر فيمَنْ كان مختلَّ الرأي مائلاً إلى الفجورِ كما قال تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى﴾[1].

قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾

(٢٨) ﴿قَالَ﴾ أي اللهُ تعالى. ﴿لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ﴾ أي في موقفِ الحساب فإنه لا فائدةَ فيه، وهو استئنافٌ مثلُ الأول. ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ﴾ على الطغيانِ في كتبي وعلى ألسنةِ رسلي فلم يبقَ لكم حجةٌ. وهو حالٌ تعليلٌ للنهي أي لا تختصمُوا عالمين بأني أوعدتُكم، والباءُ مزيدةٌ أو معدِّيةٌ على أنَّ قدَّم بمعنى تقدَّم، ويجوزُ أنْ يكون بالوعيدِ حالاً والفعلُ واقعاً على قوله:

(٢٩) ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾ أي بوقوعِ الخُلْفِ فيه فلا تطمعُوا أنْ أبدِّلَ وعيدي. وعفوُ بعض المذنبين لبعضِ الأسبابِ ليس من التبديل فإنَّ دلائلَ العفو تدلُّ على تخصيصِ الوعيد. ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ فأعذِّبُ مَنْ ليس لي تعذيبُه.

(٣٠) ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ سؤالٌ وجواب جيءَ بهما للتخييل والتصوير، والمعنى أنها مع اتساعِها تطرحُ فيها الجِنَّةَ والناسَ فوجاً فوجاً حتى تمتلىءَ لقوله تعالى ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾[2]، أو أنها من السَّعةِ بحيث يدخلُها من يدخلُها وفيها بعدُ فراغٌ، أو أنها من شدة زفيرها وحِدَّتها وتشبُّثها بالعصاةِ كالمستكثرةِ لهم والطالبةِ لزيادتهم. وقرأ نافع وأبو بكر يقولُ بالياء والمزيدُ إما مصدرٌ كالمحيد أو مفعولٌ كالمبيعِ، ويومَ مقدَّرٌ باذكُر أو ظرفٌ لِنُفِخَ فيكونُ ذلك إشارةً إليه فلا يفتقرُ إلى تقدير مضافٍ.

(٣١) ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ قُرِّبَتْ لهم. ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ مكاناً غيرَ بعيدٍ، ويجوز أنْ يكون حالاً وتذكيرهُ لأنه صفةُ محذوفٍ، أو شيئاً غيرَ بعيد أو على زِنَةِ المصدرِ أو لأنَّ الجنةَ بمعنى البستانِ.

(٣٢) ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ﴾ على إضمار القولِ، والإشارةُ إلى الثواب أو مصدرُ أُزْلِفَتْ. وقرأ ابن كثير بالياءِ. ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ رجَّاعٍ إلى الله تعالى، بدلٌ من المتقين بإعادة الجارّ. ﴿حَفِيظٍ﴾ حافظٍ لحدودِه.

(٣٣) ﴿مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ بعدٌ بدلٌ أو بدلٌ من موصوفِ أوَّابٍ، ولا يجوزُ أنْ يكونَ في حكمِه لأن مَنْ لا يوصفُ به أو مبتدأٌ خبرُه.

---

(١) إبراهيم: «٢٢».

(٢) الأعراف: «١٨».

ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾

(٣٤) ﴿ٱدْخُلُوهَا﴾ على تأويلٍ يُقَالُ لهم ادخلوها، فإنَّ مَنْ بمعنى الجمعِ وبالغيبِ حالٌ من الفاعلِ أو المفعول، أو صفةٌ لمصدرٍ أي خشيةً ملتبسةً بالغيب حيث خشي عقابَه وهو غائبٌ، أو العقابَ بعدَ غيبٍ أو هو غائب عن الأعين لا يراهُ أحدٌ. وتخصيصُ الرحمن للإشعار بأنهم يرجُون رحمتَه ويخافون عذابَه، أو بأنهم يخشَوْنَ مع علمهم بِسَعَةِ رحمتِه، ووصفُ القلب بالإنابة إذ الاعتبارُ برجوعه إلى الله. ﴿بِسَلَٰمٍ﴾ سالمين من العذاب وزوالِ النِّقم، أو مسلَّماً عليكم من الله وملائكتِه. ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ﴾ يومُ تقديرِ الخلودِ كقوله تعالى ﴿فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾[1].

(٣٥) ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ وهو ما لا يخطرُ ببالهم مما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلبِ بشرٍ.

(٣٦) ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم﴾ قبلَ قومِك. ﴿مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا﴾ قوةً كعادٍ وثمودَ وفرعونَ. ﴿فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ فخرقُوا في البلاد وتصرَّفوا فيها، أو جالوا في الأرض كلَّ مجالٍ حذرَ الموت، فالفاءُ على الأولِ للتسبُّبِ وعلى الثاني لمجرَّدِ التعقيبِ، وأصلُ التنقيبِ التنقيرُ عن الشيءِ والبحثُ عنه. ﴿هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾ أي لهم من الله أو منَ الموتِ. وقيل الضميرُ في نقَّبوا لأهلِ مكةَ أي ساروا في أسفارِهم في بلاد القرونِ فهل رأَوا لهم محيصاً حتى يتوقَّعوا مثلَه لأنفسِهم، ويؤيدُه أنه قرىء فنقَّبوا على الأمرِ، وقرىء فَنَقِبُوا بالكسرِ من النَّقَبِ وهو أنْ ينتقبَ خفُّ البعير أي أكْثَروا السيرَ حتى نقبتْ أقدامُهم أو أخفافُ مراكِبهم.

(٣٧) ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ فيما ذُكِرَ في هذه السورةِ. ﴿لَذِكْرَىٰ﴾ لتذكرةٌ. ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ أي قلبٌ واعٍ يتفكَّر في حقائِقه. ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ﴾ أي أصْغَى لاستماعِه. ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ حاضرٌ بِذِهْنِه ليفهمَ معانيه، أو شاهدٌ بصدقِه فيتعظُ بظواهره ويتزجرُ بزواجرِه، وفي تنكير القلبِ وإبهامِه تفخيمٌ وإشعار بأنَّ كلَّ قلبٍ لا يتفكر ولا يتدبَّر كلا قلبَ.

(٣٨) ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ مرَّ تفسيره مراراً. ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ من تعبٍ وإعياءٍ، وهو ردٌّ لما زعمتِ اليهودُ من أنه تعالى بدأ خلقَ العالم يومَ الأحدِ وفرغَ منه يومَ الجمعةِ واستراحَ يومَ السبتِ واستلقى على العرشِ.

(٣٩) ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ ما يقول المشركونَ من إنكارِهم البعثَ، فإنَّ من قَدَرَ على خلْقِ العالَم بلا عياءٍ قدرَ على بعْثِهم والانتقامِ منهم، أو ما يقول اليهودُ من الكفر والتشبيهِ. ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾

---

(١) الزمر: «٧٣».

ونزِّهْهُ عن العجْزِ عما يمكنُ، والوصفُ بما يوجب التشبيهَ حامداً له على ما أنعمَ عليك من إصابةِ الحقِّ وغيرِها. ﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ يعني الفجرَ والعصرَ وقد عرفْتَ فضيلةَ الوقتينِ.

وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَـٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

(٤٠) ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ أي وسبِّحه بعضَ الليلِ. ﴿وَأَدْبَـٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ وأعقابَ الصلواتِ جمعُ دُبُرٍ من أَدْبَرَ، وقرأ الحجازيانِ وحمزةُ وخلفٌ بالكسرِ من أدبرتِ الصلاةُ إذا انقضتْ. وقيل المرادُ بالتسبيح الصلاةُ، فالصلاةُ قبلَ الطلوعِ الصبح وقبل الغروبِ: الظهرُ، والعصرُ. ومن الليل: العشاءانِ، والتهجدُ وأدبارُ السجود النوافلُ بعدَ المكتوبات. وقيل الوترُ بعدَ العشاءِ.

(٤١) ﴿وَٱسْتَمِعْ﴾ لِمَا أخبرك به من أحوال القيامةِ، وفيه تهويلٌ وتعظيم للمخْبَرِ به. ﴿يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ﴾ إسرافيلُ أو جبريلُ عليهما الصلاة والسلام فيقول: أيتُها العظامُ البالية واللحومُ المتمزقةُ والشعورُ المتفرقة إنَّ الله يأمركنَّ أنْ تجتمعْنَ لفصلِ القضاء[1]. ﴿مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ بحيثُ يصلُ نداؤُه إلى الكلِّ على سواءٍ، ولعلَّه في الإعادةِ نظيركُنَّ في الإبداءِ، ويومَ نُصِبَ بما دلَّ عليه يومُ الخروج.

(٤٢) ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ﴾ بدلٌ منه والصيحةُ النفخةُ الثانية. ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ متعلِّقٌ بالصيحةِ والمرادُ به البعثُ للجزاءِ. ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾ من القبور، وهو من أسماءِ يوم القيامة وقد يُقَالُ للعيدِ.

(٤٣) ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ﴾ في الدنيا. ﴿وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ﴾ للجزاء في الآخرةِ.

(٤٤) ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ﴾ تتشقَّقُ، وقرىء تنشقُّ. وقرأ عاصم وحمزةُ والكسائي وخلف وأبو عمرو بتخفيفِ الشين. ﴿ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾ مسرعينَ. ﴿ذَٰلِكَ حَشْرٌ﴾ بعثٌ وجمعٌ. ﴿عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ هيِّنٌ، وتقديمُ الظرفِ للاختصاصِ فإن ذلك لا يتيسَّرُ إلا على العالِمِ القادِرِ لذاتِه الذي لا يشغلُه شأنٌ عن شأن، كما قال الله تعالى: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾[2].

(٤٥) ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ تسليةٌ لرسول الله ﷺ وتهديدٌ لهم. ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ بمسلَّطٍ تقسُرهم على الإيمان، أو تفعلُ بهم ما تريد وإنما أنت داعٍ. ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ فإنه لا ينتفعُ به غيرُهُ. عن النبيِّ ﷺ «مَنْ قرأ سورةَ قَ هوَّن الله عليه تاراتِ الموتِ وسكراتِه»[3]. والله أعلمُ.

☆ ☆ ☆

---

(١) انظر [تفسير البغوي (٧/ ٣٦٦)] وانظر فتح القدير (٥/ ٨١).

(٢) لقمان: «٢٨».

(٣) وهو حديث موضوع.
أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه. كما في «الكافي الشافِ» (ص١٥٩ رقم ٤٦). وقد تقدم الكلام عليه في أواخر سورة آل عمران.

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

ترتيبها ٥١ آياتها ٦٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾

سورة والذاريات مكية[1] وآيها ستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾ يعني الرياحَ تذرو الترابَ وغيره، أو النساءَ الولودَ فإنهن يذرينَ الأولادَ، أو الأسبابَ التي تذري الخلائقَ من الملائكة وغيرهم. وقرأ أبو عمرو وحمزةُ بإدغام التاءِ في الذالِ.

(٢) ﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴾ فالسحبِ الحاملةِ للأمطار، أو الرياحِ الحاملة للسحابِ، أو النساءِ الحواملِ، أو أسبابِ ذلك. وقرىء وَقراً على تسمية المحمولِ بالمصدرِ.

(٣) ﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا﴾ فالسفنِ الجاريةِ في البحرِ سهلاً، أو الرياحِ الجاريةِ في مهابِّها، أو الكواكبِ التي تجري في منازِلها. ويسراً صفةُ مصدرٍ محذوفٍ أي جرياً ذا يسرٍ.

(٤) ﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا﴾ الملائكةِ التي تقسِّمُ الأمورَ من الأمطار والأرزاقِ وغيرها، أو ما يعمُّهم وغَيْرَهُم من أسباب القسمةِ، أو الريحِ يقسِّمْنَ الأمطارَ بتصريفِ السحابِ، فإنْ حُمِلَتْ على ذواتٍ مختلفةٍ فالفاءُ لترتيبِ الأقسامِ بها باعتبارِ ما بينها من التفاوُتِ في الدلالة على كمال القدرةِ، وإلا فالفاءُ

(١) قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٥/١٩٧): «وهي مكية بإجماعٍ من المفسرين».

لترتيبِ الأفعال إذ الرياحُ مثلاً تذرُو الأبخرةَ إلى الجوِّ حتى تنعقدَ سحاباً، فتحملُه فتجري به باسطةً له إلى حيثُ أُمِرَتْ به فتقسِّمُ المطرَ.

(٥) ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾.

(٦) ﴿وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾ جوابُ القسمِ كأنه استدلَّ باقتداره على هذه الأشياءِ العجيبةِ المخالفةِ لمقتضى الطبيعةِ على اقتداره على البعثِ للجزاء الموعودِ، وما موصولةٌ أو مصدريةٌ والدينُ الجزاء والواقعُ الحاصلُ.

(٧) ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ ذاتِ الطرائقِ، والمرادُ إما الطرائقُ المحسوسة التي هي مسيرُ الكواكب أو المعقولةِ التي يسلُكها النُّظارُ ويُتَوَصَّلُ بها إلى المعارفِ، أو النجومُ فإنَّ لها طرائقَ أو أنها تزيِّنها كما يزيِّنُ الموشيُّ طرائقَ الوشْي؛ جمعُ حبيكةٍ كطريقةٍ وطرقٍ أو حبائكٍ كمثالٍ ومُثُلٍ. وقرىء الحُبْكِ بالسكونِ، والحِبِكِ كالإبِلِ، والحِبْكِ كالسِّلْكِ، والْحَبَكِ كالجبلِ، والحِبَكِ كالنِّعَمِ، والْحَبْكِ كالبرقِ.

(٨) ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾ في الرسول ﷺ وهو قولُهم تارةً إنه شاعرٌ وتارة إنه ساحر وتارة إنه مجنونٌ، أو في القرآن أو القيامةِ أو أمرِ الديانة، ولعل النكتةَ في هذا القسمِ تشبيهُ أقوالهم في اختلافِها وتنافي أغراضِها بطرائقِ السموات في تباعُدِها واختلافِ غاياتها.

(٩) ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ يُصْرَفُ عنه والضميرُ للرسول أو القرآنِ أو الإيمانِ، من صَرَفَ إذ لا صَرْفَ أشدُّ منه فكأنه لا صَرْفَ بالنسبة إليه، أو يُصْرَفُ مَنْ صُرِفَ في علم الله وقضائه ويجوز أن يكون الضميرُ للقول على معنى يصدرُ، أَفِكَ من أُفِكَ عن القولِ المختلفِ وبسببه كقوله: ينهون عن أكلٍ وعن شربٍ. أي يصدرُ تناهيهم عنهما وبسبَبِهما وقرىء أَفَكَ بالفتحِ أي من أَفَكَ الناسُ وهم قريشٌ كانوا يصدُّون الناسَ عن الإيمان.

(١٠) ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾ الكذابونَ من أصحابِ القول المختلفِ، وأصله الدعاءُ بالقتل أجري مجرى اللعنِ.

(١١) ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ﴾ في جهل يغمُرهم. ﴿سَاهُونَ﴾ غافلون عما أُمِرُوا به.

(١٢) ﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾ أي فيقولون متى يومُ الجزاء أي وقوعُه، وقرىء إيانَ بالكسْرِ.

(١٣) ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ يُحْرَقُونَ جوابٌ للسؤالِ أي يقعُ يومَ هم على النارِ يفتنونَ، أو هو يومَ هم على النارِ يفتنونَ، وفتحَ يومَ لإضافتِه إلى غير متمكِّنٍ ويدلُّ عليه أنه قرىء بالرفعِ.

(١٤) ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾ أي مقولاً لهم هذا القولَ. ﴿هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ هذا العذابُ هو الذي كنتم به تستعجلون، ويجوزُ أنْ يكونَ هذا بدلاً من فتنتِكم والذي صفتُه.

(١٥) ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾.

(١٦) ﴿آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ قابلينَ لما أعطاهم راضينَ به، ومعناه أنَّ كلَّ ما آتاهم حسنٌ مرضيٌّ متلقًّى بالقبول. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ قد أحسنوا أعمالَهم وهو تعليلٌ لاستحقاقهم ذلك.

(١٧) ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ تفسير لإحسانِهم، وما مزيدةٌ أي يهجعون في طائفة من الليل أو يهجعونَ هجوعاً قليلاً، أو مصدريةٌ أو موصولةٌ أي في قليل من الليلِ هجوعُهم، أو ما يهجعون فيه،

ولا يجوزُ أن تكون نافيةً لأنَّ ما بعدَها لا يعملُ فيما قبلَها. وفيه مبالغاتٌ لتقليلِ نومِهم واستراحتِهم، ذكرَ القليلَ والليلَ الذي هو وقتُ السباتِ، والهجوعَ الذي هو الفرارُ من النوم وزيادةُ ما.

وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾

(١٨) ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ أي أنهم مع قلةِ هجوعِهم وكثرةِ تهجُّدهم إذا أسحروا أخذوا في الاستغفارِ كأنهم أسلفُوا في ليلهم الجرائمَ، وفي بناءِ الفعلِ على الضمير إشعاراً بأنهم أحقَّاءُ بذلك لوفور علمِهم بالله وخشيتهم منه.

(١٩) ﴿وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ﴾ نصيبٌ يستوجبونَه على أنفسِهم تقرُّباً إلى الله وإشفاقاً على الناس. ﴿لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ للمستجدي والمتعففِ الذي يُظَنُّ غنياً فيحرمُ الصدقةَ.

(٢٠) ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ أي فيها دلائلُ من أنواع المعادنِ والحيوانات، أو وجوهُ دلالات من الدُّحُوِّ والسكونِ وارتفاعِ بعضِها عن الماء واختلافِ أجزائها في الكيفياتِ والخواصِّ والمنافع تدلُّ على وجودِ الصانع وعلمِه وقدرتِه وإرادتِه ووحْدَته وفَرْطِ رحمتِه.

(٢١) ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ﴾ أي وفي أنفسِكم آياتٌ إذ ما في العالم شيءٌ إلا وفي الإنسان له نظيرٌ يدل دلالتَه مع ما انفردَ به من الهيئات النافعةِ والمناظرِ البهيةِ والتركيبات العجيبةِ، والتمكنِ من الأفعالِ الغريبة واستنباطِ الصنائعِ المختلفةِ واستجماعِ الكمالات المتنوعةِ. ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ تنظرون نظرَ مَنْ يعتبرُ.

(٢٢) ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ﴾ أسبابُ رزقِكم أو تقديرهُ. وقيل المرادُ بالسماءِ السحابُ وبالرزقِ المطرُ فإنه سببُ الأقواتِ. ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ من الثواب لأنَّ الجنَّةَ فوقَ السماءِ السابعةِ، أو لأنَّ الأعمالَ وثوابَها مكتوبةٌ مقدَّرةٌ في السماءِ. وقيل إنه مستأنفٌ خبرهُ:

(٢٣) ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ وعلى هذا فالضميرُ لما وعلى الأولِ يُحْتَمَلُ أنْ يكونَ له ولما ذكر من أمرِ الآياتِ والرزقِ والوعدِ. ﴿مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ أي مثلَ نُطْقِكُم كما أنه لا شكَّ لكم في أنكم تنطقونَ ينبغي أنْ لا تشكُّوا في تحقُّقِ ذلك. ونَصْبَهُ على الحالِ من المستكِنِّ في لَحَقٌ، أو الوصفِ لمصدرٍ محذوفٍ أي أنه لحقٌّ حقاً مِثلَ نطقِكم. وقيل إنه مبنيٌّ على الفتح لإضافتِه إلى غير متمكِّنٍ وهو ما إن كانت بمعنى شيءٍ وأنّ بما في حيِّزها إنْ جُعِلَتْ زائدةً، ومحلُّه الرفعُ على أنه صفةٌ لحقٌّ، ويؤيدُه قراءةُ حمزةَ والكسائيِّ وأبي بكر بالرفعِ.

(٢٤) ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ فيه تفخيمٌ لشأنِ الحديثِ وتنبيهٌ على أنه أُوحِيَ إليه، والضيفُ في الأصلِ مصدرٌ ولذلك يُطْلَقُ على الواحدِ والمتعدِّدِ. قيل كانوا اثني عشرَ ملَكاً. وقيل ثلاثةٌ جبريلُ وميكائيلُ وإسرافيلُ، وسمَّاهم ضيفاً لأنهم كانوا في صورةِ الضيفِ. ﴿ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ أي مكرمينَ عند الله أو عندَ إبراهيمَ إذ خدمهم بنفسِه وزوجتِه.

إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾

(٢٥) ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ﴾ ظرفٌ للحديث أو الضيفِ أو المكرمين. ﴿فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ أي نسلِّم عليك سلاماً. ﴿قَالَ سَلَٰمٌ﴾ أي عليكم سلامٌ، عَدَلَ به إلى الرفع بالابتداءِ لقصدِ الثباتِ حتى تكونَ تحيَّتُه أحسنَ من تحيَّتهم. وقرئا مرفوعين، وقرأ حمزة والكسائيُّ قَالَ سَلَمٌ، وقرىء منصوباً والمعنى واحدٌ. ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ أي أنتم قومٌ منكرونَ، وإنما أنكرهُم لأنه ظنَّ أنهم بنو آدمَ ولم يعرِفْهم، أو لأنَّ السلامَ لم يكن تحيَّتَهم فإنه علَمُ الإسلامِ وهو كالتعرُّفِ عنهم.

(٢٦) ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ فذهبَ إليهم في خفيةٍ من ضيفِه فإنَّ من أدبِ المضيفِ أنْ يبادِرَ بالقرى حذَراً من أنْ يكفَّه الضيفُ أو يصبرَ منتظراً. ﴿فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ لأنه كان عامةَ مالِه البقرُ[1].

(٢٧) ﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ﴾ بأنْ وضَعَه بين أيديهم. ﴿قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ أي منه، وهو مشعِرٌ بكونه حنيذاً، والهمزةُ فيه للعرضِ والحثِّ على الأكلِ على طريقةِ الأدبِ إنْ قاله أولَ ما وضَعَه، وللإنكارِ إنْ قاله حينما رأى إعراضَهم.

(٢٨) ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ فأضمرَ منهم خوفاً لما رأى إعراضَهم عن طعامِه لظنِّه أنهم جاؤُوه لشرٍّ. وقيل وقعَ في نفسه أنهم ملائكةٌ أُرْسِلُوا للعذاب. ﴿قَالُوا۟ لَا تَخَفْ﴾ إنا رسلُ اللهِ. قيل مسحَ جبريلُ العجلَ بجناحه فقام يدرجُ حتى لحقَ بأمِه فعرفَهم وأَمِنَ منهم. ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ﴾ هو إسحقُ عليه السلام. ﴿عَلِيمٍ﴾ يكمُلُ علمُه إذا بلغَ.

(٢٩) ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ﴾ سارةُ إلى بيتها وكانت في زاوية تنظرُ إليهم. ﴿فِى صَرَّةٍ﴾ في صيحةٍ من الصرير، ومحلُّه النصبُ على الحال أو المفعولِ إنْ أُوِّلَ فأقبلتْ بأَخَذتْ. ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ فلطمتْ بأطرافِ الأصابع جَبْهَتَهَا فِعْلَ المتعجِّبِ. وقيل وجدتْ حرارةَ دمِ الحيضِ فلطمتْ وجْهَهَا من الحياءِ. ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ أي أنا عجوز عاقرٌ فكيف أَلِدُ.

(٣٠) ﴿قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ﴾ مثلَ ذلك الذي بشَّرنا به. ﴿قَالَ رَبُّكِ﴾ وإنما نخبركِ به عنه. ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾ فيكون قولُه حقاً وفعلُه محكماً.

(٣١) ﴿۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ لما علم أنهم ملائكةٌ وأنهم لا ينزلونَ مجتمعينَ إلا لأمرٍ عظيم سألَ عنه.

---

(١) الفاء في قوله «فجاء بعجل سمين» فصيحة أفصحت عن جمل قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وإيذاناً بكمال سرعة المجيء بالطعام، كما في قوله تعالى: «أن اضرب بعصاك البحر فانفلق..» ـ الشعراء «٦٣» ـ. والمعنى: فذبح عجلاً فحنذه فجاء به.. (س٨/ ١٤٠).

قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرۡسِلَ عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن طِينٖ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكۡنَا فِيهَآ ءَايَةٗ لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ وَفِي مُوسَىٰٓ إِذۡ أَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكۡنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٞ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٞ ﴿٤٠﴾ وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَيۡءٍ أَتَتۡ عَلَيۡهِ إِلَّا جَعَلَتۡهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾

(٣٢) ﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ﴾ يعنونَ قومَ لوط.

(٣٣) ﴿لِنُرۡسِلَ عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن طِينٖ﴾ يريدَ السجِّيلَ فإنه طينٌ متحجِّرٌ.

(٣٤) ﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ﴾ مرسلةً من أسمتُ الماشيةَ، أو معلَّمةً من السومةِ وهي العلامةُ. ﴿لِلۡمُسۡرِفِينَ﴾ المجاوزين الحدَّ في الفجورِ.

(٣٥) ﴿فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا﴾ في قرى قومِ لوطٍ وإضمارها ولم يجرِ ذكْرها لكونها معلومةً. ﴿مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ ممن آمن بلوط.

(٣٦) ﴿فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ غير أهلِ بيت من المسلمين. واسْتُدِلَّ به على اتحادِ الإيمان والإسلامِ، وهو ضعيفٌ لأن ذلك لا يقتضي إلا مَنْ صدَقَ المؤمنَ والمسلمَ على مَنِ اتَّبعه، وذلك لا يقتضي اتحادَ مفهوميهما لجوازِ صدقِ المفهوماتِ المختلفة على ذاتٍ واحدة.

(٣٧) ﴿وَتَرَكۡنَا فِيهَآ ءَايَةٗ﴾ علامةٌ. ﴿لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾ فإنهم المعتبِرونَ بها، وهي تلك الأحجارُ أو صخرٌ منضودٌ فيها أو ماءٌ أسودُ منتنٌ.

(٣٨) ﴿وَفِي مُوسَىٰٓ﴾ عطف على وفي الأرض، أو تركْنا فيها على معنى وجعلْنا في موسى كقوله: علفْتُها تبناً وماءً بارداً[1]. ﴿إِذۡ أَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ﴾ هو معجزاتُه كالعصا واليد.

(٣٩) ﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكۡنِهِۦ﴾ فأعرضَ عن الإيمان به كقوله ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾[2] أو فتولَّى بما كان يتقوَّى به من جنوده، وهو اسمٌ لما يُرْكَنُ إليه الشيءُ ويتقوَّى به. وقرىء بضمِّ الكافِ. ﴿وَقَالَ سَٰحِرٌ﴾ أي هو ساحرٌ. ﴿أَوۡ مَجۡنُونٞ﴾ كأنه جعلَ ما ظهرَ عليه من الخوارقِ منسوباً إلى الجنِّ، وتردَّدَ في أنه حصلَ ذلك باختيارِهِ وسعْيه أو بغيرِهما.

(٤٠) ﴿فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ﴾ فأغرقْناهم في البحرِ. ﴿وَهُوَ مُلِيمٞ﴾ آتٍ بما يُلَامُ عليه من الكفرِ والعنادِ، والجملة حالٌ من الضمير في فأخذْناه.

(٤١) ﴿وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ﴾ سمَّاها عقيماً لأنها أهلكتْهم وقطعتْ دابِرَهم، أو لأنها لم تتضمنْ منفعةً، وهي الدَّبورُ أو الجَنُوبُ أوِ النكباءُ.

(٤٢) ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيۡءٍ أَتَتۡ﴾ مرَّتْ. ﴿عَلَيۡهِ إِلَّا جَعَلَتۡهُ كَٱلرَّمِيمِ﴾ كالرمادِ من الرمِّ وهو البِلَى والتفتُّتُ.

---

(١) من الرجز، أي وسقيتها ماءً، فحذف اكتفاء بالأول، ونحوه: وزججْن الحواجب والعيونا، أي وكحلن.

(٢) الإسراء الآية: «٨٣» وفصلت الآية: «٥١».

وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾

(٤٣) ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ﴾ تفسيرهُ قولُه ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾[1].

(٤٤) ﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ فاستكبروا عن امتثاله. ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ أي العذابُ بعد الثلاث. وقرأ الكسائي الصعقةُ وهي المرة من الصَّعْقِ. ﴿وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ إليها فإنها جاءتهم معاينةً بالنهار.

(٤٥) ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ﴾ كقوله ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾[2]. وقيل من قولهم ما يقومُ به إذا عجزَ عن دفعه. ﴿وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ﴾ ممتنعِينَ منه.

(٤٦) ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ أي وأهلكْنا قومَ نوح لأنَّ ما قبلَه يدلُّ عليه. أو اذكُر ويجوز أن يكونَ عطفاً على محل في عادٍ، ويؤيده قراءةُ أبي عمرو وحمزةَ والكسائي بالجرِّ. ﴿مِّن قَبْلُ﴾ من قبلِ هؤلاء المذكورينَ. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ خارجين عن الاستقامة بالكفر والعصيان.

(٤٧) ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيْدٍ﴾ بقوةٍ. ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ لقادرون من الوُسْعِ بمعنى الطاقةِ والموسعُ القادرُ على الإنفاق، أو لموسعون السماءَ أو ما بينَها وبين الأرض أو الرزقَ.

(٤٨) ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا﴾ مهَّدْناها لتستقروا عليها. ﴿فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ أي نحنُ.

(٤٩) ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ من الأجناس. ﴿خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ نوعين ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فتعلمون أنَّ التعددَ من خواصِّ الممكناتِ وأن الواجبَ بالذاتِ لا يقبل التعدُّدَ والانقسامَ.

(٥٠) ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ من عقابه بالإيمان والتوحيد وملازمةِ الطاعة. ﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ﴾ أي من عذابه المعدِّ لمن أشركَ أو عصَى. ﴿نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ بيِّنٌ كونَه منذراً من الله بالمعجزات، أو مبيِّنٌ ما يجب أن يُحْذَرَ عنه.

(٥١) ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾ إفراد لأعظمَ ما يجب أن يُفَرَّ منه. ﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ تكريرٌ للتأكيد، أو الأولُ مرتبٌ على ترك الإيمان والطاعة والثاني على الإشراكِ.

(٥٢) ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي الأمرُ مثلُ ذلك، والإشارة. إلى تكذيبهم الرسولَ وتسميتهم إياهُ ساحراً أو مجنوناً وقوله: ﴿مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ كالتفسيرِ له، ولا يجوز نصبُه بأَتَى أو ما يفسِّره لأنَّ ما بعدَ ما النافيةِ لا يعملُ فيما قبلَها.

---

(١) هود: «٦٥».

(٢) الأعراف: «٧٨».

أَتَوَاصَوْا بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

(٥٣) ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِۦ﴾ أي كأن الأولين والآخرينَ منهم أوصَى بعضُهم بعضاً بهذا القول حتى قالوه جميعاً. ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ إضرابٌ عن أن التواصيَ جامِعُهم لتباعُدِ أيامهم إلى أن الجامعَ لهم على هذا القولِ مشاركتُهم في الطغيان الحاملِ عليه.

(٥٤) ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ فأعرضْ عن مجادلتهم بعدما كرَّرْتَ عليهم الدعوةَ فأَبَوْا إلا الإصرارَ والعنادَ. ﴿فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ على الإعراض بعد ما بذلت جُهْدَك في البلاغ.

(٥٥) ﴿وَذَكِّرْ﴾ ولا تدعِ التذكيرَ والموعظةَ. ﴿فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ من قدَّر اللهُ إيمانه أو مَنْ آمن فإنه يزدادُ بها بصيرةً.

(٥٦) ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ لمّا خلقهم على صورة متوجِّهة إلى العبادة مغلَّبة لها. جَعَلَ خلْقَهم مغيّاً بها مبالغةً في ذلك؛ ولو حُمِلَ على ظاهره، مع أنَّ الدليلَ يمنعه لنا في ظاهرِ قوله ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾[1] وقيل معناه إلا لأمرهم بالعبادة أو ليكونوا عباداً لي[2].

(٥٧) ﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ أي ما أريدُ أنْ أصْرِفكم في تحصيل رزقي فاشتغلوا بما أنتم كالمخلوقين له والمأمورين به، والمرادُ أنْ يبيِّنَ أنَّ شأنه مع عباده ليس شأنَ السادة مع عبيدهم، فإنهم إنما يملكونَهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشِهم، ويُحْتَمَلُ أنْ يُقَدَّرَ بقلْ فيكون بمعنى قوله ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾[3].

(٥٨) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ﴾ الذي يرزقُ كلَّ ما يفتقر إلى الرزق، وفيه إيماءٌ باستغنائه عنه، وقرىء إني أنا الرزاقُ. ﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ شديدُ القوة، وقرىء المتينِ بالجرِّ صفةً للقوةِ.

(٥٩) ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا﴾ أي للذين ظلموا رسولَ الله ﷺ بالتكذيب نصيباً من العذاب. ﴿مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ﴾ مثلَ نصيبِ نُظَرائِهم من الأمم السالفةِ، وهو مأخوذٌ من مقاسمةِ السُّقاةِ الماءَ بالدِّلاءِ فإن الذَّنوبَ هو الدلْو العظيم المملوءُ. ﴿فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾ جوابٌ لقولهم ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[4].

(٦٠) ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾ من يوم القيامة أو يومِ بدرٍ. عن النبيِّ ﷺ «مَنْ قرأ

---

(١) الأعراف: «١٧٩».

(٢) ولعل تقديم خلق الجن في الذكر لتقدمه على خلق الإنس في الوجود (س٨/ ١٤٤).

(٣) الأنعام: «٩٠».

(٤) يس: «٤٨».

سورةَ والذارياتِ أعطاه الله عشْرَ حسناتٍ بعددِ كلِّ ريحٍ هبَّت وجَرَتْ في الدنيا»[١].

☆ ☆ ☆

(١) وهو حديث موضوع.
أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه.
كما في «الكافي الشافِ» (ص١٥٩ رقم ٥٠). وقد تقدم الكلام عليه في آخر سورة آل عمران.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾

سورة والطور مكية[1] وآيها تسع أو ثمان وأربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ﴿وَٱلطُّورِ﴾ يريدُ طورَ سينينَ، وهو جبل بمدينَ سمعَ فيه موسى عليه السلام كلامَ الله تعالى، والطور الجبلُ بالسريانيةِ أو ما طارَ من أوجِ الإيجادِ إلى حضيضِ الموادِّ، أو من عالم الغيب إلى عالمِ الشهادة.

(٢) ﴿وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ﴾ مكتوبٍ، والسطر ترتيبُ الحروف المكتوبةِ. والمراد به القرآنُ أو ما كتبه اللهُ في اللوح المحفوظِ، أو ألواحِ موسى عليه السلام، أو في قلوب أوليائهِ من المعارفِ والحِكَمِ أو ما تكتبه الحفَظَةُ.

(٣) ﴿فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾ الرَّقُّ الجلدُ الذي يُكْتَبُ فيه استُعِيْرَ لما كُتِبَ فيه الكتابُ، وتنكيرهُما للتعظيم والإشعارِ بأنهما ليسا من المتعارَفِ فيما بينَ الناس.

(٤) ﴿وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ﴾ يعني الكعبةَ وعمارتَها بالحجَّاج والمجاورين، أو الضراحَ وهو في السماء الرابعةِ. وعمرانُه كثرةُ غاشيتهِ من الملائكة، أو قلبَ المؤمن وعمارتَه بالمعرفةِ والإخلاص.

---

(١) قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٥/٢٢٩): «وهي مكية بإجماع من المفسرين والرواة».

(٥) ﴿وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ﴾ يعني السماءَ.

(٦) ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾ أي المملوءِ وهو المحيطُ، أو الموقَدُ من قوله ﴿وإذا البحار سجرت﴾[١] روي أنه تعالى يجعلُ يومَ القيامة البحارَ ناراً يسجُر بها نارَ جهنَّمَ[٢]، أو المختلطِ من السجير وهو الخليطُ.

(٧) ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ﴾ لنازلٌ.

(٨) ﴿مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ﴾ يدفعُه، ووجه دلالةِ هذه الأمورِ المقسَمِ بها على ذلك أنها أمور تدلُّ على كمال قدرةِ الله تعالى وحكمتِه وصدقِ أخباره وضبطِه أعمالَ العبادِ للمجازاةِ.

(٩) ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا﴾ تَضْطَرِبُ، والمورُ تردُّدٌ في المجيءِ والذَّهابِ، وقيل تحرَّك في تموُّجٍ. ويومَ ظرفٌ.

(١٠) ﴿وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا﴾ أي تسير عن وجه الأرض فتصيرُ هباءً[٣].

(١١) ﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ أي إذا وقعَ ذلك فويلٌ لهم.

ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾

(١٢) ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ﴾ أي في الخوض في الباطلِ.

(١٣) ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ يُدْفَعُوْنَ إليها دفعاً بعنفٍ، وذلك بأن تُغَلَّ أيديهم إلى أعناقهم وتُجْمَعَ نواصيهم إلى أقدامِهم فيُدْفَعُوْنَ إلى النارِ. وقرىء يُدْعَوْنَ من الدعاءِ فيكون دعًّا حالاً بمعنى مدعوِّين، ويومَ بدلٌ من يومَ تمورُ أو ظرفٌ لقول مقدَّر محكيه.

(١٤) ﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ أي يُقَالُ لهم ذلك.

(١٥) ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ﴾ أي كنتم تقولون للوحي هذا سحرٌ أفهذا المصداقُ أيضاً سحرٌ، وتقديمُ الخبر لأنه المقصودُ بالإنكارِ والتوبيخ. ﴿أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ هذا أيضاً كما كنتم لا تبصرون في الدنيا ما يدلُّ عليه، وهو تقريعٌ وتهكُّمٌ، أو: أم سُدَّتْ أبصارُكم كما سُدَّتْ في الدنيا على زعْمِكم حين قلتُم إنما سُكِّرتْ أبصارُنا.

(١٦) ﴿ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟﴾ أي ادخلُوها على أي وجهٍ شئتُم من الصبرِ وعدمِه فإنه

---

(١) التكوير: «٦».

(٢) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٧/ ٣٨٦) بدون راوٍ ولا سند.

(٣) وتأكيد الفعلين بمصدريهما للإيذان بغرابتهما وخروجهما عن الحدود المعهودة، أي مروراً عجيباً وسيراً بديعاً لا يدرك كنههما (س٨/ ١٤٧).

لا محيصَ لكم عنها. ﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي الأمرانِ الصبرُ وعدمُه. ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ تعليلٌ للاستواءِ فإنه لما كان الجزاءُ واجبَ الوقوعِ كان الصبرُ وعدمُه سِيَّيْنِ في عدم النفعِ.

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾

(١٧) ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ﴾ في أية جناتٍ وأي نعيمٍ، أو في جنات ونعيمٍ مخصوصةٍ بهم.

(١٨) ﴿فَٰكِهِينَ﴾ ناعمين متلذِّذِينَ. ﴿بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ وقرىء فَكِهينَ وفاكهونَ على أنه الخبرُ والظرفُ لغوٌ. ﴿وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ عطفٌ على آتاهم إنْ جَعَلَ ما مصدريةً، أو في جناتٍ أو حالٌ بإضمارِ قدْ مِنَ المستكِنِّ في الظرفِ أو الحالِ، أو من فاعلِ آتي أو مفعولِه أو منهما[1].

(١٩) ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا﴾ أي أكلاً وشراباً هنيئاً، أو طعاماً وشراباً هنيئاً وهو الذي لا تنغيصَ فيه. ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بسببه أو بدلِه، وقيل الباءُ زائدةٌ وما فاعلُ هنيئاً، والمعنَى هَنَأَكم ما كنتُم تعملون أي جزاؤُه.

(٢٠) ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾ مصطفَّةٍ ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ الباءُ لما في التزويج من معنى الوصْلِ والإلصاقِ، أو للسببية إذ المعنى صيَّرناهم أزواجاً بسببهنَّ، أو لما في التزويج من معنى الإلصاق والقَرْنِ ولذلك عطفَ:

(٢١) ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ على حورٍ أي قرنَّاهم بأزواجِ حورٍ ورفقاءِ مؤمنينَ. وقيل إنه مبتدأٌ خبرهُ ألحقنا بهم وقولُه: ﴿وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ﴾ اعتراضٌ للتعليلِ، وقرأ ابن عامر ويعقوبُ ذرياتُهم بالجمع وضمِّ التاءِ للمبالغة في كثرتِهم والتصريحِ، فإنَّ الذرِّيَّةَ تقعُ على الواحدِ والكثيرِ، وقرأ أبو عمرو وأتبعْناهم ذريَّاتِهم أي جعلْناهم تابعينَ لهم في الإيمان. وقيل بإيمانٍ حالٌ من الضمير أو الذريةِ أو منهما. وتنكيرهُ للتعظيم، أو الإشعارِ بأنه يكفي للإلحاقِ المتابعةُ في أصلِ الإيمان. ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ في دخول الجنةِ أو الدَّرجةِ. لما رُوِيَ أنه عليه الصلاةُ والسلام قال «إنَّ الله يرفعُ ذريةَ المؤمنِ في درجتِهِ وإن كانوا دونَه لِتَقَرَّ بهم عينُه» ثم تلا هذه الآيةَ[2]. وقرأ نافع وابنُ عامر والبصريان ذريَّاتِهم.

---

(١) في قوله «ووقاهم ربهم» أظهر كلمة الرب في موقع الإضمار مضافاً إلى ضميرهم وذلك للتشريف والتعليل (س٨/١٤٨).

(٢) أخرجه البزار (٣/ ٧٠ رقم ٢٢٦٠ ـ كشف) وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٣٠٢) وابن عدي في الكامل (٦/ ٢٠٦٦) عن ابن عباس.
قال البزار: لا نعلم أسنده إلا الحسن عن قيس، وقد رواه الثوري عن عمرو بن مُرَّة موقوفاً.
وأورده الهيثمي في «المجمع» (٧/ ١١٤) وقال: رواه البزار وفيه قيس بن الربيع وثقه شعبة والثوري وفيه ضعف. =

﴿وَمَآ أَلَتْنَٰهُم﴾ وما نقصْناهم. ﴿مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ بهذا الإلحاقِ فإنه كان يُحْتَمَلُ أنْ يكونَ بنقصِ مرتبةِ الآباءِ أو بإعطاءِ الأبناءِ بعضَ مثوباتِهم، ويحتملُ أنْ يكونَ بالتفضُّلِ عليهم وهو اللائقُ بكمال لُطْفِه. وقرأ ابنُ كثير بكسْرِ اللامِ من أَلِتَ يألِتُ، وعنه لِتْناهُم من لاتَ يليتُ، وآلتناهم من آلتَ يُوْلِتُ، ووالتْناهم من ولتَ يلِتُ، ومعنى الكلِّ واحدٌ. ﴿كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ بعملِه مرهونٌ عند الله تعالى فإنْ عملَ صالحاً فكَّه وإلا أهلكَه.

﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾

(٢٢) ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ أي وزدناهم وقتاً بعد وقتٍ ما يشتهونَ من أنواع التنعُّم.

(٢٣) ﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا﴾ يتعاطَوْنَ هم وجلساؤُهم بتجاذبٍ. ﴿كَأْسًا﴾ خمراً سمَّاها باسم محلِّها ولذلك أنَّث الضميرَ في قوله: ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ أي لا يتكلَّمون بلغوِ الحديثِ في أثناءِ شُرْبها، ولا يفعلونَ ما يُؤْثَمُ به فاعلُه كما هو عادةُ الشاربينَ في الدنيا، وذلك مثلُ قوله تعالى ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾[1] وقرأهما ابنُ كثير والبصريانِ بالفتح.

(٢٤) ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ أي بالكأسِ. ﴿غِلْمَانٌ لَّهُمْ﴾ أي مماليكُ مخصوصونَ بهم. وقيل هم أولادُهم الذين سبقوهُم. ﴿كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾ مصونٌ في الصَّدَفِ من بياضِهم وصفائِهم. وعنه ﷺ: «والذي نفسي بيده، إنَّ فضلَ المخدومِ على الخادمِ كفضلِ القمرِ ليلةَ البدر على سائرِ الكواكبِ»[2].

(٢٥) ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ يسأل بعضُهم بعضاً عن أحواله وأعماله.

= ● وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/٤٦٨) والبيهقي في الاعتقاد (ص٩٠) من طريق الثوري عن عمرو بن مرة به موقوفاً.

● وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ج٢٧/ ٢٤ ـ ٢٥) من طريق شعبة وسماعة عن عمرو بن مرة به موقوفاً.

فرواية هؤلاء الثقات أرجح من رواية قيس بن الربيع، لأن فيها ضعفاً. فالصحيح هو الموقوف لكن مثل هذا لا يقال من قبيل الرأي.

● وأخرج الطبراني في الكبير (١١/ ٤٤٠ ـ ٤٤١ رقم ١٢٢٤٨) والصغير (١/ ٢٢٩) من طريق سالم الأفطس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أظنه عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبويه وزوجته وولده، فيقال إنهم لم يبلغوا درجتك وعملك، فيقول يا رب قد عملت لي ولهم، فيؤمر بإلحاقهم به وقرأ ابن عباس «والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان» إلى آخر الآية.

وأورده الهيثمي في «المجمع» (٧/ ١١٤) وقال: «رواه الطبراني في الصغير والكبير وفيه محمد بن عبدالرحمن بن غزوان وهو ضعيف» هـ.

(١) الصافات: «٤٧».

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ج٢٧/ ٢٩) من طريق معمر، وسعيد عن قتادة بإسناد صحيح.

(٢٦) ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ خائفين من عصيانِ الله معتنينَ بطاعته، أو وجِلينَ من العاقبة.

فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُواْ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾

(٢٧) ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ بالرحمةِ والتوفيق. ﴿وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ عذابَ النار النافذةِ في المسامِّ نفوذَ السمومِ، وقُرِئَ ووقَّانا بالتشديد.

(٢٨) ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ﴾ من قبلِ ذلك في الدنيا. ﴿نَدْعُوهُ﴾ نعبدُه أو نسأله الوقايةَ. ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ﴾ المحسِنُ، وقرأ نافعٌ والكسائي أنه بالفتحِ. ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ الكثيرُ الرحمةِ.

(٢٩) ﴿فَذَكِّرْ﴾ فاثبُتْ على التذكير ولا تكترِثْ بقولهم. ﴿فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ﴾ بحمدِ الله وإنعامِه. ﴿بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ كما يقولون.

(٣٠) ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ ما يقلق النفوسَ من حوادثِ الدهر، وقيل المنونُ الموتُ فعولٌ من منَّه إذا قطعَه.

(٣١) ﴿قُلْ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ﴾ أتربَّص هلاكَكُم كما تتربصون هلاكي.

(٣٢) ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم﴾ عقولُهم. ﴿بِهَٰذَآ﴾ بهذا التناقضِ في القول فإنَّ الكاهِنَ يكون ذا فطنةٍ ودقَّةِ نظرٍ، والمجنونُ مغطًّى عقلُه والشاعرُ يكون ذا كلام موزونٍ متَّسقٍ مخيَّلٍ، ولا يتأتى ذلك من المجنونِ، وأمرُ الأحلام به مجازٌ عن أدائها إليه. ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ مجاوزونَ الحدَّ في العِنادِ. وقرىء بل هم.

(٣٣) ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ﴾ اختلقَه من تلقاءِ نفسِه. ﴿بَل لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ فيرمونَه بهذه المطاعنِ لكفرهم وعنادِهم.

(٣٤) ﴿فَلْيَأْتُواْ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ﴾ مثلِ القرآن. ﴿إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ﴾ في زعْمِهم إذ فيهم كثيرٌ ممَّن عُدُّوا فصحاءَ فهو ردٌّ للأقوالِ المذكورة بالتحدي، ويجوزُ أنْ يكونَ ردٌّ للتقول فإنَّ سائر الأقسامِ ظاهرُ الفساد.

(٣٥) ﴿أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ أم أُحْدِثُوا وقدِّروا من غير محدِثٍ ومقدِّرٍ فلذلك لا يعبدونه، أو من أجلِ لا شيءَ من عبادةٍ ومجازاةٍ. ﴿أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ يؤيدُ الأولَ فإنَّ معناه أم خَلَقُوا أنفسَهم ولذلك عقَّبه بقوله:

(٣٦) ﴿أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ وأم في هذه الآيات منقطعةٌ ومعنى الهمزةِ فيها الإنكارُ. ﴿بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ إذا سُئِلُوا مَنْ خَلَقَكُم ومن خلقَ السموات والأرض قالوا الله إذ لو أيقنُوا ذلك لما أعرضُوا عن عبادته.

أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾

(٣٧) ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ﴾ خزائنُ رزقِه حتى يَرْزُقُوا النبوةَ مَنْ شاؤوا، أو خزائنُ علمه حتى يختاروا لها من اختارته حكمتُه. ﴿أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾ الغالبون على الأشياءِ يدبِّرونها كيفَ شاؤوا. وقرأ قنبل وحفصُ بخلاف عنه وهشام بالسينِ وحمزةُ بخلاف عن خلادٍ بين الصادِ والزاي، والباقون بالصادِ خاصَّةً.

(٣٨) ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ﴾ مرتقى إلى السماء. ﴿يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ صاعدين فيه إلي كلام الملائكةِ وما يُوْحَى إليهم من علمِ الغيبِ حتى يعلموا ما هو كائنٌ. ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ بحجَّةٍ واضحةٍ تصدِّق استماعَه.

(٣٩) ﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ﴾ فيه تسفيهٌ لهم وإشعارٌ بأن مَنْ هذا رأيهُ لا يعدُّ من العقلاء فضلاً أنْ يترقَّى بروحه إلى عالم الملكوتِ فيتطلعَ على الغيوب[1].

(٤٠) ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا﴾ على تبليغ الرسالة. ﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ﴾ من التزام غُرْمٍ. ﴿مُّثْقَلُونَ﴾ محمَّلُونَ الثِّقْلَ فلذلك زهدوا في اتباعِك.

(٤١) ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ﴾ اللوحُ المحفوظ المثْبَتُ فيه المغيَّباتُ. ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ منه.

(٤٢) ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ وهو كيدُهم في دارِ الندوة برسولِ الله ﷺ. ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يحتمل العمومَ والخصوصَ فيكون وضْعُه موضعَ الضمير للتسجيلِ على كفرِهم، والدلالةِ على أنه الموجِبُ للحكمِ المذكورِ. ﴿هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ﴾ هم الذين يحيقُ بهم الكيدُ أو يعودُ عليهم وبالُ كيدِهم، وهو قتلُهم يومَ بدرٍ أو المغلوبون في الكيدِ من كايدتُه فكِدْتُه.

(٤٣) ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ يعينُهم ويحرسُهم من عذابِه. ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ عن إشراكِهم أو شركةِ ما يشركونه به.

(٤٤) ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا﴾ قطعةً. ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟﴾ من فَرْطِ طغيانهم وعنادِهم. ﴿سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ هذا سحابٌ تراكمَ بعضُه على بعض، وهو جوابُ قولِهم ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾[2].

(٤٥) ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ وهو عند النفخةِ الأولى، وقُرِئَ يَلْقَوْا وقرأ ابن عامر وعاصمٌ يُصْعَقُونَ على المبني للمفعول من صعقهُ أو أصْعَقَهُ.

---

(١) والالتفات إلى الخطاب في «ولكم» لتشديد ما في أم المنقطعة من الإنكار والتوبيخ (س٨/ ١٥١).

(٢) الشعراء: «١٨٧».

يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾

(٤٦) ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ أي شيئاً من الإغناءِ في رد العذاب. ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ يمنعون من عذاب الله.

(٤٧) ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ يحتملُ العمومَ والخصوصَ. ﴿عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي دون عذابِ الآخرة وهو عذابُ القبرِ أو المؤاخذةُ في الدنيا كقتْلِهم ببدْرٍ والقحْطِ سبعَ سنينَ. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلكَ.

(٤٨) ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ بإمهالِهم وإبقائِك في عنائِهم. ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ في حفْظِنا بحيثُ نراك ونكلؤُكَ، وجَمَعَ العينَ لجمعِ الضميرِ والمبالغةِ بكثرةِ أسبابِ الحفظِ. ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ من أي مكانٍ قُمْتَ أو من منامِك أو إلى الصلاةِ.

(٤٩) ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ فإنَّ العبادةَ فيه أشقُّ على النفس وأبعدُ من الرياءِ، ولذلك أفرده بالذِّكْرِ وقدَّمه على الفعل. ﴿وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ وإذا أدبرتِ النجومُ من آخر الليلِ، وقرىء بالفتحِ أي في أعقابِها إذا غربتْ أو خفيتْ. عن رسولِ الله ﷺ «من قرأ سورةَ والطورِ كان حقاً على اللهِ أنْ يؤمِّنه من عذابِه وأن ينعِّمه في جنَّتِه»[1].

☆ ☆ ☆

(١) وهو حديث موضوع.
أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه. كما في «الكافي الشافِ» (ص١٦٠ رقم ٥٦).
وقد تقدم الكلام عليه في آخر سورة آل عمران.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾

سورة والنجم مكية[1] وآيها إحدى أو اثنتان وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ أقسم بجنسِ النجوم أو الثريا فإنه غلب فيها إذا غربَ أو انتثر يومَ القيامة أو انقضَّ أو طلعَ فإنه يُقَالُ: هوى هوياً بالفتح إذا سقط وغربَ، وهُوِيّاً بالضمِّ إذا علا وصعد، أو بالنجم من نجوم القرآنِ إذا نزل أو النباتِ إذا سقط على الأرض، أو إذا نما وارتفعَ على قوله[2].

(٢) ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ ما عدلَ محمد ﷺ عن الطريق المستقيم، والخطابُ لقريش[3]. ﴿وَمَا غَوَىٰ﴾

---

(١) قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٥/ ٢٥٣): «وهي مكية بإجماع من المتأولين».
وهي أول سورة أعلن بها رسول الله ﷺ وجهر بقراءتها في الحرم والمشركون يستمعون، وفيها سجد وسجد معه المؤمنون والمشركون والجن والإنس غير أبي لهب فإنه رفع حفنة من تراب إلى جبهته وقال: يكفيني هذا. وسبب هذه السورة أن المشركين قالوا إن محمداً يتقول القرآن ويختلق أقواله فنزلت السورة في ذلك» هـ.

(٢) تقييد القسم بوقت الهويّ لأن النجم لا يهتدي به الساري عند كونه في وسط السماء ولا يعلم المشرق من المغرب ولا الشمال من الجنوب، وإنما يهتدي به عند هبوطه أو صعوده، مع ما فيه من كمال المناسبة لما سيحكىٰ من تدلي جبريل من الأفق الأعلىٰ ودنوه منه عليهما السلام (س٨/ ١٥٤).

(٣) وإيراده عليه الصلاة والسلام بعنوان صاحِبِيَّتِهِ لهم للإيذان بوقوفهم على تفاصيل أحواله الشريفة، وإحاطتهم خبراً ببراءته عليه الصلاة والسلام مما نفي عنه بالكلية، واتصافه عليه السلام بغاية الهدىٰ والرشاد فإن طول صحبتهم له=

وما اعتقد باطلاً والخطابُ لقريش، والمراد نفيُ ما ينسِبونَ إليه.

(٣) ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ وما يصدر نطقُه بالقرآن عن الهوى.

(٤) ﴿إِنْ هُوَ﴾ ما القرآنُ أو الذي ينطقُ به. ﴿إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ أي إلا وحيٌ يوحيه اللهُ إليه، واحتجَّ به من لم يرَ الاجتهادَ له. وأُجِيْبَ عنه بأنه إذا أُوْحِيَ إليه بأنْ يجتهدَ كان اجتهادُه وما يستند إليه وحياً، وفيه نظرٌ لأن ذلك حينئذٍ يكون بالوحي لا الوحيِ.

(٥) ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ مَلَكٌ شديد قُواهُ وهو جبريلُ عليه السلام فإنه الواسطة في إبداء الخوارقِ، رُوِيَ أنه قلعَ قرى قوم لوط ورفعَها إلى السماء ثم قلَبها وصاحَ صيحة بثمودَ فأصبحوا جاثمينَ.

(٦) ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ حصافةٍ في عقلِه ورأيِه. ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾ فاستقام على صورته الحقيقيةِ التي خلقَه اللهُ تعالى عليها. قيل[1] ما رآه أحدٌ من الأنبياء في صورته غيرُ محمد عليه الصلاة والسلام مرتين، مرةً في السماء ومرةً في الأرض، وقيل استوى بقوَّته على ما جُعِلَ له من الأمرِ.

(٧) ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ في أفق السماء والضميرُ لجبريلَ عليه السلام.

(٨) ﴿ثُمَّ دَنَا﴾ من النبيِّ عليه الصلاة والسلام. ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾ فتعلَّق به وهو تمثيلٌ لعروجِه بالرسولِ ﷺ. وقيل ثم تدلَّى من الأفقِ الأعلى فدنا فيكون من الرسولِ إشعاراً بأنه عُرِجَ به غير منفصلٍ عن محلِّه تقريراً لشدةِ قوته، فإنَّ التدلِّي استرسالٌ مع تعلُّقٍ كتدلي الثمرة، ويقال دلَّى رجليه من السرير وأدلى دلْوَهُ، والدوالي الثمرُ المعلَّقُ.

(٩) ﴿فَكَانَ﴾ جبريلُ عليه السلام كقولك: هو مني معقدَ إزارٍ، أو المسافةُ بينهما. ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ مقدارُهما. ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾ على تقديركم كقوله أو يزيدون، والمقصودُ تمثيل مَلَكَةِ الاتصالِ وتحقيقُ استماعِه لما أُوحِيَ إليه بنفي البعدِ الملبسِ.

(١٠) ﴿فَأَوْحَىٰٓ﴾ جبريلُ عليه السلام. ﴿إِلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ عبدِالله، وإضماره قبلَ الذِّكْرِ لكونه معلوماً كقوله ﴿عَلَىٰ ظَهْرِهَا﴾[2] ﴿مَآ أَوْحَىٰ﴾ جبريلُ عليه السلام وفيه تفخيمٌ للموحَىٰ به أو اللهُ إليه. وقيل الضمائرُ كلُّها لله تعالى، وهو المعني بشديدِ القُوى كما في قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾[3]، ودُنُوُّهُ منه برفعِ مكانته وتدلِّيه جذبُه بشراشره إلى جنابِ القدسِ.

(١١) ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ ما رأى ببصرهِ من صورة جبريلَ عليه السلام أو اللهِ تعالى، أي ما كذَبَ بصرهُ بما حكاه له فإنَّ الأمورَ القدسيةَ تُدْرَكُ أولاً بالقلب ثم تنتقل منه إلى البصرِ، أو ما قال فؤادُه لما رآه لم أعرفْك ولو قال ذلك كان كاذباً لأنه عرفه بقلبه كما رآه ببصرهِ، أو ما رآه بقلبه

= عليه الصلاة والسلام ومشاهدتهم لمحاسن شؤونه العظيمة مقتضية لذلك حتماً (س٨/ ١٥٤).

(١) قال ابن حجر في «الكافي الشافِ» (ص١٦٠ رقم ٥٩): «لم أجده هكذا. وذكر المرتين تقدم في الذي قبله» هـ.

(٢) فاطر: «٤٥».

(٣) الذاريات: «٥٨».

والمعنى أنه لم يكن تخيلاً كاذباً. ويدلُّ عليه أنه عليه الصلاة والسلام سُئِلَ: هل رأيتَ ربَّك؟ فقال: «رأيته بفؤادي»[١]. وقرأ هشام ما كذَبَ، أي صدَّقه ولم يشكَّ فيه.

أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾

(١٢) ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ أفتجادلونه عليه، من المِراءِ وهو المجادلةُ واشتقاقُه من مَرَى الناقةَ كأنَّ كلاً من المتجادلَيْنِ يمري ما عندَ صاحبه. وقرأ حمزة والكسائيُّ وخلف ويعقوب أفتمرونَه، أي أفتغلبونَه في المراءِ من ماريتُه فمريتُه؛ أو أفتجحدونه من مراهُ حقَّه إذا جحدَه. وعلى لتضمينِ الفعلِ معنى الغلبةِ فإنَّ المماريَ والجاحدَ يقصدانِ بفعلِهما غلبةَ الخصْمِ.

(١٣) ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ مرَّةً أخرى، فَعْلَةً من النزولِ أقيمتْ مقامَ المرَّةِ ونصبت نَصْبَها إشعاراً بأنَّ الرؤيةَ في هذه المرةِ كانت أيضاً بنزولٍ ودنوٍّ، والكلامُ في المرئي والدنوُّ ما سبق. وقيل تقديره ولقد رآه نازلاً نزلةً أخرى، ونصبَها على المصدرِ، والمرادُ به نفيُ الريبةِ عن المرةِ الأخيرةِ.

(١٤) ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ التي ينتهي إليها أعمالُ الخلائق وعلمُهم، أو ما ينزلُ من فوقِها ويصعدُ من تحتِها، ولعلَّها شُبِّهَتْ بالسدرةِ وهي شجرةُ النَّبقِ لأنهم يجتمعون في ظلِّها. وروي مرفوعاً أنها في السماء السابعةِ[٢].

(١٥) ﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ الجنةُ التي يأوي إليها المتقون أو أرواحُ الشهداء[٣].

(١٦) ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ تعظيمٌ وتكثير لما يغشاها بحيثُ لا يكتنهها نعتٌ ولا يحصيها عدٌّ، وقيل يغشَاها الجمُّ الغفير من الملائكة يعبدونَ اللهَ عندَها[٤].

(١٧) ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ﴾ ما مالَ بصرُ رسولِ اللهِ ﷺ عما رآه. ﴿وَمَا طَغَىٰ﴾ وما تجاوزَهُ بل أثبتَه إثباتاً صحيحاً مستيقناً، أو ما عدلَ عن رؤيةِ العجائب التي أُمِرَ برؤيتها وما جاوزَها.

(١٨) ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ أي واللهِ لقد رأى الكبرى من آياتِه وعجائبِه الملكِيَّةِ والملكوتيةِ

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ. وقد أخرج مسلم في صحيحه (١/ ١٥٨ رقم ٢٨٤/ ١٧٦) عن ابن عباس موقوفاً. بلفظ «رآه بقلبه» و(١/ ١٥٨ رقم ٢٨٥/ . . .) بلفظ «رآهُ بفؤادِهِ مرتين».

(٢) أخرج مسلم في صحيحه (١/ ١٤٥ ـ ١٤٧ رقم ٢٥٩/ ١٦٢) من حديث أنس بن مالك. ضمن حديث طويل: «. . . ثم ذهبَ إلى السدرةِ المنتهى، وإذا ورقُها كآذانِ الفيلةِ. وإذا ثمرها كالقلال. قال، فلمَّا غشيها من أمْرِ اللهِ ما غشى تغيَّرَتْ. فما أحدٌ من خلقِ اللهِ يستطيعُ أن ينعتها من حُسْنِها فأوحىٰ الله إليَّ ما أوحى. . .».

(٣) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٧/ ٤٠٦) بدون سند عن مقاتل والكلبي.
وانظر «جامع البيان» (١٣/ ج٢٧/ ٥٥).

(٤) وصيغة المضارع في «يغشىٰ» لحكاية الحال الماضية استحضاراً لصورتها البديعة، وللإيذان باستمرار الغشيان بطريق التجدد (س٨/ ١٥٧).

ليلةَ المعراج وقد قيلَ: إنها المعنيةُ بما رأى. ويجوز أنْ تكونَ الكبرى صفةً للآياتِ على أنَّ المفعولَ محذوفٌ أي شيئاً من آياتِ ربِّه أو مِنْ مزيدةٌ.

أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾

(١٩) ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾.

(٢٠) ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ هي أصنامٌ كانت لهم، فاللاتُ كانت لثقيفَ بالطائفِ أو لقريش بنخلةَ وهي فَعْلَةٌ من لَوَى لأنهم كانوا يلْوُوْنَ عليها أي يطوفُون. وقرأ هِبَةُ الله عن البزِّي ورويسٌ عن يعقوبَ اللاَّتّ بالتشديد على أنه سُمِّيَ به لأنه صورةُ رجلٍ كان يلتُّ السَّويقَ بالسمنِ ويطعم الحاجَّ. والعزَّى بالتشديد سَمُرة[1] لغطفانَ كانوا يعبدونها فبعثَ إليها رسولُ الله ﷺ خالد بنَ الوليد فقطعَها[2]. وأصلُها تأنيث الأعزِّ. ومناةُ صخرةٌ كانت لهذيلٍ وخزاعةَ أو لثقيفَ وهي فَعلةٌ من منَّاه إذا قطعَه فإنهم كانوا يذبحون عندَها القرابينَ ومنه مَنَى. وقرأ ابن كثير منَاةَ وهي مَفْعَلَةٌ من النَّوْءِ فإنهم كانوا يستمطِرونَ الأنواءَ عندَها تبرُّكاً بها. وقوله الثالثةَ الأخرى صفتانِ للتأكيدِ كقوله تعالى ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾[3] أو الأخرى من التأخُّرِ في الرتبةِ.

(٢١) ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾ إنكارٌ لقولهم: الملائكةُ بناتُ الله، وهذه الأصنامُ استوطَنها جنِّياتٌ هنَّ بناتُه، أو هياكلُ الملائكةِ وهو المفعول الثاني لقوله أفرأيتُم.

(٢٢) ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾ جائرةٌ حيث جعلتُم له ما تستنكفون منه وهي فَعْلَى من الضَّيْزِ وهو الجوْرُ، لكنه كُسِرَ فاؤُه لتسلمَ الياءُ كما فُعِلَ في بِيضٍ فإن فِعْلَى بالكسرِ لم تأتِ وصفاً. وقرأ ابن كثير بالهمزِ من ضأزه إذا ظلمَه على أنه مصدر نُعِتَ به.

(٢٣) ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ﴾ الضمير للأصنام أي ما هيَ باعتبار الألوهيةِ إلا أسماءٌ تطلقونها عليها لأنهم يقولون إنها آلهةٌ وليس فيها شيءٌ من معنى الألوهيةِ، أو للصفة التي تصِفُونها بها من كونها آلهةً وبناتٍ وشفعاءَ، أو للأسماء المذكورةِ فإنهم كانوا يطلقونَ اللاَّتَ عليها باعتبار استحقاقِها للعكوفِ على

---

(١) السَّمُرة من شجر الطلح (مختار الصحاح مادة سمر).

(٢) أخرجه النسائي في تفسيره (رقم: ٥٦٧) بإسناد حسن وأبو يعلى في سنده (٢/ ١٩٦ رقم ٣/ ٩٠٢) بإسناد صحيح.
وأبو نعيم في الدلائل (٢/ ٦٨٧ رقم ٤٦٣) وذكره ابن سعد في الطبقات (٢/ ١٤٥) وأورده الهيثمي في «المجمع» (٦/ ١٧٦) وقال: «رواه الطبراني وفيه يحيى بن المنذر وهو ضعيف» هـ. قلت: وفاته أن ينسبه إلى أبي يعلى.
وزاد السيوطي في «الدر» (٧/ ٦٥٢) نسبته لابن مردويه.

(٣) الأنعام: «٣٨».

عبادتها، والعزَّى لعزَّتها ومناةُ لاعتقادِهم أنها تستحقُّ أنْ يتقرَّبَ إليها بالقرابين. ﴿سَمَّيْتُمُوهَآ﴾ سمَّيتُم بها.

﴿أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾ بهواكُم. ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ برهان تتعلَّقون به. ﴿إِن يَتَّبِعُونَ﴾ وقرىء بالتاء. ﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ إلا توهُّمَ أنَّ ما هم عليه حق تقليداً وتوهُّماً باطلاً. ﴿وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ وما تشتهيه أنفسُهم. ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰ﴾ الرسولُ أو الكتابُ فتركوه.

أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾

(٢٤) ﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ﴾ أم منقطعةٌ ومعنى الهمزةِ فيها الإنكار، والمعنى ليس له كل ما يتمنَّاه والمراد نفيُ طمعِهم في شفاعةِ الآلهة وقولهم ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾[1] وقولهم ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾[2] ونحوهما.

(٢٥) ﴿فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ﴾ يعطي منهما ما يشاء لمن يريدُ وليس لأحد أنْ يتحكَّم عليه في شيء منهما.

(٢٦) ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا﴾ وكثيرٌ من الملائكة لا تغني شفاعتُهم شيئاً ولا تنفعُ[3]. ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ﴾ في الشفاعة. ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ من الملائكة أنْ يشفعَ أو من الناس أنْ يشفعَ له. ﴿وَيَرْضَىٰٓ﴾ ويراهُ أهلاً لذلك فكيف تشفعُ الأصنامُ لِعَبَدَتِهم.

(٢٧) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ أي كلُّ واحد منهم. ﴿تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ﴾ بأنْ يسمُّوه بنتاً.

(٢٨) ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي بما يقولون، وقرىء بها أي بالملائكةِ أو بالتسميةِ. ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ فإن الحقَّ الذي هو حقيقةُ الشيء لا يُدْرَكُ إلا بالعلم، والظنُّ لا اعتبارَ له في المعارفِ الحقيقية، وإنما العبرةُ به في العملياتِ وما يكون وصلةً إليها.

(٢٩) ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ فأعرضْ عن دعوتِه والاهتمامِ بشأنه فإنَّ مَنْ غَفَلَ عن اللهِ وأعرضَ عن ذكره وانهمكَ في الدنيا بحيثُ كانت منتهى همَّتِه ومبلغَ علمه لا تزيدُه الدعوة إلا عناداً وإصراراً على الباطل.

(٣٠) ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي أمرُ الدنيا أو كونها شهيةً. ﴿مَّبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ لا يتجاوزُه علمُهم، والجملةُ اعتراض مقرِّرٌ لقصور هِمَمِهم بالدنيا وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ تعليلٌ

---

(١) فصلت: «٥٠».

(٢) الزخرف: «٣١».

(٣) وجمع الضمير في شفاعتهم ـ مع إفراد المَلَك ـ باعتبار المعنى (س٨/ ١٦٠).

للأمر بالإعراض، أي إنما يعلمُ الله مَنْ يجيبُ ممَّن لا يجيبُ فلا تتعِبْ نفسَك في دعوتهم إذ ما عليك إلا البلاغُ وقد بلَّغْتَ [١].

وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾

(٣١) ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ خلْقاً وملْكاً. ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟﴾ بعقابِ ما عملُوا من السوء أو بمثلِه أو بسببِ ما عملوا من السوءِ، وهو علَّةٌ دلَّ عليه ما قبلَه أي خلَقَ العالَمَ وسوَّاه للجزاءِ، أو ميَّز الضالَّ عن المهتدي وحفظَ أحوالَهم لذلك. ﴿وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾ بالمثوبةِ الحسنى وهي الجنةُ، أو بأحسنَ من أعمالهم أو بسببِ الأعمال الحسنى [٢].

(٣٢) ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ﴾ ما يكبرُ عقابُه من الذنوب وهو ما رتَّبَ عليه الوعيدَ بخصوصِه، وقيل ما أوجبَ الحدَّ. وقرأ حمزة والكسائيُّ وخلفٌ كبيرَ الإثم على إرادة الجنسِ أو الشركِ. ﴿وَٱلْفَوَٰحِشَ﴾ ما فَحُشَ من الكبائرِ خصوصاً. ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ إلا ما قلَّ وصغُر فإنه مغفورٌ من مجتنبي الكبائر، والاستثناءُ منقطعٌ ومحلُّ الذين النصبُ على الصفةِ أو المدح أو الرفع على أنه خبرٌ محذوف. ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ حيثُ يغفر الصغائرَ باجتناب الكبائرِ، أو له أنْ يغفرَ ما شاء من الذنوب صغيرِها وكبيرِها، ولعلَّه عقَّبَ به وعيدَ المسيئين وَوَعَدَ المحسنين لئلا ييأسَ صاحب الكبيرةِ من رحمته ولا يتوهَّمَ وجوبَ العقاب على الله تعالى. ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ أعلم بأحوالِكم منكم. ﴿إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ علم أحوالَكُم ومصارفَ أمورِكم حين ابتدأ خلْقَكُم من التراب بخلْق آدمَ وحينما صوَّركم في الأرحام. ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ فلا تُثْنُوا عليها بزكاءِ العمل وزيادةِ الخير، أو بالطهارة عن المعاصي والرذائل. ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ فإنه يعلم التقيَّ وغيرَهُ منكم قبلَ أنْ يخرجَكُم من صُلْبِ آدمَ عليه السلام.

(٣٣) ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ﴾ عن اتباع الحقِّ والثباتِ عليه.

(٣٤) ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ﴾ وقطعَ العطاءَ من قولهم أكدَى الحافرُ إذا بلغَ الكديةَ وهي الصخرةُ الصلبة فترك الحفرَ. والأكثرُ على أنها نزلتْ في الوليد بن المغيرة، كان يتَّبع رسولَ الله ﷺ فعيَّره بعضُ المشركين وقال: تركتَ دين الأشياخِ وضلَّلْتَهُم؛ فقال: أخشى عذابَ الله تعالى، فضمِنَ أنْ يتحمَّل عنه العقابَ إن أعطاه بعضَ ماله، فارتدَّ وأعطى بعضَ المشروط ثم بخلَ بالباقي [٣].

---

(١) وتكرير قوله: «هو أعلم» لزيادة التقرير والإيذانِ بكمال تباين المعلومين (س٨/ ١٦١).

(٢) وتكرير الفعل يجزي لإبراز كمال الاعتناء بأمر الجزاء، والتنبيه على تباين الجزاءين (س٨/ ١٦١).

(٣) ذكره الطبري في «جامع البيان» (١٣/ج٢٧/ ٧٠) والواحدي في «الأسباب» (ص٣٩٩) والقرطبي في «الجامع =

أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾

(٣٥) ﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾ يعلم أنَّ صاحِبَه يتحملُ عنه.

(٣٦) ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ﴾ .

(٣٧) ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ وفَّر وأتمَّ ما التزمه وأُمِرَ به، أو بالغَ في الوفاءِ بما عاهد الله، وتخصيصُه بذلك لاحتماله ما لم يحتملْه غيرهُ كالصَّبْرِ على نارِ نمروذٍ حتى أتاه جبريلُ عليه السلام حين ألقي في النار فقال ألك حاجةٌ فقال أما إليك فلا، وذبْحِ الولد، وأنه كان يمشي كلَّ يوم فرسخاً[1] يرتادُ ضيفاً فإنْ وافقَه أكرمَه وإلا نوى الصومَ. وتقديمُ موسى عليه الصلاة والسلام لأنَّ صحفَه وهي التوراة كانتْ أشهرَ وأكبرَ عندهم.

(٣٨) ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ أنْ هي المخففةُ من الثقيلة وهي بما بعدَها في محلِّ الجرِّ بدلاً مما في صحفِ موسى، أو الرفعِ على هو أنْ لا تزرَ كأنه قيل ما في صُحُفِهما؟ فأجاب به، والمعنى أنه لا يُؤَاخَذُ أحدٌ بذنْبِ غيرِه ولا يخالفُ ذلك قولَه تعالى ﴿كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾[2] وقولَه عليه الصلاة والسلام «من سنَّ سنة سيئة فعليه وزرُها ووزرُ من عمل بها إلى يوم القيامة»[3] فإن ذلك للدلالة والتسبُّبِ الذي هو وِزْرُهُ.

(٣٩) ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ إلا سعيُه أي كما لا يُؤَاخَذُ أحدٌ بذنْبِ الغيرِ لا يُثَابُ بفعلِه، وما جاء في الأخبار من أنَّ الصدقةَ والحجَّ ينفعانِ الميِّتَ فَلِكَوْنِ الناوي له كالنائبِ عنه.

(٤٠) ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ﴾ .

(٤١) ﴿ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾ أي يُجْزَى العبدُ سَعْيَهُ بالجزاءِ الأوفرِ فَنُصِبَ بنزعِ الخافضِ، ويجوزُ أنْ يكونَ مصدراً وأنْ تكون الهاءُ للجزاءِ المدلولِ عليه بيجزى والجزاءُ بدلُه.

(٤٢) ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ انتهاءُ الخلائقِ ورجوعُهم، وقرىء بالكسرِ على أنه منقطعٌ عما في الصحفِ وكذلك ما بعدَه.

(٤٣) ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾ .

(٤٤) ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ لا يقدرُ على الإماتة والإحياءِ غيرُه فإنَّ القاتلَ ينقضُ البنيةَ والموتُ

= لأحكام القرآن» (١٧/ ١١١).

(١) الفرسخ = ٥٥٤٤ متراً. وانظر كتابنا: «الإيضاحات العصرية للمقاييس والمكاييل والأوزان الشرعية» فصل «الفرسخ».

(٢) المائدة: «٣٢».

(٣) أخرجه مسلم (٢/ ١٠١٧ رقم ٧٠٤) من حديث جرير.

يحصل عندَه بفعلِ الله تعالى على سبيل العادةِ.

وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾

(٤٥) ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ﴾.

(٤٦) ﴿مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾ تدفَّق في الرَّحم أو تخلَّقُ، أو يُقَدَّرُ منها الولدُ من مَنَى إذا قَدَرَ.

(٤٧) ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ﴾ الإحياءَ بعد الموت وفاءٌ بوعده، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو النشاءةَ بالمدةِ وهو أيضاً مصدرُ نشأ.

(٤٨) ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾ وأعطى القنيةَ وهو ما يتأثَّل من الأموال، وإفرادُها لأنها أشفُّ الأموال أو أرضى، وتحقيقُه جَعَلَ الرضا له قنيةً.

(٤٩) ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ﴾ يعني العبورَ وهي أشدُّ ضياءً من الغُمَيْصَاءِ، عَبَدَهَا أبو كبشةَ أحدُ أجداد النبيِّ ﷺ وخالفَ قريشاً في عبادة الأوثانِ، ولذلك كانوا يسمُّون الرسولَ ﷺ ابنَ أبي كبشةَ. ولعلَّ تخصيصَها للإشعار بأنه عليه الصلاة والسلام وإنْ وافقَ أبا كبشة في مخالفاتِهم خالفه أيضاً في عبادتِها.

(٥٠) ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ﴾ القدماءَ لأنهم أولى الأمم هلاكاً بعد قومِ نوحٍ عليه الصلاة والسلام. وقيل عادٌ الأولى قومُ هود وعادٌ الأخرى إرمُ. وقرىء عاداً لُولى بحذفِ الهمزة ونقلِ ضمَّتها إلى لامِ التعريف، وقرأ نافع وأبو عمرو عاداً لولى بضمِّ اللام بحركةِ الهمزةِ وبإدغام التنوين، وقالونُ بعد ضمةِ اللام بهمزةٍ ساكنة في موضعِ الواو.

(٥١) ﴿وَثَمُودَا۟﴾ عطفٌ على عاداً لأن ما بعدَه لا يعملُ فيه. وقرأ عاصم وحمزةُ بغير تنوينٍ ويقفانِ بغير الألفِ، والباقون بالتنوين ويقفون بالألفِ. ﴿فَمَآ أَبْقَىٰ﴾ الفريقين.

(٥٢) ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ أيضاً معطوفٌ عليه. ﴿مِّن قَبْلُ﴾ من قبلِ عادٍ وثمودَ. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾ من الفريقين لأنهم كانوا يؤذونَه وينفِرونَ عنه ويضربونه حتى لا يكونَ به حِراكٌ.

(٥٣) ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ﴾ والقُرى التي ائتفكتْ بأهلِها أي انقلبتْ، وهي قرى قومِ لوط. ﴿أَهْوَىٰ﴾ بعد أنْ رفعَها فقلَبها.

(٥٤) ﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾ فيه تهويلٌ وتعميم لما أصابَهم.

(٥٥) ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾ تتشكَّكُ، والخطابُ للرسول ﷺ أو لكلِّ أحدٍ[1]. والمعدوداتُ وإنْ

---

(١) وإسناد فعل التماري إلى الواحد باعتبار تعدده بحسب تعدد متعلقه، وذلك أن صيغة التفاعل وإن كانت موضوعة لإفادة صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه بحيث يكون كل من ذلك فاعلاً ومفعولاً معاً، لكنها قد تجرد عن المعنى الثاني فيراد بها المعنى الأول فقط كما في يتداعونهم أي يدعونهم، وقد تجرد عنهم أيضاً فيكتفىٰ بتعدد =

كانت نعماً ونقماً سمَّاها آلاءً من قِبَلِ ما في نِقَمِه من العِبَرِ والمواعظِ للمعتبرين. والانتقامِ للأنبياء عليهم الصلاة والسلام والمؤمنين.

هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾

(٥٦) ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾ أي هذا القرآنُ إنذارٌ من جنسِ الإنذاراتِ المتقدِّمة، أو هذا الرسولُ نذيرٌ من جنس المنذِرين الأولينَ.

(٥٧) ﴿أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ﴾ دنتِ الساعةُ الموصوفةُ بالدنوِّ في نحوِ قوله تعالى ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾[1].

(٥٨) ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ ليس لها نفس قادرةٌ على كشْفِها إذا وقعتْ إلا اللهُ لكنه لا يكشفُها، أو الآنَ بتأخيرها إلا اللهُ، أو ليس لها كاشفةٌ لوقتها إلا اللهُ إذ لا يطَّلعُ عليه سواهُ، أوليس لها من غير الله كشفٌ على أنها مصدر كالعافيةِ.

(٥٩) ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ يعني القرآن ﴿تَعْجَبُونَ﴾ إنكاراً.

(٦٠) ﴿وَتَضْحَكُونَ﴾ استهزاءً. ﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾ تحزُّناً على ما فرَّطْتُم.

(٦١) ﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾ لاهون أو مستكبرونَ من سَمَدَ البعير في مسيره إذا رفع رأسه، أو مغنُّون لِتُشْغِلُواالناس عن استماعه من السُّمود وهو الغناء.

(٦٢) ﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩﴾ أي واعبدوه دون الآلهة ـ عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة النجم أعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدَّق بمحمد وجحد به بمكة»[2].

☆ ☆ ☆

الفعل بتعدد متعلقه كما في الآية «فبأي آلاء ربك تتمارى» فإن المراء متعدد بتعدد الآلاء (س٨/ ١٦٥).

القمر: «١».

= أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه كما في «الكافي الشافِ»

(١) (ص١٦١/ رقم ٧٠). وهو حديث موضوع تقدم الكلام عليه في أواخر سورة آل عمران.

(٢)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ﴿٥﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ ۖ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿٩﴾

سورة القمر مكية[1] وآيها خمس وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ رُوِيَ أنَّ الكفارَ سألوا رسولَ الله ﷺ آيةً فانشقَّ القمر[2]. وقيل معناه سينشقُّ يومَ القيامة ويؤيد الأولَ أنه قرىء وقدِ انشقَّ القمر أي اقتربتِ الساعةُ وقد حصلَ من آيات اقترابِها انشقاقُ القمر، وقوله:

(٢) ﴿وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا﴾ عن تأمُّلها والإيمان بها. ﴿وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ مُطَّرِدٌ وهو يدلُّ على أنهم رأوا قبلَه آياتٍ أخرَ مترادفةً ومعجزاتٍ متتابعةً حتى قالوا ذلك، أو محكمٌ من المرَّةِ يقالُ أمررتُه فاستمرَّ إذا أحكمتُه فاستحكَمَ، أو مستبشعٌ منِ استمرَّ الشيءُ إذا اشتدَّت مرارتُه، أو مارٌّ ذاهبٌ لا يبقَى.

---

(١) قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٥/٢٩١): «وهي مكية بإجماع إلاَّ آية واحدة اختلف فيها، فقال جمهور الناس هي مكية، وقال قوم هي مما نزل ببدر، وقيل بالمدينة وهي «سيهزم الجمع» الآية هـ.

(٢) أخرجه البخاري (٦/٦٣١ رقم ٣٦٣٧) و(٧/١٨٢ رقم ٣٨٦٨) و(٨/٦١٧ رقم ٤٨٦٧) ومسلم (٤/٢١٥٩ رقم ٤٦/٢٨٠٢) من حديث أنس.

(٣) ﴿وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ﴾ وهو ما زيَّن لهم الشيطانُ من رد الحقِّ بعد ظهوره، وذِكْرُهما بلفظ الماضي للإشعارِ بأنهما من عادتهم القديمة. ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾ منتهٍ إلى غاية من خذلانٍ أو نصرٍ في الدنيا وشقاوةٍ، أو سعادةٍ في الآخرة فإنَّ الشيءَ إذا انتهى إلى غايته ثَبُتَ واستقرَّ. وقرىء بالفتحِ أي ذو مستقرٌّ بمعنى استقرارٍ، وبالكسرِ والجرِّ على أنه صفةُ أمرٍ، وكلٌّ معطوفٌ على الساعةِ[1].

(٤) ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم﴾ في القرآن ﴿مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ﴾ أنباءِ القرون الخالية أو أنباءِ الآخرة. ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ ازدجارٌ من تعذيبٍ أو وعيد، وتاءُ الافتعالِ تُقْلَبُ دالاً مع الذالِ والدالِ والزاي للتناسُبِ، وقرىء مزجرٌ بقلبها زاياً وإدغامِها.

(٥) ﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ﴾ غايتُها لا خللَ فيها وهي بدلٌ من ما أو خبرٌ لمحذوف، وقرىء بالنصبِ حالاً من ما فإنها موصولةٌ أو مخصوصةٌ بالصفة فيجوز نصبُ الحال عنها. ﴿فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾ نفيٌ أو استفهامُ إنكارٍ، أي فأيُّ غناءٍ تغني النُّذُرُ وهو جمع نذير بمعنى المنذِرِ، أو المنذَرِ منه أو مصدرٌ بمعنى الإنذار[2].

(٦) ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ لعلمك بأنَّ الإنذارَ لا يغني فيهم. ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾ إسرافيلُ، ويجوزُ أنْ يكونَ الدعاءُ فيه كالأمرِ في قوله ﴿كُن فَيَكُونُ﴾[3] وإسقاطُ الياءِ اكتفاءً بالكسرة للتخفيفِ، وانتصابُ يومِ بيخرجونَ أو بإضمار اذْكُر. ﴿إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ﴾ فظيعٍ تنكره النفوسُ لأنها لم تعهدْ مثلَه وهو هولُ يوم القيامة، وقرأ ابن كثير نُكْر بالتخفيف، وقرىء نُكِر بمعنى أُنكِرَ.

(٧) ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ أي يخرجون من قبورِهم خاشعاً ذليلاً أبصارُهم من الهول، وإفرادُه وتذكيرهُ لأنَّ فاعلَه ظاهر غيرُ حقيقيِّ التأنيثِ، وقرىء خاشعةً على الأصل، وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصمٌ خشَّعاً، وإنما حَسُنَ ذلك ولم يحسنْ مررتُ برجالٍ قائمين غلمانُهم لأنه ليس على صيغةٍ تشبه الفعلَ، وقرىء خُشَّعٌ أبصارُهم على الابتداءِ والخبرِ فتكونُ الجملةُ حالاً. ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ في الكثرة والتموُّج والانتشار في الأمكنةِ.

(٨) ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ﴾ مسرعين مادِّيْ أعناقِهم إليه، أو ناظرين إليه. ﴿يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ صعبٌ.

(٩) ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ قبلَ قومِك. ﴿فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾ نوحاً عليه السلام وهو تفصيلٌ بعد إجمال، وقيل معناه كذَّبوه تكذيباً على عقبِ تكذيب كلَّما خلا منهم قَرْنٌ مكذِّبٌ تبعه قرنٌ مكذَّب، أو كذبوه بعدما كذبوا الرسلَ[4]. ﴿وَقَالُوا مَجْنُونٌ﴾ هو مجنون. ﴿وَٱزْدُجِرَ﴾ وزُجِرَ عن التبليغِ بأنواع الأذية، وقيل إنه من جملة قيلِهم أي هو مجنونٌ وقد ازدجرتْه الجنُّ وتخبَّطَتْهُ.

---

(١) وإبهام المستقر عليه للتنبيه على كمال ظهور الحال وعدم الحاجة إلى التصريح به (س٨/ ١٦٧).

(٢) وصيغة المضارع في «تغني» للدلالة على تجدد عدم الإغناء واستمراره حسب تجدد مجيء الزواجر واستمراره (س٨/ ١٦٨).

(٣) البقرة: «١١٧».

(٤) وفي ذكره عليه الصلاة والسلام بعنوان العبودية مع الإضافة إلى نون العظمة تفخيم له عليه الصلاة والسلام ورفع لمحله، وزيادة تشنيع لمكذبيه (س٨/ ١٦٩).

فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٨﴾

(١٠) ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى﴾ بأني، وقُرِىءَ بالكسرِ على إرادةِ القول. ﴿مَغْلُوبٌ﴾ غَلبني قومي. ﴿فَٱنتَصِرْ﴾ فانتقمْ لي منهم وذلك بعد يأسِه منهم. فقد روي أنَّ الواحد منهم كان يلقاهُ فيخنقهُ حتى يخرَّ مغشياً عليه فيفيقُ ويقول: اللَّهُم اغفر لقومي فإنَّهم لا يعلمون[1].

(١١) ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾ منصبٍّ، وهو مبالغة وتمثيلٌ لكثرة الأمطار وشدَّةِ انصبابها، وقرأ ابن عامر ويعقوبُ ففتّحنا بالتشديد لكثرة الأبواب.

(١٢) ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾ وجعلْنا الأرض كلَّها كأنها عيون متفجِّرةٌ، وأصله وفجرنا عيونَ الأرضِ فَغُيِّرَ للمبالغة. ﴿فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ﴾ ماءُ السماء وماءُ الأرض. وقرىء الماءانِ لاختلافِ النوعين، والماوانِ بقلبِ الهمزة واواً. ﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ على حال قدَّرها الله تعالى في الأَزَلِ من غير تفاوُتٍ، أو على حال قُدِّرَتْ وسُوِّيَتْ وهو أن قدر ما أنزلَ على قدرِ ما أخرجَ، أو على أمر قدَّره اللهُ تعالى وهو هلاكُ قوم نوحٍ بالطوفان.

(١٣) ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ﴾ ذاتِ أخشاب عريضةٍ. ﴿وَدُسُرٍ﴾ ومساميرَ جمعُ دسارٍ من الدَّسرِ، وهو الدفعُ الشديدُ وهي صفة للسفينةِ أُقِيمَتْ مقامَها من حيثُ إنها كالشرحِ لها تؤدي مؤدَّاها.

(١٤) ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ بمرأى منَّا أي محفوظةً بحفظنا. ﴿جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ أي فعلْنا ذلك جزاءً لنوح لأنه نعمةٌ كفروها، فإن كلَّ نبيٍّ نعمةٌ من الله تعالى ورحمةٌ على أمَّتِه، ويجوزُ أنْ يكون على حذفِ الجارِّ وإيصال الفعلِ إلى الضميرِ، وقرىء لمن كفرَ أي للكافرين.

(١٥) ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ﴾ أي السفينةَ أو الفِعْلَةَ. ﴿ءَايَةً﴾ يُعْتَبَرُ بها إذ شاعَ خبرُها واشْتَهَرَ. ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ معتبرٍ، وقرىء مذْتَكِر على الأصلِ، ومذَّكِرٍ بقلبِ التاءِ ذالاً والإدغامِ فيها.

(١٦) ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ استفهام تعظيمٍ ووعيد، والنذر يحتملُ المصدرَ والجمعَ.

(١٧) ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ سهَّلناه أو هيَّأناه من يسَّر ناقتَه للسفرِ إذا رحَّلَها. ﴿لِلذِّكْرِ﴾ للادِّكار والاتعاظِ بأن صرَّفنا فيه أنواعَ المواعظ والعِبَرِ، أو للحفظ بالاختصار وعذوبةِ اللفظ. ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ متَّعِظٍ.

(١٨) ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ وإنذاري أتى لهم بالعذاب قبلَ نزولِه، أو لمن بعدَهم في تعذيبهم[2].

---

(١) أخرجه أحمد في «الزهد» (ص٨٦ رقم ٢٧٨) من طريق مجاهد عن عبيد بن عمير. ورجاله ثقات، وإسناده صحيح مرسل. وانظر «فتح الباري» (١٢/ ٢٨٢). وللحديث شاهد من حديث ابن مسعود أخرجه البخاري (١٢/ ٢٨٢ رقم ٦٩٢٩) ومسلم (٣/ ١٤١٧ رقم ١٠٥/ ١٧٩٢) وأحمد (١/ ٣٨٠، ٤٢٧، ٤٣٢، ٤٤١، ٤٥٣، ٤٥٦ ـ ٤٥٧) كلهم من طريق شقيق عنه.

(٢) لم يتعرض لكيفية تكذيبهم له روماً للاختصار، ومسارعة إلى بيان ما فيه الازدجار من العذاب (س٨/ ١٧٠).

إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾

(١٩) ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ بارداً أو شديدَ الصوت. ﴿فِى يَوْمِ نَحْسٍ﴾ شؤم. ﴿مُّسْتَمِرٍّ﴾ أي استمر شؤمُهُ، أو استمرَّ عليهم حتى أهلكهم، أو على جميعهم كبيرِهم وصغيرِهم فلم يُبْقِ منهم أحداً، أو اشتدَّ مرارتُه وكان يومَ الأربعاء آخرَ الشهر.

(٢٠) ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ﴾ تقلعُهم، روي أنهم دخلُوا في الشعابِ والحفرِ وتمسَّك بعضهم ببعض فنزعتْهم الريحُ منها وصرعتْهم موتَى. ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ أصولُ نخلٍ منقلعٍ عن مغارسِه ساقطٍ على الأرض. وقيل شبهوا بالأعجازِ لأن الريح طيَّرت رؤوسَهم وطرحت أجسادَهم، وتذكير منقعِرٍ للحملِ على اللفظ، والتأنيثُ في قوله: أعجازُ نخل خاوية للمعنى.

(٢١) ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ كرَّره للتهويل. وقيل الأولُ لما حاقَ بهم في الدنيا، والثاني لما يحيقُ بهم في الآخرة كما قال أيضاً في قصَّتهم ﴿لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ﴾[1].

(٢٢) ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾.

(٢٣) ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ﴾ بالإنذاراتِ والمواعظ، أو الرسلِ.

(٢٤) ﴿فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا﴾ من جنسِنا أو من حَمْلِنا لا فضلَ له علينا، وانتصابُه بفعلٍ يفسِّره ما بعدَه، وقرىء بالرفع على الابتداءِ، والأولُ أَوْجَهُ للاستفهام. ﴿وَٰحِدًا﴾ منفرداً لاتبعَ له أو من آحادهم دون أشرافِهم. ﴿نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾ جمعُ سعيرٍ كأنه عكسوا عليه فرتَّبوا على اتباعهم إياه ما رتَّبه على تركِ اتباعِهم له، وقيل السُّعُرُ الجنونُ ومنه ناقةٌ مسعورةٌ.

(٢٥) ﴿أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ﴾ الكتابُ أو الوحيُ. ﴿عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ وفينا من هو أحقُّ منه بذلك. ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ حمله بطرهُ على الترفُّعِ علينا بادعائِه إياهُ.

(٢٦) ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا﴾ عند نزولِ العذاب بهم أو يومَ القيامة. ﴿مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ﴾ الذي حمله أَشَرُهُ على الاستكبارِ عن الحق وطلبِ الباطل، أصالحٌ عليه السلام أم مَنْ كذَّبه؟ وقرأ ابن عامر وحمزةُ ورويس ستعلمون على الالتفاتِ أو حكايةَ ما أجابهم به صالحٌ، وقرىء الأشرُّ كقولهم حذِرٌ في حَذِرَ والأشرُّ أي الأبلغُ في الشرارة وهو أصلٌ مرفوض كالأخير.

(٢٧) ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ﴾ مخرِجُوها وباعثُوها. ﴿فِتْنَةً لَّهُمْ﴾ امتحاناً لهم. ﴿فَٱرْتَقِبْهُمْ﴾ فانتظرهم وتبصَّرْ ما يصنعون. ﴿وَٱصْطَبِرْ﴾ على أذاهم.

---

(١) فصلت: ﴿١٦﴾.

وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾

(٢٨) ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ﴾ مقسومٌ لها يومٌ ولهم يوم، وبينهم لتغليبِ العقلاءِ. ﴿كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾ يحضُره صاحبه في نوبتِه أو يحضره عنه غيرهُ.

(٢٩) ﴿فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ﴾ قدارَ بنَ سالفَ أحيمرَ ثمودَ ﴿فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾ فاجتراً على تعاطي قتلِها فقتلها، أو فتعاطى السيفَ فقتلَها، والتعاطي تناولُ الشيء بتكلُّفٍ.

(٣٠، ٣١) ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ صيحةَ جبريلَ عليه السلام. ﴿فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ﴾ كالشجرِ اليابس المتكسِّرِ الذي يتخذه من يعملُ الحظيرةَ لأجلِها، أو كالحشيشِ اليابس الذي يجمعه صاحبُ الحظيرة لماشيته في الشتاءِ[1]. وقرىء بفتح الظاءِ أي كهشيمِ الحظيرةِ أو الشجر المتَّخَذِ لها.

(٣٢) ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾.

(٣٣) ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ﴾.

(٣٤) ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾ ريحاً تحصبُهم بالحجارةِ أي ترميهم. ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ﴾ في سَحَرٍ وهو آخرُ الليل أو مسحِرينَ.

(٣٥) ﴿نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ﴾ إنعاماً منَّا، وهو علة لنجَّينا. ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ﴾ نعمتَنا بالإيمان والطاعة.

(٣٦) ﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم﴾ لوطٌ. ﴿بَطْشَتَنَا﴾ أخذَتَنا بالعذاب. ﴿فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ﴾ فكذَّبوا بالنُّذرِ متشاكينَ.

(٣٧) ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ﴾ قصدوا الفجورَ بهم. ﴿فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ﴾ فمسحناها وسوَّيناها بسائر الوجهِ. روي أنهم لما دخلُوا داره عُنْوَةً صفقَهم جبريلُ عليه السلام صفقةً فأعْمَاهم[2]. ﴿فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ فقلْنا لهم ذوقوا على ألسنةِ الملائكة أو ظاهر الحالِ.

(٣٨) ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً﴾ وقرىء بكرةَ غيرَ مصروفةٍ على أنَّ المرادَ بها أولُ نهار معيَّنٍ. ﴿عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ﴾ يستقر بهم حتى يسلِمَهم إلى النار.

(٣٩) ﴿فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾.

---

(١) انظر «الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ١٤٢ ـ ١٤٣).

(٢) انظر تفسير البغوي (٧/ ٤٣٢) فقد ذكره بدون سند.

وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَـٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَـٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾

(٤٠) ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ كرَّر ذلك في كل قصةٍ إشعاراً بأنَّ تكذيبَ كلِّ رسول مقتضٍ لنزول العذاب واستماع كلِّ قصة مستدع للادكارِ والاتعاظِ، واستئنافاً للتنبيه والاتعاظ لئلا يغلِبَهم السهوُ والغفلةُ، وهكذا تكرير قوله ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[1]. و ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾[2] ونحوهما.

(٤١) ﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ﴾ اكتفى بذكرِهم عن ذكره للعلم بأنه أولى بذلك منهم[3].

(٤٢) ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كُلِّهَا﴾ يعني الآياتِ التسعَ. ﴿فَأَخَذْنَـٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ﴾ لا يُغَالَبُ. ﴿مُّقْتَدِرٍ﴾ لا يعجزُه شيءٌ.

(٤٣) ﴿أَكُفَّارُكُمْ﴾ يا معشرَ العرب. ﴿خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَـٰٓئِكُمْ﴾ الكفارِ المعدودين قوةً وعدَّة أو مكانة وديناً عندَ الله تعالى. ﴿أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ﴾ أم نزل لكم في الكتبِ السماوية أن مَنْ كفرَ منكم فهو في أمانٍ من العذاب.

(٤٤) ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ﴾ جماعةٌ أمْرُنَا. ﴿مُّنتَصِرٌ﴾ ممتنعٌ لا نُرَامُ أو منتصر من الأعداء لا نُغْلَبُ، أو متناصِرٌ ينصر بعضُنا بعضاً والتوحيد على لفظِ الجميع.

(٤٥) ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ أي الأدبارَ وإفراده لإرادة الجنسِ، أو لأن كلَّ واحد يولِّي دُبُرَهُ وقد وقعَ ذلك يومَ بدْرٍ وهو من دلائلِ النبوة. وعن عمرَ رضي الله تعالى عنه أنه لما نزلتْ قال: لم أعلمْ ما هو، فلما كان يومُ بدْرٍ رأيتُ رسولَ الله ﷺ يلبس الدرعَ ويقول «سيهزم الجمعُ» فعلمتُه[4].

(٤٦) ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ موعدُ عذابهم الأصلي وما يحيقُ بهم في الدنيا فمن طلائعِه. ﴿وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ﴾ أشدُّ، والداهيةُ أمر فظيع لا يُهْتَدَى لدوائه. ﴿وَأَمَرُّ﴾ مذاقاً من عذاب الدنيا.

---

(١) الرحمن: «١٣».

(٢) المرسلات: «١٥».

(٣) وصدرت قصتهم بالتوكيد القسمي لإبراز كمال الاعتناء بشأنها لغاية عظم ما فيها من الآيات وكثرتها وهول ما لاقوه من العذاب وقوة إيجابها للاتعاظ (س٨/ ١٧٣).

(٤) قال الحافظ في «الكافي الشافي» (ص١٦٢ رقم ٧٥): «ـ أخرجه ـ عبدالرزاق عن معمر عن قتادة، وعن أيوب عن عكرمة «أن عمر ـ فذكره» وأتم منه. ورواه من هذا الوجه إسحاق ـ كما في المطالب العالية (٣/ ٣٨١ رقم ٣٧٥٩) وفيه انقطاع ـ والطبري ـ (١٣/ ج٢٧/ ١٠٨) ـ وابن أبي حاتم.
ورواه الطبري في الأوسط من رواية عبدالمجيد بن أبي داود عن معمر عن قتادة عن أنس عن عمر موصولاً» هـ. وانظر «فتح الباري» (٧/ ٢٨٩ ـ ٢٩٠) و«الدر المنثور» (٧/ ٦٨١).

إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۢ ﴿٥٥﴾

(٤٧) ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ﴾ عن الحقِّ في الدنيا. ﴿وَسُعُرٍ﴾ ونيرانٍ في الآخرة.

(٤٨) ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ يُجَرُّوْنَ عليها. ﴿ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ﴾ أي يُقَالُ لهم ذوقوا حرَّ النار وألَمَهَا فإنَّ مسَّها سببُ التألم بها، وسقرُ علمٌ لجهنَّمَ ولذلك لم يُصْرَفْ من سقرتْه النارُ وصقرتْه إذا لوَّحتْه.

(٤٩) ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ أي إنا خلقنا كلَّ شيءٍ مقدَّراً مرتباً على مقتضى الحكمةِ، أو مقدراً مكتوباً في اللوح المحفوظِ قبل وقوعِه، وكلَّ شيء منصوبٌ بفعلٍ يفسره ما بعدَه، وقرىء بالرفع على الابتداء وعلى هذا فالأَوْلى أنْ يُجْعَلَ خلقْناه خبراً لا نعتاً ليطابقَ المشهورةَ في الدلالة على أنَّ كلَّ شيءٍ مخلوقٌ بِقَدَرٍ، ولعل اختيارَ النصبِ ها هنا مع الإضمارِ لما فيه من النصوصيةِ على المقصود.

(٥٠) ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ﴾ إلا فعلةٌ واحدة وهو الإيجادُ بلا معالجةٍ ومعاناةٍ، أو إلا كلمةٌ واحدة وهو قولُه كنْ. ﴿كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ في اليُسْرِ والسرعة، وقيل معناه معنى قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ﴾[1].

(٥١) ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ﴾ أشباهَكم في الكفرِ ممن قبلَكُم. ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ متَّعِظٍ.

(٥٢) ﴿وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ﴾ مكتوبٌ في كتب الحَفَظَةِ.

(٥٣) ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾ من الأعمالِ. ﴿مُّسْتَطَرٌ﴾ مسطورٌ في اللوح.

(٥٤) ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ﴾ أنهارٍ واكْتَفَى باسم الجنسِ، أو سعةٍ، أو ضياءٍ من النهار. وقرىء نُهُرٍ وبضم الهاء جمعُ نَهْرٍ كأَسْدٍ وأَسَدٍ.

(٥٥) ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ في مكانٍ مرضيٍّ، وقرىء مقاعدَ صدقٍ. ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ مقربين عند من تعالى أَمْرُهُ في الملْكِ، والاقتدارِ بحيث أبهمَهُ ذوو الأفهامِ. عن النبيِّ ﷺ «مَنْ قرأ سورةَ القمر في كلِّ غبٍّ بعثَه الله يومَ القيامة ووجْهه كالقمرِ ليلةَ البدْرِ»[2].

---

(١) النحل: «٧٧».

(٢) وهو حديث موضوع.
أخرجه الثعلبي، وابن مردويه، والواحدي بأسانيدهم إلى أبي بن كعب رضي الله عنه كما في «الكاف الشافِ» (ص١٦٢ رقم ٧٦).
وقد تقدم الكلام عليه في أواخر سورة آل عمران.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾

سورة الرحمن مكية أو مدنية أو متبعضة[1]، وآيها ثمان وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ﴿الرَّحْمَٰنُ﴾.

(٢) ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ لما كانتِ السورةُ مقصورةً على تعدادِ النعم الدنيويةِ والأخروية صدَّرها بالرحمن[2]، وقدَّم ما هو أصلُ النعم الدينية وأجلُّها وهو إنعامُه بالقرآن وتنزيله وتعليمُه؛ فإنه أساسُ

---

(١) قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٥/ ٣١٩): «وهي مكية فيما قال الجمهور من الصحابة والتابعين.
وقال نافع بن أبي نعيم، وعطاء، وقتادة، وكريب، وعطاء الخراساني عن ابن عباس هي مدنية. نزلت عند إباية سهيل بن عمرو وغيره أن يكتب في الصلح: بسم الله الرحمن الرحيم.
والأول أصح.
وإنما نزلت حين قالت قريش بمكة: وما الرحمٰن؟ أنسجد لما تأمرنا؟
وفي السيرة أن ابن مسعود جهر بقراءتها في المسجد حتى قامت إليه أندية قريش فضربوه، وذلك قبل الهجرة» هـ.
وانظر «الدر المنثور» (٧/ ٦٨٩). و«زاد المسير» (٨/ ١٠٥).

(٢) وإسناد تعليمه إلى اسم الرحمن للإيذان بأنه من آثار الرحمة الواسعة وأحكامها، وقد اقتصر على ذكره تنبيهاً على =

الدين ومنشأُ الشرع وأعظمُ الوحْيِ وأعزُّ الكتب؛ إذ هو بإعجازه واشتماله على خُلاصَتِها مصدِّقٌ لنفسه ومصداقٌ لها، ثم أتبعه قولَه:

(٣) ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ﴾.

(٤) ﴿عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ إيماءً بأن خلْقَ البشر وما يميِّز به عن سائر الحيوان من البيان، وهو التعبير عما في الضميرِ وأفهامِ الغيرِ لما أدركه لتلقي الوحيِ وتعرُّفِ الحقِّ وتعلُّمِ الشرعِ. وإخلاءُ الجملِ الثلاثِ التي هي أخبار مترادفةٌ للرحمن عن العاطفِ لمجيئها على نهج التعديدِ.

(٥) ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ يجريان بحسابٍ معلوم مقدَّرٍ في بروجهما ومنازلهما، وتتسقُ بذلك أمورُ الكائنات السُّفْلِيَّةِ وتختلف الفصولُ والأوقاتُ، ويُعْلَمُ السِّنونَ والحسابُ.

(٦) ﴿وَٱلنَّجْمُ﴾ والنباتُ الذي ينجمُ أي يطلُعُ من الأرض ولا ساقَ له. ﴿وَٱلشَّجَرُ﴾ الذي له ساقٌ. ﴿يَسْجُدَانِ﴾ ينقادانِ لله تعالى فيما يريد بهما طبعاً انقيادَ الساجدِ من المكلَّفين طوعاً. وكان حقُّ النظم في الجملتين أن يقالَ: وأجرىٰ الشمس والقمر وأسجدَ النجمَ والشجرَ، أو الشمسُ والقمرُ بحسبانٍ والنجمُ والشجرُ يسجدان له، ليطابقا ما قبلهما وما بعدَهما في اتصالهما بالرحمن، لكنهما جُرِّدَتَا عما يدلُّ على الاتصال إشعاراً بأن وضوحَه يغنيه عن البيان. وإدخالُ العاطفِ بينَهما لاشتراكهما في الدلالة على أن ما يُحَسُّ به من تغيُّراتِ أحوال الأجرامِ العلويةِ والسفليةِ بتقديره وتدبيره.

(٧) ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا﴾ خلقَها مرفوعةً محلاً ومرتبةً، فإنها منشأُ أقضيتِهِ ومتنزَّلُ أحكامِه ومحلُّ ملائكته، وقرىء بالرفع على الابتداءِ. ﴿وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾ العدلَ بأنْ وفَّر على كلٍّ مستعدٍّ مستحقَّه، ووفَّى كلَّ ذي حقٍّ حقَّه حتى انتظم أمرُ العالمِ واستقامَ كما قال عليه السلام: «بالعدلِ قامتِ السمواتُ والأرضُ»[1]. أو ما يعرفُ به مقاديرُ الأشياء من ميزان ومكيالٍ ونحوِهما، كأنه لما وصفَ السماءَ بالرِّفعةِ من حيث إنها مصدرُ القضايا والإقرارِ أرادَ وصفَ الأرض بما فيها مما يظهرُ به التفاوتُ ويعرفُ به المقدارَ ويُسوَّىٰ به الحقوقَ والمواجِبَ.

(٨) ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِى ٱلْمِيزَانِ﴾ لئلا تطْغَوْا فيه أي لا تعتدوا ولا تجاوِزُوا الإنصافَ، وقرىء لا تطغوا على إرادةِ القول.

(٩) ﴿وَأَقِيمُوا ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا ٱلْمِيزَانَ﴾ ولا تنقِصُوه فإنَّ من حقِّه أنْ يُسَوَّى لأنه المقصودُ من وضْعِه، وتكريرُه مبالغةٌ في التوصيةِ به وزيادةَ حثٍّ على استعمالِه، وقرىء ولا تَخْسُروا بفتح التاء وضمِّ السين وكسرِها، وتَخْسَروا بفتحِها على أنَّ الأصلَ ولا تخسروا في الميزان فحذفَ الجارَّ وأوصلَ الفعلَ.

(١٠) ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا﴾ خفضَها مدحوَّةً. ﴿لِلْأَنَامِ﴾ للخلْق، وقيل الأنام كل ذي روحٍ.

= أصالته وجلالة قدره (س٨/ ١٧٦).

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ.

وقد أخرج ابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ج٢٧/ ١١٨) عن قتادة، قوله: «ألاَّ تطغوا في الميزان، اعدل يا ابن آدم كما تحب أن يعدل عليك، وأوف كما تحب أن يُوفى لك، فإن بالعدل صلاح الناس» وإسناده صحيح.

فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾

(١١) ﴿فِيهَا فَٰكِهَةٌ﴾ ضروبٌ مما يُتَفَكَّهُ به. ﴿وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ﴾ أوعيةُ التمرِ جمعُ كِمٍّ، أو كلُّ ما يُكَمُّ أي يغطَّىٰ من ليفٍ وسَعَفٍ وكفرى[1] فإنه يُنتَفَعُ به كالمكموم كالجذعِ والجمارِ والتمرِ.

(١٢) ﴿وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ﴾ كالحنطةِ والشعير وسائرِ ما يُتَغَذَّى به، والعصفُ ورقُ النبات اليابسِ كالتين. ﴿وَٱلرَّيْحَانُ﴾ يعني المشمومَ، أو الرزقَ من قولهم: خرجتُ أطلب ريحانَ الله. وقرأ ابن عامر والحبَّ ذا العصف والريحانَ أي وخلقَ الحبَّ والريحانَ أو وأخصُّ، ويجوزُ أن يُرَادَ وذا الريحانِ فحذفَ المضافَ، وقرأ حمزة والكسائي والريحانِ بالخفضِ ما عدا ذلك بالرفعِ، وهو فيْعَلان[2] من الروحِ فقُلِبَتِ الواوُ ياءً وأدغم ثم خفِّفَ، وقيل روحان فقلبتْ واوه ياءً للتخفيف.

(١٣) ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ الخطابُ للثقلين المدلولِ عليهما بقوله ﴿لِلْأَنَامِ﴾ وقوله ﴿أيها الثقلان﴾[3].

(١٤) ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ الصلصالُ الطينُ اليابس الذي له صلصلةٌ، والفخار الخزفُ وقد خلقَ اللهُ آدمَ من تراب جعلَه طيناً ثم حمأً مسنوناً، ثم صلصالاً فلا يخالفُ ذلك قوله خلقَه من ترابٍ ونحوِه.

(١٥) ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ﴾ الجنَّ أو أبا الجنِّ. ﴿مِن مَّارِجٍ﴾ من صافٍ من الدخان. ﴿مِّن نَّارٍ﴾ بيانٌ لمارج فإنه في الأصلُ للمضطربِ من مرجَ إذا اضطربَ.

(١٦) ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ مما أفاضَ عليكما في أطوار خِلْقَتِكُما حتى صيَّركما أفضلَ

---

(١) الكُفُرَّى: بالضم وتشديد الراء المفتوحة والكافور من الطِّيب.

(٢) قوله فيعلان ظاهره أن أصل ريحان: رَيْوحان، ويؤيده قوله وأُدغم، فصار: ريّحان على ما هو معلوم من اجتماع الواو والياء ومسبق إحداهما بالسكون. ثم خفف إلى ريحان، ولأن ريحان من خمسة أحرف وفيعلان من ستة. والله أعلم.

(٣) والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية الكلية والتربيةِ مع الإضافة إلى ضميرهم لتأكيد النكير وتشديد التوبيخ.
ومعنى تكذيبهم بآلائه تعالى: كفرُهم بها، إما بإنكار كونه نعمة في نفسه كتعليم القرآن وما يستند إليه من النعم الدينية، وإما بإنكار كونه من الله تعالى مع الاعتراف بكونه نعمة في نفسه كالنعم الدنيوية الواصلة إليهم بإسناده إلى غيره تعالى استقلالاً أو اشتراكاً صريحاً أو دلالة؛ فإن إشراكهم لآلهتهم به تعالى في العبادة من دواعي إشراكهم لها به تعالىٰ فيما يوجبها.
والتعبير عن كفرهم المذكور بالتكذيب لما أن دلالة الآلاء المذكورة على وجوب الإيمان والشكر شهادة منها بذلك، فكفرهم بها تكذيب بها لا محالة، أي فإذا كان الأمر كما فُصِّل فبأي فرد من أفراد آلاء مالككما ومربيكما بتلك الآلاء تكذبان، مع أن كلاً منها ناطق بالحق شاهد بالصدق (س٨/ ١٧٨).

المركَّبات وخلاصةَ الكائناتِ.

رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِي ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾

(١٧) ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ مشرقي الشتاءِ والصيفِ ومغربيهما.

(١٨) ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ مما في ذلك من الفوائد التي لا تُحْصَى، كاعتدالِ الهواء واختلافِ الفصولِ وحدوثِ ما يناسبُ كلَّ فصلٍ فيه إلى غير ذلك.

(١٩) ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ أرسلَهما من مرجتُ الدابةَ إذا أرسلْتَها، والمعنى أرسلَ البحرَ المِلْحَ والبحرَ العذْبَ. ﴿يَلْتَقِيَانِ﴾ يتجاورانِ ويتماسُّ سطوحُهما، أو بحري فارسَ والرومِ يلتقيان في المحيطِ لأنها خليجانِ يتشعَّبان منه.

(٢٠) ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ حاجزٌ من قدرة الله تعالى أو من الأرضِ. ﴿لَّا يَبْغِيَانِ﴾ لا يبغي أحدُهما على الآخرِ بالممازجة وإبطالِ الخاصَّيَّةِ، أو لا يتجاوزان حدَّيْهِما بإغراقِ ما بينَهما.

(٢١) ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

(٢٢) ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ كبارُ الدرِّ وصغارُه، وقيل المرجانُ الخرزُ الأحمرُ وإنْ صحَّ أنَّ الدرَّ يخرج من الملحِ، فعلى الأولِ إنما قال منهما لأنه مُخْرَجٌ من مجتمعِ الملحِ والعذْبِ، أو لأنهما لما اجتمعا صارا كالشيءِ الواحدِ فكأن المخرجَ من أحدِهما كالمخرجِ منهما. وقرأ نافع وأبو عمرو ويعقوبُ يَخْرُجُ، وقُرِىءَ نخرجُ، ويُخْرِجُ بنصبِ اللؤلؤِ والمرجانِ.

(٢٣) ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

(٢٤) ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ﴾ أي السفنُ جمعُ جاريةٍ، وقرىءَ بحذفِ الياء ورفْعِ الراءِ كقوله:

لَهَا ثَنَايَا أَرْبَعٌ حِسَانٌ وَأَرْبَعٌ فَكْلُهَا ثَمَان.

﴿ٱلْمُنشَـَٔاتُ﴾ المرفوعاتُ الشُّرَعُ، أو المصنوعاتُ، وقرأ حمزةُ وأبو بكر بكسْرِ الشين أي الرافعاتُ الشُّرَعِ، أو اللاتي ينشئنَ الأمواجَ أو السيرَ. ﴿فِي ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ﴾ كالجبالِ جمع عَلَمٍ وهو الجبل الطويلُ.

(٢٥) ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ من خلق موادِّ السفنِ والإرشاد إلى أخْذِها وكيفية تركيبها وإجرائِها في البحر بأسباب لا يقدرُ على خلْقِها وجَمْعِهَا غيرُهُ.

(٢٦) ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا﴾ مَنْ على الأرض من الحيوانات أو المركَّباتِ ومَنْ للتغليبِ، أو من الثَّقلينِ. ﴿فَانٍ﴾.

(٢٧) ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ ذاتُه، ولو استقريتَ جهاتِ الموجودات وتفحَّصْتَ وجوهَها وجدْتَها بأسْرِها فانيةً في حدِّ ذاتها إلا وجْهَ الله أي الوجْهَ الذي يلي جِهَتَهُ. ﴿ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ ذو الاستغناءِ المطلق والفضلِ العامِّ.

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾

(٢٨) ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ أي مما ذكرنا قبلُ من بقاء الربِّ وإبقاء ما لا يُحْصَى مما هو على صددِ الفناء رحمةً وفضلاً، أو مما يترتب على فناءِ الكلِّ من الإعادة والحياة الدائمةِ والنعيم المقيم.

(٢٩) ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فإنهم مفتقرون إليه في ذواتِهم وصفاتِهم وسائر ما يهمُّهم ويعنُّ لهم، والمرادُ بالسؤالِ ما يدل على الحاجةِ إلى تحصيل الشيءِ في ذواتهم وصفاتِهم نطْقاً كان أو غيرَهُ. ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ كل وقتٍ يُحْدِثُ أشخاصاً ويحدِّدُ أحوالاً على ما سبقَ به قضاؤُه. وفي الحديث: «من شأنِه أنْ يغفرَ ذنباً ويفرِّجَ كرباً ويرفعَ قوماً ويضعَ آخرين»[1]. وهو ردٌّ لقول اليهود إنَّ اللهَ لا يقضي يومَ السبت شيئاً.

(٣٠) ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ أي مما يسعفُ به سؤالُكما وما يخرجُ لكما من مكمنِ العدمِ حيناً فحيناً.

(٣١) ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ أي ستتجَرَّدُ لحسابِكم وجزائِكم وذلك يومَ القيامة، فإنه تعالى لا يفعلُ فيه غيرهُ. وقيل تهديدٌ مستعارٌ من قولِك لمن تهدِّدُهُ سأفرغُ لك، فإنَّ المتجرِّدَ للشيء كان أقوى عليه وأجدَّ فيه، وقرأ حمزةُ والكسائيُّ بالياء، وقرىء سنفرغُ إليكم أي سنقصدُ إليكم. والثقلان الإنسُ والجنُّ سُمِّيا بذلك لِثِقَلِهما على الأرض، أو لرزانةِ رأيهما وقدْرِهما، أو لأنهما مُثْقَلانِ بالتكليفِ.

(٣٢) ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

(٣٣) ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ إن قدرتُم أن تخرجُوا من جوانبِ السموات والأرض هاربينَ من الله فارِّين من قضائِه. ﴿فَٱنفُذُوا۟﴾ فاخرجُوا. ﴿لَا تَنفُذُونَ﴾ لا تقدرون على النفوذِ. ﴿إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾ إلا بقوة وقهرٍ وأنَّى لكم ذلك، أو إنْ قدرتُم أن تنفذوا لتعلمُوا ما في السموات والأرض فانفذوا لتعلموا لكنْ لا تنفذُون ولا تعلمون إلا ببيِّنةٍ نصبَها الله تعالى فتعرجون عليها بأفكارِكم.

---

(١) أخرجه ابن ماجة (١/ ٧٣ رقم ٢٠٢) من حديث أبي الدرداء.
قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (١/ ٧٠ رقم ٧١): «هذا إسناد حسن لتقاصر الوزير عن درجة الحفظ والإتقان... روى البخاري ـ(٨/ ٦٢٠) ـ هذا الحديث تعليقاً موقوفاً في تفسير سورة الرحمن. ورواه ابن حبان في صحيحه ـ (ص٤٣٧ رقم ١٧٦٣ ـ موارد) ـ من طريق أم الدرداء به.
لكن لم ينفرد به الوزير بن صبيح فقد رواه أبو يعلى الموصلي في مسنده... عن أبي الدرداء موقوفاً فذكره» هـ.
وانظر «مجمع الزوائد» (٧/ ١١٧ ـ ١١٨) وكتاب السنة لابن أبي عاصم (١/ ١٣٠ رقم ٣٠١).
والخلاصة: أن الحديث حسن والله أعلم.

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْئَلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾

(٣٤) ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ أي من التنبيه والتحذيرِ والمساهلةِ والعفوِ مع كمال القدرة، أو مما نصبٌ من المصاعدِ العقلية والمعارجِ النقلية فتنفذون بها إلى ما فوقَ السموات العُلا.

(٣٥) ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ﴾ لهب. ﴿مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ﴾ ودخان قال:

تُضِيءُ كَضَوْءِ السِّرَاجِ السَّلِيـ ـطِ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ فِيهِ نُحَاساً

أو صفرٌ مذابٌ يُصَبُّ على رؤوسهم. وقرأ ابن كثير شِواظٌ بالكسر وهو لغة ونحاسٍ بالجرِّ عطفاً على نارٍ، ووافقه فيه أبو عمرو ويعقوبُ في رواية، وقرىء ونُحُسٍ وهو جمع كلُحُفٍ. ﴿فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ فلا تمتنعان.

(٣٦) ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فإنَّ التهديدَ لطفٌ والتمييزَ بين المطيع والعاصي بالجزاءِ والانتقام من الكفار في عِدَادِ الآلاء.

(٣٧) ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً﴾ أي حمراءَ كوردةٍ، وقرئت بالرفعِ على كان التامةِ فيكون من باب التجريد كقوله:

وَلَئِنْ بَقِيتُ لأَرْحَلَنَّ بِغَزْوَةٍ تحْوِي الغَنَائِمَ أَوْ يَمُوتَ كَرِيمُ[1]

﴿كَالدِّهَانِ﴾ وهو اسمٌ لما يُدْهَنُ به كالحزامِ، أو جمع دهْنٍ. وقيل هو الأديمُ الأحمر.

(٣٨) ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ أي مما يكون بعدَ ذلك.

(٣٩) ﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾ أي فيومَ تنشقُّ السماء. ﴿لَّا يُسْئَلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ لأنهم يُعْرَفُوْنَ بسيماهم وذلك حين ما يخرجون من قبورهم ويُحْشَرُوْنَ إلى الموقف ذَوْداً ذوداً[2] على اختلافِ مراتِبهم، وأما قولُه تعالى ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ﴾[3] ونحوه فحين يُحَاسَبُونَ في المجمَعِ، والهاءُ للإنسِ باعتبار اللفظِ فإنه وإن تأخَّر لفظاً تقدَّم رتبةً.

(٤٠) ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ أي مما أنعمَ الله على عبادِه المؤمنينَ في هذا اليوم.

(٤١) ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾ وهو ما يعلُوهم من الكآبة والحزنِ. ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ مجموعاً بينهما، وقيل يؤخذون بالنواصي تارةً وبالأقدام أخرى.

---

(١) من الكامل.

(٢) الذود من الإبل ما بين الثلاث إلى العشر، وهي مؤنثة لا واحد لها من لفظها، والكثير أذواد. (مختار الصحاح مادة ذود).

(٣) الحجر: «٩٢».

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾

(٤٢) ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ .

(٤٣) ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ .

(٤٤) ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا﴾ بين النار يُحْرَقُونَ بها. ﴿وَبَيْنَ حَمِيمٍ﴾ ماءٍ حارٍّ. ﴿ءَانٍ﴾ بلغَ النهايةَ في الحرارة يُصَبُّ عليهم، أو يُسْقَوْنَ منه. وقيل إذا استغاثوا من النار أُغِيثُوا بالحميم.

(٤٥) ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ .

(٤٦) ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ موقفَه الذي يقفُ فيه العبادُ للحساب، أو قيامَه على أحواله مِنْ قامَ عليه إذا راقَبَهُ، أو مقامَ الخائفِ عند ربه للحساب بأحدِ المعنيين فأُضِيفَ إلى الربِّ تفخيماً وتهويلاً، أو ربَّه ومقامَ مقحمٌ للمبالغة كقوله:

ذُعِرتْ به القطا ونَفَيْتُ عنه مقام الذئب كالرجُل اللعين

﴿جَنَّتَانِ﴾ جنةٌ للخائف الإنسي والأخرى للخائفِ الجنِّي، فإنَّ الخطابَ للفريقين والمعنى لكل خائفين منكما أو لكلِّ واحد جنةٌ لعقيدته وأخرى لعملِه، أو جنةٌ لفعل الطاعاتِ وأخرى لترك المعاصي، أو جنة يُثابُ بها وأخرى يُتَفَضَّلُ بها عليه، أو روحانيةٌ وجسمانية. وكذا ما جاء مثنًى بعدُ.

(٤٧) ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ .

(٤٨) ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾ أنواع من الأشجار والثمارِ جمعُ فَنٍّ، أو أغصانٌ جمعُ فَنَنٍ وهي الغصنةُ التي يتشعَّب من فرع الشجرة، وتخصيصُها بالذِّكْرِ لأنها التي تورِقُ وتثمرُ وتمد الظلَّ.

(٤٩) ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ .

(٥٠) ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ حيث شاؤُوا في الأعالي والأسافل. قيل إحداهما التسنيمُ والأخرى السلسبيلُ.

(٥١) ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ .

(٥٢) ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ صنفانِ غريبٌ ومعروفٌ، أو رطْبٌ ويابسٌ.

(٥٣) ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ .

(٥٤) ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ﴾ من ديباج ثخينٍ، وإذا كانتِ البطائنُ كذلك فما ظنُّك بالظهائر، ومتكئين مدحٌ للخائفين أو حالٌ منهم، لأن من خافَ في معنى الجمع. ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ قريبٌ يناله القاعدُ والمضطجعُ. وجنى اسمٌ بمعنى مجنيٍّ. وقرىء بكسرِ الجيم.

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾

(٥٥) ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

(٥٦) ﴿فِيهِنَّ﴾ في الجنانِ فإنَّ جنتانِ تدلُّ على جنانٍ هي للخائفين، أو فيما فيهما من الأماكن والقصور، أو في هذه الآلاءِ المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهةِ والفرشِ. ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ نساءٌ قصرنَ أبصارَهنَّ على أزواجهنَّ. ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ لم يمسَّ الإنسياتِ إنسٌ ولا الجنياتِ جنٌّ، وفيه دليلٌ على أن الجنَّ يطمثونَ. وقرأ الكسائي بضمِّ الميم.

(٥٧) ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

(٥٨) ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ أي حمرةُ الوجْنةِ وبياضُ البشرةِ وصفائِهما.

(٥٩) ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

(٦٠) ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ﴾ في العمل. ﴿إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ في الثواب وهو الجنةُ.

(٦١) ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

(٦٢) ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ ومن دون تَيْنَكِ الجنتينِ الموعودتين للخائفين المقرَّبين جنتانِ لمن دونَهم من أصحاب اليمين.

(٦٣) ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

(٦٤) ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾ خضراوانِ تضربان إلى السوادِ من شدة الخضرةِ، وفيه إشعارٌ بأن الغالب على هاتين الجنتين النباتُ والرياحينُ المنبسطةُ على وجه الأرضِ، وعلى الأوليين الأشجارُ والفواكهُ دلالةٌ على ما بينَهما من التفاوُتِ.

(٦٥) ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

(٦٦) ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ فوَّارتانِ بالماء وهو أيضاً أقلُّ مما وصف به الأوليين وكذا ما بعدَه.

(٦٧) ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

(٦٨) ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ عطفُهما على الفاكهة بياناً لفضْلِهما، فإن ثمرةَ النخل فاكهةٌ وغذاءٌ وثمرةُ الرمان فاكهةٌ ودواءٌ، واحتجَّ به أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه على أن مَنْ حلفَ لا يأكلُ فاكهةً فأكلَ رطْباً أو رماناً لم يحنَثْ.

(٦٩) ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾

(٧٠) ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ﴾ أي خيراتٌ فخُفِّفَتْ لأنَّ خيرا الذي بمعنى أخيرَ لا يُجْمَعُ؛ وقد قُرِئَ على الأصل. ﴿حِسَانٌ﴾ حسانُ الخَلْقِ والخُلُقِ.

(٧١) ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

(٧٢) ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ قُصِرْنَ في خدورهنَّ، يقالُ امرأة قصيرةٌ وقصورةٌ ومقصورةٌ أي مخدَّرةٌ، أو مقصوراتُ الطرفِ على أزواجهنَّ.

(٧٣) ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

(٧٤) ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ كحورِ الأولينَ وهم أصحابُ الجنتين فإنهما يدلاَّنِ عليهم.

(٧٥) ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

(٧٦) ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ﴾ وسائدَ أو نمارقَ جمعُ رفرفةٍ. وقيل الرفرفُ ضربٌ من البُسُطِ أو ذيلُ الخيمةِ وقد يقالُ لكل ثوبٍ عريض. ﴿خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ العبقريُّ منسوبٌ إلى عبقرَ، تزعم العربُ أنه اسم بلدٍ للجنِّ فينسِبُونَ إليه كلَّ شيء عجيبٍ، والمراد به الجنسُ ولذلك جُمِعَ حسانٍ حملاً على المعنى.

(٧٧) ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

(٧٨) ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ﴾ تعالى اسمُه من حيثُ إنه مطلقٌ على ذاته فما ظنُّك بذاته. وقيل الاسمُ بمعنى الصفةِ، أو مقحمٌ كما في قوله.

إلى الحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلامِ عَلَيْكُمَا[1]. ﴿ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ وقرأ ابن عامر بالرفعِ صفةً للاسم. عن النبي ﷺ «مَنْ قرأ سورةَ الرحمنِ أدَّى شكْرَ ما أنعمَ اللهُ تعالى عليه»[2].

☆ ☆ ☆

(١) من الطويل.

(٢) وهو حديث موضوع.
أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه بأسانيدهم إلى أبي بن كعب كما في «الكافي الشافِ» (ص١٦٢ رقم ٨١).
وقد تقدم الكلام عليه في أواخر سورة آل عمران.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ
بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنْبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ
الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ
الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾

سورة الواقعة مكية[1]، وآيها ست وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ إذا حدثتِ القيامة، سمَّاها واقعةً لتحقُّقِ وقوعِها، وانتصابُ إذا بمحذوفٍ مثلُ اذكُر أو كان كيتَ وكيتَ.

(٢) ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ أي لا يكون حين تقعُ نفسٌ تكذِبُ على الله تعالى، أو تكذِّبُ في نفيها كما تكذِّب الآن، واللامُ مثلُها في قوله تعالى: ﴿قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾[2] أو ليس لأحدٍ في وقعتها كاذبةٌ فإنَّ مَنْ أخبرَ عنها صدقَ، أو ليس لها حينئذ نفسٌ تحدِّثُ صاحِبَها بإطاقةِ شدَّتها واحتمالِها وتُغْرِيْه عليها من قولهم: كذَّبتْ فلاناً نفسُه في الخطْبِ العظيم إذا شجَّعته عليه وسوَّلَتْ له أنه يطيقُه.

---

(١) قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٥/ ٣٥٤): «وهي مكية بإجماع ممن يعتد بقوله من المفسرين. وقيل إن فيها آيات مدنية، أو مما نزل في السفر، وهذا كله غير ثابت» هـ.

(٢) الآية: «٢٤» من سورة الفجر.
واللام في قوله «قدمتُ لحياتي» للتعليل أو للتوقيت، أي قدمت لأجل حياتي أو لوقت حياتي.
واللام هنا كذلك. (انظر البيضاوي ٢/ ٧٨٥).

(٣) ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ تخفضُ قوماً وترفعُ آخرين، وهو تقرير لعظَمَتِها فإنَّ الوقائعَ العظامَ كذلك، أو بيانٌ لما يكون حينئذ من خفضِ أعداءِ الله ورفعِ أوليائه، أو إزالة الأجرامِ عن مقارِّها بنثرِ الكواكب وتسييرِ الجبال في الجوِّ، وقُرِئَتَا بالنصبِ على الحال[١].

(٤) ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا﴾ حُرِّكَتْ تحريكاً شديداً بحيث ينهدمُ ما فوقَها من بناءٍ وجبلٍ، والظرف متعلِّقٌ بخافضةٍ أو بدلٌ من إذا وقعتْ.

(٥) ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾ أي فُتِّتَتْ حتى صارتْ كالسَّويقِ الملتوتِ من بسَّ السويقَ إذا لتَّه، أو سيقتْ وسيِّرتْ من بسَّ الغنمَ إذا ساقَها.

(٦) ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً﴾ غباراً. ﴿مُّنۢبَثًّا﴾ منتشِراً.

(٧) ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا﴾ أصنافاً. ﴿ثَلَاثَةً﴾ وكلُّ صِنف يكون أو يُذْكَرُ مع صنفٍ آخرَ زوجٌ.

(٨) ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾.

(٩) ﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ فأصحاب المنزلةِ السَّنية وأصحاب المنزلةِ الدنيئةِ من تيمُّنهم بالميامن وتشاؤُمِهم بالشمائل، أو أصحابُ الميمنةِ وأصحاب المشأمةِ الذين يُؤْتَوْنَ صحائِفَهم بأَيْمَانهم والذين يأتونَها بشمائِلهم، أو أصحابُ اليُمْنِ والشؤْمِ فإنَّ السعداءَ ميامينُ على أنفسِهم بطاعتهم والأشقياءُ مشائيمُ عليها بمعصيتهم. والجملتانِ الاستفهاميتانِ خبرانِ لما قبلهما بإقامةِ الظاهرِ مقامَ الضمير، ومعناهما التعجبُ من حال الفريقين[٢].

(١٠) ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ والذين سبقُوا إلى الإيمان والطاعةِ بعدَ ظهور الحقِّ من غيرِ تلعثُم وتوانٍ، أو سبقوا في حيازة الفضائلِ والكمالات، أو الأنبياءُ فإنهم مقدَّمو أهلِ الأديان هم الذين عرفتَ حالَهم وعرفتَ مآلهم كقول أبي النجم:

أنَا أَبُو النَّجْمِ وَشِعْرِي شِعْرِي[٣]

أو الذين سبقوا إلى الجنة[٤].

(١١) ﴿أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾.

(١٢) ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ الذين قُرِّبَتْ درجاتُهم في الجنة وأُعْلِيَتْ مراتِبُهم.

(١٣) ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ أي هم كثيرٌ من الأوَّلينَ يعني الأممَ السالفةَ من لدنْ آدمَ إلى سيدنا محمدٍ عليه الصلاة والسلام.

---

(١) وتقديم الخفض على الرفع للتشديد في التهويل (س٨/ ١٨٨).

(٢) وقوله «ما أصحاب الميمنة» حيث وضع الظاهر موضع الضمير لكونه أدخل في التفخيم، حيث الأصل أن يقول ما هم؟ لكنه ذكرهم ثانية للتفخيم (س٨/ ١٨٩).

(٣) من الرجز.

(٤) ولعل تأخير ذكر السابقين ـ مع كونهم أسبق الأقسام وأقدمهم في الفضل ـ ليقترن ذكرهم ببيان محاسن أحوالهم. على أن إيرادهم بعنوان السبق مطلقاً معرب عن إحرازهم لقصب السبق من جميع الوجوه (س٨/ ١٨٩).

وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾

(١٤) ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ يعني أمةَ محمدٍ عليه الصلاة والسلام ولا يخالفُ ذلك قولَه عليه الصلاة والسلام «إن أمتي يكثرون سائرَ الأمم»[1] لجوازِ أنْ يكونَ سابقُو سائرِ الأمم أكثرَ من سابقي هذه الأمةِ، وتابعو هذه أكثرَ من تابعيهم، ولا يردُّه قولُه في ﴿لِأَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾[2]. لأنَّ كثرةَ الفريقين لا تنافي أكثريةَ أحدِهما، وروي مرفوعاً أنهما من هذه الأمَّةِ[3]، واشتقاقُها من الثَّلِّ وهو القطعُ.

(١٥) ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾ خبرٌ آخرُ للضمير المحذوفِ، والموضونةُ المنسوجةُ بالذهبِ مشبكةً بالدرِّ والياقوت، أو المتواصلةُ من الوضْنِ وهو نسجُ الدرعِ.

(١٦) ﴿مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ﴾ حالانِ من الضمير في على سُرُرٍ.

(١٧) ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ للخدمةِ. ﴿وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ مُبْقَوْنَ أبداً على هيئةِ الولدان وطراوتِهم.

(١٨) ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ﴾ حالُ الشربِ وغيرِه، والكوبُ إناءٌ بلا عروةٍ ولا خرطومَ له، والإبريقُ إناءٌ له ذلك. ﴿وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ من خمرٍ.

(١٩) ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾ بخمار. ﴿وَلَا يُنزِفُونَ﴾ ولا تنزفُ عقولُهم، أو لا ينفدُ شرابُهم. وقرأ الكوفيون بكسرِ الزاي لا يُصَدَّعون بمعنى لا يتصدَّعون أي لا يتفرَّقون.

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ.
● وقد أخرج الترمذي (٤/ ٦٨٣ رقم ٢٥٤٦) وابن ماجة (٢/ ١٤٣٣ رقم ٤٢٨٩) من رواية سليمان بن بريدة عن أبيه مرفوعاً بلفظ «أهل الجنة عشرون ومائة صف، ثمانون منها من هذه الأمة وأربعون من سائر الأمم».
قال الترمذي: هذا حديث حسن. قلت: في سند الترمذي «حسين بن يزيد الطحان» وهو لين الحديث كما قال ابن حجر في التقريب (١/ ١٨١).
ولكن الترمذي حسنه لمتابعته عند ابن ماجة.
● وأخرج البخاري (١١/ ٣٧٨ رقم ٦٥٢٨) و(١١/ ٥٢٣ رقم ٦٦٤٢) ومسلم (١/ ٢٠٠ ـ ٢٠١ رقم ٢٢١) من حديث ابن مسعود، قال: كنا في قبة فقال: أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟ قلنا نعم. قال: أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟ قلنا: نعم. قال: أترضون أن تكونوا شطر أهل الجنة؟ قلنا: نعم. قال: «والذي نفس محمد بيده إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة. وذلك أن الجنة لا يدخلها إلا نفس مؤمنة، وما أنتم من أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر».
(٢) الواقعة: «٣٨، ٣٩، ٤٠».
(٣) أخرجه الطيالسي في المسند (ص١٢٠ رقم ٨٨٦) موقوفاً. ومسدد كما في المطالب العالية: (٣/ ٣٨٣ رقم ٣٧٦٨) موقوفاً ومرفوعاً. ومدار إسناديهما على علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف ـ وله شاهد عند أحمد (١٨/ ٢٩٣ رقم ٤٥٠) الفتح الرباني ـ من حديث أبي هريرة.
وأخرجه الطبراني بإسنادين، قال الهيثمي (٧/ ١١٩): «رجال أحدهما رجال الصحيح غير علي بن زيد وهو ثقة سيء الحفظ» هـ.

وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾

(٢٠) ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ أي يختارون.

(٢١) ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ يتمنَّون.

(٢٢) ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ عطفٌ على ولدانٍ، أو مبتدأٌ محذوفُ الخبرِ أي وفيها، أو ولهم حورٌ، وقرأ حمزة والكسائيُّ بالجرِّ عطفاً على جناتٍ بتقدير مضافٍ أي هم في جناتٍ ومصاحبةِ حورٍ، أو على أكوابٍ لأنَّ معنى يطوف عليهم ولدانٌ مخلَّدون بأكواب ينعُمون بأكواب، وقُرِئَتَا بالنصبِ على ويُؤْتَوْنَ حوراً.

(٢٣) ﴿كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ﴾ المصونُ عما يضرُّ به في الصفاءِ والنقاءِ.

(٢٤) ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ أي يفعلُ ذلك كلَّه بهم جزاءً بأعمالهم.

(٢٥) ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ باطلاً. ﴿وَلَا تَأْثِيمًا﴾ ولا نسبةً إلى الإثم أي لا يُقَالُ لهم أثِمْتُم.

(٢٦) ﴿إِلَّا قِيلًا﴾ أي قولاً. ﴿سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾ بدلٌ من قيلا كقوله تعالى ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا﴾[1] أو صفتُه أو مفعوله بمعنى إلا أنْ يقولوا سلاماً، أو مصدرٌ. والتكريرُ للدلالة على فشوِّ السلام بينَهم. وقرىء سلامٌ على الحكايةِ.

(٢٧) ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾.

(٢٨) ﴿فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ لا شوكَ فيه من خضدَ الشوكَ إذا قطعَه، أو مثنًى أغصانِه من كثرة حملِه من خضَدَ الغصنَ إذا ثناه وهو رطْبٌ.

(٢٩) ﴿وَطَلْحٍ﴾ وشجرِ موزٍ، أو أمِّ غيلانَ وله أنوار كثيرة طيبةُ الرائحةِ، وقرىء بالعين. ﴿مَّنضُودٍ﴾ نُضِّدَ حملُه من أسفلِه إلى أعلاهُ.

(٣٠) ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ منبسطٍ لا يتقلَّص ولا يتفاوتُ.

(٣١) ﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ﴾ يُسْكَبُ لهم أين شاؤوا وكيفَ شاؤوا بلا تعبٍ، أو مصبوبٍ سائلٍ كأنه لما شبَّه حالَ السابقين في التنعُّم بأعلى ما يُتَصَوَّرُ لأهلِ المدنِ شبَّه حالَ أصحاب اليمينِ بأكملِ ما يتمنَّاه أهل البوادي إشعاراً بالتفاوتِ بين الحالين.

(٣٢) ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾ كثيرةِ الأجناس.

(٣٣) ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ﴾ لا تنقطعُ في وقتٍ. ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ لا تُمْنَعُ عن متناوِلها بوجْهٍ.

---

(١) مريم: «٦٢».

وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾

(٣٤) ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ رفيعةِ القدرِ أو منضدَّةٍ مرتفعةٍ. وقيل الفُرُشُ النساءُ وارتفاعُها أنها على الأرائكِ، ويدل عليه قولُه:

(٣٥) ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً﴾ أي ابتدأناهنَّ ابتداءً جديداً من غير ولادةٍ إبداءً أو إعادةً. وفي الحديث «هنَّ اللواتي قُبِضْنَ في دار الدنيا عجائزَ شُمْطاً رمْصاً، جعلهنَّ الله بعد الكِبَرِ أتراباً على ميلادٍ واحدٍ، كلما أتاهنَّ أزواجُهنَّ وجدوهنَّ أبكاراً»[1].

(٣٦) ﴿فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا﴾.

(٣٧) ﴿عُرُبًا﴾ متحبِّباتٍ إلى أزواجهنَّ جمعُ عروبٍ، وسكَّنَ راءَه حمزةُ وأبو بكر، ورُوِيَ عن نافع وعاصمٍ مثلُه.. ﴿أَتْرَابًا﴾ فإنَّ كلَّهن بناتُ ثلاثٍ وثلاثينَ وكذا أزواجُهنَّ.

(٣٨) ﴿لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ متعلِّقٌ بأنشأنا أو جعلْنا، أو صفةٌ لأبكاراً أو خبرٌ لمحذوفٍ مثلُ هنَّ أو لقوله:

(٣٩) ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

(٤٠) ﴿وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ﴾ وهي على الوجوه الأُوَلِ خبرٌ محذوفٌ.

(٤١) ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾.

(٤٢) ﴿فِى سَمُومٍ﴾ في حرِّ نارٍ ينفذُ في المسامِّ. ﴿وَحَمِيمٍ﴾ وماءٍ متناهٍ في الحرارة.

(٤٣) ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ من دخانٍ أسودَ يفعولٌ من الحمَمَةِ.

(٤٤) ﴿لَّا بَارِدٍ﴾ كسائر الظلِّ. ﴿وَلَا كَرِيمٍ﴾ ولا نافعٍ، نفى بذلك ما أوهم الظلَّ من الاسترواح.

(٤٥) ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ منهمكين في الشهوات.

(٤٦) ﴿وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ﴾ الذَّنْبُ العظيم يعني الشركَ، ومنه بلغَ الغلامُ الحِنْثَ أي الْحُلُمَ ووقْتَ المؤاخذةِ بالذَّنْبِ، وحَنِثَ في يمينه خلافُ برَّ فيها وتحنَّث إذا تأثَّم.

(٤٧) ﴿وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ كُرِّرَتِ الهمزةُ للدلالة على إنكارِ البعثِ مطلقاً وخصوصاً في هذا الوقتِ كما دخلتِ العاطفةُ في قوله:

---

(١) أخرج الترمذي (٥/ ٤٠٢ رقم ٣٢٩٦) عن أنس رضي الله عنه قال: رسول الله ﷺ (إنا أنشأناهُنّ إنشاءً) قال: «إنَّ من المنشآت التي كُنَّ في الدنيا عجائزَ عُمْشاً رُمْصاً».
قال الترمذي: هذا حديثٌ غريبٌ لا نعرِفُهُ مرفوعاً إلاّ من حديث موسى بن عبيدة، وموسى بن عبيدة ويزيدُ بن أبان الرقاشيُّ يضعفانِ في الحديث.
وأخرجه الطبري في «جامع البيان» (١٣/ ج٢٧/ ١٨٥) وانظر تفسير ابن كثير (٤/ ٣١٢).

أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾

(٤٨) ﴿أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ للدلالةِ على أنَّ ذلك أشدُّ إنكاراً في حقِّهم لتقادُم زمانهم وللفصلِ بها حَسُنَ العطفُ على المستكِنِّ في لمبعوثون، وقرأ نافع وابنُ عامر أوْ بالسكونِ وقد سبقَ مثلُه. والعاملُ في الظرفِ ما دلَّ عليه مبعوثونَ، لا هو للفصلِ بأنَّ والهمزة [١].

(٤٩) ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ﴾ [٢].

(٥٠) ﴿لَمَجْمُوعُونَ﴾ وقرىء لمجْمَعُون. ﴿إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ إلى ما وقَّتَ به الدنيا وحدثٍ من يومٍ معيَّنٍ عند الله معلومٍ له.

(٥١) ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ﴾ أي بالبعثِ، والخطابُ لأهلِ مكَّةَ وأضرابِهم.

(٥٢) ﴿لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ﴾ مِنْ الأُوْلَى للابتداءِ والثانيةُ للبيانِ.

(٥٣) ﴿فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ﴾ من شدة الجوعِ.

(٥٤) ﴿فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ﴾ لغَلَبة العطشِ، وتأنيثُ الضمير في منها وتذكيرهُ في عليه على معنى الشجرِ ولفظِه، وقرىء من شجرة فيكون التذكيرُ للزقومِ فإنه تفسيرها.

(٥٥) ﴿فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ﴾ الإبلِ التي بها الهيامُ وهو داءٌ يشبه الاستسقاءَ، جمعُ أهيمَ وهيماءَ قال ذو الرمة:

فَأَصْبَحْتُ كَالْهَيْمَاءِ لاَ المَاءُ مُبْرِدٌ صَدَاهَا وَلاَ يَقْضِي عَلَيْهَا هيَامُهَا

وقيل الرمالُ على أنه جمعُ هَيَامٍ بالفتحِ وهو الرملُ الذي لا يتماسك جُمِعَ على هُيُمٍ كسُحُبٍ، ثم خُفِّفَ وفُعِلَ به ما فُعِلَ بجمعِ أبيضَ، وكلٌّ من المعطوفِ والمعطوفِ عليه أخصُّ من الآخر من وجهٍ فلا اتحادَ. وقرأ نافع وحمزةُ وعاصم شُرب بضمِّ الشين.

(٥٦) ﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ يومَ الجزاء فما ظنُّك بما يكون لهم بعدَ ما استقروا في الجحيم، وفيه تهكُّم كما في قوله ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [٣] لأن النُّزلَ ما يُعَدُّ للنازل تكرمةً له، وقرىء نُزْلُهم بالتخفيف.

(٥٧) ﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ بالخلْقِ متيقنين محقِّقِينَ للتصديق بالأعمال الدالة عليه، أو بالبعثِ فإن مَنْ قدرَ على الإبداءِ قدرَ على الإعادة.

---

(١) وتقديم التراب على العظام لعراقته في الاستبعاد وانقلابه من الأجزاء البادية (س٨/ ١٩٥).

(٢) في تقديم «الأولين» على «الآخرين» مبالغة في الرد، حيث كان إنكارهم لبعث آبائهم أشد من إنكارهم لبعثهم، مع مراعاة الترتيب الوجودي (س٨/ ١٩٥).

(٣) التوبة: «٣٤».

أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾

(٥٨) ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ﴾ أي ما تقذفونه في الأرحامِ من النُّطفِ، وقرىء بفتح التاءِ من مَنَى النطفةَ بمعنى أمْنَاها.

(٥٩) ﴿ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ﴾ تجعلُونه بشراً سوياً. ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾.

(٦٠) ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾ قسَّمناه عليكم وأقَّتنا موتَ كلٍّ بوقْتٍ معيَّنٍ، وقرأ ابن كثير بتخفيف الدالِ. ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ لا يسبقُنا أحدٌ فيهربَ من الموتِ أو يغير وقْتِه، أو لا يغلِبُنا أحدٌ من سبقتُه على كذا إذا غلبتُه عليه.

(٦١) ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ﴾ على الأولِ حالٌ أو علةٌ لقدَّرنا وعلى بمعنى اللام، وما نحنُ بمسبوقين اعتراضٌ وعلى الثاني صلةٌ، والمعنى على أن نبدلَ منكم أشباهَكم فنخلقُ بدلَكم، أو نبدِّلَ صفاتِكم على أنَّ أمثالَكم جمعُ مِثْلٍ بمعنى صفةٍ. ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ في خلْقٍ أو صفاتٍ لا تعلمونها.

(٦٢) ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أنَّ مَنْ قدرَ عليها قدرَ على النشأة الأخرى فإنها أقلُّ صنعاً لحصول الموادِّ وتخصيصِ الأجزاءِ وسَبْقِ المثالِ، وفيه دليلٌ على صحةِ القياس.

(٦٣) ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾ تبذرون حبَّه.

(٦٤) ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ﴾ تنبتونه. ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ المنبتُونَ.

(٦٥) ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا﴾ هشيماً. ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ تعجَبُون أو تندمون على اجتهادِكم فيه، أو على ما أصبتُم لأجله من المعاصي فتتحدَّثون فيه، والفكَهُ التنقلُ بصنوفِ الفاكهةِ وقد اسْتُعِيْرَ للتنقُّلِ بالحديث. وقرىء فظِلْتُم بالكسرِ، وفظَلْتم على الأصلِ.

(٦٦) ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ لملزمون غرامةَ ما أنفقنا، أو مُهْلَكُونَ لهلاكِ رزقنا من الغرامِ، وقرأ أبو بكر أئِنا لمغرمون على الاستفهام.

(٦٧) ﴿بَلْ نَحْنُ﴾ قومٌ. ﴿مَحْرُومُونَ﴾ حُرِمْنَا رزقَنا، أو محدودون لا مَجْدُودُونَ.

(٦٨) ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ﴾ أي العذْبَ الصالحَ للشرب[1].

(٦٩) ﴿ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ﴾ من السحاب واحدُه مُزْنَةٌ، وقيل المزنُ السحاب الأبيضُ وماؤه أعذبُ. ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ﴾ بقدرتنا. والرؤيةُ إن كانتْ بمعنى العلمِ فمتعلِّقة بالاستفهام.

---

(١) وتخصيص هذا الوصف بالذكر مع كثرة منافعه لأن الشرب أهم المقاصد المنوطة به (س٨/١٩٨).

لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾

(٧٠) ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا﴾ ملْحاً أو من الأجيج فإنه يحرقُ الفمَ، وحذفَ اللامَ الفاصلةَ بين جواب ما يتمحضُ للشرط وما يتضمنُ معناه لعلم السامع بمكانها، أو الاكتفاءِ بسبقِ ذكْرِها أو يختصُّ ما يُقْصَدُ لذاته ويكون أهمَّ وفقدُه أصعبَ بمزيد التأكيد. ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ أمثالَ هذه النِّعمِ الضروريةِ.

(٧١) ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ﴾ تقدحون.

(٧٢) ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ﴾ يعني الشجرةَ التي منها الزِّنادُ[١].

(٧٣) ﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا﴾ جعلْنا نار الزِّناد. ﴿تَذْكِرَةً﴾ تبصرةً في أمرِ البعثِ كما مرَّ في سورةِ يٰس[٢]، أو في الظلام أو تذكيراً وأنموذجاً لنارِ جهنَّم. ﴿وَمَتَٰعًا﴾ ومنفعةً. ﴿لِّلْمُقْوِينَ﴾ الذين ينزلون القُواءَ وهي القفْرُ، أو للذين خلتْ بطونُهم أو مزاودُهم من الطعام، من أقوتِ الدارُ إذا خلتْ من ساكنيها.

(٧٤) ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ فأحدِثِ التسبيحَ بذكرِ اسمِه تعالى أو بذكرِه فإنَّ إطلاقَ اسمِ الشيءِ ذكْرُهُ. والعظيمُ صفةٌ للاسمِ أو الربِّ، وتعقيبُ الأمر بالتسبيح لما عدَّد من بدائعِ صُنْعِه وإنعامِه إما لتنزيهِه تعالى عما يقول الجاحدون لوحدانيتِه الكافرونَ لنعمتِه، أو للتعجُّبِ من أمرِهم في غمطِ نِعَمِه، أو للشكرِ على ما عدَّها من النعم.

(٧٥) ﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ﴾ إذ الأمرُ أوضحُ من أنْ يحتاجَ إلى قسمٍ، أو فأقسمُ ولا مزيدةٌ للتأكيد كما في ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ﴾[٣] أو فَلأنَا أقسِمُ فحذفَ المبتدأَ وأشبعَ فتحةَ لامِ الابتداءِ، ويدلُّ عليه قراءةُ فلأقسمُ، أو فلا ردٌّ لكلامٍ يخالفُ المقسَمَ عليه. ﴿بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ بمساقِطها، وتخصيصُ المغاربِ لما في غروبها من زوالِ أثرِها والدلالةِ على وجود مؤثِّرٍ لا يزول تأثيرهُ، أو بمنازلها ومجاريها. وقيل النجومُ نجومُ القرآن ومواقِعُها أوقاتُ نزولها، وقرأ حمزة والكسائيُّ بموقع.

(٧٦) ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ لما في المقسَمِ به من الدلالة على عِظَمِ القدرةِ وكمال الحكمة وفَرْطِ الرحمة، ومن مقتضياتِ رحمته أن لا يتركَ عبادَه سُدًى، وهو اعتراضٌ في اعتراض فإنه اعتراضٌ بين القسمِ والمقسَمِ عليه، ولو تعلمون اعتراضٌ بين الموصوفِ والصفةِ.

(٧٧) ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾ كثيرُ النفعِ لاشتماله على أصولِ العلوم المهمةِ في إصلاح المعاش والمعاد، أو حسنٌ مرضيٌّ في جنسِه.

---

(١) والتعبير عن خلقها بالإنشاء ـ المنبىء عن بديع الصنع المعرب عن كمال القدرة والحكمة ـ لما فيه من الغرابة الفارقة بينها وبين سائر الشجر التي لا تخلو عن النار، حتى قيل: في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار ـ كما أن التعبير عن نفخ الروح بالإنشاء في قوله تعالى «ثم أنشأناه خلقاً آخر» لذلك (س٨/ ١٩٨).

(٢) سورة يٰسٓ آية: «٨٠».

(٣) الحديد: «٢٩».

فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾

(٧٨) ﴿فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ﴾ مصونٍ وهو اللوحُ المحفوظُ.

(٧٩) ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ لا يطَّلِعُ على اللوحِ إلا المطهرون من الكُدوراتِ الجسمانية وهم الملائكةُ، أو لا يمسُّ القرآنَ إلا المطهرونَ من الأحداثِ فيكون نفياً بمعنى النهي، أو لا يطلبه إلا المطهرونَ من الكفرِ. وقرىء المتطهرون والمطْهَرون والمطَّهَّرون من أطْهَرَهُ بمعنى طهَّره، والمطَهَّرون أي أنفسَهم أو غيرهم بالاستغفارِ لهم والإلهام.

(٨٠) ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ صفةٌ ثالثة أو رابعة للقرآنِ، وهو مصدرٌ نُعِتَ به وقرىء بالنصبِ أي نُزِّلَ تنزيلاً.

(٨١) ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ يعني القرآنَ. ﴿أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾ متهاونون به كمن يُدْهِنُ في الأمر أي يُلينُ جانِبَهُ ولا يتصلَّب فيه تهاوناً به.

(٨٢) ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ أي شكرَ رزْقِكم. ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ أي بمانحِه حيث تنسبونه إلى الأنواء، وقرىء شُكْرَكُم أي وتجعلون شكركم لنعمةِ القرآنِ أنكم تكذِّبون به وتكذبون أي بقولِكم في القرآن أنه سحر وشِعْرٌ، أو في المطر أنه من الأنواء.

(٨٣) ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾ أي النفسُ.

(٨٤) ﴿وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾ حالَكُم، والخطاب لمن حولَ المحتضِر، والواوُ للحالِ.

(٨٥) ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ﴾ أي ونحن أعلمُ. ﴿إِلَيْهِ﴾ إلى المحتضِرِ. ﴿مِنكُمْ﴾ عبَّر عن العلمِ بالقربِ الذي هو أقوى سببِ الاطلاع. ﴿وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ لا تدركون كُنْهَ ما يجري عليه.

(٨٦) ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ أي مجزيينَ يومَ القيامة أو مملوكينَ مقهورينَ من دانه إذا أذلَّه واستعبدَه، وأصل التركيب للذلِّ والانقياد.

(٨٧) ﴿تَرْجِعُونَهَآ﴾ ترجعون النفسَ إلى مقرِّها وهو عاملُ الظرفِ والمحضَّضُ عليه بلولا الأُولى. والثانيةُ تكريرٌ للتوكيد وهي بما في حيِّزها دليلُ جوابِ الشرط، والمعنى إن كنتم غيرَ مملوكينَ مجزيِّينَ كما دلَّ عليه جحُدُكم أفعالَ اللهِ وتكذيبُكم بآياته. ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في أباطيلكم فلولا ترجعون الأرواحَ إلى الأبدانِ بعد بلوغها الحلقومَ.

(٨٨) ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ أي إن كان المتوفَّى من السابقين.

(٨٩) ﴿فَرَوْحٌ﴾ فله استراحةٌ، وقرىء فَرَوْحٌ بالضمِّ، وفُسِّرَ بالرحمةِ لأنها كالسببِ لحياة المرحوم وبالحياةِ الدائمة. ﴿وَرَيْحَانٌ﴾ ورزقٌ طيِّبٌ. ﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ ذاتُ تنعُّمٍ.

وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

(٩٠) ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾.

(٩١) ﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ﴾ يا صاحبَ اليمين. ﴿مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ أي من إخوانك يسلِّمونَ عليك.

(٩٢) ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ يعني أصحابَ الشمال، وإنما وصفَهم بأفعالهم زجْراً عنها وإشعاراً بما أوجبَ لهم ما أوعدَهم به.

(٩٣) ﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾.

(٩٤) ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ وذلك ما يجدُ في القبر من سمومِ النار ودخانِها.

(٩٥) ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ أي الذي ذُكِرَ في السورة أو في شأن الفِرَقِ. ﴿لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ أي حقُّ الخبرِ اليقين.

(٩٦) ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ فنزِّهْهُ بذكرِ اسمه وتعالى عما لا يليقُ بعظَمَةِ شأنه. عن النبيِّ ﷺ «من قرأ سورةَ الواقعةِ في كلِّ ليلة لم تصبْه فاقةٌ أبداً»[1].

☆ ☆ ☆

(١) وهو حديث ضعيف.
أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» رقم (٦٨٠) والبيهقي في «الشعب» (٢/ ٤٩١ ـ ٤٩٢) والحارث بن أبي أسامة في مسنده (١٧٨ من زوائده)، وابن لال في «حديثه» (١/ ١١٦) وابن بشران في «الأمالي» (ج٢٠/ ٣٨/ ١) ـ كما في الضعيفة (١/ ٣٠٤ ـ ٣٠٥ رقم ٢٨٩) ـ وغيرهم من طريق أبي شجاع عن أبي طيبة عن ابن مسعود مرفوعاً.
وفيه علل: النكارة في متنه، والانقطاع، وضعف رواته، واضطرابه. وانظر الضعيفة (رقم: ٢٨٩) و«الكافي الشافِ» (ص١٦٣ رقم: ٩٢) وفيض القدير (٦/ ٢٠١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾

سورة الحديد مدنية[1]

وقيل مكية، وآيها تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ذُكِرَ ها هُنا وفي الحشر والصفِّ بلفظ الماضي، وفي الجمعة والتغابنِ بلفظ المضارعِ إشعاراً بأن مِنْ شأنِ ما أُسنِد إليه أنْ يسبِّحه في جميع أوقاتِه، لأنه دلالةٌ جِبِلِّيَّةٌ لا تختلفُ باختلاف الحالاتِ. ومجيءُ المصدرِ مطلقاً في بني إسرائيلَ أبلغُ من حيث إنه يشعِرُ بإطلاقه على استحقاقِ التسبيح من كلِّ شيء وفي كلِّ حال. وإنما عدِّيَ باللام وهو متعدٍّ بنفسِه ـ مثلُ نصحتُ له في نصحتُه ـ إشعاراً بأنَّ إيقاعَ الفعل لأجلِ الله وخالصاً لوجهه. ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ حالٌ يشعرُ بما هو المبدأُ للتسبيح.

---

(١) قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٥/ ٣٩٦): «وهي مدنية فيما قال النقاش وغيره بإجماع من المفسرين. وقال غيره مكية».

وانظر «زاد المسير» (٨/ ١٦٠) و«الدر المنثور» (٨/ ٤٥).

(٢) ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فإنه الموجِدُ لها والمتصرِّفُ فيها. ﴿يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ استئنافٌ أو خبرٌ لمحذوف ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من الإحياء والإماتةِ وغيرِها. ﴿قَدِيرٌ﴾ تامُّ القدْرةِ.

(٣) ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾ السابقُ على سائر الموجوداتِ من حيث إنه موجِدُها ومُحْدِثُها. ﴿وَٱلْءَاخِرُ﴾ الباقي بعد فنائها ولو بالنظرِ إلى ذاتِها مع قطعِ النظرِ عن غيرِها، أو هو الأولُ الذي تبتدأُ منه الأسبابُ وتنتهي إليه المسبَّباتُ، أو الأول خارجاً والآخر ذهناً. ﴿وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ الظاهر وجودُه لكثرةِ دلائله والباطنُ حقيقةً ذاتُه فلا تكتنِهُها العقولُ، أو الغالبُ على كل شيء والعالمُ بباطنِه. والواوُ الأُولَى والأخيرةُ للجمعِ بين الوصْفَيْنِ، والمتوسطةُ للجمعِ بين المجموعين. ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ يستوي عندَه الظاهرُ والخفيُّ.

(٤) ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ كالبذور. ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ كالزروع. ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ كالأمطارِ. ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ كالأبخرةِ. ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ لا ينفكُّ علمُه وقدرتُه عنكم بحالٍ. ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم عليه. ولعلَّ تقديمَ الخلْقِ على العلم لأنه دليلٌ عليه.

لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾

(٥) ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ذَكَره مع الإعادةِ كما ذَكَرَهُ مع الإبداءِ لأنه كالمقدمةِ لهما. ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾.

(٦) ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ بمكنُوناتِها.

(٧) ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ من الأموال التي جعلَكُم اللهُ خلفاءَ في التصرُّفِ فيها فهي في الحقيقة له لا لكم، أو التي استخلفكم عمَّن قبلَكُم في تملُّكِها والتصرُّفِ فيها، وفيه حثٌّ على الإنفاقِ وتهوينٌ له على النفس. ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ وعدٌ فيه مبالغاتٌ؛ جَعْلُ الجملةِ اسميةٌ وإعادةُ ذِكْرِ الإيمان والإنفاقِ وبناءُ الحكم على الضميرِ وتنكيرُ الأجْرِ ووصفُه بالكِبَرِ.

(٨) ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ أي وما تصنعونَ غيرَ مؤمنين به كقولك: مالَكَ قائماً. ﴿وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ﴾ حالٌ من ضمير تؤمنون، والمعنى أيُّ عذرٍ لكم في تركِ الإيمان والرسولُ يدعوكم إليه بالحججِ والآياتِ. ﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ﴾ أي وقد أخذ الله ميثاقَكم بالإيمان قبل ذلك بنصبِ الأدلة والتمكينِ من النظرِ، والواو للحالِ من مفعولِ يدعوكم. وقرأ أبو عمرو على البناءِ للمفعول ورفْعِ ميثاقُكمْ. ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ لموجبِ ما فإن هذا موجبٌ لا مزيدَ عليه.

هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾

(٩) ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم﴾ أي الله أو العبدُ. ﴿مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ من ظلماتِ الكفر إلى نور الإيمان. ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ حيثُ نبَّهكم بالرسولِ والآياتِ ولم يقتصرْ على ما نصبَ لكم من الحجج العقليةِ.

(١٠) ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟﴾ وأيُّ شيءٍ لكم في ألا تنفقوا. ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فيما يكون قُرْبَةً إليه[١]. ﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يرثُ كلَّ شيء فيهما فلا يبقى لأحدٍ مالٌ، وإذا كان كذلك فإنفاقُه بحيث يستخلفُ عوضاً يبقَى وهو الثوابُ كان أولى[٢]. ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً﴾ بيانٌ لتفاوُتِ المنفقينَ باختلافِ أحوالهم من السَّبْقِ وقوةِ اليقين وتحرِّي الحاجاتِ حثاً على تحرِّي الأفضلِ منها بعدَ الحثِّ على الإنفاقِ، وذِكْرُ القتالِ للاستطرادِ، وقسيمُ مَنْ أنفق محذوفٌ لوضوحه ودلالةِ ما بعدَه عليه، والفتحُ فتحُ مكَّةَ إذ عزَّ الإسلامُ به وكثُر أهلُه وقلَّتِ الحاجةُ إلى المقاتلة والإنفاقِ. ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ﴾ أي من بعدِ الفتح. ﴿وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ أي وعدَ اللهُ كلاً من المنفقينَ المثوبةَ الحسنى وهي الجنةُ. وقرأ ابن عامر وكلٌّ بالرفعِ على الابتداء أي وكلٌّ وعدَه الله ليطابقَ ما عُطِفَ عليه. ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ عالمٌ بظاهره وباطنِه فيجازيكم على حَسَبِه. والآيةُ نزلتْ في أبي بكرٍ رضي الله تعالى عنه، فإنه أولُ مَنْ آمن وأنفق في سبيل الله وخاصمَ الكفارَ حتى ضُرِبَ ضرباً أشرفَ به على الهلاك[٣].

(١١) ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ أي مَنِ الذي ينفقُ مالَهُ في سبيله رجاءَ أنْ يعوِّضَه فإنه كَمَنْ يقرضُه، وحسْنُ الإنفاقِ بالإخلاص فيه وتحري أكرمِ المال وأفضلِ الجهات له. ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ﴾ أي يُعْطَى أَجْرَهُ أضعافاً. ﴿وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ أي وذلك الأجرُ المضموم إليه الأضعافُ كريمٌ في نفسه ينبغي أنْ يُتَوَخَّى وإن لم يُضَاعفْ، فكيف وقد يضاعف أضعافاً. وقرأ عاصمٌ فيضاعفَه بالنصبِ على جوابِ الاستفهام باعتبارِ المعنى فكأنه قال: أيقرضُ اللهَ أحدٌ فيضاعفَه له، وقرأ ابن كثير فيضعفُه مرفوعاً، وقرأ ابن عامر ويعقوبُ فيضعفَه منصوباً.

(١٢) ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ ظرفٌ لقوله وله أو فيضاعفَه أو مقدَّر باذْكُر ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم﴾ ما يوجِبُ نجاتَهم وهدايتَهم إلى الجنة. ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ لأنَّ السعداءَ يؤْتَوْنَ صحائفَ أعمالهم من هاتين الجهتين. ﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ﴾ أي يقول لهم مَنْ يتلقاهم من الملائكة بُشْرَاكم أي المبشَّرُ به

---

(١) وتعيين المنفق فيه لتشديد التوبيخ (س٨/ ٢٠٦).

(٢) وإظهار الاسم الجليل في موقع الإضمار «ولله» لزيادة التقرير وتربية المهابة (س٨/ ٢٠٦).

(٣) انظر «جامع البيان» للطبري (١٣/ ج٢٧/ ٢٢٠ ـ ٢٢١) والبحر المحيط (٨/ ٢١٩).

جناتٌ، أو بشراكم دخولُ جناتٍ. ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ الإشارةُ إلى ما تقدَّم من النور والبشرى بالجناتِ المخلَّدةِ.

يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

(١٣) ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ﴾ بدلٌ من يومَ ترى. ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا﴾ انتظرونا فإنَّهم يُسْرَعُ بهم إلى الجنة كالبرق الخاطف، أو انظروا إلينا فإنهم إذا نظروا إليهم استقبلوهم بوجوههم فيستضيئون بنورٍ بين أيديهم. وقرأ حمزةُ أَنظِرونا على أنَّ أتئادَهم ليلحقوا بهم إمهالٌ لهم. ﴿نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ نُصِبْ منه. ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ﴾ إلى الدنيا. ﴿فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ بتحصيل المعارفِ الإلهية والأخلاقِ الفاضلة، فإنه يتولَّد منها أو إلى الموقف فإنه من ثمَّةَ يُقْتَبَسُ، أو إلى حيثُ شئتُم فاطلبوا نوراً آخَرَ فإنه لا سبيلَ لكم إلى هذا، وهو تهكُّمٌ بهم وتخييبٌ من المؤمنين أو الملائكة ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم﴾ بين المؤمنين والمنافقين. ﴿بِسُورٍ﴾ بحائطٍ. ﴿لَّهُ بَابٌ﴾ يدخلُ منه المؤمنونَ. ﴿بَاطِنُهُ﴾ باطنُ السورِ أو الباب. ﴿فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾ لأنه يلي الجنةَ. ﴿وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ من جهته لأنه يلي النارَ.

(١٤) ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ يريدون موافقَتَهُم في الظاهر. ﴿قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ بالنفاق. ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ بالمؤمنين الدوائرَ. ﴿وَارْتَبْتُمْ﴾ وشككْتُم في الدِّينِ. ﴿وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ﴾ كامتدادِ العمرِ. ﴿حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ وهو الموتُ. ﴿وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ الشيطانُ أو الدنيا.

(١٥) ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ﴾ فداءٌ. وقرأ ابن عامر ويعقوبُ بالتاء. ﴿وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ظاهراً وباطناً. ﴿مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ﴾ هي أَوْلَى بكم كقول لبيدٍ[1]:

فَغَدَتْ كِلَا الفَرجَيْنِ تَحْسِبُ أَنَّهُ ... مَوْلَى المَخَافَةِ خَلْفَهَا وأَمامَها

وحقيقَتُه مجراكُم أي مكانكُم الذي يُقَالُ فيه هو أولى بكم كقولك: هو مَثِنَّةُ الكرمِ أي مكان قولِ

---

(١) هو لبيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامري: أحدَ الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية. من أهل عالية نجد، أدرك الإسلام، ووفد على النبي ﷺ. ويعد من الصحابة، ومن المؤلفة قلوبهم. وترك الشعر فلم يقل في الإسلام إلا بيتاً واحداً، قيل: هو

ما عاتب المرءَ الكريمَ كنفسه ... والمرء يصلحه الجليسُ الصالح

وترجم له رضي الله عنه محمد علي حمد الله في شرح الزوزني، ونسب إليه بيتاً واحداً هو:

الحمد لله إذْ لم يأتني أجلي ... حتى اكتسبتُ من الإسلام سربالا

وهو من البسيط، والأول من الكامل، ومسكن لبيد الكوفة...

[الأعلام، للزركلي (٥/ ٢٤٠)].

القائل إنه لكريمٌ، أو مكانكُم عما قريبٍ من الولْيِ وهو القربُ، أو ناصرُكم على طريقة قوله: تحِيَّةٌ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ وَجِيعٌ، أو متوليكُم يتولاَّكُم كما توليتم موجباتِها في الدنيا. ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ النارُ.

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٩﴾

(١٦) ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ ألم يأتِ وقتُه، يُقَالُ أَنَى الأمرُ يأني أَنْياً وأناً وإناً إذا جاءَ إناهُ، وقرىء ألم يئِنْ بكسرِ الهمزة وسكونِ النون من آنَ يئينُ بمعنى أتى، وألمّا يأنِ. رُوِيَ أنَّ المؤمنينَ كانوا مجدِبينَ بمكَّةَ، فلما هاجروا أصابوا الرزقَ والنعمةَ ففتُروا عما كانوا عليه، فنزلت[1]. ﴿وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ أي القرآنُ وهو عطفٌ على الذِّكْرِ عطفُ أحدِ الوصفين على الآخرِ، ويجوزُ أنْ يرادَ بالذِّكر أن يُذْكَرَ اللهُ. وقرأ نافع وحفص ويعقوب نَزَلَ بالتخفيف، وقرىء أُنْزِلَ. ﴿وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ﴾ عطفٌ على تخشعَ. وقرأ رويسٌ بالتاء، والمراد النهيُ عن مماثلة أهلِ الكتاب فيما حُكِيَ عنهم بقوله: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي فطال عليهم الأجلُ لطول أعمارِهم وآمالهم، أو ما بينَهم وبين أنبيائهم فقستْ قلوبُهم. وقرىء الأمدّ وهو الوقتُ الأطول. ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ خارجون عن دينهم رافضونَ لما في كتابهم من فَرْطِ القسوةِ.

(١٧) ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ تمثيلٌ لإحياءِ القلوب القاسيةِ بالذكرِ والتلاوةِ بالإحياءِ والأمواتِ ترغيباً في الخشوع وزجْراً عن القساوة. ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ كي تكمُلَ عقولُكم.

(١٨) ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ﴾ إنَّ المتصدقين والمتصدقاتِ، وقد قرىء بهما. وقرأ ابن كثير وأبو بكر بتخفيفِ الصادِ أي الذين صدَقُوا اللهَ ورسولَه. ﴿وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ عطفٌ على معنى الفعل في المحلَّى باللام لأن معناه: الذين أصْدَقُوا، أو صدقُوا وهو على الأول للدلالةِ على أنَّ المعتَبَرَ هو التصدُّقُ المقرونُ بالإخلاص. ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ معناه والقراءةُ في يُضَاعَفْ كما مرَّ غيرَ أنه لم يُجْزَمْ لأنه خبرُ إنَّ، وهو مسندٌ إلى لهم أو إلى ضمير المصدرِ.

(١٩) ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أي أولئك عندَ الله بمنزلة الصِّديقينَ والشهداء، أو هم المبالغون في الصدقِ فإنهم آمنوا وصدَّقُوا جميعَ أخبارِ الله ورسلِه

(١) وقال الكلبي ومقاتل: نزلت في المنافقين بعد الهجرة بسنة، وذلك أنهم سألوا سلمان الفارسي ذات يوم فقالوا: حدثنا عما في التوراة فإن فيها العجائب فنزلت هذه الآية وقال غيرهما. نزلت في المؤمنين.
[أسباب النزول، لأبي الحسن الواحدي النيسابوري ص٤٠٦].

والقائمونَ بالشهادة لله ولهم، أو على الأمم يومَ القيامة. وقيل والشهداءُ عند ربهم مبتدأٌ وخبرٌ، والمراد به الأنبياءُ من قوله ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ﴾[1] أو الذين استُشْهِدوا في سبيل الله. ﴿ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ﴾ مثلُ أجرِ الصِّدِّيقينَ والشهداءِ ومثلُ نورِهم. ولكنه من غير تضعيفٍ ليحلَّ التفاوتُ، أو الأجرُ والنور الموعودانِ لهم. ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ فيه دليلٌ على أنَّ الخلودَ في النار مخصوصٌ بالكفار من حيثُ إنَّ التركيبَ يشعِرُ بالاختصاص. والصُّحبةُ تدلُّ على الملازمةِ عرفاً.

اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾

(٢٠) ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ﴾ لما ذكر حالَ الفريقين في الآخرةِ حقَّر أمورَ الدنيا أعني ما لا يُتَوَصَّلُ به إلى الفوزِ الآجلِ، بأنْ بيَّن أنها أمورٌ خيالية قليلةُ النفعِ سريعةُ الزوالِ لأنها لعب يتعِبُ الناسُ فيه أنفسَهم جداً إتعابَ الصبيانِ في الملاعب من غير فائدةٍ، ولهوٌ يُلْهُونَ به أنفسَهم عما يهمُّهم، وزينةٌ كالملابسِ الحسنة والمواكِب البهية والمنازلِ الرفيعة، وتفاخرٌ بالأنساب أو تكاثرٌ بالعدد والعُدَدِ، ثم قرر ذلك بقوله: ﴿ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ﴾ وهو تمثيلٌ لها في سرعة تقضِّيها وقلَّةِ جدواها بحال نباتٍ أنبته الغيثُ فاستوى وأُعْجِبَ به الحرَّاثُ، أو الكافرون بالله لأنهم أشدُّ إعجاباً بزينة الدنيا ولأنَّ المؤمنَ إذا رأى معجباً انتقلَ فكرهُ إلى قدرةِ صانِعه فأُعْجِبَ بها، والكافر لا يتخطَّى فكرهُ عما أحسَّ به فيستغرقُ فيه إعجاباً، ثم هاج أي يبِسَ بعاهةٍ فاصفرَّ ثم صار حطاماً، ثم عظَّم أمورَ الآخرة الأبديةِ بقوله: ﴿ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ تنفيراً عنِ الانهماكِ في الدنيا وحثاً على ما يوجِبُ كرامةَ العُقْبَى، ثم أكَّد ذلك بقوله: ﴿ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ﴾ أي لمن أقبلَ عليها ولم يطلبْ إلا الآخرةَ. ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ أي لمن أقبلَ عليها ولم يطلبْ بها الآخرةَ.

(٢١) ﴿ سَابِقُوا ﴾ سارعوا مسارعةَ المسابقين في المِضْمَار. ﴿ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ إلى موجِبَاتِها. ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ أي عرضُها كعرضِهما وإذا كان العرضُ كذلك فما ظنُّك بالطول، وقيل المراد به البسطةُ كقوله ﴿ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴾[2] ﴿ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ﴾ فيه دليلٌ على أن الجنةَ مخلوقةٌ وأن الإيمان وحدَه كافٍ في استحقاقها. ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ ذلك للوعود يتفضَّل به على مَنْ يشاء من غير إيجابٍ. ﴿ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ منه التفضُّل بذلك وإن عظُم قدرُه.

---

(١) النساء: «٤١».

(٢) فُصِّلت: «٥١».

وتقديم المغفرة على الجنة لتقديم التخلية على التحلية (س٨/ ٢١١).

مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾

(٢٢) ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ كجدبٍ وعاهةٍ. ﴿وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ﴾ كمرض وآفةٍ. ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ﴾ إلا مكتوبةً في اللوح مثبتةً في علمِ الله تعالى. ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ نخلقُها، والضميرُ للمصيبة أو الأرض أو للأنفسِ ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ أي إثباتِه في كتابٍ. ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ لاستغنائِه تعالى فيه عن العدةِ والمدَّةِ.

(٢٣) ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟﴾ أي أثبتَ وكتبَ كي لا تحزنوا ﴿عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ من نِعَمِ الدنيا ﴿وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ بما أعطاكم اللهُ منها فإن مَنْ عَلِمَ أن الكلَّ مقدَّر هانَ عليه الأمرُ. وقرأ أبو عمرو بما أتاكم من الإتيانِ ليعادِلَ ما فاتكم، وعلى الأول فيه إشعارٌ بأنَّ فواتَها يلحقُها إذا خُلِّيَتْ وطباعَها، وأما حصولُها وإبقاؤُها فلا بدَّ لهما من سببٍ يوجدُها ويبقيها، والمراد نفيُ الأسى المانعِ عن التسليم لأمرِ الله والفرحِ الموجبِ للبطرِ والاختيالِ، ولذلك عقبه بقوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ إذ قلَّ مَنْ يثبِّتُ نفسَه في حالي الضراءِ والسراءِ[1].

(٢٤) ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾ بدلٌ من كلٍّ مختال فإن المختالَ بالمال يضنُّ به غالباً، أو مبتدأ خبرُه محذوفٌ مدلول عليه بقوله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ لأنَّ معناه ومَنْ يعرضْ عن الإنفاقِ فإنَّ اللهَ غنيٌّ عنه وعن إنفاقه محمودٌ في ذاته لا يضرُّه الإعراضُ عن شكره ولا ينفعه التقربُ إليه بشكرِ مَنْ نعَّمه، وفيه تهديد وإشعارٌ بأن الأمرَ بالإنفاق لمصلحة المنفِق. وقرأ نافع وابن عامر فإنَّ الله الغنيُّ.

(٢٥) ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا﴾ أي الملائكةَ إلى الأنبياء أو الأنبياءَ إلى الأمم. ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالحجج والمعجزاتِ. ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ ليبيِّنَ الحقَّ ويميِّزَ صوابَ العمل. ﴿وَٱلْمِيزَانَ﴾ لتسوَّى به الحقوقُ ويقامَ به العدلُ كما قال تعالى ﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ وإنزاله إنزالُ أسبابه والأمر بإعداده، وقيل أنزلَ الميزانَ إلى نوح عليه السلام، ويجوز أن يُرادَ به العدلُ. ﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ لِتُقَامَ به السياسةُ وتدفعَ به الأعداءُ كما قال: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ فإنَّ آلاتِ الحروب متَّخَذَةٌ منه. ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ إذ ما من صنعةٍ إلا والحديدُ آلاتُها. ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ﴾ باستعمال الأسلحةِ في مجاهدةِ الكفار، والعطف على محذوفٍ دلَّ عليه ما قبلَه فإنه حالٌ يتضمَّن تعليلاً، أو اللامُ صلةٌ لمحذوف أي أنزله ليعلمَ اللهُ. ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ حالٌ من المستكِنِّ في ينصرهُ. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ﴾ على إهلاك مَنْ أراد إهلاكَه. ﴿عَزِيزٌ﴾ لا يفتقر إلى نُصْرةٍ وإنما أمرهم بالجهادِ لينتفعوا به ويستوجِبوا ثوابَ الامتثالِ فيه.

---

(١) وفي تخصيص التذييل بالنهي عن الفرح المذكور إيذان بأنه أقبح من الأسى (س٨/ ٢١١).

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

(٢٦) ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ بأنِ استنبأناهم وأوحينا إليهم الكتبَ. وقيل المرادُ بالكتابِ الخطُّ. ﴿فَمِنْهُم﴾ فمن الذرية أو مِنَ المرسَلِ إليهم وقد دلَّ عليهم أرسلنا. ﴿مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ خارجونَ عن الطريق المستقيم، والعدولُ عن سننِ المقابلةِ للمبالغةِ في الذمِّ والدلالةِ على أنَّ الغلبةَ للضُلَّالِ.

(٢٧) ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ أي أرسلنا رسولاً بعد رسولٍ حتى انتهى إلى عيسى عليه السلام، والضميرُ لنوح وإبراهيمَ ومَنْ أُرسلا إليهم، أو من عاصَرَهُما من الرسلِ لا للذريةِ، فإن الرسلَ الملقَى بهم من الذريةِ. ﴿وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ﴾ وقرىء بفتح الهمزة، وأمرهُ أهونُ من أمرِ البرطيلِ لأنه أعجميٌّ[1]. ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً﴾ وقرىء رآفةً على فعالةٍ. ﴿وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ أي وابتدعوا رهبانيةً ابتدعوها، أو رهبانية مُبْتَدَعَةً على أنها من المجعولاتِ وهي المبالغةُ في العبادة والرياضة والانقطاعِ عن الناس، منسوبةً إلى الرُّهبانِ وهو المبالِغُ في الخوفِ من رَهِبَ كالخشيان من خَشِيَ، وقرئتْ بالضَمِّ كأنها منسوبةٌ إلى الرهبانِ وهو جمعُ راهبٍ كراكِبٍ ورُكْبَانٍ. ﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ ما فرضناها عليهم. ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ استثناءٌ منقطعٌ أي ولكنَّهم ابتدعوها ابتغاءَ رضوانِ الله. وقيل متصلٌ فإنَّ ما كتبناها عليهم بمعنى ما تعبَّدناهم بها وهو كما ينفي الإيجابَ المقصودَ منه دفعُ العقابِ ينفي الندبَ المقصودَ منه مجردَ حصولِ مرضاة الله، وهو يخالف قولَه ابتدعوها إلا أنْ يُقَالَ ابتدعوها ثم نُدِبُوا إليها، أو ابتدعوها بمعنى استحدثُوها وأتَوْا بها، أو لأنهم اخترعُوها من تِلْقاء أنفسِهم. ﴿فَمَا رَعَوْهَا﴾ أي فما رَعَوْهَا جميعاً. ﴿حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ بضمِ التثليثِ والقولِ بالاتحادِ وقصدِ السمعةِ والكفرِ بمحمد عليه الصلاة والسلام ونحوِها إليها. ﴿فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أتَوْا بالإيمانِ الصحيح ومن ذلك الإيمانُ بمحمدٍ ﷺ وحافظوا حقوقَها. ﴿مِنْهُمْ﴾ من المتَّسِمينَ باتباعِه. ﴿أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ خارجون عن حالِ الاتباعِ.

(٢٨) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالرسلِ المتقدمةِ. ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ فيما نهاكم عنه. ﴿وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ﴾ محمدٍ عليه الصلاة.....

(١) أي لا يلزم منه مراعاة أبنية العرب.

والسلام[١]. ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ﴾ نَصِيبَيْنِ. ﴿مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ لإيمانِكم بمحمدٍ ﷺ إيمانِكم بمن قبلَه، ولا يبعدُ أنْ يُثابُوا على دينهم السابقِ وإن كان منسوخاً ببركةِ الإسلام، وقيل الخطابُ للنَّصارى الذين كانوا في عصْره. ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ يريدُ المذكورَ في قوله ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم﴾[٢] أو الهدى الذي يُسْلَكُ به إلى جنابِ القدُسِ. ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

(٢٩) ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي ليعلموا ولا مزيدةٌ ويؤيدُه أنه قرىء ليعلَمَ ولكي يعلمَ ولأنَ يعلمَ بإدغامِ النون في الياء. ﴿أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ أنْ هي المخففةُ والمعنى: أنه لا ينالون شيئاً مما ذُكِرَ من فضلِه ولا يتمكّنون من نيله لأنهم لم يؤمنوا برسوله وهو مشروطٌ بالإيمان به، أو لا يقدِرونَ على شيءٍ من فضله فضلاً عن أن يتصرَّفوا في أعظَمِه وهو النبوةُ فيخصُّوها بِمَنْ أرادوا ويؤيدُه قولُه: ﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ وقيل لا غيرُ مزيدةٍ، والمعنى لئلا يعتقدَ أهلُ الكتاب أنه لا يقدرُ النبيُّ والمؤمنون به على شيء من فضْلِ الله ولا ينالونه، فيكون وأنَّ الفضلَ عطفاً على لئلا يعلمَ، وقرىء لِيَلاّ يعلمُ ووجهُهُ أنَّ الهمزةَ حُذِفَتْ وأدغمتِ النون في اللامِ ثمَّ أُبدِلَتْ ياءً. وقرىء لَيْلاَ على أنَّ الأصلَ في الحروفِ المفردةِ الفتحُ. عن النبيِّ ﷺ «مَنْ قرأَ سورةَ الحديدِ كُتِبَ من الذين آمنوا بالله ورسلِه أجمعينَ»[٣].

☆ ☆ ☆

(١) وفي إطلاق كلمة الرسول إيذانٌ بأنه عليه الصلاة والسلام ـ فردٌ في الرسالة لا يذهب الوهم إلى غيره (س٨/ ٢١٤) ـ.

(٢) الحديد: «١٢».

(٣) وهو حديث موضوع.
أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي بأسانيدهم إلى أبي بن كعب كما في «الكافي الشافِ» (ص١٦٤ رقم ٩٨).
وقد تقدم الكلام عليه في أواخر سورة آل عمران.

سُورَةُ المُجَادِلَةِ

ترتيبها ٥٨ آياتها ٢٢

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾

سورة المجادلة مدنية

وقيل العشر الأول مكي والباقي مدني[1]، وآيها اثنتان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ رُوِيَ أنَّ خولة بنتَ ثعلبةَ ظاهَرَ عنها زوجُها أوسُ بنُ الصامت، فاستفتتْ رسول الله ﷺ فقال: «حرمْتِ عليه»، فقالت: ما طلَّقني، فقال: «حرمتِ عليه»، فاغتمَّت لصغرِ أولادِها وشكتْ إلى الله تعالى، فنزلت هذه الآياتُ الأربعُ[2]، وقد تُشْعِرُ بأن

---

(١) وهي مدنية بالإجماع. إلا أن النقاش حكى أن قوله تعالى: «ما يكون من نجوى ثلاثة» الآية. مكي. قاله ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٥/ ٤٣٤).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٨١) وابن جرير في «جامع البيان» (١٤/ج٢٨/ ٥) وابن ماجة (١/ ٦٦٦ رقم ٢٠٦٣) وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٧٨ رقم ٦٢٥) والواحدي في الأسباب (ص٤٠٨) كلهم من طريق تميم بن سلمة عن عروة به. وإسناده صحيح. ويشهد له: =

الرسول عليه الصلاة والسلام أو المجادلةَ يتوقع أنَّ اللهَ يسمعُ مجادَلَتَهَا وشكْواها ويفرجُ عنها كربَها. وأدْغَمَ حمزةُ والكسائي وأبو عمرو وهشام عن ابن عامر دالها في السينِ. ﴿وَٱللَّهُ يَسْمَعُ[1] تَحَاوُرَكُمَآ﴾ تراجُعَكُما الكلامَ وهو على تغليبِ الخطاب. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ للأقوال والأحوال.

(٢) ﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم﴾ الظِّهار أنْ يقولَ الرجلُ لامرأته أنتِ عليَّ كظهْرِ أمي مشتقٌ من الظَّهْرِ، وألحقَ به الفقهاءُ تشبيهَهَا بجزءِ أنثىٰ مَحْرَمٍ. وفي منكم تهجينٌ لعادتِهم فيه، فإنه كان من أيمانِ أهل الجاهليةِ. وأصل يظاهِرون يتظاهَرُون، وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائيُّ يظّاهرون من أظّاهر وعاصم يُظاهِرون من ظَاهَرَ. ﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ﴾ أي على الحقيقةِ. ﴿إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ﴾ فلا تشبُّهَ بهنَّ في الحرمةِ إلا مَنْ ألحقها الله بهنَّ كالمرضعاتِ وأزواجِ الرسول ﷺ، وعن عاصم أمهاتُهم بالرفع على لغةِ بني تميم، وقرىء بأمهاتِهم وهو أيضاً على لغة من ينصِبُ. ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ﴾ إذ الشرعُ أنكَرَهُ. ﴿وَزُورًا﴾ منحرِفاً عن الحقِّ فإن الزوجةَ لا تشبِه الأمَّ. ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ لما سلفَ منه مطلقاً، أو إذا تِيْبَ عنه.

(٣) ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ أي إلى قولهم بالتداركِ ومنه المثَلُ: عاد الغيثُ على ما أفسدَ، وهو بنقضِ ما يقتضيه وذلك عند الشافعيِّ بإمساك المظاهِرِ عنها في النكاحِ زماناً يمكنُه مفارقتُها فيه إذ التشبيهُ يتناولُ حرمتَه لصحة استثنائِها عنه وهو أقلُّ ما ينتقضُ به، وعند أبي حنيفةَ باستباحةِ استمتاعِها ولو بنظرةِ شهوةٍ، وعند مالكٍ بالعزمِ على الجِماعِ، وعند الحسنِ بالجماعِ أو بالظِّهار في الإسلام على أنَّ قولَه يظاهرون بمعنى يعتادون الظِّهارَ إذ كانوا يظاهرون في الجاهليةِ وهو قول الثوري، أو بتكرارِه لفظاً وهو قول الظاهريةِ. أو معنًى بأنْ يحلفَ على ما قال وهو قولُ أبي مسلم، أو إلى المقول فيها بإمساكِها أو استباحةِ استمتاعِها أو وَطْئِها. ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ أي فعليهم أو فالواجبُ اعتاقُ رقبةٍ والفاءُ للسببيةِ، ومن فوائدِها الدلالةُ على تكرُّرِ وجوبِ التحرير بتكرُّرِ الظِّهارِ. والرقبةُ مقيدةٌ بالإيمان عندنا قياساً على كفارة القتلِ. ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾ أنْ يستَمْتِعَ كلُّ من المظاهرِ والمظاهَرِ عنها بالآخر لعمومِ اللفظِ ومقتضى التشبيه، أو أنْ يجامِعَها وفيه دليلٌ على حرمةِ ذلك قبل التكفيرِ. ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ أي ذلكم الحكمُ بالكفارة. ﴿تُوعَظُونَ بِهِۦ﴾ لأنه يدلُّ على ارتكابِ الجناية الموجِبَة للغرامةِ ويردعُ عنه. ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ لا تخفى عليه خافية.

(٤) ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ أي الرقبةَ والذي غابَ مالُه واجدٌ. ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾ فإنْ أفطرَ بغيرِ عذرٍ لزمِهُ الاستئنافُ وإنْ أفطرَ لعذرٍ ففيه خلافٌ، وإنْ جامعَ المظاهِرِ عنها ليلاً لم ينقطعِ التتابعُ عندنا خلافاً لأبي حنيفةَ ومالكٍ رضي الله تعالى عنهما. ﴿فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ﴾ أي الصومَ لهرمٍ أو مرضٍ مزمن أو شبقٍ مفرطٍ فإنه ﷺ رخَّصَ للأعرابي المفطرِ أنْ يعدلَ لأجلِه. ﴿فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾

= ما أخرجه البخاري تعليقاً (١٣/ ٣٧٢) ووصله النسائي (٦/ ١٦٨ رقم ٣٤٦٠) وأحمد في المسند (٦/ ٤٦) والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٨١) وابن جرير في «جامع البيان» (١٤/ج٢٨/ ٥) والواحدي في الأسباب (ص٤٠٨) عن تميم به. وإسناده صحيح.

(١) وإظهار الاسم الجليل «الله» في الموقعين لتربية المهابة وتعليل الحكم بوصف الألوهية وتأكيد استقلال الجملتين (س٨/ ٢١٦).

ستين مُدّاً بمدِّ رسولِ الله ﷺ، وهو رطلٌ وثلثٌ لأنه أقلُّ ما قيل في الكفاراتِ وجنسِه المخرجِ في الفِطْرةِ، وقال أبو حنيفةَ رضي الله تعالى عنه يعطي كلَّ مسكينٍ نصفَ صاع من بُرٍّ أو صاعاً من غيره. وإنما لم يذكرِ التماسَّ مع الطعام اكتفاءً بذكره مع الآخرين، أو لجوازه في خلالِ الإطعام كما قال أبو حنيفةَ رضيَ الله تعالى عنه. ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي ذلكَ البيانُ أو التعليمُ للأحكام. ومحلُّه النصبُ بفعل معلَّلٍ بقوله: ﴿لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي فرضَ ذلك لتصدِّقوا بالله ورسوله في قبول شرائعِه ورفْضِ ما كنتم عليه في جاهليتِكم. ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ لا يجوزُ تعدِّيها. ﴿وَلِلْكَافِرِينَ﴾ أي الذين لا يقبلُونها. ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ هو نظيرُ قوله تعالى ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[1].

إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ۚ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ۚ أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾

(٥) ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ يعادونَهما، فإنَّ كلاً من المتعادِيَيْنِ في حدٍّ غير حدِّ الآخر، أو يضعون أو يختارون حدوداً غيرَ حدودهما. ﴿كُبِتُوا﴾ أُخزُوا وأهلِكُوا وأصل الكبْتِ الكبتُ. ﴿كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يعني كفارَ الأممِ الماضية. ﴿وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ تدلُّ على صدقِ الرسولِ وما جاء به. ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ يُذهِبُ عزَّهم وتكبُّرهم.

(٦) ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ منصوبٌ بمهين أو بإضمار اذكُر. ﴿جَمِيعًا﴾ كلَّهم لا يدَعُ أحداً غيرَ مبعوثٍ أو مجتمعينَ. ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا﴾ أي على رؤوس الأشهادِ تشهيراً لحالهم وتقريراً لعذابهم. ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ﴾ أحاط به عدداً لم يغبْ منه شيءٌ. ﴿وَنَسُوهُ﴾ لكثرته أو تعاونهم به. ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ لا يغيب عنه شيءٌ.

(٧) ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ كلياً وجزئياً. ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ﴾ أي ما يقعُ من تناجي ثلاثةٍ، ويجوز أن يقدَّر مضافٌ أو يؤولَ نجوى بمتناجينَ وبجعْلِ ثلاثة صفةً لها، واشتقاقُها من النجوةِ وهي ما ارتفعَ من الأرض فإنَّ السرَّ أمرٌ مرفوعٌ إلى الذِّهنِ لا يتيسَّر لكلِّ أحدٍ أنْ يطَّلِعَ عليه. ﴿إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ إلا اللهُ يجعلُهم أربعةً من حيث إنه يشارِكُهم في الاطلاع عليها، والاستثناءُ من أعمِّ الأحوال. ﴿وَلَا خَمْسَةٍ﴾ ولا نجوى خمسةٍ. ﴿إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ وتخصيصُ العددين إما لخصوصِ الواقعة فإنَّ الآيةَ نزلت في تناجي المنافقين، أو لأنَّ الله تعالى وترٌ يحبُّ الوِترَ، والثلاثةُ أول الأوتارِ أو لأنَّ التشاورَ لا بد له من اثنينِ يكونانِ كالمتنازعَيْنِ وثالث يتوسَّط بينَهما. وقرىء ثلاثةٌ وخمسةً بالنصبِ على الحالِ بإضمار يتناجون أو تأويلِ نجوى بمتناجِينَ. ﴿وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ﴾ ولا أقلُّ مما ذكِرَ كالواحد

(١) آل عمران: «٩٧».

والاثنين. ﴿وَلَآ أَكْثَرَ﴾ كالستةِ وما فوقَها. ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ يعلم ما يجري بينَهم. وقرأ يعقوبُ ولا أكثرُ بالرفعِ عطفاً على محلِّ من نجوى أو محلٌّ لا أدنى بأنْ جُعِلتْ لا لنفي الجنسِ. ﴿أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ فإنَّ علمَه بالأشياءِ ليس لقربٍ مكانيٍّ حتى يتفاوتَ باختلافِ الأمكنة. ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ تفضيحاً لهم وتقريراً لما يستحقُّونه من الجزاءِ. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ لأنَّ نسبةَ ذاته المقتضيةِ للعلم إلى الكلِّ على السواءِ.

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾

(٨) ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾[١]، نزلت في اليهودِ والمنافقين كانوا يتناجَوْنَ فيما بينهم ويتغامزون بأعينهم إذا رأوا المؤمنينَ فنهاهم رسولُ اللهِ ﷺ ثم عادوا لمثل فعلِهم[٢]. ﴿وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾ أي بما هو إثمٌ وعدوانٌ للمؤمنين وتواصٍ بمعصية الرسول. وقرأ حمزةُ ويَنْتَجُون وهو يفتعلُون من النَّجوى، ورُوِيَ عن يعقوبَ مثلُه. ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾ فيقولون السامُ عليك[٣]، أو أنعِمْ صباحاً والله تعالى يقولُ ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾[٤]. ﴿وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ فيما بينَهم. ﴿لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ هلا يعذِّبنا اللهُ بذلك لو كان محمدٌ نبياً. ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ﴾ عذاباً. ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ يدخلونها. ﴿فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ جهنَّمُ.

(٩) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾ كما يفعلُه المنافقون وعن يعقوبَ فلا تنتجُوا. ﴿وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ بما يتضمنُ خيرَ المؤمنين والاتقاءَ عن معصية الرسول. ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ فيما تأتون وتذرون فإنه مجازِيكم عليه.

(١٠) ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ﴾ أي النجوى بالإثمِ والعدوان. ﴿مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ فإنه المزيِّنُ لها والحاملُ عليها. ﴿لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بتوهُّمِهم أنها في نكبةِ أصابتْهم. ﴿وَلَيْسَ﴾ أي الشيطانُ أو التناجي.

---

(١) صيغة المضارع «يعودون» للدلالة على تكرر عودهم وتجدده واستحضار صورته العجيبة.

(٢) ذكره الواحدي في «الأسباب» (ص٤١٠ ـ ٤١١) عن مجاهد وابن عباس بدون سند.

(٣) يشير المؤلف رحمه الله إلى الحديث الذي أخرجه البخاري (١١/ ١٩٩ ـ ٢٠٠ رقم ٦٤٠١) عن عائشة رضي الله عنها: أن اليهود أتوا النبي ﷺ فقالوا: السامُ عليك. قال: وعليكم. فقالت عائشة السامُ عليكم ولعنكم اللهُ وغضِبَ عليكم. فقال: رسول الله ﷺ: «مهلاً يا عائشة عليك بالرفق، وإياك والعنف ـ أو الفُحش ـ قالت: أولم تسمع ما قالوا؟ قال أوَلم تسمعي ما قلت؟ رددتُ عليهم، فيستجابُ لي فيهم ولا يُستجاب لهم فيَّ».
وأخرجه البغوي في «شرح السنة» (١٢/ ٢٧٠ ـ ٢٧١ رقم ٣٣١٣) و«معالم التنزيل» (٨/ ٥٦).

(٤) النمل: «٥٩».

﴿بِضَآرِّهِمْ﴾ بضارِّ المؤمنين. ﴿شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ إلا بمشيئته. ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ ولا يبالوا بنجواهُم.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَـٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾

(١١) ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَـٰلِسِ﴾ توسَّعوا فيه وليفسحْ بعضُكم عن بعض من قولهم: افسحْ عني أي تنحَّ، وقرىء تفاسحُوا. والمرادُ بالمجلسِ الجنسُ ويدلُّ عليه قراءةُ عاصم بالجمع، أو مجلسُ رسولِ الله ﷺ فإنهم كانوا يتضامُّون به تنافساً على القربِ منه وحِرْصاً على استماع كلامه. ﴿فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ فيما تريدون التفسُّحَ فيه من المكان والرزقِ والصَّدرِ وغيرها. ﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟﴾ انهضُوا للتوسعةِ أو لما أمِرْتُم به كصلاةٍ أو جهاد، أو ارتفعوا عن المجلسِ. ﴿فَٱنشُزُوا۟﴾ وقرأ نافع وابن عامر وعاصمٌ بضمِّ الشين فيهما. ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ﴾ بالنصرِ وحسنِ الذِّكْرِ في الدنيا وإيوائِهم غرفَ الجنانِ في الآخرة. ﴿وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ﴾ ويرفعُ العلماءَ منهم خاصَّةً درجاتٍ بما جمعوا من العلم والعملِ، فإنَّ العلمَ مع علوِّ درجته يقتضي العملَ المقرونَ به مزيدُ رفعةٍ، ولذلك يُقْتَدَى بالعالِمِ في أفعاله ولا يُقْتَدَى بغيرِه. وفي الحديث «فضلُ العالِمِ على العابد كفضلِ القمرِ ليلةَ البدر على سائرِ الكواكب»[1]. ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ تهديدٌ لمن لم يتمثَّلِ الأمرَ أو استكرهَهُ.

(١٢) ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً﴾ فتصدقوا قدَّامها مستعارٌ ممن له يدانِ، وفي هذا الأمرِ تعظيمُ الرسولِ وإنفاعُ الفقراءِ والنهيُ عن الإفراطِ في السؤالِ والميْزُ بين المخلِص والمنافق ومحبِّ الآخرة ومحبِّ الدنيا. واختُلِفَ في أنه للندب أو للوجوب لكنَّه منسوخٌ بقوله ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ﴾[2] وهو إنِ اتصلَ به تلاوةً لم يتصلْ به نزولاً. وعن عليٍّ كرم الله وجهه إنّ في كتاب الله آيةٌ ما عمل بها أحدٌ غيري، كان لي دينار فصرفْتُه فكنتُ إذا ناجيتُه تصدَّقت بدرهمٍ[3]، وهو على القولِ بالوجوب لا يقدحُ في غيره فلعلَّه لم يتفقْ للأغنياء مناجاةٌ في مدَّة بقائِه، إذ روي أنه لم يبقَ إلا عشراً وقيل إلا ساعةً. ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي ذلك التصدقُ. ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ أي لأنفسِكم من الريبة وحبِّ المالِ وهو يشعِرُ بالندبيةِ لكنَّ قولَه: ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي لمن لم يجدْه حيثُ رخَّص له في المناجاة بلا تصدُّقٍ أدلُّ على الوجوب.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤/٥٨ رقم ٣٦٤١) والترمذي (٥/٤٩ رقم ٢٦٨٢) وابن ماجة (١/٨١ رقم ٢٢٣) وأحمد (٥/١٩٦) وابن حبان (ص٤٨ رقم ٨٠ ـ موارد) وابن عبدالبر في «جامع بيان العلم» (١/٣٣ ـ ٣٤) كلهم في سياق طويل هذا جزء منه من حديث أبي الدرداء. وهو حديث صحيح.
وقد صححه الألباني في صحيح ابن ماجة وأبي داود...

(٢) المجادلة: «١٣».

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/٤٨١ ـ ٤٨٢) من طريق عبدالرحمٰن بن أبي ليلى عن علي به وأتم منه. وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾﴾

(١٣) ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ﴾ أخِفْتُم الفقرَ من تقديم الصدقةِ أو أخِفْتُم التقديمَ لما يعدِكم الشيطانُ عليه من الفقرِ، وجمعُ صدقاتٍ لجمعِ المخاطبينَ أو لكثرةِ التناجي. ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ بأنْ رخَّص لكم أنْ لا تفعلوه، وفيه إشعارٌ بأنَّ إشفاقَهم ذنبٌ تجاوزَ الله عنه لما رأى منهم مما قامَ مقامَ تَوْبَتِهم. وإذ على بابِها، وقيل بمعنى إذا أو إنْ. ﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ فلا تفرِّطوا في أدائِهما. ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ في سائر الأوامرِ، فإنَّ القيامَ بها كالجابرِ للتفريط في ذلك. ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ظاهراً وباطناً.

(١٤) ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟﴾ والَوْا. ﴿قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ يعني اليهودَ. ﴿مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾ لأنهم منافقون مذبذبون بين ذلك. ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ﴾ وهو ادعاءُ الإسلام. ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنَّ المحلوفَ عليه كذبٌ كمنْ يحلفُ بالغموسِ، وفي هذا التقييدِ دليلٌ على أنَّ الكذبَ يعمُّ ما يعلمُ المخبرُ عدمَ مطابقتِه وما لا يعلَمُ. ورُوِيَ أنه عليه الصلاة والسلام كان في حجرةٍ من حجراتِه فقال: «يدخلُ عليكم الآنَ رجل قلبُه قلبُ جبارٍ وينظر بعينِ شيطانٍ، فدخل عبدالله بنُ نبتلٍ المنافقُ وكان أزرقَ، فقال عليه الصلاة والسلام له: علامَ تشتمُني أنتَ وأصحابك؛ فحلف بالله ما فعلَ ثم جاء بأصحابه فحلفوا، فنزلتْ[1].

(١٥) ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ نوعاً من العذاب متفاقِماً. ﴿إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ فتمرَّنوا على سوء العمل وأصرُّوا عليه.

(١٦) ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ﴾ أي التي حلفوا بها، وقرىء بالكسْرِ أي إيمانَهم الذي أظهروه. ﴿جُنَّةً﴾ وقايةً دون دمائِهم وأموالهم. ﴿فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فصدوا الناسَ في خلالِ أمْنِهم عن دين الله بالتحريشِ والتثبيطِ. ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ وعيدٌ ثانٍ بوصفٍ آخرَ لعذابهم. وقيل الأولُ عذابُ القبر وهذا عذابُ الآخرة.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٢٤٠) والبزار (٣/ ٧٤ ـ كشف) وابن جرير في «جامع البيان» (١٤/ج٢٨/ ٢٣) والطبراني في الكبير (١٢/ ٧ رقم ١٢٣٠٧) والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٨٢).
كلهم من طريق سماك بن حرب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.
لكن ما عند أحمد والبزار وابن جرير، بعكس ما عند الطبراني والحاكم.
فعند أحمد والبزار وابن جرير، أن المنافق هو الذي قال للنبي ﷺ: يا محمد، علام تشتمني أنت وأصحابك وجعل يحلف...
وعند الطبراني والحاكم مثلما عند القاضي.
وكذلك عند الطبراني والحاكم اختلاف آخر مما عند غيرهما، وهو أن عندهما أن الله أنزل «يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم» [المجادلة: ١٨].

لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

(١٧) ﴿لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ قد سبق مثلُه.

(١٨) ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ﴾ أي لله تعالى على أنهم مسلمون. ﴿كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ﴾ في الدنيا ويقولون إنَّهم لمنكم. ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ﴾ في حَلِفِهم الكاذبِ لأنَّ تمكُّنَ النفاق في نفوسِهم بحيث يُخَيَّلُ إليهم في الآخرة أنَّ الأيمانَ الكاذبةَ تروِّجُ الكذبَ على اللهِ كما تروِّجه عليكم في الدنيا. ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ البالغون الغايةَ في الكذِبِ حيثُ يكذبون مع عالم الغيبِ والشهادةِ ويحلِفُون عليه.

(١٩) ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ استولى عليهم من حُذْتُ الإبلَ وأحذْتُها إذا استوليتَ عليها، وهو مما جاء على الأصل. ﴿فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ﴾ لا يذكُرونه بقلوبهم ولا بألسنتِهم. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ﴾ جنودُه وأتباعُه. ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ لأنهم فوَّتوا على أنفسِهم النعيمَ المؤبَّد وعرَّضوها للعذاب المخلِّد.

(٢٠) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ﴾ في جملة من هو أذلُّ خلْقِ الله[1].

(٢١) ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ﴾ **في اللوح.** ﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ﴾ أي بالحجةِ، وقرأ نافع وابن عامرٍ رُسُلِيَ بفتحِ الياء. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ﴾ **على نصرِ أنبيائه.** ﴿عَزِيزٌ﴾ لا يغلِبُ عليه شيءٌ في مُرَادِهِ.

(٢٢) ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ أي لا ينبغي أنْ تجدَهم وادِّينَ أعداءَ اللهِ، والمراد أنه لا ينبغي أنْ يوادُّوهم. ﴿وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ﴾ ولو كان المحادُّون أقربَ الناسِ إليهم. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ أي الذين لم يوادُّوهم. ﴿كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ أثْبَتَهُ فيها، وهو دليلٌ على خروج العملِ من مفهوم الإيمان، فإنَّ جزءَ الثابتِ في القلبِ يكونُ ثابتاً فيه، وأعمالُ الجوارحِ لا تثبُتُ فيه. ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۚ﴾ أي من عندِ الله وهو نورُ القلب أو القرآنِ، أو بالنصرِ على العدوِّ. قيل الضميرُ للإيمان فإنه سببٌ لحياةِ القلبِ. ﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بطاعتِهم. ﴿وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ﴾ بقضائه أو بما وعدَهم

---

(١) عبر عنهم بالموصول للتنبيه بما في حيز الصلة على أن موادة من حاد الله ورسوله محادة لهما، والإشعار بعلة الحكم (س٨/ ٢٢٣).

من الثواب. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ﴾ جندُه وأنصارُ دينه. ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون بخيرِ الدَّارَيْنِ. عن النبيِّ ﷺ «مَنْ قرأ سورةَ المجادلةِ كُتِبَ من حزبِ اللهِ يومَ القيامة»[1].

☆ ☆ ☆

(١) وهو حديث موضوع.
أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي بأسانيدهم إلى أبي بن كعب كما في «الكافي الشافِ» (ص١٦٦ رقم ١١٩).
وقد تقدم الكلام عليه في أواخر سورة آل عمران.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾

سورة الحشر مدنية[1] وآيها أربع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ روي(٢) أنه عليه الصلاة والسلام لما قدِمَ المدينةَ صالَحَ بني النضيرِ على أنْ لا يكونوا له ولا عليه، فلما ظهرَ يومُ بدرٍ قالوا: إنه النبيُّ المنعوت في التوراةِ بالنُّصرةِ، فلما هُزِمَ المسلمون يومَ أُحُدٍ ارتابوا ونكثُوا وخرجَ كعب بنُ الأشرف في أربعينَ راكباً إلى مكَّةَ وحالفوا أبا سفيان، فأمر رسولُ الله ﷺ أخا كعبٍ من الرضاعة فقتلَه غِيْلَةً، ثم صبَّحهم بالكتائبِ وحاصَرَهم حتى صالحوا على الجلاءِ فجلا أكثرُهم إلى الشامِ ولحقتْ طائفةٌ بخيبرَ والحيرةِ

---

(١) قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٥/٤٥٩): «هذه السورة مدنية باتفاق من أهل العلم» هـ.
وانظر «الدر المنثور» (٨/٨٨).

(٢) قال الحافظ في «الكافي الشافِ» (ص١٦٦ رقم ١٢٠): «لم أجد له إسناداً، بل ذكره الثعلبي هكذا بغير سند» هـ.
وذكره الواحدي في «الأسباب» (ص٤١٦) بدون سند.
قلت: قصة غزوة بني النضير وجلائهم مروية في كتب المغازي والسير بغير هذا السياق. انظر «فتح الباري» (٧/٣٢٩) وطبقات ابن سعد (٢/٥٧ ـ ٥٨) ودلائل النبوة للبيهقي (٣/١٧٦ ـ ١٨٦) وغيرها من الكتب.
● وأما قتل كعب بن الأشرف فمخرج في صحيح البخاري (٧/٣٣٦ ـ ٣٣٧ رقم ٣٠٣٧) ومسلم (٣/١٤٢٥ ـ ١٤٢٦ رقم ١١٩/١٨٠١) من حديث جابر رضي الله عنه.

فأنزلَ الله تعالى ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾ إلى قوله ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

(٢) ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ أي في أولِ حشرهم من جزيرةِ العربِ إذ لم يصبْهم هذا الذلُّ قبلَ ذلك أو في أولِ حشرِهم للقتال أو الجلاءِ إلى الشام، وآخِرُ حشرِهم إجلاءُ عمرَ رضي الله تعالى عنه إياهم من خيبرَ إليه، أو في أولِ حشرِ الناس إلى الشامِ وآخرُ حشرِهم أنَّهم يُحْشَرُوْنَ إليه عندَ قيامِ الساعةِ فيدركُهم هناك، أو أنَّ ناراً تخرجُ من المشرقِ فتحشُرهم إلى المغربِ. والحشرُ إخراجُ جمعٍ من مكانٍ إلى آخرَ. ﴿مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟﴾ لشدةِ بأسِهم ومَنَعَتِهم. ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي أنَّ حصونَهم تمنعُهم من بأسِ الله. وتغييرُ النَّظْمِ وتقديمُ الخبرِ وإسنادُ الجملةِ إلى ضميرهم للدلالةِ على فَرْطِ وثُوقِهم بحصانتِها، واعتقادُهم في أنفسِهم أنهم في عِزَّةٍ ومَنَعَةٍ بسببها، ويجوزُ أنْ تكونَ حصونُهم فاعلاً لمانعتُهم. ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي عذابُه وهو الرعبُ والاضطرارُ إلى الجلاءِ، وقيل الضميرُ للمؤمنينَ أي فأتاهم نصرُ الله، وقرىء فآتاهم اللهُ أي العذابَ أوِ النصرَ. ﴿مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟﴾ لقوةِ وثوقهم. ﴿وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ وأثبتَ فيها الخوفَ الذي يرعِبُها أي يملؤُها. ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ﴾ ضناً بها على المسلمين وإخراجاً لما استحسنوا من آلاتِها. ﴿وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فإنَّهم أيضاً كانوا يخربون ظواهِرَها نكايةً وتوسيعاً لمجالِ القتالِ. وعَطْفُها على أيديهم من حيثُ إن تخريبَ المؤمنين مسبَّبٌ عن نقضِهم فكأنهم استعملُوهم فيه، والجملة حالٌ أو تفسيرٌ للرعبِ. وقرأ أبو عمرو يخرِّبون بالتشديدِ وهو أبلغُ لما فيه من التكثير. وقيل الإخرابُ التعطيلُ أو تركُ الشيءِ خراباً والتخريبُ الهدمُ. ﴿فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ فاتَّعظوا بحالِهم فلا تغدُروا ولا تعتمدُوا على غير اللهِ، واستُدِلَّ به على أنَّ القياسَ حجةٌ من حيث إنه أمْرٌ بالمجاوزة من حالٍ إلى حال وحملُها عليها في حكْمِ لما بينَهما من المشاركةِ المقتضية له على ما قررناه في الكتبِ الأصوليةِ.

وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾

(٣) ﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ﴾ الخروجَ من أوطانهم. ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ﴾ بالقتلِ والسبي كما فعلَ ببني قريظةَ. ﴿وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ﴾ استئنافٌ معناه أنهم إنْ نَجَوْا من عذابِ الدنيا لم ينجُوا من عذابِ الآخرة.

(٤) ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ الإشارةُ إلى ما ذكر مما حاقَ بهم وما كانوا بصددِه وما هو معدٌّ لهم أو إلى الأخيرِ.

(٥) ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ﴾ أيَّ شيءٍ قطعتُم من نخلةٍ فَعْلَةٍ من اللَّوْنِ ويُجْمَعُ على ألْوانٍ، وقيل من اللِّين ومعناها النخلةُ الكريمةُ وجمعُها ألْيانٌ. ﴿أَوْ تَرَكْتُمُوهَا﴾ الضميرُ لما، وتأنيثُه لأنه مفسَّرٌ باللينةِ.

---

[1] الحشر: «٦».

﴿قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا﴾ وقرىء أُصُلِهَا اكتفاءً بالضمةِ عن الواوِ أو على أنه كَرُهُنِ. ﴿فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ فبأمرِه. ﴿وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ علةٌ لمحذوفٍ أي وفعلتُم، أو وأَذِنَ لكم في القطعِ ليجزيهم على فسْقِهم بما غاظَهم منه. رُوِيَ أنه عليه الصلاة والسلام لما أمر بقطعِ نخيلهم قالوا: قد كنتَ يا محمد تنهى عن الفسادِ في الأرض فما بالُ قطعِ النخلِ وتحريقِها؟ فنزلتْ[1]. واسْتُدِلَّ به على جوازِ هدْمِ ديارِ الكفارِ وقطعِ أشجارِهم زيادةً لغيظِهم.

وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾

(٦) ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ وما أعادَه عليه بمعنى صيَّره له أو ردَّه عليه، فإنه كان حقيقاً بأنْ يكونَ له لأنه تعالى خلق الناسَ لعبادته وخلقَ ما خلقَ لهم ليتوسَّلُوا به إلى طاعته فهو جديرٌ بأن يكونَ للمطيعين. ﴿مِنْهُمْ﴾ من بني النضير أو من الكفرةِ. ﴿فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ﴾ فما أجريتُم على تحصيله من الوجيفِ وهو سرعةُ السيرِ. ﴿مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ ما يُرْكَبُ من الإبلِ غلبَ فيه كما غلبَ الراكبُ على راكِبِه، وذلك إنْ كان المرادُ فيء بني النضير، فلأنَّ قراهم كانتْ على ميلينِ من المدينة فمشوا إليها رجالاً غيرَ رسولِ الله ﷺ فإنه ركبَ جملاً أو حماراً، ولم يجرِ مزيدُ قتال ولذلك لم يُعْطَ الأنصارُ منه شيئاً إلا ثلاثةً كانت بهم حاجةٌ. ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ بقذْفِ الرعبِ في قلوبهم. ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيفعلُ ما يريد تارةً بالوسائطِ الظاهرةِ وتارةً بغيرها.

(٧) ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ﴾ بيانٌ للأول ولذلك لم يعطفْ عليه[2]. ﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ اختلف في قسْمِ الفيء، فقيل يُسَدَّسُ لظاهر الآية ويُصْرَفُ سهمُ الله في عمارةِ الكعبةِ وسائرِ المساجدِ، وقيل يخمَّسُ لأن ذِكْرَ اللهِ للتعظيم ويُصْرَفُ الآنَ سهمُ الرسول عليه الصلاة والسلام إلى الإمام على قولٍ وإلى العساكرِ والثغورِ على قولٍ وإلى مصالحِ المسلمين على قولٍ. وقيل يُخَمَّسُ خُمُسُهُ كالغنيمةِ فإنه عليه الصلاة والسلام كان يقسمُ الخمسَ كذلك ويصرفُ الأخماسَ الأربعةَ كما يشاءُ والآن على الخلافِ المذكورِ. ﴿كَىْ لَا يَكُونَ﴾ أي الفيءُ الذي حقُّه أنْ يكون للفقراءِ. وقرأ هشام في روايةٍ بالتاءِ. ﴿دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾ الدُّولةُ ما يتداولهُ الأغنياءُ ويدورُ بينَهم كما

---

(١) أخرج البخاري (٨/ ٦٢٩ رقم ٤٨٨٤) ومسلم (٣/ ١٣٦٥ رقم ٢٩/ ١٧٤٦) عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ حرَّق نخل بني النضير وقطع، وهي البُوَيرة فأنزل الله تعالى «ما قطعتم من لينه أو تركتموها قائمة على أصولها...».

(٢) وَضَع «أهل القرىٰ» موضع قوله «منهم» ـ أي من بني النضير ـ للإشعار بأن هذا الحكم لا يختص ببني النضير وحدهم، بل هو حكم على كل قرية يفتحها رسول الله ﷺ صلحاً ولم يوجف عليها المسلمون بخيل ولا ركاب (فتح القدير ٥/ ١٩٧).

كان في الجاهلية، وقرىء دَوْلَةً بمعنى كيلا يكونَ الفيءُ ذا تداول بينَهم أو أخذُه غلبةً تكون بينَهم، وقرأ هشام دولةٌ بالرفع على كان التامةِ أي كيلا يقعَ دولةٌ جاهليةٌ. ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ وما أعطاكم من الفيءِ أو من الأمرِ. ﴿فَخُذُوهُ﴾ لأنه حلالٌ لكم، أو فتمسَّكوا به لأنه واجبُ الطاعة. ﴿وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ عن أخذِه منه، أو عن إتيانِه. ﴿فَٱنتَهُوا۟﴾ عنه. ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في مخالفةِ رسوله. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ لمن خالفه.

لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾

(٨) ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ بدلٌ من لذي القربى وما عُطِفَ عليه فإنَّ الرسولَ لا يسمَّى فقيراً. ومَنْ أعطَى أغنياءَ ذوي القربى خصَّصَ الإبدالَ بما بعدَه والفيءَ بفيءِ بني النضير. ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ﴾ فإنَّ كفارَ مكَّةَ أخرجُوهم وأخذوا أموالَهم. ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ حالٌ مقيِّدة لإخراجِهم بما يوجبُ تفخيمَ شأنِهم. ﴿وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ بأنفسِهم وأموالهم. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ في إيمانهم.

(٩) ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ﴾ عطفٌ على المهاجرين، والمرادُ بهم الأنصارُ الذين ظهر صدقُهم فإنهم لزموا المدينةَ والإيمانَ وتمكَّنوا فيهما، وقيل المعنى تبوءوا دارَ الهجرةِ ودارَ الإيمانِ فحذفَ المضافَ من الثاني والمضافَ إليه من الأولِ وعوَّضَ عنه اللامَ، أو تبوءوا الدارَ وأخلصُوا الإيمانَ كقوله: عَلَفْتُهَا تِبْناً وَمَاءً بَارِداً[1]. وقيل سمَّى المدينةَ بالإيمان لأنها مظهرُهُ ومصيرُهُ. ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾ من قبلِ هجرةِ المهاجرين. وقيل تقديرُ الكلام والذين تبوءوا الدارَ من قبلِهم والإيمان. ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ ولا يثقلُ عليهم. ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ﴾ في أنفسِهم. ﴿حَاجَةً﴾ ما تحملُ عليه الحاجةُ كالطلبِ والحزازةِ والحسدِ والغيظِ. ﴿مِّمَّآ أُوتُوا۟﴾ مما أُعْطِيَ المهاجرون من الفيءِ وغيرِه. ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ ويقدِّمون المهاجرينَ على أنفسِهم حتى إن كان عندَه امرأتانِ نزلَ عن واحدةٍ وزوَّجها من أحدِهم. ﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ حاجةٌ من خصاصِ البناءِ وهي فُرَجُه[2]. ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾ حتى

---

(١) أي علفتها تبناً وسقيتها ماء.

(٢) ورد في سبب نزول هذه الآية عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال إني مجهود، فأرسل إلى بعض نسائه، فقالت: والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء، ثم أرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك، حتىٰ قلن كلهن مثل ذلك: لا والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء، فقال النبي ﷺ: «مَنْ يضيف هذا الليلة؟» فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله، فانطلق به إلى رَحْله، فقال لامرأته: أكرمي ضيف رسول الله ﷺ.
وفي رواية قال لامرأته: هل عندك شيء؟ فقالت: لا، إلا قوت صبياني، قال: علِّليهم بشيء وإذا أرادوا العشاء فنوِّميهم، وإذا دخل ضيفنا فأطفئي السراج وأريه أنا نأكل، فقعدوا وأكل الضيف وباتا طاويين، فلما أصبح غدا =

يخالِفَها فيما يغلبُ عليها من حبِّ المالِ وبغضِ الإنفاقِ. ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون بالثناءِ العاجلِ والثواب الآجلِ.

وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾

(١٠) ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ هم الذين هاجروا حين قوي الإسلامُ، أو التابعونَ بإحسانٍ وهم المؤمنون بعد الفريقين إلى يوم القيامة ولذلك قيل: إنَّ الآيةَ قد استوعبتْ جميعَ المؤمنين. ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ أي لإخواننا في الدين. ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ حقداً لهم. ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ فحقيقٌ بأنْ تجيبَ دعاءَنا.

(١١) ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يريدُ الذين بينَهم وبينَهم أخوَّةُ الكفرِ أو الصداقةُ والموالاةُ. ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ﴾ من دياركم. ﴿لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ﴾ في قتالِكم أو خُذْلانِكم. ﴿أَحَدًا أَبَدًا﴾ أي من رسولِ الله ﷺ والمؤمنين. ﴿وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ﴾ لنعاونَنَّكم. ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ لعلمِه بأنهم لا يفعلونَ ذلك كما قال:

(١٢) ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ﴾ وكان كذلك فإنَّ ابن أبيٍّ وأصحابه راسلُوا بني النضير بذلك ثم أخلفُوهم، وفيه دليلٌ على صحةِ النبوةِ وإعجازِ القرآن. ﴿وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ﴾ على الفَرَضِ والتقدير. ﴿لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ﴾ انهزاماً. ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ بعدُ بل يَخْذُلهم الله ولا ينفعُهم نصرةُ المنافقينَ، أو نفاقُهم إذ ضميرُ الفعلينِ يُحْتَمَلُ أنْ يكون لليهود وأنْ يكونَ للمنافقين.

(١٣) ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً﴾ أي أشدُّ مرهوبيةً مصدرٌ للفعلِ المبني للمفعولِ. ﴿فِى صُدُورِهِم﴾ فإنهم كانوا يضْمِرون مخافَتَهُم من المؤمنين. ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ على ما يظهرونه نفاقاً فإنَّ استبطانَ رهْبَتِكم سببٌ لإظهارِ مرهبةِ الله. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ لا يعلمون عظمةَ الله حتى يخشوهُ حقَّ خشيتِه ويعلموا أنه الحقيقُ بأنْ يُخْشَى.

(١٤) ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾ اليهودُ والمنافقون. ﴿جَمِيعًا﴾ مجتمعينَ متَّفِقِيْنَ. ﴿إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ﴾ بالدروب والخنادقِ. ﴿أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ﴾ لفرطِ رهْبَتِهم، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو جدارٍ، وأمالَ

على النبي ﷺ فقال: «لقد عجب الله من ضيفكما بضيفكما الليلة» أخرجه البخاري (٤٨٨٩) ومسلم (٢٠٥٤).

أبو عمرو فتحةَ الدالِ. ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ أي وليس ذلك لضعفهم وجُبْنِهم فإنه يشتدُّ بأسُهم إذا حارب بعضُهم بعضاً، بل لِقَذْفِ اللهِ الرعبَ في قلوبهم ولأنَّ الشجاعَ يجبنُ والعزيز يذلُّ إذا حارب اللهَ ورسولَه. ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا﴾ مجتمعين متفقين. ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ متفرقةٌ لافتراقِ عقائدِهم واختلافِ مقاصدِهم. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ ما فيه صلاحُهم وإنْ تَشَتُّتَ القلوبِ يوهن قواهم.

كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾

(١٥) ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي مثلُ اليهود كمثلِ أهل بدرٍ، أو بني قينقاع إنْ صحَّ أنهم أخرجوا قبلَ النضير، أو المهلَكِينَ من الأمم الماضية. ﴿قَرِيبًا﴾ في زمان قريب. وانتصابُه بِمَثَلِ إذ التقديرُ كوجودِ مثلٍ. ﴿ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ سوءَ عاقبة كفرِهم في الدنيا. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة.

(١٦) ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ أي مثلُ المنافقينَ في إغراءِ اليهود على القتال كمثلِ الشيطان. ﴿إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ﴾ أغراهُ على الكفر إغراءَ الآمرِ المأمور. ﴿فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ تبرَّأَ منه مخافةَ أنْ يشارِكَه في العذاب ولم ينفعْه ذلك كما قال:

(١٧) ﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ والمرادُ من الإنسانِ الجنسُ. قيل أبو جهلٍ قال له إبليسُ يومَ بدرٍ ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ﴾[1] الآيةَ، وقيل راهبٌ حمله على الفجورِ والارتدادِ. وقرىء عاقبتُهما وخالدانِ على أنه خبرُ إنَّ وفي النارِ لغوٌ.

(١٨) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ ليوم القيامة سمَّاه به لدنوِّه أو لأنَّ الدنيا كيومٍ والآخرةَ كغدِه، وتنكيرُه للتعظيم، وأما تنكيرُ النفسِ فلاستقلالِ الأنفسِ النواظرِ فيما قدَّمَنَ للآخرةِ كأنه قال: فلتنظرْ نفسٌ واحدةٌ في ذلك. ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ تكريرٌ للتأكيد، أو الأولُ في أداءِ الواجبات لأنه مقرونٌ بالعمل والثاني في تركِ المحارِم لاقترانِه بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ وهو كالوعيد على المعاصي.

(١٩) ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ﴾ نَسُوا حقَّه. ﴿فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ فجعلَهم ناسِينَ لها حتى لم يسمعوا ما ينفعُها ولم يفعلوا ما يخلِّصُها، أو أراهم يومَ القيامةِ من الهولِ ما أنساهم أنفسَهم. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ الكاملون في الفسوقِ.

(٢٠) ﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ الذين استكملوا نفوسَهم فاستأهلوا الجنةَ والذين استمْهَنُوها فاستحقُّوا النارَ، واحتجَّ به أصحابُنا على أنَّ المسلمَ لا يُقْتَلُ بالكافر. ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ

(١) الأنفال: «٤٨».

﴿ٱلْفَآئِزُونَ﴾ بالنعيم المقيم.

لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

(٢١) ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ تمثيلٌ وتخييلٌ كما مرَّ في قوله ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾[1] ولذلك عقَّبه بقوله: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فإنَّ الإشارةَ إليه وإلى أمثاله. والمرادُ توبيخُ الإنسان على عدمِ تخشُّعِه عندَ تلاوةِ القرآن لقساوةِ قلبه وقلةِ تدبُّره، والتصدُّعُ التشقق. وقرىء مصَّدِّعاً على الإدغام.

(٢٢) ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ﴾ ما غابَ عن الحسِّ من الجواهرِ القدسية وأحوالِها، وما حضَر له من الأجرامِ وأعراضِها. وتقديمُ الغيب لتقدُّمه في الوجودِ وتعلُّق العلمِ القديمِ به، أو المعدومِ والموجودِ، أو السرِّ والعلانية. وقيل الدنيا والآخرة. ﴿هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

(٢٣) ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ﴾ البالغُ في النزاهةِ عما يوجبُ نقصاناً. وقرىء بالفتح[2] وهو لغةٌ فيه. ﴿ٱلسَّلَٰمُ﴾ ذو السلامة من كلِّ نقص وآفةٍ، مصدرٌ وُصِفَ به للمبالغةِ. ﴿ٱلْمُؤْمِنُ﴾ واهبُ الأمنِ، وقرىء بالفتح[3] بمعنى المؤمَن به على حذفِ الجارِّ. ﴿ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ الرقيبُ الحافظُ لكلِّ شيءٍ مفيعلٌ من الأمْنِ قُلِبَتْ همزته هاءً[4]. ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ﴾ الذي جَبَرَ خلْقَه على ما أراده، أو جَبَرَ حالَهم بمعنى أصلَحه. ﴿ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ الذي تكبَّر عن كلِّ ما يوجبُ حاجةً أو نقصاناً. ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ إذ لا يشركُه في شيء من ذلك.

(٢٤) ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ﴾ المقدِّرُ للأشياء على مقتضَى حكْمَتِه. ﴿ٱلْبَارِئُ﴾ الموجِدُ لها بريئاً من التفاوتِ. ﴿ٱلْمُصَوِّرُ﴾ الموجِدُ لصورِها وكيفياتها كما أراد. ومن أرادَ الإطنابَ في شرح هذه الأسماءِ وأخواتِها فعليه بكتابي المسمَّى بمنتهى المنَى. ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ لأنها دالةٌ على محاسنِ المعاني. ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لتنزُّهه عن النقائصِ كلِّها. ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ الجامعُ للكمالاتِ

---

(١) الأحزاب: «٧٢».

(٢) أي بفتح القاف من كلمة القدّوس.

(٣) أي بفتح الميم، أي «المؤمَن».

(٤) قال الشوكاني: يقال: هيمن يهيمن فهو مهيمن إذا كان رقيباً على الشيء.
قال الواحدي: وذهب كثير من المفسرين إلى أن أصله مؤيمن من آمن يؤمن، فيكون بمعنىٰ المؤمن. والأول أولىٰ (فتح القدير ٥/٢٠٨).

بأسْرِها فإنها راجعةٌ إلى الكمال في القدرة والعلم. عن النبيِّ ﷺ «مَنْ قرأ سورةَ الحشرِ غفرَ الله له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّرَ»[1].

☆ ☆ ☆

(١) وهو حديث موضوع.
أخرجه الثعلبي من رواية يزيد بن أبان عن أنس بهذا ـ كما في «الكافي الشافِ» (ص١٦٧ رقم ١٢٧) ويزيد بن أبان كذاب.
قلت: لم يخرجه الثعلبي في بداية السورة حسب عادته، وإنما أخرج عن ابن عباس مرفوعاً: «من قرأ سورة الحشر لم تبقَ جنة ولا نار ولا عرش ولا الكرسي ولا الحجاب ولا السموات السبع ولا الأرضون السبع والهوام والطير والشجر والدواب والجبال والشمس والقمر والملائكة إلاّ صلوا عليه، فإن مات من يومه أو ليلته مات شهيداً».
وهو من طريق محمد بن شجاع عن زيد العمي عن أبي نضرة عنه، وزيد العمي ضعيف.

سُورَةُ المُمْتَحَنَةِ

ترتيبها ٦٠ آياتها ١٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾

سورة الممتحنة مدنية[1] وآيها ثلاث عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ نزلت في حاطبِ بن أبي بلتعة، فإنه لما علمَ أنَّ رسولَ الله ﷺ يغزو أهلَ مكةَ كتبَ إليهم أنَّ رسولَ الله ﷺ يريدُكم فخذوا حِذْرَكم، وأرسلَ كتابَه مع سارةَ مولاةِ بني المطلبِ، فنزلَ جبريل عليه السلام فأعْلَمَ رسولَ الله، فبعثَ رسولُ الله ﷺ علياً وعماراً وطلحةَ والزبيرَ والمقدادَ وأبا مرثدٍ وقال: انطلقوا حتى تأتوا روضةَ خاخٍ فإنَّ بها ظعينةً معها كتابُ حاطبٍ إلى أهل مكةَ، فخذوه منها وخلُّوها فإنْ أبتْ فاضربوا عنقَها، فأدركُوها ثمَّةَ فجحدتْ فهمُّوا بالرجوع، فسلَّ عليٌّ رضي الله تعالى عنه السيفَ فأخرجتْه من عقاصِها، فاستحضَر رسولُ الله ﷺ حاطباً وقال: ما حملكَ عليه؟ فقال: يا رسولَ الله ما كفرتُ منذ أسلمتُ ولا غششْتك منذ نصحتُك ولكني كنتُ امرأ ملْصَقاً في قريش وليس لي فيهم مَنْ يحمي أهلي، فأردتُ أنْ آخذَ عندَهم يداً وقد علمتُ أنَّ كتابي لا يغني عنهم شيئاً، فصدَّقه رسولُ الله ﷺ وعذَره[2] ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ تُفْضُونَ إليهم المودةَ

---

(١) قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٥/ ٤٨٢): «وهي مدنية بإجماع المفسرين. وانظر «الدر المنثور» (٨/ ١٢٤). «وزاد المسير» (٨/ ٢٣٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ٦٣٣ ـ ٦٣٤ رقم ٤٨٩٠) من حديث علي.

بالمكاتبة، والباءُ مزيدةٌ أو إخبارَ رسولِ الله ﷺ بسبب المودةِ، والجملةُ حالٌ من فاعلِ لا تتخذوا أو صفةٌ لأولياء جرتْ على غير مَنْ هي له، ولا حاجةَ فيها إلى إبراز الضمير لأنه مشروطٌ في الاسمِ دون الفعل. ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ﴾ حالٌ من فاعلِ أحدِ الفعلين. ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ أي من مكَّة وهو حالٌ من كفروا أو استئنافٌ لبيانه. ﴿أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ بأن تؤمنوا به، وفيه تغليبُ المخاطبِ، والالتفاتُ من التكلُّم إلى الغيبةِ للدلالة على ما يوجبُ الإيمان. ﴿إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ﴾ عن أوطانكم. ﴿جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي﴾ علةٌ للخروج وعمدةٌ للتعليقِ وجوابُ الشرطِ محذوفٌ دلَّ عليه لا تتخذوا. ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ بدلٌ من تلقونَ أو استئنافٌ معناهُ: أيُّ طائل لكم في إسرار المودةِ أو الإخبارِ بسبب المودة. ﴿وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ﴾ أي منكم. وقيل أعلمُ مضارعٌ والباءُ مزيدة وما موصولةٌ أو مصدرية. ﴿وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ﴾ أي من يفعلِ الاتخاذَ. ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أخطأَهُ.

إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾

(٢) ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ﴾ يظفروا بكم. ﴿يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً﴾ ولا ينفعُكم إلقاءُ المودَّةِ إليهم. ﴿وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ﴾ ما يسوؤُكم كالقتل والشَّتْم. ﴿وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ وتمنَّوا ارتدادَكم. ومجيءُ ودُّوا وحدَه بلفظ الماضي للإشعار بأنهم ودُّوا ذلك قبلَ كلِّ شيء، وأنَّ ودادَتَهم حاصلةٌ وإن لم يثقفُوكم.

(٣) ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ﴾ قَراباتُكم. ﴿وَلَا أَوْلَادُكُمْ﴾ الذين تُوَالُونَ المشركين لأجْلِهم. ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾ يُفرِّقُ بينكم بما عَرَاكُم من الهولِ فيفرُّ بعضُكم من بعضٍ فما لكم ترفضُون اليومَ حقَّ الله لمن يفرُّ منكم غداً، وقرأ حمزة والكسائيُّ بكسر الصادِ والتشديدِ وفتح الفاء، وقرأ ابن عامر يُفْصَلُ على البناءِ للمفعول وهو بينَكُم، وقرأ عاصمٌ يَفْصِلُ. ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم عليه.

(٤) ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ قدوةٌ. اسمٌ لما يُؤْتَسى به. ﴿فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ صفةٌ ثانية أو خبرُ كانَ ولكم لغوٌ أو حالٌ من المستكِنِّ في حسنةٌ أو صلةٌ لها لا لأسوةٌ لأنها وُصِفَتْ. ﴿إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ﴾ ظرفٌ لخبرِ كانَ. ﴿إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ﴾ جمعُ بريء كظريفٍ وظُرَفاءَ. ﴿وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ أي بدينكم أو بمعبودِكم، أو بكم وبه فلا نعتدُّ بشأنكم وآلهتِكم. ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ فتنقلبُ العداوةُ والبغضاء ألْفَةً ومحبَّةً. ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ استثناءٌ من قوله أسوةٌ حسنة فإنَّ استغفارَه لأبيه الكافرِ ليس مما ينبغي أنْ يأْتَسُوا به، فإن كان قبلَ النهي أو لموعدةٍ وعدَها إياهُ. ﴿وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ من تمام قوله المستَثْنى، ولا يلزمُ من استثناءِ المجموعِ استثناءُ جميعِ أجزائه. ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ متصلٌ بما قبلَ الاستثناءِ أو أمرٌ

من الله للمؤمنين بأنْ يقولوه تَتْميماً لما وصَّاهم به من قطعِ العلائقِ بينَهم وبينَ الكفار[١].

رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾

(٥) ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بأنْ تسلِّطَهم علينا فيفتنونا بعذابٍ لا نتحمَّلُه. ﴿وَاغْفِرْ لَنَا﴾ ما فَرَطَ منَّا. ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ومن كان كذلك كان حقيقاً بأنْ يجيرَ المتوكِّلَ ويجيبَ الداعيَ[٢].

(٦) ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ تكريرٌ لمزيد الحثِّ على التأسِّي بإبراهيمَ ولذلك صُدِّرَ بالقسمِ وأُبْدِلَ قولُه: ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ من لكم فإنه يدلُّ على أنه لا ينبغي لمؤمنٍ أن يتركَ التأسيَ بهم، وإن تركَه مُؤْذِنٌ بسوءِ العقيدة ولذلك عقَّبه بقوله. ﴿وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ فإنه جديرٌ بأن يُوْعَدَ به الكَفَرةُ.

(٧) ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾ لما نزلَ ﴿لَا تَتَّخِذُوا﴾[٣] عادى المؤمنونَ أقاربَهم المشركين وتبرَّؤوا عنهم، فوعدَهم الله بذلك وأنجزَ إذ أسلمَ أكثرُهم وصاروا لهم أولياءَ. ﴿وَاللَّهُ قَدِيرٌ﴾ على ذلك ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لما فَرَطَ منكم في موالاتِهم من قبلُ ولما بقيَ في قلوبكم من ميلِ الرحمِ.

(٨) ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ﴾ أي لا ينهاكم عن مبرة هؤلاء لأن قوله: ﴿أَن تَبَرُّوهُمْ﴾ بدل من الذين. ﴿وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ وتفضوا إليهم بالقسط أي العدل. ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ العادلين. روي أن قتيلة بنت عبدالعزى قدمت مشركة على بنتها أسماء بنت أبي بكر بهدايا، فلم تقبلها ولم تأذن لها بالدخول، فنزلت[٤].

(٩) ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ﴾ كمشركي مكة فإن بعضهم سعوا في إخراج المؤمنين وبعضهم أعانوا المخرجين. ﴿أَن تَوَلَّوْهُمْ﴾ بدل من الذين بدل

---

(١) قدم الجار والمجرور «عليك» لقصر التوكل والإنابة والمصير إلى الله عز وجل (س٨/ ٢٣٧).

(٢) وتكرير النداء «ربنا» للمبالغة في التضرع والجؤار (س٨/ ٢٣٨).

(٣) الممتحنة: «١».

(٤) أخرجه أبو داود الطيالسي (٢/ ٢٤ ـ منحة المعبود) والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٨٥) وابن جرير في «جامع البيان» (١٤/ ج٢٨/ ٦٦) والطبراني كما في «المجمع» (٧/ ١٢٣) كلهم من طريق مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير عن أبيه عن جده عبدالله بن الزبير. وقال الحاكم: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.
وقال الهيثمي: فيه مصعب بن ثابت، وثقه ابن حبان، وضعفه جماعة وبقية رجاله رجال الصحيح. وقال الحافظ في «التقريب» (٢/ ٢٥١) عن مصعب هذا بأنه لين الحديث.

الاشتمال. ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ لوضعهم الولاية في غير موضعها.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُواْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

(١٠) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ﴾ فاختبروهنَّ بما يغلبُ على ظنِّكم موافقةُ قلوبهم لسانَهم في الإيمان. ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ﴾ فإنه المطلعُ على ما في قلوبهم. ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ﴾ العلمُ الذي يمكنكم تحصيلُه وهو الظنُّ الغالبُ بالحلِفِ وظهورِ الأماراتِ، وإنما سمَّاه عِلْماً إيذاناً بأنه كالعلمِ في وجوب العملِ به. ﴿فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ أي إلى أزواجهنَّ الكفرةِ لقوله: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ والتكرير للمطابقةِ والمبالغةِ، أو الأُوْلَى لحصولِ الفُرْقَةِ والثانية للمنعِ عن الاستئنافِ. ﴿وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ﴾ ما دفعُوا إليهنَّ من المهورِ، وذلك لأنَّ صلحَ الحديبية جرى على أن مَنْ جاءنا منكم رددْناه فلما تعذَّر عليه ردُّهنَّ لورودِ النهي عنه لزمه رد مهورِهنَّ، إذ روي أنه عليه الصلاة والسلام كان بعدَ الحديبية إذ جاءته سبيعةُ بنتُ الحارث الأسلميةُ مسلمةً فأقبل زوجُها مسافرٌ المخزوميُّ طالباً لها، فنزلتْ، فاستحلَفَها رسولُ الله ﷺ، فحلفتْ، فأعْطِيَ زوجُها ما أنفقَ وتزوَّجها عمرُ رضي الله تعالى عنه[1]. ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ فإنَّ الإسلامَ حالَ بينهنَّ وبين أزواجِهنَّ الكفارِ. ﴿إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ﴾ شَرَطَ إيتاءَ المهرِ في نكاحهنَّ إيذاناً بأنَّ ما أُعطِيَ أزواجُهنَّ لا يقومُ مقامَ المهر. ﴿وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾ بما يعتصِمُ به الكافراتُ من عقدٍ وسببٍ جمعُ عصمةٍ، والمراد نهي المؤمنين عن المقامِ على نكاحِ المشركات. وقرأ البصريانِ ولا تمسِّكوا بالتشديدِ. ﴿وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ﴾ من مهورِ نسائِكم اللاحقاتِ بالكفار. ﴿وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ﴾ من مهورِ أزواجِهم المهاجراتِ. ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ﴾ يعني جميعَ ما ذكر في الآية. ﴿يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ﴾ استئنافٌ أو حال من الحكمِ على حذفِ الضمير، أو جعلُ الحكمِ حاكماً على المبالغةِ. ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ يشرعِ ما تقتضيه حِكْمَتُهُ.

(١١) ﴿وَإِن فَاتَكُمْ﴾ وإنْ سبقَكُم وانفلتَ منكم. ﴿شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ﴾ أحدٌ من أزواجكم، وقد قرئ به، وإيقاعُ شيء موقعَه للتحقيرِ والمبالغةِ في التعميم، أو شيءٌ من مهورهنَّ. ﴿إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ﴾ فجاءت عقبتُكم أي نوبتُكم من أداءِ المهرِ، شبَّه الحكمَ بأداء هؤلاءِ مهورَ نساءِ أولئك تارةً وأداءِ أولئك مهورَ نساءِ هؤلاءِ أخرى بأمرٍ يتعاقبون فيه كما يتعاقبُ في الركوبِ وغيرِه. ﴿فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُواْ ۚ﴾ من مهرِ المهاجِرةِ ولا تؤتوه زوجَها الكافرَ. روي أنه لما نزلتِ الآيةُ المتقدمةُ أَبَى المُشركون أنْ يؤدُّوا مهرَ الكوافرِ، .....

---

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص٤٢٤.

فنزلتْ[١]. وقيل معناه إنْ فاتَكُم فأصبتُم من الكفار عُقْبَى وهي الغنيمةُ فآتوا بدلَ الفائتِ من الغنيمة. ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾ فإنَّ الإيمانَ به يقتضي التقوى منه.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُواْ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾

(١٢) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ نزلت يومَ الفتح فإنه عليه الصلاة والسلام لما فرغَ من بيعةِ الرجالِ أخذ في بيعة النساءِ. ﴿وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ﴾ يريدُ وأدَ البنات. ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ﴾ في حسنةٍ تأمرهنَّ بها، والتقييدُ بالمعروف ـ مع أنَّ الرسولَ ﷺ لا يأمرُ إلا به ـ تنبيهٌ على أنه لا يجوزُ طاعةُ مخلوق في معصيةِ الخالق[٢]. ﴿فَبَايِعْهُنَّ﴾ إذا بايعْنَكَ بضمانِ الثوابِ على الوفاء بهذه الأشياءِ[٣]. ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

(١٣) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ يعني عامةَ الكفارِ أو اليهودَ. إذ روي أنها نزلتْ في بعض فقراءِ المسلمين كانوا يواصلونَ اليهودَ ليصيبوا من ثمارِهم[٤] ﴿قَدْ يَئِسُواْ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ لكفرِهم بها أو لعِلْمِهم بأنهم لا حظَّ لهم فيها لعنادِهم الرسولَ المنعوتَ في التوراةِ المؤيَّدَ بالآياتِ. ﴿كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾ أنْ يُبْعَثُوا أو يُثَابُوا أو ينالُهم خيرٌ منهم، وعلى الأولِ وضَعَ الظاهرَ فيه موضعَ المضمَرِ للدلالة على أنَّ الكفرَ آيَسَهُم. عن النبيِّ ﷺ «مَنْ قرأ سورة الممتحنةِ كان له المؤمنونَ والمؤمناتُ شفعاءَ يومَ القيامةِ»[٥].

☆ ☆ ☆

(١) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٨/ ٩٩) بدون راوٍ ولا سند.

(٢) وتخصيص الأمور المعدودة بالذكر في حقهنّ لكثرة وقوعها منهنّ (س٨/ ٢٤١).

(٣) وتقييد مبايعتهنّ بما ذكر. من مجيئهنّ لحثهنّ على المسارعة إليها مع كمال الرغبة فيها من غير دعوة لهنّ إليها (س٨/ ٢٤١).

(٤) انظر «البحر المحيط» (٨/ ٢٥٩).

(٥) وهو حديث موضوع.
أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه عن أبي بن كعب كما في «الكافي الشافِ» (ص١٦٩ رقم ١٤٢).
وقد تقدم الكلام عليه في أواخر سورة آل عمران.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾

سورة الصف مدنية، وقيل مكية[1] وآيها أربع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ سبق تفسيرهُ.

(٢) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ رُوِيَ أنَّ المسلمينَ قالوا: لو علِمْنا أحبَّ الأعمال إلى الله تعالى لبذلنا فيه أموالنا وأنفسَنا فأنزلَ الله ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا﴾[2] فولَّوْا يومَ أُحُدٍ، فنزلت[3]. وَلِمَ مركَّبةٌ من لامِ الجرِّ وما الاستفهاميةِ، والأكثرُ على حذفِ ألفها مع حرفِ

---

(١) وهي مدنية في قول الجمهور. وقال مكي عن ابن عباس والمهدوي عن عطاء ومجاهد أنها مكية. والأول أصح لأن معاني السورة تعضده ويشبه أن يكون فيها المكي والمدني.
قاله ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٥/ ٥٠٢).

(٢) الصف: «٤».

(٣) ذكره الواحدي في «الأسباب» ص٤٢٧. بدون سند.
وأخرج ابن جرير في «جامع البيان» (١٤/ج٢٨/ ٨٣ ـ ٨٤) عن ابن عباس قال: كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون: لوددنا أن الله دلنا على أحب الأعمال إليه فنعمل به، فأخبر الله أن أحب الأعمال إليه إيمان بالله، لا شك فيه، وجهاد أهل معصية الذين خالفوا الإيمان، ولم يقروا به فلما نزل الجهاد كره ذلك أناس من المؤمنين، وشق عليهم أمره فقال الله «يا أيها الذين آمنوا لما تقولون ما لا تفعلون» وسنده صحيح. =

الجرِّ لكثرة استعمالِها معاً واعتناقِهما في الدلالة على المستفهَم عنه.

(٣) ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ المقتُ أشدُّ البغض. ونصبُه على التمييزِ للدلالةِ على أنَّ قولَهم هذا مقتٌ خالص كَبُرَ عند مَنْ يحقُر دونَه كلُّ عظيم مبالغةً في المنع عنه.

(٤) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾ مصطفِّينَ، مصدرٌ وُصِفَ به. ﴿كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ في تراصِّهم من غير فُرْجَةٍ، حالٌ من المستكِنِّ في الحال الأولى. والرصُّ اتصال بعض البناء بالبعضِ واستحكامه.

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾

(٥) ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾ مقدراً باذكُر أو كان كذا. ﴿يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى﴾ بالعصيان والرمي بالأُدْرَةِ[1]. ﴿وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ بما جئتُكم من المعجزاتِ، والجملة حال مقرِّرةٌ للإنكار، فإنَّ العلمَ بنبوَّته يوجبُ تعظيمَهُ ويمنع إيذاءَه، وقد لتحقيق العلم. ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟﴾ عن الحقِّ. ﴿أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ صرفَها عن قبولِ الحق والميلِ إلى الصواب. ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ هدايةً موصلةً إلى معرفة الحق أو إلى الجنة.

(٦) ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ ولعلَّه لم يقلْ يا قوم كما قال موسى عليه الصلاة والسلام لأنه لا نسبَ له فيهم. ﴿إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا﴾ في حال تصديقي لما تقدَّمني من التوراةِ وتبشيري برسولٍ يأتي من بعدي. والعاملُ في الحالين ما في الرسول من معنى الإرسالِ لا الجارُّ لأنه لغوٌ إذ هو صلة للرسولِ فلا يعملُ. ﴿بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ يعني محمداً عليه الصلاة والسلام، والمعنى أن ديني التصديقُ بكتبِ الله وأنبيائه، فذكر أولَ الكتبِ المشهورةِ الذي حكم به النبيونَ، والنبيُّ الذي هو خاتمُ المرسلين. ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ الإشارةُ إلى ما جاء به أو إليه، وتسميتُه سحراً للمبالغة، ويؤيده قراءةُ حمزةَ والكسائيِّ هذا ساحر على أنَّ الإشارة إلى عيسى عليه الصلاة والسلام.

= وأخرج ابن جرير نحوه عن أبي صالح ومجاهد (١٤/ج٢٨/ ٨٤) ونقل عن بعض المفسرين أنهم قالوا: إنها نزلت في توبيخ قوم من المسلمين، كان أحدهم يفتخر بالفعل من أفعال الخير التي لم يفعلها فيقول: فعلت كذا وكذا، فعذلهم الله على افتخارهم بما لم يفعلوا كذباً.

وهذا أخرجه ابن جرير عن قتادة والضحاك (١٤/ج٢٨/ ٨٤ ـ ٨٥) ثم قال: وقال آخرون: بل هذا توبيخ من الله لقوم من المنافقين كانوا يَعِدون المؤمنين النصر وهم كاذبون.

وهذا أخرجه ابن جرير عن ابن زيد (١٤/ج٢٨/ ٨٥) ورجح القول الأول بدليل خطابه تعالى «يا أيها الذين آمنوا».

وانظر «الدر المنثور» (٨/ ١٤٦ ـ ١٤٧). «وزاد المسير» (٨/ ٢٤٩ ـ ٢٥٠).

و«الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٧٧ ـ ٧٨). وأسباب النزول للواحدي (ص٤٢٦).

(١) الأُدرة انتفاخ الخصية (المصباح المنير، مادة أدر).

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾

(٧) ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ﴾ أي لا أحدَ أظلمُ ممن يُدْعَى إلى الإسلام الظاهر حقيَّتُهُ المقتضي له خيرُ الدارين فيضعُ موضعَ إجابته الافتراءَ على الله بتكذيب رسوله وتسميةِ آيته سحراً فإنه يعمُّ إثباتَ المنفي ونفيِ الثابتِ. وقرىء يَدّعِي يقالُ دعاه وادَّعاه كلمسَه والتَمسه. ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ لا يرشدُهم إلى ما فيه فلاحُهم.

(٨) ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟﴾ أي يريدون أنْ يطفِئُوا، واللام مزيدةٌ لما فيها من معنى الإرادة تأكيداً لها كما زِيدَتْ لما فيها من معنى الإضافة تأكيداً لها في لا أبا لك، أو يريدون الافتراءَ ليطفئوا. ﴿نُورَ ٱللَّهِ﴾ يعني دينَه أو كتابَه أو حجَّته. ﴿بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ بطعْنِهم فيه. ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾ مُبْلِغُ غايتِهِ بنشرِه وإعلائه، وقرأ ابن كثير وحمزةُ والكسائي وحفصٌ بالإضافة. ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ إرغاماً لهم.

(٩) ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ﴾ بالقرآن أو المعجزةِ. ﴿وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ والملَّةِ الحنيفية. ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ ليغلبه على جميعِ الأديان. ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ لما فيه من محضِ التوحيد وإبطال الشرك.

(١٠) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ وقرأ ابن عامر تنجِّيكم بالتشديد.

(١١) ﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ﴾ استئنافٌ مبين للتجارة وهو الجمعُ بين الإيمان والجهادِ المؤدِّي إلى كمال عزِّهم، والمرادُ به الأمرُ وإنما جيء بلفظ الخبرِ إيذاناً بأنَّ ذلك مما لا يترك. ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ يعني ما ذُكِرَ من الإيمان والجهاد. ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ إن كنتم من أهل العلم إذ الجاهلُ لا يُعْتَدُّ بفعلِه.

(١٢) ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ جوابٌ للأمرِ المدلولِ عليه بلفظ الخبر، أو لشرطٍ أو استفهام دلَّ عليه الكلامُ تقديره أنْ تؤمنوا وتجاهدوا، أو هل تقبلُون أنْ أدلَّكم يغفرْ لكم، ويبعدُ جعلُه جواباً لهلْ أدلُّكم لأنَّ مجردَ دلالته لا توجبُ المغفرةَ. ﴿وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ الإشارةُ إلى ما ذُكِرَ مِنَ المغفرة وإدخالِ الجنة.

(١٣) ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ﴾ ولكم إلى هذه النعمةِ المذكورة نعمةٌ أخرى عاجلة محبوبةٌ، وفي تحبُّونها تعريضٌ بأنهم يؤثرون العاجلَ على الآجلِ. وقيل أخرى منصوبةٌ بإضمارِ يعطيكم، أو تحبونَ أو مبتدأٌ خبرهُ: ﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ وهو على الأول بدلٌ أو بيانٌ، وعلى قولِ النصبِ خبرٌ محذوفٌ، وقد قرىء بما عُطِفَ عليه بالنصبِ على البدلِ أو الاختصاصِ أو المصدرِ. ﴿وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ عاجلٌ. ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ عطفٌ على محذوفٍ مثل: قل يا أيها الذين آمنوا وبشِّرْ، أو على تؤمنون فإنه في معنى الأمرِ كأنه قال:

آمنوا وجاهِدوا أيُّها المؤمنون وبشِّرهم يا رسولَ الله بما وعدْتَهم عليهما آجلاً وعاجلاً.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ١٤

(١٤) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾ وقرأ الحجازيانِ وأبو عمرو بالتنوينِ واللامِ لأنَّ المعنى كونوا بعضَ أنصارِ الله. ﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ أي مَنْ جنديٌّ موجَّهاً إلى نصرةِ الله ليطابقَ قولَه تعالى: ﴿قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ﴾ والإضافةُ الأولى إضافةُ أحدِ المتشاركين إلى الآخرِ لما بينَهما من الاختصاصِ، والثانية إضافةُ الفاعلِ إلى المفعول، والتشبيهُ باعتبار المعنى إذ المرادُ قل لهم كما قال عيسى بنُ مريم، أو كونوا أنصاراً كما قال الحواريونَ حين قال لهم عيسى مَنْ أنصاري إلى الله. والحواريون أصفياؤُه، وهم أولُ مَنْ آمن به، وكانوا اثني عشر رجلاً، من الحَوَر وهو البياضُ. ﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ﴾ أي بعيسى. ﴿فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ﴾ بالحجَّةِ وبالحربِ وذلك بعدَ رفعِ عيسى. ﴿فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾ فصاروا غالبين. عن النبيِّ ﷺ «مَنْ قرأ سورةَ الصفِّ كان عيسى مصلياً عليه مستغفِراً له ما دامَ في الدنيا وهو يومَ القيامة رفيقُهُ»[1].

☆ ☆ ☆

(١) وهو حديث موضوع.
أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي من حديث أبي بن كعب.
كما في «الكافي الشافي» (ص١٦٩ رقم ١٤٥).
وقد تقدم الكلام عليه في أواخر سورة آل عمران.

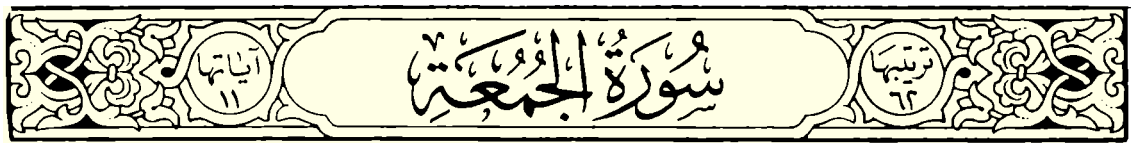

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾

سورة الجمعة مدنية[1] وآيها إحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ وقد قُرِىءَ الصفاتُ الأربعُ بالرفعِ على المدحِ.

(٢) ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾ أي في العربِ لأنَّ أكثرَهم لا يكتبون ولا يقرؤون. ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ من جملتهم أمياً مثلَهم. ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ من كونه أمياً مثلهم لم يُعْهَدْ منه قراءة ولا تعلُّم. ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ من خبائثِ العقائدِ والأعمالِ. ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ القرآنَ والشريعةَ، أو معالمَ الدين من المنقول والمعقول، ولو لم يكن له سِواهُ معجزةٌ لكفاهُ. ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ من الشركِ وخَبَثِ الجاهلية، وهو بيانٌ لشدةِ احتياجهم إلى نبيٍّ يرشدُهم، وإزاحةٌ لما يُتَوَهَّم أنَّ الرسول تعلَّم ذلك من معلِّمٍ. وإنْ هي المخففةُ، واللامُ تدلُّ عليها.

(٣) ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ﴾ عطفٌ على الأميينَ، أو المنصوبِ في يعلِّمهُم وهم الذين جاؤوا بعدَ الصحابة

---

(١) قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٦/٧): «وهي مدنية. وذكر النقاش قولاً إنها مكية، وذلك خطأ ممن قاله، لأن أمر اليهود لم يكن إلا بالمدنية، وكذلك أمر الجمعة لم يكن قط بمكة، أعني إقامتها وصلاتها، وأما أمر الانفضاض فلا مرية في كونه بالمدنية...» هـ.

إلى يوم الدين، فإنَّ دعوتَه وتعليمَه يعمُّ الجميعَ. ﴿لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ﴾ لم يلحقوا بهم بعدُ وسيلحقون. ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في تمكينه من هذا الأمرِ الخارقِ للعادة. ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في اختياره وتعليمِه.

ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾

(٤) ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ﴾ ذلك الفضلُ الذي امتازَ به عن أقرانه فضلُه. ﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ تفضلاً وعطيةً. ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ الذي يستحقر دونه نعيمُ الدنيا، أو نعيمُ الآخرة أو نعيمُهما.

(٥) ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾ عُلِّموها وكُلِّفوا العملَ بها. ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ لم يعملوا بها أو لم ينتفِعوا بما فيها. ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ كتباً من العلم يَتْعَبُ في حَمْلِها ولا ينتفعُ بها. ويَحْمِلُ حالٌ والعاملُ فيه معنى المَثَلِ، أو صفةٌ إذ ليس المرادُ من الحمارِ معيَّناً. ﴿بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي مَثَلُ الذين كذَّبوا وهم اليهودُ المكذِّبون بآيات الله الدالةِ على نبوةِ محمدٍ عليه الصلاة والسلام، ويجوزُ أنْ يكونَ الذين صفةٌ للقوم والمخصوصُ بالذم محذوفاً. ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

(٦) ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟﴾ تهوَّدوا. ﴿إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ﴾ إذ كانوا يقولون نحنُ أبناءُ الله وأحباؤه. ﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ﴾ فتمنوا من الله أنْ يميتكم وينقلَكم من دارِ البليةِ إلى محلِّ الكرامة. ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في زعمِكم.

(٧) ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ بسببِ ما قدَّموا من الكفر والمعاصي. ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فيجازيهم على أعمالهم.

(٨) ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ﴾ وتخافون أنْ تتمنَّوه بلسانِكم مخافةَ أنْ يصيبَكم فتؤخذوا بأعمالِكم. ﴿فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾ لاحقٌ بكم لا تفوتونه، والفاءُ لتضمُّنِ الاسمِ معنى الشرطِ باعتبارِ الوصفِ، وكأن فرارَهم يسرعُ لحوقَه بهم. وقد قرىء بغير فاءٍ، ويجوز أنْ يكونَ الموصولُ خبراً والفاءُ عاطفة. ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بأنْ يجازيَكم عليه.

(٩) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ﴾ أي إذا أُذِّنَ لها. ﴿مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ﴾ بيانٌ لإذا. وإنما سمِّي جمعةُ الاجتماعِ الناس فيه للصلاةِ، وكان العربُ تسمِّيه العروبةَ. وقيل سمَّاه كعبُ بنُ لؤي لاجتماعِ الناسِ فيه إليه، وأول جمعةٍ جمعَها رسولُ الله ﷺ أنه لما قدِمَ المدينةَ نزل قباءَ فأقامَ بها إلى الجمعة، ثم دخلَ المدينةَ وصلى الجمعةَ في وادٍ لبني سالمِ بنِ

عوف[١]. ﴿فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ فامضُوا إليه مسرعينَ قصْداً فإن السعيَ دونَ العَدْوِ. والذِّكْرُ الخطبةُ، وقيل الصلاةُ. والأمرُ بالسعي إليها يدلُّ على وجوبِها. ﴿وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ﴾ واتركوا المعاملةَ. ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ أي السعيُ إلى ذكرِ الله. ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من المعاملةِ فإنَّ نفعَ الآخرةِ خيرٌ وأبقى. ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الخيرَ والشرَّ الحقيقيينِ، أو إن كنتم من أهل العلمِ.

فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾

(١٠) ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ﴾ أُدِّيَتْ وفُرِغَ منها. ﴿فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ إطلاقٌ لما حُظِرَ عليهم، واحتجَّ به مَنْ جعلَ الأمرَ بعدَ الحظرِ للإباحة. وفي الحديث «ابتغوا من فضلِ الله ليس بطلبِ الدنيا وإنما هو عيادةُ مريض وحضورُ جنازة وزيارةُ أخ في الله»[٢]. ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ واذكروه في مجامعِ أحوالِكم ولا تخصُّوا ذِكْرَهُ بالصلاة. ﴿لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ بخير الدارين.

(١١) ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ رُوِيَ أنه عليه الصلاةُ والسلام كان يخطبُ للجمعة فمرَّتْ عليه عيرٌ تحملُ الطعامَ، فخرجَ الناسُ إليهم إلا اثني عشر رجلاً، فنزلتْ[٣]. وإفرادُ التجارة بردِّ الكناية لأنها المقصودةُ؛ فإنَّ المرادَ من اللهوِ الطَّبْلُ الذي كانوا يستقبلون به العيرَ والترديدُ للدلالة على أنَّ منهم منِ انفضَّ لمجرَّدِ سماعِ الطبلِ ورؤيتِه، أو للدلالةِ على أنَّ الانفضاضَ إلى التجارة مع الحاجةِ إليها والانتفاعِ بها إذا كان مذموماً كان الانفضاضُ إلى اللهو أولى بذلك، وقيل تقديرهُ إذا رأوا تجارةً انفضوا إليها وإذا رأوا لهواً انفضوا إليه. ﴿وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾ أي على المنبرِ. ﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ من الثواب. ﴿خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ﴾ فإنَّ ذلك محقَّقٌ مخلَّدٌ بخلافِ ما تتوهَّمون من نفْعِهما ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ فتوكَّلوا عليه واطلبوا الرزقَ منه. عن النبيِّ ﷺ «من قرأ سورةَ الجمعةِ أُعْطِيَ من الأجرِ عشرَ حسناتٍ بعددِ مَنْ أتَى الجمعةَ ومَنْ لم يأتِها في أمصارِ المسلمينَ»[٤].

☆ ☆ ☆

---

(١) أخرجه البيهقي في «الدلائل» (٢/ ٥١٢) من حديث عبدالرحمن بن عويم أخبرني بعض قومي.
وقال البخاري في التاريخ الكبير (٥/ ٣٢٥) في هذا الإسناد مرسل.

(٢) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٨/ ١٢٣) بدون سند.

(٣) ذكره الواحدي في «الأسباب» (ص٤٢٩) بدون سند. وذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٨/ ١٢٤) عن الحسن وأبي مالك بدون سند أيضاً.
وانظر «الكافي الشافِ» (ص١٧١ رقم ١٥٩).

(٤) وهو حديث موضوع.
أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي بأسانيدهم عن أبي بن كعب كما في «الكافي الشافِ» (ص١٧٢ رقم ١٦٠).
وقد تقدم الكلام عليه في أواخر سورة آل عمران.

سُورَةُ المُنَافِقُونَ

ترتيبها ٦٣ آياتها ١١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾

سورة المنافقين مدنية[1] وآيها إحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ الشهادةُ إخبارٌ عن علم من الشهودِ وهو الحضورُ والاطلاعُ، ولذلك صدَّقَ المشهورَ به وكذَّبهم في الشهادةِ بقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ لأنهم لم يعتقدوا ذلك

(٢) ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ﴾ حَلِفَهم الكاذبَ أو شهادتَهم هذه، فإنها تجري مجرى الحلِفِ في التوكيد، وقرىء إيمانَهم. ﴿جُنَّةً﴾ وقايةٌ من القتلِ والسَّبْيِ. ﴿فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ صداً أو صدوداً. ﴿إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ من نفاقِهم وصدِّهم.

(٣) ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى الكلام المتقدِّم أي ذلك القولُ الشاهدُ على سوءِ أعمالهم، أو إلى الحالِ المذكورة من النفاقِ والكذبِ والاستجْنانِ بالإيمان[3]. ﴿بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟﴾ بسببِ أنهم آمنوا ظاهراً. ﴿ثُمَّ

---

(١) وهي مدنية بإجماع، قاله ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٦/ ١٥).

(٢) إظهار «المنافقين» في موقع الإضمار لذمهم، والإشعار بعلة الحكم (س٨/ ٢٥١).

(٣) الاستجنان بالإيمان أي الاستتار به، يقال جنّه الليل أي ستره وغطاه، ومنه قوله تعالىٰ: «فلما جنّ عليه الليل» ـ الأنعام «٧٦» ـ.

كَفَرُوا﴾ سِرّاً، أو آمنوا إذا رأوا آيةً ثم كفروا حيثما سمعُوا من شياطينهم شبهةً. ﴿فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ حتى تمرَّنوا على الكفر فاستحكَمُوا فيه. ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ حِقِّيةَ الإيمانِ ولا يعرفون صِحَّتَهُ.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾

(٤) ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ لضخامَتِها وصباحَتِها. ﴿وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ لذلاقَتِهم وحلاوةِ كلامِهم، وكان ابنُ أبيٍّ جسيماً فصيحاً يحضرُ مجلسَ رسول الله ﷺ في جمعٍ مثلِه، فَيُعْجَبُ بهيكلِهم ويصغي إلى كلامهم. ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ حالٌ من الضمير المجرورِ في ﴿قولهم﴾ أي تسمعُ لما يقولونه مشبَّهينَ بأخشابٍ منصوبة مسندةٍ إلى الحائطِ في كونهم أشباحاً خاليةً عن العلم والنظرِ، وقيل الخشُبُ جمعُ خشباءَ وهي الخشبةُ التي نُخِرَ جَوْفُهَا شُبِّهوا بها في حسنِ المنظرِ وقبحِ المخبرِ. وقرأ أبو عمرو والكسائيُّ وقنبل عن ابن كثير بسكونِ الشينِ على التخفيفِ، أو على أنه كَبُدُنٍ في جمعِ بدنةٍ ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ أي واقعةٌ عليهم لِجُبْنِهم واتِّهامِهم، فعليهم ثاني مفعولي يحسبونَ، ويجوزُ أن يكون صِلتَه والمفعولُ: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ﴾ وعلى هذا يكون الضميرُ للكلِّ وجمعُه بالنظرِ إلى الخبر لكن ترتُّب قوله: ﴿فَاحْذَرْهُمْ﴾ عليه يدلُّ على أنَّ الضمير للمنافقين. ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ﴾ دعاءٌ عليهم وهو طلبٌ من ذاته أنْ يلعنَهم، أو تعليمٌ للمؤمنين أنْ يدعوا عليهم بذلك. ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ كيف يُصْرَفُونَ عن الحقِّ.

(٥) ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾ عطفُوها إعراضاً واستكباراً عن ذلك. وقرأ نافع بتخفيفِ الواو. ﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ يعرِضُون عن الاستغفار. ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ عن الاعتذار.

(٦) ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ لرسوخِهم في الكفر. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ الخارجين عن مظنَّةِ الاستصلاحِ لانهماكهم في الكفر والنفاقِ.

(٧) ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ أي للأنصار. ﴿لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا﴾ يعنُون فقراءَ المهاجرين. ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ بيده الأرزاقُ والقِسَمُ. ﴿وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ذلك لجهلِهم بالله.

(٨) ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ رُوِيَ أنَّ أعرابياً نازعَ أنصارياً في بعض الغزواتِ على ماءٍ، فضربَ الأعرابي رأسَه بخشبةٍ، فشُكِيَ إلى ابنِ أبيٍّ فقال: لا تنفقوا على مَنْ عندَ رسولِ الله ﷺ حتى ينفضُّوا، وإذا رجعْنا إلى المدينة فليخرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ، عنَى بالأعزِّ نفسَه

وبالأذلُّ رسولَ الله ﷺ[١]. وقرىء ليَخرجنَّ بفتحِ الياء، وليُخْرَجَنَّ على بناء المفعول، ولنخرجنَّ بالنون، ونَصْبُ الأعزِّ والأذلِّ على هذه القراءاتِ مصدرٌ أو حال على تقدير مضافٍ كخروج أو إخراجٍ أو مثل[٢] ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ولله الغلبةُ والقوةُ ولمن أعزَّه من رسولِه والمؤمنينَ.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ من فَرْطِ جَهْلِهم وغرورِهم.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

(٩) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ لايشغلْكم تدبيرُها والاهتمامُ بها عن ذكْرِه الصلواتِ وسائرِ العباداتِ المذكِّرةِ للمعبود، والمرادُ نهيُهم عن اللَّهو بها. وتوجيهُ النهي إليها للمبالغة ولذا قال: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ أي اللَّهوُ بها وهو الشغلُ. ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ لأنهم باعوا العظيمَ الباقي بالحقير الفاني.

(١٠) ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم﴾ بعضَ أموالِكم إدخاراً للآخرةِ. ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ أي يرى دلائِلَه[٣] ﴿فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ﴾ هلَّا أمهلْتني. ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ أمدٍ غيرِ بعيدٍ. ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ فأتصدَّقَ. ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ بالتدارُكِ، وجزمُ أكنْ للعطفِ على موضعِ الفاءِ وما بعدَه. وقرأ أبو عمرو وأكونَ منصوباً عطفاً على فأصدَّقَ، وقرىء بالرفعِ على وأنا أكونُ فيكون عِدَةً بالصلاح.

(١١) ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا﴾ ولن يمهلَها. ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا﴾ آخرُ عُمُرِها. ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فمُجَازٍ عليه. وقرأ أبو بكر بالياء ليوافقَ ما قبلَه في الغيبةِ. عن النبيِّ ﷺ: «من قرأ سورةَ المنافقينَ بريءَ من النفاقِ»[٤].

☆ ☆ ☆

(١) قال الحافظ في «الكافي الشافِ» (ص١٧٢ رقم ١٦١): «هكذا ذكره الواقدي في المغازي بغير إسناد، وعزاه إلى الثعلبي والواحدي ولأصحاب السير...
وأصل القصة في «الصحيحين» البخاري (٨/ ٦٤٤ رقم ٤٩٠٠) ومسلم (٤/ ٢١٤٠ رقم ٢٧٧٢) من حديث زيد بن أرقم..» هـ.

(٢) وإسناد القول المذكور إلى المنافقين لرضاهم به (س٨/ ٢٥٣).

(٣) وتقديم المفعول علىٰ الفاعل للاهتمام بالمقدم والتشويق إلى المؤخر (س٨/ ٢٥٤).

(٤) وهو حديث موضوع.
أخرجه ابن مردويه والثعلبي والواحدي بأسانيدهم إلى أبي بن كعب كما في «الكافي الشافِ» (ص١٧٢ ـ ١٧٣ رقم ١٦٥).
وقد تقدم الكلام عليه في أواخر سورة آل عمران. =

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾

سورة التغابن مختلف فيها[1] وآياتها ثماني عشر آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ بدلالَتِها على كماله واستغنائِه. ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ﴾ قدَّم الظرفين للدلالةِ على اختصاصِ الأمرين به من حيثُ الحقيقةُ. ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ لأنَّ نسبةَ ذاتِه المقتضيةِ للقدرةِ إلى الكلِّ على سواءٍ. ثمَّ شرع فيما ادَّعاه فقال:

(٢) ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ﴾ مقدرٌ كفْرَهُ موجهٌ إليه ما يحملُه عليه. ﴿وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ مقدَّرٌ إيمانَه موفَّقٌ لما يدعُوه إليه[2]. ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيعامِلُكم بما يناسِبُ أعمالَكُم.

(٣) ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ بالحكمة البالغةِ. ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ فصوَّركم من جملةِ ما خلقَ فيهما بأحسنِ صورة، حيث زيَّنكُم بصفوةِ أوصافِ الكائنات، وخصَّكم بخلاصة خصائصِ المبدَعَاتِ، وجعلكم أنموذجَ جميعِ المخلوقات. ﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ فأحسِنوا سرائِرَكُم حتى لا يَمْسَخَ بالعذابِ ظواهِرَكم.

---

(١) قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٦/ ٢٥): «قال بعض المفسرين هي مدنية، وقال آخرون هي مكية إلا قوله عز وجل «يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم...» إلى آخر السورة فإنه مدني...».

(٢) وتقديم الكفر لأنه الأغلب فيما بينهم، والأنسب بمقام التوبيخ (س٨/ ٢٥٥).

يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ ۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾

(٤) ﴿يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ فلا يَخْفَى عليه ما يصحُّ أنْ يُعْلَمَ كلياً كانَ أو جزئياً، لأن نسبةَ المقتضي لعلمِه إلى الكلِّ واحدةٌ. وتقديمُ تقرير القدرةِ على العلمِ لأن دلالةَ المخلوقاتِ على قدرته أولاً وبالذاتِ وعلى علمه بما فيها من الإتقانِ والاختصاصِ ببعضِ الأنحاءِ.

(٥) ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ يأيُّها الكفارُ. ﴿نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ كقوم نوح وهودٍ وصالحٍ عليهم السلام. ﴿فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ ضررَ كفرِهم في الدنيا، وأصلُه الثِّقَلُ ومنه الوبيل لطعامٍ يَثْقُلُ على المعدةِ، والوابلُ المطرُ الثقيلُ القطّارُ. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة.

(٦) ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي المذكورُ من الوبال والعذاب. ﴿بِأَنَّهُۥ﴾ بسبب أنَّ الشأنَ. ﴿كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالمعجزات. ﴿فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ أنكروا وتعجَّبوا من أنْ يكونَ الرسلُ بشراً. والبشرُ يُطْلَقُ للواحدِ والجمعِ. ﴿فَكَفَرُوا۟﴾ بالرسلِ ﴿وَتَوَلَّوا۟﴾ عن التدبُّرِ في البيناتِ. ﴿وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ﴾ عن كلِّ شيءٍ فضلاً عن طاعتِهم. ﴿وَٱللَّهُ غَنِىٌّ﴾ عن عبادتهم وغيرها. ﴿حَمِيدٌ﴾ يدلُّ على حمدِه كلُّ مخلوقٍ.

(٧) ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟﴾ الزعمُ: ادِّعاءُ العلم، ولذلك يتعدَّى إلى مفعولين، وقد قامَ مقامَهما أنْ بما في حيِّزه. ﴿قُلْ بَلَىٰ﴾ أي بلى تُبْعَثُونَ. ﴿وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ﴾ قسمٌ أكَّدَ به الجوابَ. ﴿ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ بالمحاسبةِ والمجازاةِ. ﴿وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ لقبولِ المادةِ وحصولِ القدرة التامةِ.

(٨) ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ محمدٍ عليه الصلاة والسلام. ﴿وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا﴾ يعني القرآنَ فإنه بإعجازه ظاهرٌ بنفسِه مظهرٌ لغيره مما فيه شرحُه وبيانُه[1]. ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ فمجازٍ عليه[2].

(٩) ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ﴾ ظرفٌ لتُنَبَّؤُنَّ أو مقدَّرٌ باذكُر، وقرأ يعقوب نجمعُكم. ﴿لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ﴾ لأجْلِ ما فيه منَ الحسابِ والجزاء، والجمعُ جمعُ الملائكة والثَّقلينِ. ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾ يغبنُ فيه بعضُهم بعضاً لنزولِ السعداءِ منازلَ الأشقياءِ لو كانوا سعداءَ وبالعكسِ، مستعارٌ من تغابَنَ التجارُ، واللام فيه للدلالة على أنَّ التغابُنَ الحقيقيَّ وهو التغابُنُ في أمور الآخرةِ لعِظَمِها ودوامِها. ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ أي

---

(١) والالتفات إلى نون العظمة «أنزلنا» لإبراز كمال العناية بأمر الإنزال (س٨/ ٢٥٧).

(٢) والالتفات إلى الاسم الجليل لتربية المهابة وتأكيد استقلال الجملة (س٨/ ٢٥٧).

عملاً صالحاً. ﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ وقرأ نافع وابنُ عامر بالنون فيهما. ﴿ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ الإشارةُ إلى مجموعِ الأمرين، ولذلك جعلَه الفوزَ العظيمَ لأنه جامعٌ للمصالح من دفعِ المضارِّ وجلبِ المنافعِ.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾

(١٠) ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ كأنها والآيةُ المتقدمةُ بيانٌ للتغابُنِ وتفصيلٌ له.

(١١) ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ إلا بتقديره وإرادَتِه. ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ للثباتِ والاسترجاعِ عندَ حلولها. وقرىء يَهْد قلبُه بالرفع على إقامتِه مقامَ الفاعلِ، وبالنصبِ على طريقة سفِه نفسَه، ويَهدَأ بالهمزةِ أي يسكُنُ. ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ حتى القلوبِ وأحوالِها.

(١٢) ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ أي فإنْ تولَّيتم فلا بأسَ عليه إذ وظيفتُه التبليغُ وقد بلَّغَ[1].

(١٣) ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ لأنَّ إيمانَهم بأنَّ الكلَّ منه يقتضي ذلك.

(١٤) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ﴾ يشغلُكم عن طاعة الله أو يخاصِمُكم في أمرِ الدين أو الدنيا. ﴿فَاحْذَرُوهُمْ﴾ ولا تأمنوا غوائلَهم. ﴿وَإِن تَعْفُوا﴾ عن ذنوبهم بتركِ المعاقبةِ. ﴿وَتَصْفَحُوا﴾ بالإعراضِ وتركِ التثريبِ عليها. ﴿وَتَغْفِرُوا﴾ بإخفائِها وتمهيدِ معذرتِهم فيها. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يعاملُكم بمثلِ ما عملتُم ويتفضَّلُ عليكم.

(١٥) ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ اختبارٌ لكم. ﴿وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ لمن آثر محبةَ الله وطاعتَه على محبةِ الأموالِ والأولاد والسعيِ لهم.

---

(١) وكرر الأمر بالطاعة للتأكيد، والإيذان بالفرق بين الطاعتين في الكيفية، وتوضيح مورد التولي في قوله تعالى: «فإن توليتم» أي عن طاعة الرسول وإظهار الرسول مضافاً إلى نون العظمة في مقام إضماره لتشريفه عليه الصلاة والسلام، والإشعارِ بمدار الحكم الذي هو كون وظيفته عليه الصلاة والسلام محض البلاغ، ولزيادة تشنيع التولي عنه (س٨/ ٢٥٨).

فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

(١٦) ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ أي ابذُلُوا في تقواهُ جُهْدَكم وطاقتَكُم. ﴿وَٱسْمَعُواْ﴾ مواعظَه. ﴿وَأَطِيعُواْ﴾ أوامِرَهُ. ﴿وَأَنفِقُواْ﴾ في وجوه الخيرِ خالصاً لوجهِه. ﴿خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ﴾ أي افعلوا ما هو خيرٌ لها، وهو تأكيد للحثِّ على امتثالِ هذه الأوامرِ، ويجوز أنْ يكونَ صفةَ مصدرٍ محذوفٍ تقديره: إنفاقاً خيراً أو خبراً لكان مقدَّراً جواباً للأوامرِ. ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ سبق تفسيرهُ.

(١٧) ﴿إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ﴾ تصرفُوا المالَ فيما أمرهُ. ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ مقروناً بإخلاصٍ وطيب قلبٍ. ﴿يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ﴾ يجعلِ لكم بالواحدِ عشراً إلى سبعمائة وأكثرَ، وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوبُ يضعفه لكم. ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ببركةِ الإنفاق. ﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ﴾ يعطي الجزيلَ بالقليلِ. ﴿حَلِيمٌ﴾ لا يعاجِلُ بالعقوبة.

(١٨) ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ لا يخفى عليه شيءٌ. ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ تامُّ القدرةِ والعلمِ، عن النبيِّ ﷺ «من قرأ سورةَ التغابن دُفِعَ عنه موتُ الفجْأَةِ»[1] والله أعلمُ.

☆ ☆ ☆

(١) وهو حديث موضوع.
أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي بأسانيدهم إلى أبي بن كعب كما في «الكافي الشافِ» (ص١٧٣ رقم ١٧٠).
وقد تقدم الكلام عليه في أواخر سورة آل عمران.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾

سورة الطلاق مدنية[1] وآيها اثنتا عشرة أو إحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ خصَّ النداءَ وعمَّ الخطابَ بالحكم لأنه أمامَ أمَّتِه فنداؤُه كندائِهم، أو لأنَّ الكلامَ معه والحكمَ يعمُّهم. والمعنَى إذا أردتُم تطليقهنَّ على تنزيل المشارفِ له منزلةَ الشارعِ فيه. ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ أي في وقْتِها وهو الطُّهرُ، فإنَّ اللامَ في الأزمان وما يشبِهُها للتأقيتِ، ومَنْ عدَّ العدَّةَ بالحيضِ علَّق اللامَ بمحذوفٍ مثلَ مستقبلاتٍ، وظاهره يدلُّ على أنَّ العدَّةَ بالأطهارِ وأنَّ طلاقَ المعتدَّةِ بالأقراءِ ينبغي أنْ يكونَ في الطُّهْرِ، وأنه يحرمُ في الحيضِ من حيث إنَّ الأمرَ بالشيء يستلزم النهيَ عن ضدِّه ولا يدل على عدمِ وقوعِه، إذ النهيُ لا يستلزم الفسادَ، كيف وقد صحَّ أن ابنَ عمرَ رضي الله تعالى عنهما لما طلَّقَ امرأتَه حائضاً أمرهُ النبيُّ ﷺ بالرجعة وهو سببُ نزولِه[2]. ﴿وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾ واضبطُوها وأكملوها ثلاثةَ أقراءٍ. ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ في تطويل العدَّةِ والإضرارِ بهنَّ. ﴿لَا

(١) قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٦/ ٣٤): «وهي مدنية بإجماع أهل التفسير».

(٢) أخرج حديث ابن عمر البخاري (٨/ ٦٥٣ رقم ٤٩٠٨).

﴿تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ﴾ من مساكِنِهنَّ وقْتَ الفراقِ حتى تنقضيَ عدَّتهُنَّ. ﴿وَلَا يَخْرُجْنَ﴾ باستبدادهنَّ أما لو اتفقا على الانتقالِ جازَ إذ الحقُّ لا يعدوهما، وفي الجمع بين النهيين دلالةٌ على استحقاقها السُّكْنَى ولزومَها ملازمةَ مسكنِ الفراقِ وقوله: ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ مُسْتَثْنًى من الأولِ، والمعنى إلا أنْ تبذوَ على الزوجِ فإنه كالنشوز في إسقاطِ حقِّها، أو إلا أنْ تزنيَ فتُخرجُ لإقامة الحدِّ عليها، أو من الثاني للمبالغةِ في النهي والدلالةِ على أن خروجَها فاحشةٌ. ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ الإشارةُ إلى الأحكام المذكورةِ. ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ بأن عرَّضَها للعقاب. ﴿لَا تَدْرِى﴾ أي النفسُ أو أنتَ أيُّها النبيُّ أوِ المطلِّقُ. ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ وهو الرغبةُ في المطلَّقةِ برجعةٍ أو استئنافِ.

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ۝٣﴾

(٢) ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ شارفْنَ آخرَ عدَّتهنَّ. ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ فراجعوهنَّ. ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ بحسنِ عشرةٍ وإنفاقٍ مناسبٍ، ﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ بإيفاءِ الحقِّ واتقاءِ الضرارِ مثلَ أنْ يراجِعَها ثم يطلقَها تطويلاً لعدَّتِها. ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ على الرجعةِ أو الفرقةِ تبرِّياً عن الريبةِ وقطعاً للتنازُعِ، وهو ندبٌ كقوله تعالى ﴿وَأَشْهِدُوٓا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾[1] وعن الشافعي وجوبُه في الرجعة[2]. ﴿وَأَقِيمُوا ٱلشَّهَٰدَةَ﴾ أيها الشهودُ عند الحاجة. ﴿لِلَّهِ﴾ خالصاً لوجهه. ﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ﴾ يريد الحثَّ على الإشهاد والإقامةِ، أو على جميع ما في الآية. ﴿مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ فإنه المنتفعُ به والمقصودُ بذكْرِه. ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾.

(٣) ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ جملةٌ اعتراضيةٌ مؤكدة لما سبقَ بالوعدِ على الاتقاء عما نَهَى عنه صريحاً أو ضِمْناً من الطلاق في الحيض، والإضرارِ بالمعتدَّةِ وإخراجِها من المسكنِ، وتعدِّي حدودِ الله وكتمانِ الشهادة وتوقُّع جعْلٍ على إقامتِها بأن يجعلَ اللهُ له مخرجاً مما في شأن الأزواجِ من المضايق والغموم، ويرزقُه فرَجاً وخَلَفاً من وجْهٍ لم يخطرْ بباله. أو بالوعدِ لعامةِ المتقينَ بالخلاصِ عن مضارِّ الدارين والفوزِ بخيرهما من حيثُ لا يحتسبونَ. أو كلامٌ جِيْءَ به للاستطرادِ عند ذكر المؤمنين. وعنه ﷺ «إني لأعلمُ آيةً لو أخذَ الناسُ بها لكفتْهم، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ فما زالَ يقرؤُها ويعيدُها»[3].

---

(١) البقرة: «٢٨٢».

(٢) راجع مذاهب العلماء في ذلك «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ١٥٧ ـ ١٥٩).

(٣) وهو حديث ضعيف.

أخرجه ابن ماجة (٢/ ١٤١١ رقم ٤٢٢٠) والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٩٢) وأحمد في «الزهد» (رقم: ٧٨٩) كلهم من طريق أبي السليل عن أبي ذر.

قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٢/ ٣٤٢ رقم ١٥٠٦): «هذا إسناد رجاله ثقات إلا أنه منقطع. أبو السليل =

وروي أن سالم بنَ عوف بنِ مالك الأشجعي[١] أسره العدوُّ، فشكا أبوه إلى رسولِ الله ﷺ فقال له «اتقِ اللهَ وأكثِرْ قولَ لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله» ففعل، فبينَما هو في بيته إذ قرعَ ابنُه البابَ ومعه مائةٌ من الإبلِ غفلَ عنها العدوُّ فاستاقَها[٢]. وفي رواية «رجعَ ومعه غنيماتٌ ومتاعٌ». ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ كافيه. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ يبلغُ ما يريده ولا يفوتُه مرادُ، وقرأ حفص بالإضافةِ، وقرىء بالغُ أمرُهُ أي نافذٌ، وبالغاً على أنه حالٌ والخبرُ: ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ تقديراً أو مقداراً أو أجَلاً لا يتأتَّى تغييرُه، وهو بيانٌ لوجوبِ التوكُّل وتقرير لما تقدَّم من تأقيتِ الطلاقِ بزمان العدَّةِ والأمرِ بإحصائِها، وتمهيدٌ لما سيأتي من مقاديرها.

وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾

(٤) ﴿وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ﴾ لِكِبَرِهِنَّ. ﴿إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾ شككْتم في عدَّتهنَّ أي جهلتُم. ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ﴾ روي أنه لما نزلَ ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾[٣] قيل فما عدَّةُ اللاتي لم يحضن؟ فنزلتْ[٤]. ﴿وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ﴾ أي واللائي لم يحضْنَ بعدُ كذلك. ﴿وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ﴾ منتهى عدَّتِهنَّ. ﴿أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ وهو حكمٌ يعمُّ المطلَّقاتِ والمتوفَّى عنهم أزواجُهنَّ، والمحافظةُ على عمومِه أولى من محافظةِ عمومِ قوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا﴾[٥] لأنَّ عمومَ أولاتِ الأحمالِ بالذات وعمومَ أزواجاً بالعَرَضِ، والحكمُ معلَّلٌ ها هنا بخلافه ثَمَّةَ، ولأنه صحَّ أنَّ سبيعةَ بنتَ الحرث وضعتْ بعدَ وفاة زوجِها بلياليٍ فذكَرَتْ ذلك لرسولِ الله ﷺ فقال «قد حللْتِ فتزوَّجي»[٦]، ولأنه متأخِّرُ النزولِ فتقديمه في العملِ تخصيصٌ وتقديم الآخِر بناءً للعامِّ على الخاصِّ

= لم يدرك أبا ذر قاله في «التهذيب» ـ (٤/ ٤٠١) ـ ورواه النسائي في «التفسير» ـ (رقم: ٦٢٣) ـ عن محمد بن عبدالأعلى عن المعتمر بن سليمان به.
ورواه أحمد بن منيع في مسنده بزيادة طويلة كما أفردته في زوائد المسانيد العشرة.
فقال: ثنا يزيد بن هارون ثنا كهمس بن الحسن فذكره» هـ.

(١) هو مالك بن عوف الأشجعي وقيل: أبو عوف وقيل سالم بن عوف وقع أسيراً فجاء والده شاكياً إلى الرسول فأمره أن يكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله.. ففك أسره. ونزل قوله تعالى «ومن يتقِ الله يجعل له مخرجاً».

(٢) أخرجه البيهقي في الدلائل (٦/ ١٠٦ ـ ١٠٧) من طريق علي بن بذيمة عن أبي عبيدة عن ابن مسعود، وعن أبي عبيدة قوله. وفيه أبو عبيدة لم يدرك أباه.
وأخرجه الثعلبي من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ـ كما في «الكافي الشافي» (ص١٧٤ رقم ١٨٠) قلت: والكلبي وأبو صالح ضعيفان، بل الكلبي متروك.

(٣) البقرة: «٢٢٨».

(٤) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص٤٣٦ بدون سند.

(٥) البقرة: «٢٣٤».

(٦) أخرجه البخاري (٨/ ٦٥٣ رقم ٤٩٠٩) ومسلم (٢/ ١١٢٢ ـ ١١٢٣ رقم ٥٧/ ١٤٨٥) كلاهما من رواية أبي سلمة بن عبدالرحمن عن كريب مولى ابن عباس عن أم سلمة. =

والأولُ راجحٌ للوفاق عليه. ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ في أحكامِه فيراعي حقوقَها. ﴿يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ يسهِّلْ عليه أَمْرَهُ ويوفِّقْه للخير.

ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾

(٥) ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ إشارةٌ إلى ما ذُكِرَ من الأحكام. ﴿أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ في أحكامِه فيراعي حقوقَها. ﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ﴾ فإنَّ الحسناتِ يذهِبْنَ السيئاتِ. ﴿وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾ بالمضاعفةِ.

(٦) ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم﴾ أي مكانٌ من مكانِ سُكْناكم. ﴿مِّن وُجْدِكُمْ﴾ من وُسْعِكم أي مما تطيقُونه، أو عطفُ بيانٍ لقوله من حيثُ سكنْتُم. ﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ﴾ في السُّكْنى. ﴿لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ﴾ فتلجئوهنَّ إلى الخروج. ﴿وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ فيخرجْنَ من العدَّةِ، وهذا يدلُّ على اختصاصِ استحقاقِ النفقةِ بالحاملِ من المعتداتِ والأحاديثُ تؤيدُه. ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾ بعد انقطاعِ عَلَقَةِ النكاح. ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ على الإرضاع. ﴿وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾ وليأمرْ بعضُكم بعضاً بجميلٍ في الإرضاع والأجْرِ. ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ﴾ تضايقْتُم. ﴿فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ﴾ امرأةٌ أخرى، وفيه معاتبةٌ للأمِّ على المعاسرةِ.

(٧) ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ أي فلينفقْ كلٌّ من الموسِرِ والمعسرِ ما بلغَهُ وُسْعُهُ. ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ فإنه تعالى لا يكلِّفُ نفساً إلا وُسْعَها، وفيه تطييبٌ لقلبِ المعسرِ ولذلك وعدَ له باليُسْرِ فقال: ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ أي عاجلاً وآجلاً.

(٨) ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾ أهلِ قريةٍ. ﴿عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ﴾ أعرضتْ عنه إعراضَ العاتي المعاندِ. ﴿فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾ بالاستقصاء والمناقشة. ﴿وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾ منكراً والمرادُ حسابُ الآخرة وعذابُها. والتعبير بلفظ الماضي للتحقيقِ.

(٩) ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ عقوبةَ كفرِها ومعاصِيها. ﴿وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ لا ربحَ فيه أصلاً.

(١٠) ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ تكريرٌ للوعيد وبيانٌ لما يوجبُ التقوى المأمورَ بها في قوله: ﴿فَٱتَّقُوا۟

كما أخرجه البخاري (٩/ ٤٦٩ رقم ٥٣١٨) من طريق أبي سلمة عن زينب بنت أم سلمة عن أم سلمة.
وأخرجه أيضاً البخاري (٧/ ٣١٠ رقم ٣٩٩١) و(٩/ ٤٦٩ رقم ٥٣١٩) ومسلم (٢/ ١١٢٢ رقم ٥٦/ ١٤٨٤) من رواية عتبة بن عبدالله عن عمر بن عبدالله بن الأرقم الأزهري عن سبيعة نفسها.

﴿ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ ويجوزُ أنْ يكونَ المرادُ بالحساب استقصاءَ ذنوبهم وإثباتَها في صحفِ الحفظَةِ، وبالعذابِ ما أُصِيبُوا به عاجلاً. ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَدۡ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكُمۡ ذِكۡرٗا﴾.

رَّسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ قَدۡ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزۡقًا ﴿١١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴿١٢﴾

(١١) ﴿رَّسُولٗا﴾ يعني بالذِّكْرِ جبريلَ عليه السلام لكثرة ذكرِه، أو لنزولِه بالذكرِ وهو القرآنُ، أو لأنه مذكورٌ في السمواتِ أو ذا ذكرٍ أي شرفٍ. أو محمداً عليه الصلاة والسلام لمواظَبَتِه على تلاوة القرآن أو تبليغِه، وعبَّر عن إرساله بالإنزالِ ترشيحاً أو لأنه مسبَّبٌ عن إنزالِ الوحي إليه، وأبدلَ منه رسولاً للبيانِ أو أرادَ به القرآنَ. ورسولاً منصوبٌ بمقدَّر مثلَ أَرْسَلَ، أو ذِكْراً مصدرٌ ورسولاً مفعولُه أو بدلُه على أنه بمعنى الرسالة. ﴿يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٖ﴾ حالٌ من اسم الله أو صفةُ رسولاً، والمرادُ بالذين آمنوا في قوله: ﴿لِّيُخۡرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الذين آمنوا بعدَ إنزاله أي ليحصلَ لهم ما هم عليه الآنَ من الإيمان والعملِ الصالح أو ليخرجَ مَنْ علِمَ أو قدَّرَ أنه يؤمنُ ﴿مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ﴾ من الضلالة إلى الهدى. ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗا﴾ وقرأ نافع وابن عامر ندخلْه بالنون. ﴿قَدۡ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزۡقًا﴾ فيه تعجيبٌ وتعظيم لما رُزِقُوا من الثواب.

(١٢) ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ﴾ مبتدأٌ وخبرٌ. ﴿وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ﴾ أي وخلق مثلَهنَّ في العددِ من الأرضِ، وقرىء بالرفع على الابتداءِ والخبرِ: ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ﴾ أي يجري أمرُ الله وقضاؤُه بينهنَّ وينفذُ حكمُه فيهنَّ. ﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾ علةٌ لِخَلَقَ أو ليتنزَّلُ، أو مضمرٌ يعمُّهما فإنَّ كلاً منهما يدلُّ على كمال قدرتِه وعلمِه. عن النبيِّ ﷺ «من قرأ سورةَ الطلاقِ ماتَ على سُنَّةِ رسول الله ﷺ»[1].

☆ ☆ ☆

(١) وهو حديث موضوع.
أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه بأسانيدهم إلى أبي بن كعب كما في «الكافي الشافِ» (ص١٧٤ رقم ١٨٧).
وقد تقدم الكلام عليه في أواخر سورة آل عمران.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ ۚ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾

سورة التحريم مدنية[1] وآيها اثنتا عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ رُوِيَ أنه عليه الصلاة والسلام خلا بماريَةَ في نوبةِ عائشةَ رضي الله تعالى عنها أو حفصةَ، فاطلعتْ على ذلك حفصةُ فعاتبته فيه فحرَّم ماريَةَ، فنزلتْ[2]. وقيل شربَ

---

(١) قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٦/٤٦): «وهي مدنية بإجماع من أهل العلم بلا خلاف» هـ.

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/ ١٨٥) عن ابن عباس وفيه أنه نام في يوم عائشة.
وقال ابن حجر في «الكافي الشافِ» (ص١٧٥): «لم أقف في شيء من الطرق على أن ذلك كان في بيت عائشة رضي الله عنها، إلا فيما رواه ابن سعد ـ كما تقدم ـ» قلت: فيه الواقدي وهو ضعيف. وشعبة مولى ابن عباس ضعيف أيضاً.
وقد أخرجه أيضاً ابن جرير في «جامع البيان» (١٤/ج٢٨/ ١٥٧) عن ابن عباس بسند فيه ضعفاء من أسرة واحدة.
كما أخرجه ابن جرير (١٤/ج٢٨/ ١٥٦) عن الضحاك. والضحاك لم يلقَ أحداً من الصحابة.
وأما نزول الآية في أمر تحريم النبي ﷺ مارية القبطية، فقد أخرجه ابن جرير عن زيد بن أسلم، والشعبي، وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم أيضاً. وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٩٣) من حديث أنس وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

عسلاً عند حفصةَ، فواطأتْ عائشةُ سودةَ وصفيةَ فقلْنَ له إنا نشمُّ منك ريحَ المغافير[١] فحرَّم العسلَ، فنزلتْ[٢]. ﴿تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾ تفسيرٌ لتحرُّمُ أو حالٌ من فاعلِه أوِ استئناف لبيانِ الداعي إليه. ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لك هذه الزلَّةَ فإنه لا يجوز تحريمُ ما أحلَّه الله. ﴿رَحِيمٌ﴾ رحِمَكَ حيث لم يؤاخذْك به وعاتَبَكَ محاماةً على عصمتِكَ.

(٢) ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ قد شرعَ لكم تحليلَها وهو حلُّ ما عقدْتَه بالكفارةِ، أو الاستثناءُ فيها بالمشيئةِ حتى لا تحنثَ من قولهم: حلَّلَ في يمينه إذا استثنى فيها، واحتجَّ بها مَنْ رأى التحريمَ مطلقاً أو تحريمَ المرأة يميناً، وهو ضعيفٌ إذ لا يلزمُ من وجوب كفارةِ اليمين فيه كونُه يميناً مع احتمالِ أنه عليه الصلاة والسلام أتى بلفظ اليمينِ كما قيل. ﴿وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾ متولِّي أمرِكم. ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ﴾ بما يصلِحُكم. ﴿الْحَكِيمُ﴾ المتقِنُ في أفعاله وأحكامِه.

(٣) ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ﴾ يعني حفصةَ. ﴿حَدِيثًا﴾ تحريمَ ماريَةَ أو العسلَ، أو أنَّ الخلافةَ بعدَه لأبي بكر وعمرَ رضي الله تعالى عنهما. ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ﴾ أي فلما أخبرتْ حفصةُ عائشةَ رضي الله تعالى عنهما بالحديث. ﴿وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ واطَّلعَ النبي عليه الصلاة والسلام على الحديث أي على إفشائِه. ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُ﴾ عرَّف الرسولُ ﷺ حفصةَ بعضَ ما فعلتْ. ﴿وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾ عن إعلام بعضٍ تكرماً أو جازاها على بعض بتطليقِه إياها وتجاوَزَ عن بعضٍ، ويؤيده قراءةُ الكسائيِّ بالتخفيف فإنه لا يحتملُ ههنا غيرَهُ لكنَّ المشدَّدَ من بابِ إطلاقِ اسمِ المسبَّبِ على السببِ والمخففُ بالعكس، ويؤيد الأولَ قولُه: ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ فإنه أوفقُ للإسلام.

(٤) ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ﴾ خطابٌ لحفصةَ وعائشةَ على الالتفاتِ للمبالغةِ في المعاتبة. ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ فقد وجدَ منكُما ما يوجِبُ التوبةَ، وهو ميلُ قلوبِكما عن الواجبِ من مخالصةِ رسولِ الله عليه الصلاة والسلام بحبِّ ما يحبُّه وكراهةِ ما يكرهُهُ. ﴿وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾ وإنْ تتظاهرا عليه بما يسوؤه، وقرأ الكوفيونَ بالتخفيفِ. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فلنْ يُعْدَمَ مَنْ يظاهِرُه من الله والملائكةِ وصلحاءِ المؤمنين، فإنَّ الله ناصرُه وجبريلُ رئيسُ الكروبيين قرينُه، ومَنْ صلحَ من المؤمنين أتباعُه وأعوانُه. ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ متظاهرونَ، وتخصيصُ جبريلَ عليه السلام لتعظيمِه،

---

(١) المغافير: جمع مفرده مغفور، وهو شيء له رائحة كريهة وهو صمغ حلو الطعم.

(٢) أخرجه البخاري (٨/ ٦٥٦ رقم ٤٩١٢) و(٩/ ٣٧٤ رقم ٥٢٦٧) و(١١/ ٥٧٤ رقم ٦٦٩١) ومسلم (٢/ ١١٠٠ ـ ١١٠١ رقم ٢٠/ ١٤٧٤) عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله ﷺ يشربُ عسلاً عند زينب بنت جحش ويمكث عندها، فواطأت أنا وحفصةُ عن أيتنا دخلَ عليها فلتقل له أكلتَ مغافير؟ إني أجِدُ منكَ ريحَ مغافير، قال: لا، ولكني كنتُ أشربُ عند زينبَ بنت جحش فلن أعودَ له، وقد حلفتُ لا تخبري بذلك أحداً».
وأخرج البخاري (٩/ ٣٧٤ ـ ٣٧٥ رقم ٥٢٦٨) ومسلم (٢/ ١١٠١ رقم ٢١/ ١٤٧٤) من حديث عائشة أيضاً قالت: كان النبي ﷺ يحب الحلواء والعسل، فكان إذا صلى العصر دار على نسائه فدخل على حفصة فاحتبس عندها أكثر مما كان يحتبس، ثم ذكرت احتيالها على حفصة مع سودة وصفية، وليس في هذه الرواية ذكر نزول الآية.
وانظر فتح الباري للجمع والتوفيق بين السببين (٩/ ٣٧٦ ـ ٣٧٧).

والمراد بالصالح الجنسُ ولذلك عُمِّمَ بالإضافة وبقوله بعدَ ذلك تعظيمٌ لمظاهرةِ الملائكة من جملةِ ما ينصرهُ الله تعالى به.

عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾

(٥) ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ على التغليبِ، أو تعميمُ الخطابِ، وليس فيه ما يدلُّ على أنه لم يطلِّقْ حفصةَ وأنَّ في النساء خيراً منهنَّ لأنَّ تعليقَ طلاق الكلِّ لا ينافي تطليقَ واحدةٍ والمعلَّقُ بما لم يقعْ لا يجبُ وقوعُه. وقرأ نافع وأبو عمرو يُبْدِلُهُ بالتخفيفِ[1]. ﴿مُّسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ﴾ مقرَّاتٍ مخلصاتٍ أو منقاداتٍ مصدِّقاتٍ. ﴿قَٰنِتَٰتٍ﴾ مصلياتٍ أو مواظباتٍ على الطاعاتِ. ﴿تَٰٓئِبَٰتٍ﴾ عن الذنوبِ. ﴿عَٰبِدَٰتٍ﴾ متعبِّداتٍ أو متذلِّلاتٍ لأمرِ الرسولِ عليه الصلاة والسلام. ﴿سَٰٓئِحَٰتٍ﴾ صائماتٍ، سُمِّيَ الصائمُ سائحاً لأنه يَسيحُ بالنهارِ بلا زاد، أو مهاجراتٍ. ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ وسَطَ العاطِفَ بينَهما لتنافيهما ولأنهما في حكمِ صفةٍ واحدةٍ إذ المعنى مشتملاتٌ على الثيباتِ والأبكارِ.

(٦) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ بتركِ المعاصي وفعلِ الطاعات. ﴿وَأَهْلِيكُمْ﴾ بالنصحِ والتأديب. وقرىء وأهلُوكم عطفٌ على واوِ قُوْا، فيكون أنفسَكم أَنْفُسَ القبيلَيْنِ على تغليب المخاطَبِيْنَ. ﴿نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ ناراً تتقدُ بهما اتقادَ غيرها بالحطبِ. ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ﴾ تلي أمرَها وهم الزبانيةُ. ﴿غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ غلاظُ الأقوالِ شدادُ الأفعالِ، أو غلاظُ الخلْقِ شدادُ الخلْقِ أقوياءُ على الأفعال الشديدةِ. ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ﴾ فيما مضَى. ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ فيما يُسْتَقْبَلُ، أو لا يمتنعونَ عن قَبُولِ الأوامر والتزامِها ويؤدُّون ما يؤمرون به.

(٧) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي يُقَالُ لهم ذلك عندَ دخولهم النارَ، والنهيُ عن الاعتذارِ لأنه لا عذرَ لهم أو العذرُ لا ينفعُهم.

(٨) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ بالغةً في النصحِ وهو صفةُ التائبِ فإنه ينصحُ نفسَه بالتوبة، وُصِفَتْ به على الإسنادِ المجازي مبالغةً، أو في النصاحةِ وهي الخياطةُ كأنها تنصحُ ما خرقَ الذَّنْبُ. وقرأ أبو بكر بضمِّ النونِ وهو مصدرٌ بمعنى النصحِ كالشكرِ والشكورِ، أو النصاحةُ كالثباتِ والثبوتِ تقديرهُ ذاتَ نصوحٍ أو تنصح نصوحاً، أو توبوا نصوحاً لأنفسِكم. وسُئِلَ عليٌّ رضيَ الله تعالى

(١) قراءة نافع وأبو عمرو بتشديد الدال يُبَدِّلَه (المبسوط لابن مهران ص٢٣٨).

عنه عن التوبةِ فقال: يجمعُها ستةُ أشياءَ: على الماضي من الذنوب الندامةُ، وللفرائضِ الإعادةُ، وردُّ المظالم، واستحلالُ الخصوم، وأنْ تعزمَ على أنْ لا تعودَ، وأنْ تربِّي نفسَك في طاعة الله كما ربَّيْتَها في المعصية. ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ ذُكِرَ بصيغة الإطماع جَرْياً على عادة الملوك، وإشعاراً بأنه تفضُّلٌ. والتوبة غيرُ موجبةٍ وأنَّ العبدَ ينبغي أن يكون بينَ خوفٍ ورجاءٍ. ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ﴾ ظرفٌ ليدخلكم ـ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ عطفٌ على النبيِّ عليه الصلاة والسلام إحماداً لهم وتعريضاً لمن ناواهم، وقيل مبتدأٌ خبرهُ: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ﴾ أي على الصراطِ. ﴿يَقُولُونَ﴾ إذا طُفِيءَ نورُ المنافقين. ﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ وقيل تتفاوتُ أنوارُهم بِحَسَبِ أعمالِهم فيسألون إتمامَه تفضُّلاً.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾

(٩) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ﴾ بالسيفِ ﴿وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ بالحجَّةِ. ﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ واستعملِ الخشونةَ فيما تجاهدهُم به إذا بلغَ الرفقُ مداهُ. ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ جهنَّمُ أو مأواهم.

(١٠) ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ﴾ مثَّلَ اللهُ تعالى حالَهم في أنهم يُعاقَبُوْنَ بكفرهم ولا يُحابَوْنَ بما بينَهم وبينَ النبيِّ عليه الصلاة والسلام والمؤمنين من النسبة بحالِهما. ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ﴾ يريدُ به تعظيمَ نوح ولوطٍ عليهما السلام. ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ بالنفاقِ. ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ فلم يغنِ النبيَّانِ عنهما بحقِّ الزواجِ شيئاً إغناءً ما. ﴿وَقِيلَ﴾ أي لهما عندَ موتهما أو يومَ القيامة. ﴿ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ مع سائرِ الداخلين من الكفرةِ الذين لا وصلةَ بينَهم وبينَ الأنبياء عليهم السلام.

(١١) ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ شبَّه حالَهم في أنَّ وصلةَ الكافرين لا تضرُّهم بحالِ آسيةَ رضيَ الله عنها ومنزلتِها عند الله مع أنها كانتْ تحتَ أعدى أعداءِ الله. ﴿إِذْ قَالَتْ﴾ ظرفٌ للمثلِ المحذوفِ. ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾ قريباً من رحمتك أو في أعلى درجاتِ المقرَّبين. ﴿وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ﴾ من نفسِه الخبيثةِ وعملِه السيءِ. ﴿وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ من القِبْطِ التابعين له في الظلمِ.

(١٢) ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ﴾ عطفٌ على امرأة فرعونَ تسليةً للأراملِ. ﴿ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ من الرجال. ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ﴾ في فَرْجِها، وقرىء فيها أي في مريمَ أو في الجملة. ﴿مِن رُّوحِنَا﴾ من

روح خلقناه بلا توسُّطِ أصلٍ. ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا﴾ بِصُحُفِهِ المنزَّلةِ أو بما أُوحِي إلى أنبيائه. ﴿وَكُتُبِهِۦ﴾ وما كُتِبَ في اللَّوح المحفوظ، أو جنسُ الكتب المنزَّلةِ وتدلُّ عليه قراءةُ البصريين وحفصٌ بالجمع، وقرىء بكلمة الله وكتابه أي بعيسى عليه السلام والإنجيل. ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ من عِدَادِ المواظبين على الطاعةِ، والتذكيرُ للتغليبِ والإشعارِ بأنَّ طاعتَها لم تَقْصُرْ عن طاعة الرجالِ الكاملينَ حتى عُدَّتْ من جُمْلَتِهم، أو من نَسْلِهم فتكون من ابتدائيةً. عن النبيِّ ﷺ «كَمُلَ مِنَ الرجال كثيرٌ ولم يكمُلْ من النساء إلا أربعٌ: آسيةُ بنتُ مزاحم امرأةُ فرعونَ، ومريم بنتُ عمران، وخديجةُ بنتُ خويلدٍ وفاطمة بنتُ محمدٍ. وفضلُ عائشةَ على النساءِ كفضلِ الثريدِ على سائر الطعامِ»[1] وعنه عليه الصلاة والسلام «من قرأ سورةَ التحريم آتاهُ الله توبةً نصوحاً»[2].

☆ ☆ ☆

(١) أخرجه الثعلبي كما في «الكافي الشافِ» (ص١٧٦ رقم ٢٠٥) وأبو نعيم في الحلية (٥/٩٩) من حديث أبي موسى.
وأصله في الصحيحين البخاري (٦/٤٧١ ـ ٤٧٢ رقم ٣٤٣٣) ومسلم (٤/١٨٨٦ ـ ١٨٨٧ رقم ٧٠/٢٤٣١) عن أبي موسى الأشعري قال: قال النبي ﷺ: فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام. كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلاّ مريم بنتُ عمران، وآسيةُ امرأة فرعون».

(٢) وهو حديث موضوع.
أخرجه ابن مردويه والثعلبي والواحدي عن أبي بن كعب كما في «الكافي الشافِ» (ص١٧٦ رقم ٢٠٦).
وقد تقدم الكلام عليه في أواخر سورة آل عمران.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾

سورة الملك مكية[1]، وتسمى الواقيةَ والمنجيةَ لأنها تقي قارِئَها وتنجيه من عذاب القبرِ، وآيُها ثلاثونَ آيةً

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ بقبضةِ قُدْرَتِهِ التصرفُ في الأمور كلِّها. ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ على كل ما يشاءُ قديرٌ.

(٢) ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ قدَّرهما أو أوجدَ الحياةَ وأزالها حسْبَما قدَّره. وقدَّم الموتَ لقوله ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ﴾[2] ولأنه أدْعَى إلى حسنِ العمل. ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ ليعامِلَكم معاملةَ المختبِرِ بالتكليفِ أيُّها المكلَّفون. ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أصوبُه وأخلصُه، وجاء مرفوعاً: «أحسنُ عقلاً، وأورعُ عن محارمِ الله تعالى، وأسرعُ في طاعته»[3]. جملةٌ واقعةٌ موقعَ المفعولِ ثانياً لفعلِ البلوى المتضمِّن معنى

---

(١) وهي مكية بإجماع ـ كما في «المحرر الوجيز» لابن عطية (١٦/ ٥٩) ـ.

(٢) البقرة: «٢٨».

(٣) قال ابن حجر في «الكافي الشافِ» (ص٨٦ رقم ١٨٩): «أخرجه ـ داود بن المجير في كتاب العقل ـ والحارث في مسنده عنه، والطبري وابن مردويه من طريقه عن عبدالواحد بن زيد عن كليب بن وائل عن ابن عمر. وداود ساقط. وأخرج ابن مردويه أيضاً من طريق محمد بن أمرس عن سليمان بن عيسى عن الثوري عن كليب كذلك، وإسناده أسقط من الأول» هـ.

العلم، وليس هذا من باب التعليق لأنه يَخِلُّ به وقوعُ الجملة خبراً، فلا يعلّقُ الفعلُ عنها بخلافِ ما إذا وقعتْ موقعَ المفعولينِ. ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالبُ الذي لا يعجِزهُ مَنْ أساءَ العملَ. ﴿ٱلْغَفُورُ﴾ لمن تابَ منهم.

(٣) ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ مطابقةً بعضُها فوقَ بعض، مصدرُ طابقتُ النعلَ إذا خلطْتُها طَبَقاً على طبقٍ وُصِفَ به، أو طوبقتْ طباقاً أو ذات طباقٍ جمعُ طبَقٍ كجبلٍ وجبالٍ، أو طَبْقَةٍ كرحْبةٍ ورحابٍ. ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ وقرأ حمزة والكسائيُّ من تفوُّتٍ ومعناهما واحدٌ كالتعاهدِ والتعهُّدِ، وهو الاختلافُ وعدم التناسُبِ من الفوْتِ كأن كلا من المتفاوتين فاتَ عنه بعضُ ما في الآخر، والجملةُ صفةٌ ثانية لسبع وُضِعَ فيها خلْقُ الرحمن موضِعَ الضمير للتعظيم والإشعارِ بأنه تعالى يخلُق مثلَ ذلك بقدرته الباهرةِ رحمةً وتفضُّلاً وأنَّ في إبداعها نِعَماً جليلةً لا تُحْصَى، والخطابُ فيها للرسولِ أو لكلِّ مخاطَبٍ وقوله: ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ متعلِّقٌ به على معنى التسبُّبِ، أي قد نظرت إليها مراراً فانظرْ إليها مرةً أخرى متأملاً فيها لتعاينَ ما أخبرتَ به من تناسُبِها واستقامَتِها واستجماعِها ما ينبغي لها. والفطورُ الشقوقُ، والمراد الخلَلُ من فَطَرَهُ إذا شقَّه.

ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾

(٤) ﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ أي رجْعَتَيْنِ أُخْرَيَيْنِ في ارتيادِ الخللِ، والمرادُ بالتثنيةِ التكريرُ والتكثيرُ كما في لبَّيك وسعْدَيْك، ولذلك أجابَ الأمرَ بقوله: ﴿يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا﴾ بعيداً عن إصابة المطلوب كأنه طُرِدَ عنه طرداً بالصَّغَارِ. ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ كليلٌ من طولِ المعاودةِ وكثرةِ المراجعةِ.

(٥) ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا﴾ أقربَ السمواتِ إلى الأرض[1]. ﴿بِمَصَٰبِيحَ﴾ بالكواكبِ المضيئةِ بالليل إضاءةَ السُّرُجِ فيها، والتنكيرُ للتعظيم ولا يمنعُ ذلك كونَ بعضِ الكواكب مركوزةً في سمواتٍ فوقَها إذ التزيينُ بإظهارِها فيها ﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ وجعلنا لها فائدةً أخرى وهي رجْمُ أعدائِكم، والرجومُ جمعُ رَجْمٍ بالفتح وهو مصدرٌ سُمِّيَ به ما يُرْجَمُ به بانقضاضِ الشهبِ المسبَّبةِ عنها. وقيل معناه وجعلناها رجوماً وظنوناً لشياطينِ الإنس وهم المنجِّمونَ. ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾ في الآخرة بعدَ الإحراقِ بالشُّهبِ في الدنيا.

(٦) ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ﴾ من الشياطين وغيرِهم. ﴿عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ وقرىء بالنصبِ على أنَّ للذين عطفٌ على لهم وعذابٌ على عذابِ السعير.

(٧) ﴿إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا﴾ صوتاً كصوتِ الحمير. ﴿وَهِىَ تَفُورُ﴾ تغلي بهم غليانَ المِرْجَلِ بما فيه.

---

(١) تصدير الجملة بالقسم لإبراز كمال الاعتناء بمضمونها (س٩/ ٤).

تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾

(٨) ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ تتفرَّق غيظاً عليهم، وهو تمثيلٌ لشدةِ اشتعالها بهم، ويجوز أنْ يُرَادَ غيظَ الزبانيةِ. ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ﴾ جماعةٌ من الكفرةِ. ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ يخوِّفكم هذا العذابَ وهو توبيخٌ وتبكيت.

(٩) ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ﴾ أي فكذَّبنا الرسلَ وأفرطْنا في التكذيب حتى نفينا الإنزالَ والإرسالَ رأساً، وبلغنا في نِسْبَتِهم إلى الضلال، فالنذير إما بمعنى الجمع لأنه فعيلٌ أو مصدرٌ مقدَّرٌ بمضافٍ أي أهلُ إنذارٍ، أو منعوتٌ به للمبالغة أو الواحدُ، والخطابُ له ولأمثاله على التغليب، أو إقامةُ تكذيبِ الواحدِ مقامَ تكذيب الكلِّ، أو على أنَّ المعنى قالتِ الأفواجُ قد جاء إلى كلِّ فوجٍ منَّا رسولٌ من الله فكذَّبناهم وضلَّلناهم، ويجوزُ أنْ يكون الخطابُ من كلام الزبانية للكفار على إرادةِ القول فيكون الضُّلَّالُ ما كانوا عليه في الدنيا، أو عقابهُ الذي يكونون فيه.

(١٠) ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ﴾ كلامُ الرسلِ فنقبلُه جملةً من غيرِ بحثٍ وتفتيشٍ اعتماداً على ما لاحَ من صدْقِهم بالمعجزات. ﴿أَوْ نَعْقِلُ﴾ فنتفكرُ في حِكَمِه ومعانيه تفكُّرَ المستبصرينَ. ﴿مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ في عِدَادِهم ومن جملتِهم.

(١١) ﴿فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ﴾ حين لا ينفعُهم، والاعترافُ إقرارٌ عن معرفةٍ، والذَّنْبُ لم يُجْمَعْ لأنه في الأصل مصدرٌ، أوِ المرادُ به الكفرُ. ﴿فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ فأسحَقَهُم الله سُحْقاً أبعدَهم من رحمته، والتغليبُ للإيجاز والمبالغة والتعليلِ، وقرأ الكسائيُّ بالتثقيل[1].

(١٢) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ يخافون عذابَه غائباً عنهم لم يعاينُوه بعدُ، أو غائبين عنه أو عن أعينِ الناس، أو بالمخفيِّ منهم وهو قلوبُهم. ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم. ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ تصغُر دونَه لذائذُ الدنيا.

(١٣) ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ بالضمائرِ قبلَ أنْ يعبِّرَ عنها سراً أو جهراً[2].

(١٤) ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ ألا يعلمُ السرَّ والجهْرَ مَنْ أوجَدَ الأشياءَ حَسْبَما قدَّرتْه حِكْمَتُه. ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ المتوصِّلُ علمُه إلى ما ظهرَ من خلْقِه وما بطنَ، أو ألا يعلمُ الله مِنْ خلْقِه، وهو بهذه

---

(١) قوله: وقرأ الكسائي بالتثقيل أي بضم الحاء من قوله «فَسُحقاً».

(٢) وتقديم السر على الجهر للإيذان بافتضاح أمرهم ووقوع ما يحذرونه من أول الأمر والمبالغةِ في بيان شمول علمه المحيط لجميع المعلومات كأن علمه تعالى بما يسرونه أقدر منه بما يجهرون به مع كونهما في الحقيقة على السوية... أو لأن مرتبة السرّ متقدمة على مرتبة الجهر (س٩/٦).

المثابةِ والتقييدِ بهذه الحالِ يستدعي أنْ يكونَ ليعلمَ مفعولَ ليفيد. رُوِيَ[١] أنَّ المشركينَ كانوا يتكلمون فيما بينهم بأشياءَ، فيخبر اللهُ بها رسولَه، فيقولون: أسروا قولَكم لئلا يسمعَ إلهُ محمدٍ فنبَّه الله على جَهْلِهم.

هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾

(١٥) ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا﴾ لينةً يسهلُ لكم السلوكُ فيها. ﴿فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا﴾ في جوانبها أو جبالها، وهو مَثَلٌ لفرْطِ التذليلِ فإنَّ منكبَ البعير ينبو عن أن يطأَه الراكبُ ولا يتذلَّلُ له، فإذا جعلَ الأرضَ في الذلِّ بحيث يُمْشَى في مناكِبِها لم يبقَ شيء لم يتذلَّلْ. ﴿وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ﴾ والْتَمِسُوا من نعمِ الله. ﴿وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ المرجعُ فيسألكم عن شكرِ ما أنعمَ عليكم.

(١٦) ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ يعني الملائكةَ الموكَّلين على تدبير هذا العالَمِ، أو اللهَ تعالى على تأويل مَنْ في السماء أمرُه أو قضاؤُه، أو على زعمِ العرب فإنهم زعمُوا أنه تعالى في السماء، وعن ابن كثير وأَمِنْتُم بقلب الهمزة الأولى واواً لانضمامِ ما قبلَها، وآمنتم بقلبِ الثانية ألفاً وهو قراءةُ نافع وأبي عمرو ورويس. ﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ فيغيِّبُكم فيها كما فعل بقارونَ وهو بدلٌ من بدلِ الاشتمالِ. ﴿فَإِذَا هِىَ تَمُورُ﴾ تضطربُ، والمورُ التردُّدُ في المجيءِ والذَّهابِ.

---

(١) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٨/ ٣٢١).
ـ قال ابن الجوزي في «زاد المسير» (٨/ ٣٢٢): «وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي «أأمنتم» بهمزتين (من في السماء) قال ابن عباس: أمنتم عذاب من في السماء وهو الله عز وجل؟!» هـ.
ويؤيد ذلك ما أخرجه البخاري (٨/ ٦٧ رقم ٤٣٥١) ومسلم (٢/ ٧٤٢ رقم ١٤٤/ ١٠٦٤) وأحمد في المسند (٣/ ٤) وغيرهم من حديث أبي سعيد الخدري قال: بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه من اليمن بذُهَيبةٍ في أديم مقروظ لم تحصَّل من ترابها، قال: فقسمها بين أربعة نفر: بين عيينة بن بدر، وأقرع بن حابس، وزيد الخيل، والرابع إما علقمة، وإما عامر بن الطفيل. فقال رجل من أصحابه: كنَّا نحنُ أحقَّ بهذا من هؤلاء. فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «ألا تأمنوني وأنا أمينُ من في السماء...» الحديث.
● وأخرج مسلم (١/ ٣٨١ ـ ٣٨٢ رقم ٣٣/ ٥٣٧) ضمن قصة طويلة:
عن معاوية بن الحكم السلميِّ؛ قال: «وكانت لي جارية ترعى غنماً لي قِبَلَ أُحُد والجوَّانية فأطلعتُ ذاتَ يوم فإذا الذيب قد ذهب بشاةٍ من غنمها، وأنا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون، لكني صككتها صَكْةً. فأتيتُ رسول الله ﷺ فعظَّمَ ذلك عليَّ، قلت: يا رسول الله أفلا أعتِقُها؟ قال: «ائتِني بها» فأتيتهُ بها فقال لها: «أينَ اللهُ؟» قالت في السماء. قال «من أنا؟» قالت: أنت رسول الله. قال «أعتِقْها فإنها مؤمنة».
وأخرجه أبو داود (١/ ٥٧٠ ـ ٥٧٣ رقم ٩٣٠) والنسائي (٣/ ١٤ ـ ١٨ رقم ١٢١٨) وأحمد في المسند (٥/ ٤٤٧، ٤٤٨ ـ ٤٤٩) والطيالسي في المسند (ص١٥٠ رقم ١١٠٥) واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٣/ ٣٩١ ـ ٣٩٢ رقم ٦٥٢) وابن أبي عاصم في «كتاب السنة» (١/ ٢١٥ رقم ٤٨٩) والبيهقي في الأسماء والصفات (ص٤٢١ ـ ٤٢٢) وابن خزيمة في «كتاب التوحيد» (ص١٢١ ـ ١٢٢) وغيرهم.
وانظر الأدلة الأخرى في «التحف في مذاهب السلف» للشوكاني بتحقيقي (ص٢١ ـ ٢٤).

أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾

(١٧) ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ أنْ يمطِرَ عليكم حَصْبَاءَ. ﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ كيفَ إنذاري إذا شاهدتُم المنذرَ به ولكن لا ينفعكم العلمُ حينئذٍ.

(١٨) ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ إنكاري عليهم بإنزالِ العذاب، وهو تسليةٌ للرسول ﷺ وتهديدٌ لقومه المشركين.

(١٩) ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ﴾ باسطاتٍ أجنحَتَهُنَّ في الجوِّ عند طيرانِها، فإنهنَّ إذا بسطْنَها صَفَفْنَ قوادِمَها. ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾ ويضمُمْنَها إذا ضربْنَ بها جنوبَهُنَّ وقتاً بعدَ وقتٍ للاستظهار به على التحريكِ، ولذلك عدلَ به إلى صيغةِ الفعلِ للتفرقة بين الأصلِ في الطيرانِ والطارىءِ عليه. ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ في الجوِّ على خلافِ الطبعِ. ﴿إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ الشاملُ رحمتُه كلَّ شيءٍ بأنْ خلقهنَّ على أشكالٍ وخصائصَ هيأتْهنَّ للجري في الهواءِ. ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ﴾ يعلمُ كيفَ يخلقُ الغرائبَ ويدبِّرُ العجائبَ.

(٢٠) ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ عديلٌ لقوله أو لم يروا على معنى أو لم تنظُروا في أمثالِ هذه الصنائعِ، فلم تعلمُوا قدرتَنا على تعذيبهم بنحوِ خسْفٍ وإرسالِ حاصبٍ، أم لكم جندٌ ينصرُكم من دون الله إنْ أرسلَ عليكم عذابَه فهو كقوله ﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا﴾[1] إلا أنه أُخرجَ مخرجَ الاستفهام عن تعيينِ مَنْ ينصرُهم إشعاراً بأنهم اعتقدُوا هذا القسمَ، ومَنْ مبتدأٌ وهذا خبرُه والذي بصِلتِه صفتُه وينصرُكم وصفٌ لجندٍ محمولٌ على لفظه[2]. ﴿إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ﴾ لا معتمدَ لهم[3].

(٢١) ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ﴾ أم مَنْ يُشارُ إليه ويقال هذا الذي يرزقُكم. ﴿إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ﴾ بإمساكِ المطرِ وسائرِ الأسبابِ المخلَصةِ والموصِلةِ له إليكم. ﴿بَل لَّجُّوا۟﴾ تمادَوْا. ﴿فِى عُتُوٍّ﴾ عنادٍ. ﴿وَنُفُورٍ﴾ شِرَادٍ عن الحقِّ لتنفُرَ طباعُهم عنه.

(٢٢) ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ﴾ يُقَالُ كَبَبْتُهُ فأكبَّ وهو من الغرائب كقشعَ الله السحابَ فأقشعَ، والتحقيقُ أنهما من باب انفضّ بمعنى صارَ ذا كبٍّ وذا قشعٍ، وليس مطاوعي كبَّ وقشعَ بل المطاوعُ لهما انكبّ وانقشعَ، ومعنى مكِباً أنه يعثُر كلَّ ساعة ويخرُّ على وجْهِه لوعورةِ طريقِه واختلافِ

---

(١) الأنبياء: «٤٣».

(٢) والالتفات إلى الخطاب في «ينصركم» لتشديد التبكيت (س٩/٨).

(٣) والالتفات إلى الغيبة في «إن الكافرون» للإيذان باقتضاء حالهم للإعراض عنهم وبيان قبائحهم لغيرهم (س٩/٨).

أجزائِه، ولذلك قابلَه بقوله: ﴿أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا﴾ قائماً سالماً من العِثَار. ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ مستوي الأجزاءِ والجهةِ، والمرادُ تمثيلُ المشرك والموحِّدِ بالسالكين والدينين بالمسلكينَ، ولعلَّ الاكتفاءَ بما في الكبِّ من الدلالة على حالِ المسلكِ للإشعار بأنَّ ما عليه المشركُ لا يستأهلُ أنْ يُسَمَّى طريقاً، كمشي المتعسِّفِ في مكان متعادٍ غيرِ مستوٍ. وقيل المراد بالمكبِّ الأعمى فإنه يتعسَّفُ فينكبُّ وبالسويِّ البصيرُ، وقيل مَنْ يمشي مكباً هو الذي يُحْشَرُ على وجهه إلى النار ومن يمشي سوياً الذي يُحْشَرُ على قدميه إلى الجنة.

قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿٣٠﴾

(٢٣) ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ﴾ لتسمعُوا المواعظَ. ﴿وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ لتنظروا صنائِعَهُ. ﴿وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ لتتفكروا وتعتبروا. ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ باستعمالها فيما خُلِقَتْ لأَجْلِها.

(٢٤) ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ للجزاءِ.

(٢٥) ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ أي الحشرُ أو ما وعدوا به من الخسْفِ والحاصبِ. ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ يعنُونَ النبيَّ عليه الصلاة والسلام والمؤمنينَ.

(٢٦) ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ﴾ أي عِلْمُ وقْتِه. ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ لا يطَّلِع عليه غيرُه. ﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ والإنذارُ يكفي فيه العلمُ بلِ الظنُّ بوقوعِ المحذَّرِ منه.

(٢٧) ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ أي الوعدَ فإنه بمعنى الموعود. ﴿زُلْفَةً﴾ ذا زلفةٍ أي قربٍ منهم. ﴿سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بأنَ علتها الكآبةُ وساءَتْها رؤيةُ العذاب. ﴿وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾ تطلبون وتستعجلون تفتعِلونَ من الدعاءِ، أو تدَّعون أنْ لا بعثَ فهو من الدَّعْوى.

(٢٨) ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ﴾ أماتَنِيْ. ﴿وَمَن مَّعِىَ﴾ من المؤمنين. ﴿أَوْ رَحِمَنَا﴾ بتأخير آجالِنا. ﴿فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أي لا ينجيهم أحدٌ من العذاب مِتْنَا أو بقينا، وهو جوابٌ لقولهم نتربَّصُ به ريبَ المنون.

(٢٩) ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ الذي أدعوكم إليه مُوْلِيْ النعم كلِّها. ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ للعلم بذلك ﴿وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ للوثوقِ عليه والعلمِ بأنَّ غَيْرَهُ بالذاتِ لا يضرُّ ولا ينفعُ، وتقديمُ الصلةِ للتخصيصِ والإشعارِ به. ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ منا ومنكم، وقرأ الكسائيُّ بالياء.

(٣٠) ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾ غائراً في الأرض بحيثُ لا تنالُه الدِّلاءُ مصدرٌ وُصِفَ به. ﴿فَمَن

﴿بِأَتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾ جارٍ أو ظاهرٌ سهلُ المأخذِ. عن النبيِّ ﷺ «مَنْ قرأ سورةَ الملكِ فكأنما أحيا ليلةَ القدر»[1].

☆ ☆ ☆

(١) وهو حديث موضوع.
أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي عن أبي بن كعب.
كما في «الكافي الشافِ» (ص١٧٦ رقم ٢٠٨).
وقد تقدم الكلام عليه في أواخر سورة آل عمران.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَيِّيكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾

سورة نٓ مكية[1] وآيها اثنتان وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ﴿نٓ﴾ من أسماءِ الحروفِ، وقيل اسمُ الحوتِ والمرادُ به الجنسُ، أو البَهْموت[2] وهو الذي عليه الأرضُ، أوِ الدواةُ فإنَّ بعضَ الحيتانِ يُسْتَخْرَجُ منه شيءٌ أشدُّ سواداً من النِّقْسِ[3] يُكْتَبُ به، ويؤيد الأولَ سكونُه وكتْبُه بصورةِ الحرفِ. ﴿وَٱلْقَلَمِ﴾ وهو الذي خطَّ اللوحَ، أو الذي يُخَطُّ به أقسمَ به تعالى لكثرةِ فوائدِه. وأخفى ابنُ عامر والكسائي ويعقوبُ النونَ إجراءً للواوِ المنفصلِ مجرى المتَّصلِ؛ فإنَّ النونَ الساكنةَ تُخْفَى مع حروفِ الفمِ إذا اتصلتْ بها، وقد رُوِيَ ذلك عن نافع وعاصم، وقرئت بالفتحِ والكسرِ كصَ. ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ وما يكتُبونَ، والضميرُ للقلم بالمعنى الأولِ على التعظيم، أو بالمعنى

---

(١) قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٦/ ٧٣): «وهي مكية ولا خلاف فيها بين أحد من أهل التأويل» هـ.

(٢) البهموت اسم لسمكة عليها الأرض، وقد أخرج ابن مردويه عن ابن عباس في قوله «نٓ والقلم..» قال: قال رسول الله ﷺ: «النون السمكة التي عليها قرار الأرضين...» (الدر المنثور ٦/ ٣٨٩).

(٣) النقس: هو الشيء الذي يكتب به (مختار الصحاح مادة نقس).

الثاني على إرادةِ الجنسِ. وإسنادُ الفعل إلى الآلةِ وإجراؤُه مجرى أولي العلمِ لإقامتِه مقامَهُم، أو لأصحابه، أو للحفَظَةِ، وما مصدريةٌ أو موصولة.

(٢) ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ جوابُ القسم والمعنى ما أنتَ بمجنونٍ مُنْعَماً عليك بالنبوة وحصافَةِ الرأي، والعاملُ في الحال معنى النفي. وقيلَ بمجنونٍ الباءُ لا تمنعُ عملَه فيما قبلَه لأنها مزيدةٌ، وفيه نظرٌ من حيثُ المعنى[١].

(٣) ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا﴾ على الاحتمالِ والإبلاغِ. ﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ مقطوعٍ أو ممنونٍ به عليك من الناس فإنه تعالى يعطيك بلا توسُّطٍ.

(٤) ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ إذ تتحمَّلُ من قومك ما لا يتحمَّلُ أمثالُك، وسُئِلَتْ عائشةُ رضي الله تعالى عنها عن خُلُقِهِ ﷺ فقالت: كان خلُقه القرآن[٢]، ألستَ تقرأُ القرآنَ ﴿قد أفلحَ المؤمنون﴾[٣].

(٥) ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾.

(٦) ﴿بِأَيِّيكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾ أيكُم الذي فُتِنَ بالجنون والباءُ مزيدةٌ، أو بأيِّكم الجنونُ على أنَّ المفتونَ مصدرٌ كالمعقول والمجلودِ، أو بأي الفريقين منكم المجنونُ أبفريقِ المؤمنينَ أو بفريق الكافرين، أي في أيِّهما يوجدُ مَنْ يستحقُّ هذا الاسمَ.

(٧) ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ وهم المجانينُ على الحقيقة. ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ الفائزين بكمالِ العقلِ[٤].

(٨) ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ تهيُّجٌ للتصميم على معاصاتِهم.

(٩) ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ﴾ تلاينُهم بأنْ تدعَ نَهْيَهُم عن الشرك، أو توافِقَهم فيه أحياناً[٥]. ﴿فَيُدْهِنُونَ﴾ فيلاينُونَك بتركِ الطعنِ والموافقةِ، والفاءُ للعطفِ أي ودُّوا التداهُنَ وتمنَّوه لكنَّهم أخَّروا ادّهانَهم حتى تدهِنَ، أو للسببيةِ أي ودُّوا لو تدهنُ فهم يدهنونَ حينئذٍ، أو ودُّوا ادِّهانك فهم الآنَ يدهنونَ طمَعاً فيه، وفي بعض المصاحفِ فيدهِنُوا على أنه جوابُ التمنِّي.

(١٠) ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ﴾ كثيرَ الحلفِ في الحقِّ والباطل. ﴿مَّهِينٍ﴾ حقيرِ الرأيِ من المهانةِ وهي الحقارةُ.

(١١) ﴿هَمَّازٍ﴾ عياب. ﴿مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ﴾ نقال للحديث على وجه السعاية.

---

(١) والتعرض لوصف الربوبية «ربك» مع الإضافة إلى ضميره ﷺ لتشريفه ـ عليه السلام ـ والإيذان بأنه تعالى يتم نعمته عليه ويبلغه من العلوّ إلى غاية لا غاية وراءها (س٩/ ١١).

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٥١٣ رقم ٧٤٦/١٣٩) في سياق طويل هذا جزء منه. وأخرجه الحاكم (٢/ ٤٩٩) مختصراً بلفظ المصنف. وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وهذا وهم منه فإن مسلماً أخرجه كما رأيت.

(٣) المؤمنون: «١».

(٤) وزيادة «هو أعلم» لزيادة تقرير علمه تعالى (س٩/ ١٢).

(٥) عبر عن مداهنتهم بالطاعة التي نهى عنها قبل للمبالغة في الزجر والتنفير (س٩/ ١٣).

مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾

(١٢) ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ يمنع الناس عن الخير من الإيمان والإيقان والعمل الصالح. ﴿مُعْتَدٍ﴾ متجاوز في الظلم. ﴿أَثِيمٍ﴾ كثير الآثام.

(١٣) ﴿عُتُلٍّ﴾ جافٍ غليظٌ من عتله إذا قاده بعنفٍ وغِلْظَةٍ. ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ بعدَما عدَّ من مثالِبه. ﴿زَنِيمٍ﴾ دعيٌّ مأخوذٌ من زنمتي الشاةِ وهما المتدليتانِ من أُذُنِها وحلْقِها، قيل هو الوليد بنُ المغيرة ادَّعاه أبوه بعدَ ثماني عشرةَ من مولدِه، وقيل الأخنس بنُ شريق أصلُه من ثقيفَ وعِدَاده في زهرةَ.

(١٤) ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾.

(١٥) ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ قال ذلك حينئذٍ لأنه كان متمولاً مستظهِراً بالبنينِ من فَرْطِ غُروره، لكنَّ العاملَ مدلولُ قال لانفسُه، لأنَّ ما بعدَ الشرط لا يعملُ فيما قبلَه، ويجوزُ أنْ يكونَ علة لِلَاتُطِعْ أي لا تطعْ مَنْ هذه مثالُه لأنْ كان ذا مالٍ. وقرأ ابنُ عامر وحمزةُ ويعقوب وأبو بكر أنْ كانَ على الاستفهامِ، غيرَ أنَّ ابنَ عامرٍ جعلَ الهمزةَ الثانيةَ بينَ بينَ أي ألأن كان ذا مال كذَبَ، أو أتطيعُه لأنْ كان ذا مال. وقرىء إن كان بالكسرِ على أنَّ شرط الغِنَى في النهي عن الطاعةِ كالتعليل بالفقرِ في النهي عن قتلِ الأولاد، أو أنَّ شرطَه للمخاطبِ أي لا تطعْهُ شارِطاً يسارهُ لأنه إذا أطاعَ للغني فكأنه شرطَه في الطاعةِ.

(١٦) ﴿سَنَسِمُهُ﴾ بالكيِّ. ﴿عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ على الأنفِ وقد أصابَ أنفَ الوليد جراحةٌ يومَ بدْرٍ فبقي أثرهُ، وقيل هو عبارةٌ عن أنْ يذلَّه غايةَ الإذلالِ كقولهم: جدَعَ أنفَه، رغِمَ أنفُه، لأنَّ السِّمةَ على الوجْهِ سيما على الأنفِ شينٌ ظاهر، أو نسوِّدُ وجْهَهُ يومَ القيامة.

(١٧) ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ﴾ بلونا أهلَ مكَّةَ شرَّفها الله تعالى بالقحْطِ. ﴿كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ يريدُ البستانَ الذي كان دونَ صنعاءَ بفرسخينِ، وكان لرجلٍ صالح، وكان ينادي الفقراءَ وقْتَ الصرامِ ويتركُ لهم ما أخطأه المنجلُ وألقتْه الريحُ. أو بَعُدَ من البساطِ الذي يُبْسَطُ تحتَ النخلة، فيجتمعُ لهم شيءٌ كثيرٌ، فلما ماتَ قال بنوه إنْ فعلْنا ما كان يفعلُه أبونا ضاقَ علينا الأمرُ، فحلفوا ليصرمنَّها وقْتَ الصباحِ خُفْيَةً عن المساكين كما قال: ﴿إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ ليقطعنَّها داخلين في الصباحِ.

(١٨) ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾ ولا يقولون إنْ شاءَ الله، وإنما سمَّاه استثناءً لما فيه من الإخراجِ غيرَ أن المخرجَ به خلافُ المذكورِ والمخرجُ بالاستثناءِ عينُه، أو لأنَّ معنى لأخرجُ إنْ شاءَ الله ولا أخرجُ إلى أن يشاءَ الله واحدٌ، أو ولا يستثنون حصَّةَ المساكينِ كما كان يخرجُ أبوهم.

(١٩) ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا﴾ على الجنةِ. ﴿طَائِفٌ﴾ بلاءٌ طائفٌ. ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾ مبتدأٌ منه. ﴿وَهُمْ نَائِمُونَ﴾.

(٢٠) ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ كالبستانِ الذي صُرِمَ ثمارُه بحيثُ لم يبقَ فيه شيءٌ. فعيلٌ بمعنى مفعولٍ، أو كالليل باحتراقها واسودادِها، أو كالنهار بابيضاضِها من فرطِ اليُبْسِ سُمِّيا بالصريمِ لأنَّ كلاً منهما ينصرمُ عن صاحبِه أو كالرملِ.

فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾

(٢١) ﴿فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ﴾.

(٢٢) ﴿أَنِ ٱغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ﴾ أنِ اخرجُوا أو بأنِ أخرجُوا إليه غدوةً، وتعديةُ الفعلِ بعلَى إما لتضمُّنه معنى الإقبالِ أو لتشبيهِ الغدوِّ للصرّامِ بغدوِّ العدوِّ المتضمِّنِ لمعنى الاستيلاءِ. ﴿إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ﴾ قاطعين له.

(٢٣) ﴿فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ﴾ يتشاورون فيما بينَهم وخَفَى وخَفَتَ وخَفَدَ بمعنى الكتْم، ومنه الخفدودُ للخفاشِ.

(٢٤) ﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ﴾ أنْ مفسِّرةٌ، وقرىء بطرحِها على إضمار القول، والمرادُ بنهي المسكين عن الدخولِ المبالغةُ في النهي عن تمكينِه من الدخول كقولهم: لا أرينَّك ها هُنا.

(٢٥) ﴿وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ﴾ وغدوا قادرينَ على نكَدٍ لا غيرَ، من حارَدَتِ السَّنَةُ إذا لم يكنْ فيها مطرٌ، وحاردتِ الإبلُ إذا منعتْ درَّها. والمعنى أنهم عزموا أنْ يتنكَّدوا على المساكين فَتُنَكِّدَ عليهم بحيث لا يقدرون إلا على النكِدِ، أو غدوا حاصلينَ على النكدِ والحرمانِ مكانَ كونهم قادرينَ على الانتفاعِ. وقيل الحرْدُ بمعنى الْحَرَدِ وقد قرىء به أي لم يقدروا إلا على حنقِ بعضِهم لبعضٍ كقوله ﴿يَتَلَٰوَمُونَ﴾[1] وقيل الحردُ القصدُ والسرعةُ قال:

أَقْبَلَ سَيْلٌ جَاءَ مِنْ أَمْرِ اللهِ يَحْرُدُ حَرْدَ الجَنَّةِ المُغِلَّةِ

أي غَدَوْا قاصدين إلى جنَّتهم بسرعةٍ قادرينَ عندَ أنفسِهم على صِرَامِها. وقيل عَلَمٌ للجنَّةِ.

(٢٦) ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا﴾ أولَ ما رأوها. ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾ طريقَ جنَّتِنا وما هي بها.

(٢٧) ﴿بَلْ نَحْنُ﴾ أي بعدَ ما تأملوا وعرفُوا أنها هي قالوا بل نحن ﴿مَحْرُومُونَ﴾ حُرِمْنَا خيرها لجنايتنا على أنفسِنا.

(٢٨) ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ رأياً، أو سِنّاً. ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ لولا تَذْكرونه وتتوبون إليه من خُبْثِ نيَّتِكم، وقد قاله حينما عزموا على ذلك ويدلُّ على هذا المعنى.

(٢٩) ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ أي لولا تستثنونَ فسُمِّيَ الاستثناءُ تسبيحاً لتشارُكِهما في التعظيمِ، أو لأنه تنزيهٌ عن أنْ يجريَ في ملكِه ما لا يريدُه.

(٣٠) ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ﴾ يلوم بعضُهم بعضاً، فإنَّ منهم مَنْ أشار بذلك ومنهم مِنِ اسْتَصْوَبَه ومنهم من سكتَ راضياً ومنهم من أنكرهُ.

---

(١) نَ: «٣٠».

قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۙ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٤١﴾

(٣١) ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ﴾ متجاوزين حدودَ الله تعالى.

(٣٢) ﴿عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا﴾ ببركةِ التوبةِ والاعترافِ بالخطيئةِ، وقد رُوِيَ[1] أنهم أُبْدِلُوا خيراً منها. وقرىء يبدِلُنا بالتخفيفِ. ﴿إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾ راجونَ العفوَ طالبونَ الخيرَ. وإلى لانتهاءِ الرغبةِ، أو لتضمُّنِها معنى الرجوعِ.

(٣٣) ﴿كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ﴾ مثلُ ذلك العذابِ الذي بلونا به أهلَ مكَّة وأصحابَ الجنةِ العذابَ في الدنيا. ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ أعظمُ منه. ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ لاحترزوا عما يؤدِّيهم إلى العذاب.

(٣٤) ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أي في الآخرة، أو في جوار القدسِ. ﴿جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ جناتٍ ليس فيها إلا التنعُّمُ الخالِصُ.

(٣٥) ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ إنكارٌ لقول الكفرةِ، فإنَّهم كانوا يقولون: إنْ صحَّ أنَّا نُبْعَثُ كما يزعم محمدٌ ومن معه لم يفضُلونا بل نكون أحسنَ حالاً منهم كما نحن عليه في الدنيا.

(٣٦) ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ التفاتٌ فيه تعجُّبٌ من حُكْمِهم واستبعادٌ له، وإشعارٌ بأنه صادرٌ منِ اختلالِ فِكْرٍ واعوجاجِ رأيٍ.

(٣٧) ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ﴾ من السماءِ. ﴿فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾ تقرؤون.

(٣٨) ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾ إن لكم ما تختارونَه وتشتهونَه، وأصلُه أنَّ لكم بالفتحِ لأنه المدروسُ فلما جِيْءَ باللامِ كُسِرتْ، ويجوز أنْ يكونَ حكايةً للمدروسِ أوِ استئنافاً. وتخيَّر الشيءَ واختارَه أخذَ خيرَهُ.

(٣٩) ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا﴾ عهودٌ مؤكَّدة بالإيمان. ﴿بَالِغَةٌ﴾ متناهيةٌ في التوكيد، وقُرِئَتْ بالنصبِ على الحالِ والعاملُ فيها أحدُ الظرفينِ. ﴿إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ متعلِّقٌ بالمقدَّرِ في لكم أي ثابتة لكم علينا إلى يوم القيامةِ لا نخرجُ عن عهدَتِها حتى نحكِّمَكُم في ذلك اليوم، أو ببالغةٍ أي أيمانٌ تبلغُ ذلك اليومَ. ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ جوابُ القسمِ لأنَّ معنى أم لكم أيمانٌ علينا أم أقسمْنا لكم.

(٤٠) ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ﴾ بذلك الحكمِ قائمٌ يدَّعيه ويصحِّحُهُ.

(٤١) ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾ يشاركونهم في هذا القولِ. ﴿فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾ في دعواهم إذ لا أقلَّ من التقليد. وقد نبَّه سبحانه وتعالى في هذه الآياتِ على نفي جميعِ ما يمكن أنْ يتشبَّثوا به من عقلٍ أو نقلٍ يدلُّ عليه لاستحقاقٍ أو وعدٍ أو محضِ تقليدٍ على الترتيبِ تنبيهاً على مراتبِ النظرِ وتزييفاً

---

(١) ذكره الألوسي (٢٩/ ٣٢) عنه بدون سند.

لما لا سندَ له. وقيل المعنى أم لهم شركاءُ يعني الأصنامَ يجعلونَهم مثلَ المؤمنين في الآخرة، كأنه لما نَفَى أنْ تكونَ التسويةُ من الله تعالى نَفَى بهذا أنْ تكون مما يشاركونَ اللهَ به.

يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾

(٤٢) ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ يومَ يشتدُّ الأمرُ ويصعبُ الخطبُ، وكَشْفُ الساقِ مَثَلٌ في ذلك، وأصلُه تشميرُ المخدَّراتِ عن سوقهنَّ في الهربِ. قال حاتمٌ:

أَخو الحَرْبِ إنْ عَضَّتْ بِهِ الحَرْبُ عَضَّهَا وإنْ شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا الحَرْبُ شَمَّرَا[1]

أو يومَ يُكْشَفُ عن أصلِ الأمرِ وحقيقتِه بحيثُ يصيرُ عَيَاناً مستعارٌ من ساقِ الشجرِ وساقِ الإنسان، وتنكيرُهُ للتهويل أوِ للتعظيم. وقرئَ تَكْشِفُ وتُكْشَفُ بالتاءِ على بناءِ الفاعلِ أوِ المفعولِ، والفعلُ للساعةِ أوِ الحالِ. ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ توبيخاً على تركِهم السجودَ إن كان اليومُ يومَ القيامةِ، أو يدعون إلى الصلواتِ لأوقاتِها إنْ كان وقْتُ النزعِ. ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ لذهابِ وقْتِه أو زوالِ القدرةِ عليه.

(٤٣) ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ تلحقُهم ذلّةٌ. ﴿وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ في الدنيا أو زمانَ الصحةِ. ﴿وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾ متمكِّنون منه مزاحُو العللِ فيه.

(٤٤) ﴿فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ كِله إليَّ فإني أكفيكَهُ. ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾ سندْنِيهم من العذاب درجةً درجةً بالإمهالِ وإدامةِ الصحةِ وازديادِ النِّعمةِ. ﴿مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنه استدراجٌ وهو الإنعامُ عليهم لأنَّهم حَسِبُوه تفضيلاً لهم على المؤمنينَ.

(٤٥) ﴿وَأُمْلِى لَهُمْ﴾ وأمهِلُهم. ﴿إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ لا يُدْفَعُ بشيءٍ، وإنما سمَّى إنعامَه استدراجاً بالكيد لأنه في صورته.

(٤٦) ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا﴾ على الإرشادِ. ﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ﴾ من غرامةٍ. ﴿مُّثْقَلُونَ﴾ بحملِها فيعرِضُون عنك.

(٤٧) ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ﴾ اللوحُ أو المغيَّباتُ. ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ منه ما يحكمونَ به ويستغنونَ به عن علمِكَ.

(٤٨) ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ وهو إمهالُهم وتأخيرُ نُصْرَتِكَ عليهم. ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ يونسُ عليه الصلاة والسلام. ﴿إِذْ نَادَىٰ﴾ في بطن الحوتِ. ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ مملوءٌ غيظاً من الضجرةِ فتبتلي ببلائِه.

---

(١) من الطويل.

لَّوْلَآ أَن تَدَارَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَىٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾

(٤٩) ﴿لَّوْلَآ أَن تَدَارَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ يعني التوفيقَ للتوبةِ وقبولَها، وحَسُنَ تذكيرُ الفعلِ للفصْلِ، وقرىء تداركتْه وتدّاركَه أي تتداركُه على حكايةِ الحال الماضيةِ بمعنى لولا أن كان يُقَالُ في تتداركُه. ﴿لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ﴾ بالأرضِ الخاليةِ عن الأشجارِ. ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ مليمٌ مطرودٌ عن الرحمة والكرامةِ، وهو حالٌ يعتمِدُ عليها الجوابُ لأنها المنفيةُ دونَ النَّبْذِ.

(٥٠) ﴿فَٱجْتَبَىٰهُ رَبُّهُۥ﴾ بأنْ ردَّ الوحْيَ إليه، أو استنبأَه إنْ صحَّ أنه لم يكن نبياً قبل هذه الواقعةِ. ﴿فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ من الكاملين في الصلاح بأنْ عصَمَه من أنْ يفعلَ ما تركُه أَوْلَى، وفيه دليلٌ على خلْقِ الأفعال. والآيةُ نزلتْ حين همَّ رسول الله ﷺ أنْ يدعوَ على ثقيفٍ. وقيل بِأُحُدٍ حين حلَّ به ما حلَّ فأرادَ أنْ يدعوَ على المنهزمينَ.

(٥١) ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ﴾ إنْ هي المخففةُ واللامُ دليلُها والمعنى: أنهم لشدةِ عداوتِهم ينظرون إليك شَزَراً بحيثُ يكادون يُزلُّون قدمَك، أو يهلِكُونك من قولهم نَظَرَ إليَّ نظراً يكاد يصرعُني أي لو أمكنَه بنظره الصرعَ لفعلَه، أو أنهم يكادون يصيبونك بالعينِ؛ إذ رُوِيَ أنه كان في بني أسدٍ عيَّانون، فأراد بعضُهم أنْ يعيِّنَ رسولَ الله ﷺ، فنزلتْ[1]. وفي الحديث: «إنَّ العينَ لَتُدْخِلُ الرجلَ القبرَ والجملَ القِدْرَ»[2] ولعلَّه يكون من خصائص بعضِ النفوس. وقرأ نافعٌ لَيَزْلِقونَك من زَلَقْتُه فَزَلَقَ

---

(١) ذكره الواحدي في «الأسباب» ص٤٤٣ بدون سند.

(٢) أخرجه ابن عدي (٦/ ٢٤٠٣) وأبو نعيم في الحلية (٧/ ٩٠) والخطيب في تاريخ بغداد» (٩/ ٢٤٤) من حديث جابر.
وأشار الذهبي في «الميزان» (٢/ ٢٧٥) إلى هذا الحديث وحكم عليه بالنكارة.
وقال أبو نعيم: «غريب من حديث الثوري تفرد به معاوية».
وقال الألباني في «الصحيحة» (٣/ ٢٥١): «... وإسناده حسن عندي لأن شعيب بن أيوب وثقه الدارقطني وابن حبان، وجرحه أبو داود جرحاً مبهماً فقال: إني لأخاف الله تعالى في الرواية عنه» هـ.
● وله شاهد بالمعنى من حديث أبي ذر بلفظ «إن العين لتولع الرجل بإذن الله حتى يصعد حالقاً ثم يتردى منه».
أخرجه أحمد (٥/ ١٤٦) والبزار (٤/ ٤٠٣ ـ ٤٠٤ ـ كشف) وابن عدي في الكامل (٣/ ٩٧١) عنه.
وأورده الهيثمي في «المجمع» (٥/ ١٠٦) وقال: «رواه أحمد والبزار، ورجال أحمد ثقات، وقال الألباني في «الصحيحة» (٢/ ٥٨١): «وهذا إسناد رجاله كلهم ثقات معروفون غير محجن هذا أورده في «تعجيل المنفعة» (ص٣٩٥) ـ من هذا الإسناد ـ وقال: «ذكره ابن حبان في الثقات ـ (٥/ ٤٤٨) ـ» هـ.
● وله شاهد آخر بالمعنى أيضاً من حديث ابن عباس بلفظ: «العين حق تستنزل الحالق».
أخرجه أحمد (١/ ٢٧٤، ٢٩٤) والطبراني في الكبير (١٢/ ١٨٤ رقم ١٢٨٣٣) والحاكم (٤/ ٢١٥) عنه. وقال الحاكم: صحيح ووافقه الذهبي.
وأورده الهيثمي في «المجمع» (٥/ ١٠٧) وقال: «رواه أحمد والطبراني وفيه دويد البصري، وقال أبو حاتم لين، وبقية رجاله ثقات» هـ. =

كحزنْتُه فحزِنَ، وقرىء ليُزهِقونك أي ليهلِكُونك. ﴿لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾ أي القرآنَ أي ينبعثُ عند سماعِه بغضُهم وحسدُهم. ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ حيرةً في أمره وتنفيراً عنه.

(٥٢) ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ لما جنَّنُوه لأجلِ القرآنِ بيَّن أنه ذِكْرٌ عامٌّ لا يدركُه ولا يتعاطَاه إلا مَنْ كان أكملَ الناسِ عقلاً وأميزَهم رأياً. عن النبيِّ ﷺ «مَنْ قرأ سورةَ القلمِ أعطاه الله ثوابَ الذين حسَّنَ الله أخلاقَهم»[1].

☆ ☆ ☆

= والخلاصة أن الحديث حسن بشواهده والله أعلم.

(١) وهو حديث موضوع.
أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي عن أبي بن كعب كما في «الكافي الشافِ» (ص١٧٧ رقم ٢١٣).
وقد تقدم الكلام عليه في آخر سورة آل عمران.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾

سورة الحاقة مكية[1]، وآيها اثنتان وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ﴿الْحَاقَّةُ﴾ أي الساعةُ أو الحالةُ التي يحقُّ وقوعُها، أوِ التي تحقُّ فيها الأمورُ أي تُعْرَفُ حقيقتُها، أو تقعُ فيها حواقُّ الأمورِ من الحسابِ والجزاءِ على الإسنادِ المجازيِّ، وهي مبتدأٌ خبرُها:

(٢) ﴿مَا الْحَاقَّةُ﴾ وأصلُه ما هيَ أيْ: أيُّ شيءٍ هيَ على التعظيمِ لشأنِها والتهويلِ لها، فوضَعَ الظاهرَ موضِعَ الضمير لأنه أهولُ لها.

(٣) ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ وأيُّ شيءٍ أعْلَمَكَ ما هيَ، أي أنك لا تعلمُ كُنْهَهَا فإنَّها أعظمُ من أنْ تبلُغَها درايةُ أحدٍ، وما مبتدأٌ وأدراكَ خبرهُ.

(٤) ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾ بالحالةِ التي تقرعُ فيها الناسَ بالإفزاعِ والأجرامَ بالانفطارِ والانتشارِ، وإنما وُضِعَتْ موضعَ ضميرِ الحاقةِ زيادةً في وصْفِ شدَّتِها.

(٥) ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾ بالواقعةِ المجاوزةِ للحدِّ في الشدَّةِ وهي الصيحةُ، أوِ الرجفةُ لتكذيبهم بالقارعةِ، أو بسببِ طغيانِهم بالتكذيبِ وغيرِهِ على أنها مصدرٌ كالعاقبةِ وهو لا يطابِقُ قولُه:

---

(١) قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٦/ ٩٢): «وهي مكية بالإجماع».

(٦) ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾ أي شديدةِ الصوتِ أو البردِ من الصرِّ أوِ الصِّرِّ. ﴿عَاتِيَةٍ﴾ شديدةِ العصفِ كأنها عتتْ على خزَّانِها فلم يستطيعوا ضَبْطَها، أو على عادٍ فلم يقدروا على ردِّها.

(٧) ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ﴾ سلَّطها عليهم بقدرتِه، وهو استئنافٌ أو صفةٌ جيء به لنفي ما يُتَوَهَّمُ من أنها كانتْ من اتصالاتِ فلكيةٍ، إذ لو كانتْ لكان هو المقدِّر لها والمسبِّبُ. ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ متتابعاتٍ جمعُ حاسمٍ من حسمتُ الدابةَ إذا تابعْتَ بين كيَّيها، أو نَحِساتٍ حسمتْ كلَّ خير واستأصلتْه، أو قاطعاتٍ قطعتْ دابِرَهم، ويجوزُ أنْ يكونَ مصدراً منتصِباً على العلَّةِ بمعنى قطعاً، أوِ المصدرِ لفعله المقدَّرِ حالاً أي تحسمُهم حسوماً ويؤيده القراءةُ بالفتحِ، وهي كانتْ أيامُ العجوزِ من صبيحةِ أربعاءٍ إلى غروبِ الأربعاءِ الآخَرِ، وإنما سُمِّيتْ عجوزاً لأنها عَجُزُ الشتاء، أو لأنَّ عجوزاً من عادٍ توارتْ في سربٍ فانتزعتْها الريحُ في الثامنِ فأهلكتْها. ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ﴾ إنْ كنتَ حاضِرَهم ﴿فِيهَا﴾ في مهابِّها أو في الليالي والأيام. ﴿صَرْعَى﴾ موتى جمعُ صريعٍ. ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ﴾ أصولُ نخلٍ. ﴿خَاوِيَةٍ﴾ متآكلةِ الأجوافِ.

فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾

(٨) ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾ من بقيةٍ أو نَفْسٍ باقية أو بقاءٍ.

(٩) ﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ﴾ ومن تقدَّمه. وقرأ البصريانِ والكسائيُّ ومَنْ قِبَلَهُ أي ومَنْ عِندَه من أتباعِه، ويدل عليه أنه قرىء ومَنْ معهُ. ﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتُ﴾ قُرَى قومِ لوطٍ والمرادُ أهلُها. ﴿بِالْخَاطِئَةِ﴾ بالخطأ أو بالفعلةِ، أو الأفعالِ ذاتِ الخطأ.

(١٠) ﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ أي فعصتْ كلُّ أمةٍ رسولَها. ﴿فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً﴾ زائدةً في الشدةِ زيادةَ أعمالِهم في القُبحِ.

(١١) ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ﴾ جاوزَ حدَّه المعتادَ، أو طغى على خُزَّانه وذلك في الطوفانِ وهو يؤيد مَنْ قِبَلَهُ. ﴿حَمَلْنَاكُمْ﴾ أي آباءَكم وأنتم في أصلابهم. ﴿فِي الْجَارِيَةِ﴾ في سفينةِ نوحٍ عليه الصلاة والسلام.

(١٢) ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ﴾ لنجعلَ الفعلةَ وهي إنجاءُ المؤمنين وإغراقُ الكافرين. ﴿تَذْكِرَةً﴾ عبرةً ودلالةً على قدرة الصانعِ وحكمته وكمالِ قهرِه ورحمته. ﴿وَتَعِيَهَا﴾ وتحفظُها، وعن ابن كثير تَعْيَهَا بسكونِ العين تشبيهاً بكَتْفٍ، والوعيُ أنْ تحفظَ الشيءَ في نفسِك والإيعاءُ أنْ تحفظَه في غيرِكَ. ﴿أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ من شأنِها أنْ تحفظَ ما يَجبُ حفظُه بتذكُّرِه وإشاعتِه والتفكُّرِ فيه والعملِ بموجبِه، والتنكيرُ للدلالة على قلَّتِها وأنَّ مَنْ هذا شأنُه مع قلَّته تسبَّبَ لإنجاءِ الجمِّ الغفير وإدامةِ نسْلِهم. وقرأ نافع أذنٌ بالتخفيفِ.

(١٣) ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ لما بالغَ في تهويلِ القيامةِ وذَكَرَ مآلَ المكذبينَ بها تفخيماً لشأنِها وتنبيهاً على مكانها عادَ إلى شرحها. وإنما حَسُنَ إسناد الفعلِ إلى المصدرِ لتقيده، وحسُن تذكيرُه

للفصْلِ، وقرىء نفخةً بالنصبِ على إسنادِ الفعل إلى الجارِّ والمجرور والمرادُ بها النفخةُ الأولى التي عندَها خرابُ العالَمِ.

وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾

(١٤) ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾ رُفِعَتْ من أماكِنها بمجرَّدِ القدرةِ الكاملة، أو بتوسُّطِ زلزلةٍ أو ريح عاصفة. ﴿فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾ فضربتِ الجملتانِ بعضُها ببعض ضربةً واحدةً فيصيرُ الكلُّ هباءً، أو فَبُسِطَتَا بسطةً واحدةً فصارتا أرضاً لا عِوجَ فيها ولا أَمْتَاً لأنَّ الدكَّ سببٌ للتسويةِ، ولذلك قيل ناقةٌ دكَّاء للتي لا سنامَ لها، وأرضٌ دكَّاءُ للمتَّسِعة المستويةِ.

(١٥) ﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾ فحينئذٍ. ﴿وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ قامتِ القيامةُ.

(١٦) ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ لنزولِ الملائكة. ﴿فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ ضعيفةٌ مسترخيةٌ.

(١٧) ﴿وَٱلْمَلَكُ﴾ والجنسُ المتعارفُ بالمَلَكِ. ﴿عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا﴾ جوانبها جمعُ رجا بالقصرِ، ولعلَّه تمثيلٌ لخراب السماءِ بخرابِ البنيانِ وانضواءِ أهلها إلى أطرافِها وحواليها، وإنْ كانَ على ظاهرِه فلعلَّ هلاكَ الملائكة أثرُ ذلك. ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ﴾ فوقَ الملائكةِ الذين هم على الأرجاءِ، أو فوقَ الثمانيةِ لأنها في نية التقديم. ﴿يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ ثمانيةُ أملاكٍ، لما رُوِيَ مرفوعاً «أنهم اليومَ أربعةٌ فإذا كان يومُ القيامة أمدَّهم الله بأربعةٍ آخرينَ»[1]. وقيل ثمانيةُ صفوفٍ من الملائكة لا يعلمُ عدَّتَهم إلا اللهُ، ولعله أيضاً تمثيلٌ لعظمتِه بما يشاهدُ من أحوالِ السلاطين يومَ خروجِهم على الناس للقضاءِ العامِّ وعلى هذا قال:

(١٨) ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ تشبيهاً للمحاسبة بعرضِ السلطان العسكرَ لتُعْرَفَ أحوالُهم، وهذا وإن كان بعدَ النفخةِ الثانية لكنْ لما كان اليومُ اسماً لزمانٍ متَّسِع تقعُ فيه النفختانِ والصعقةُ والنشورُ والحساب وإدخالُ أهل الجنةِ الجنةَ وأهلِ النارِ النارَ صح جعلُه ظرفاً للكلِّ. ﴿لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ سريرةٌ على الله تعالى حتى يكونَ العرضُ للاطلاع عليها، وإنما المرادُ منه إفشاءُ الحال والمبالغةُ في العدلِ، أو على الناس كما قال الله تعالى ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾[2] وقرأ حمزةُ والكسائي بالياء للفصْلِ.

(١٩) ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ تفصيلٌ للعرض. ﴿فَيَقُولُ﴾ تبجُّحاً. ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ﴾ هاء اسمٌ لخذْ، وفيه لغاتٌ أجودُها هاءُ يا رجلُ وهاءِ يا امرأةُ وهاؤما يا رجلانِ أو يا امرأتانِ وهاؤمُ يا رجالُ

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٤/ج٢٩/ ٥٩) عن ابن إسحاق. وفيه محمد بن حميد الرازي ضعيف. كما أن الحديث معضل.

● وقال صاحب البحر المحيط (٨/ ٣٢٤): «وذكروا في صفات هؤلاء الثمانية أشكالاً متكاذبة ضربنا عن ذكرها صفحاً» هـ.

(٢) الطارق: «٩».

وهاؤنَ يا نسوةُ، ومفعولُه محذوفٌ، وكتابيه مفعولُ اقرؤوا لأنه أقربُ العامِلَيْنِ، ولأنه لو كانَ مفعولَ هاؤم لقيلَ اقرؤوه إذ الأَوْلَى إضماره حيثُ أمكنَ والهاءُ فيه وفي حسابيهْ وماليهْ وسلطانيهْ للسَّكْتِ تثبُتُ في الوقفِ وتسقطُ في الوصلِ، واستُحِبَّ الوقفُ لثباتها في الإمامِ، ولذلك قرىء بإثباتها في الوصْلِ.

إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾

(٢٠) ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾ أي علمتُ، ولعلَّه عبَّر عنه بالظنِّ إشعاراً بأنه لا يقدحُ في الاعتقادِ ما يهجسُ في النفس من الخطراتِ التي لا تنفكُّ عنها العلومُ النظريةُ غالباً.

(٢١) ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ ذاتِ رضا على النسبةِ بالصيغةِ، أو جعلِ الفعلِ لها مجازاً وذلك لكونها صافيةً عن الشوائبِ دائمةً مقرونةً بالتعظيمِ.

(٢٢) ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ مرتفعةِ المكانِ لأنها في السماءِ، أو الدرجاتِ أو الأبنية والأشجار.

(٢٣) ﴿قُطُوفُهَا﴾ جمعُ قِطْفٍ وهو ما يُجْتَنَى بسرعةٍ والقَطفُ بالفتحِ المصدرُ. ﴿دَانِيَةٌ﴾ يتناولُها القاعدُ.

(٢٤) ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ بإضمار القولِ، وجُمِعَ الضميرُ للمعنى. ﴿هَنِيئًا﴾ أكلاً وشرباً هنيئاً أو هنتُم هنيئاً. ﴿بِمَا أَسْلَفْتُمْ﴾ بما قدمتُم من الأعمال الصالحةِ. ﴿فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ الماضيةِ من أيام الدنيا.

(٢٥) ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ﴾ لما يرى من قُبْحِ العملِ وسوءِ العاقبة. ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ﴾.

(٢٦) ﴿وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ﴾.

(٢٧) ﴿يَا لَيْتَهَا﴾ يا ليتَ الموتةَ التي مِتُّها. ﴿كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾ القاطعةَ لأمري فلم أبعثْ بعدَها، أو يا ليت هذه الحالةَ كانت الموتةَ التي قضتْ عليَّ لأنه صادفَها أمرٌ من الموتِ فتتمنَّاه عندَها، أو يا ليت حياةُ الدنيا كانتِ الموتةَ ولم أُخْلَقْ فيها حياً.

(٢٨) ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ﴾ مالي من المالِ والتبعِ. وما نَفْيٌ والمفعولُ محذوفٌ، أو استفهامُ إنكارٍ مفعولٌ لأَغْنَىٰ.

(٢٩) ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ مُلْكِي وتسلُّطي على الناس، أو حجَّتي التي كنت أحتجُّ بها في الدنيا. وقرأ حمزةُ عنِّي مالي عنِّي سلطاني بحذفِ الهاءينِ في الوصلِ، والباقون بإثباتِها في الحالينِ.

(٣٠) ﴿خُذُوهُ﴾ يقوله اللهُ تعالى لخزنةِ النار. ﴿فَغُلُّوهُ﴾.

(٣١) ﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ ثم لا تُصْلُوه إلا الجحيمَ، وهي النارُ العُظْمى لأنه كان يتعظَّم على الناس.

ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾

(٣٢) ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ أي طويلةٍ. ﴿فَاسْلُكُوهُ﴾ فأدْخِلُوه فيها بأنْ تلفُّوها على جسده وهو فيما بينها مرهَقٌ لا يقدِرُ على حركةٍ، وتقديمُ السلسلةِ كتقديمِ الجحيمِ للدلالةِ على التخصيصِ والاهتمامِ بذكْرِ أنواعِ ما يُعَذَّبُ به، وثمَّ لتفاوُتِ ما بينَها في الشدة.

(٣٣) ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾ تعليلٌ على طريقة الاستئنافِ للمبالغة، وذِكْرُ العظيمِ للإشعار بأنه هو المستحقُّ للعظمةِ فمن تعظَّم فيها استوجَبَ ذلك.

(٣٤) ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ ولا يحثُّ على بذْلِ طعامه أو على إطعامِه فضلاً عن أنْ يبذُلَ من ماله، ويجوز أنْ يكون ذِكْرُ الحضِّ للإشعارِ بأنَّ تاركَ الحضِّ بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعلِ. وفيه دليلٌ على تكليف الكفار بالفروعِ، ولعلَّ تخصيصَ الأمرين بالذِّكْرِ لأنَّ أقْبَحَ العقائدِ الكفرُ بالله تعالى وأشنعَ الرذائلِ البخلُ وقسوةُ القلبِ.

(٣٥) ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ﴾ قريبٌ يحميه.

(٣٦) ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ غُسَالةُ أهلِ النار وصديدُهم فِعْلِينٌ من الغَسْلِ.

(٣٧) ﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ أصحابُ الخطايا من خطِيءَ الرجل إذا تعمَّد الذَّنْبَ لا من الخطأ المضادِّ للصواب. وقرىء الخاطيونَ بقلبِ الهمزة ياءً، والخاطونَ بطرحِها.

(٣٨، ٣٩) ﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾ لظهور الأمر واستغنائِه عن التحقيق بالقسمِ، أو فأقسم ولا مزيدةٌ، أو فلا ردَّ لإنكارهم البعثَ وأقْسِمُ مستأنَفٌ. ﴿بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ بالمشاهداتِ والمغيَّباتِ وذلك يتناول الخالقَ والمخلوقاتِ بأسْرِها.

(٤٠) ﴿إِنَّهُ﴾ إنَّ القرآنَ. ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ﴾ يبلِّغهُ عن اللهِ تعالى فإنَّ الرسولَ لا يقولُ عن نفسِه. ﴿كَرِيمٍ﴾ على الله تعالى وهو محمدٌ أو جبريلُ عليهما الصلاة والسلام.

(٤١) ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ كما تزعمون تارةً. ﴿قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ﴾ تصدِّقون لما ظهرَ لكم صدْقُه تصديقاً قليلاً لفرْط عِنَادِكم.

(٤٢) ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ﴾ كما تدَّعون أخرى. ﴿قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ تذكَّرون تذكُّراً قليلاً، فلذلك يلتبسُ الأمرُ عليكم وذِكْرُ الإيمانِ مع نفيِ الشاعريةِ للتذكُّرِ مع نفي الكاهنيةِ، لأنَّ عدمَ مشابهةِ القرآن للشِّعرِ أمرٌ بيِّنٌ لا ينكِره إلا معاندٌ بخلاف مباينتِه للكهانةِ، فإنها تتوقفُ على تذكُّر أحوالِ الرسول ومعاني القرآن المنافيةِ لطريقةِ الكهنة ومعاني أقوالهم. وقرأ ابنُ كثير ويعقوبُ بالياء فيهما.

نَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

(٤٣) ﴿نَنزِيلٌ﴾ هو تنزيلٌ. ﴿مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ نزَّله على لسان جبريلَ عليه السلام.

(٤٤) ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ﴾ سُمِّيَ الافتراءُ تقوُّلاً لأنه قولٌ متكلَّفٌ، والأقوالُ المفتراةُ أقاويلُ تحقيراً لها كأنه جمعٌ أُفعولةٌ من القول كالأضاحيك.

(٤٥) ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ﴾ بيمينه.

(٤٦) ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾ أي نياطَ قلبِه بضربِ عُنُقِه، وهو تصويرٌ لإهلاكه بأفظعِ ما يفعلُه الملوك بمن يغضَبُون عليه، وهو أنْ يأخذَ المقتولَ بيمينه ويكفحَه بالسيفِ ويضربَ به جِيْدَه، وقيل اليمينُ بمعنى القوةِ.

(٤٧) ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ﴾ عن القتلِ أو المقتولِ. ﴿حَٰجِزِينَ﴾ دافعينَ وصفٌ لأحدٍ فإنه عامٌّ والخطابُ للناس.

(٤٨) ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ وإنَّ القرآنَ. ﴿لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ لأنهم المنتفعونَ به.

(٤٩) ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ﴾ فنجازيهم على تكذيبهم.

(٥٠) ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ إذا رأوا ثوابَ المؤمنين به.

(٥١) ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ لليقين الذي لا ريبَ فيه.

(٥٢) ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ فسبِّح اللهَ بذكرِ اسمه العظيمِ تنزيهاً له عن الرضا بالتقوُّلِ عليه وشكراً على ما أَوْحَىٰ إليك. عن النبيِّ ﷺ «من قرأ سورةَ الحاقةِ حاسبهُ الله تعالى حساباً يسيراً»[1].

☆ ☆ ☆

(١) وهو حديث موضوع.
أخرجه ابن مردويه والواحدي والثعلبي عن أبي بن كعب كما في «الكافي الشافِ» (ص١٧٧ رقم ٢١٧).
وقد تقدم الكلام عليه في آخر سورة آل عمران.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾

سورة المعارج مكية[1]، وآيها أربع وأربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ أي دعا داعٍ به بمعنى استدعاه ولذلك عدِّيَ الفعلُ بالباءِ، والسائلُ هو النضر بنُ الحارثِ فإنه قال: «إنْ كان هذا هو الحقَّ من عندك فأمطر علينا حجارةً من السماء»[2] الآيةَ، أو أبو جهل فإنه قال «فأسقِطْ علينا كسَفاً من السماء»[3] سأله استهزاءً، أو الرسولُ عليه الصلاة والسلام استعجلَ بعذابهم. وقرأ نافع وابن عامر سالَ وهو إما من السؤالِ على لغةِ قريشٍ قال:

---

(١) قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٦/١٠٦): «وهي مكية لا خلاف بين الرواة في ذلك».

(٢) الأنفال الآية «٣٢».
وأخرج الحديث الحاكم في «المستدرك» (٢/٥٠٢) عن سعيد بن جبير. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وتعقبه الذهبي فقال: على شرط البخاري فقط.
وأورده السيوطي في «الدر» (٨/٢٧٧) وزاد نسبته للغريابي، وعبد بن حميد، والنسائي، وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس.

(٣) ذكره الألوسي في «روح المعاني» (٢٩/٥٥) بدون سند ولا راوٍ.

سـالـتْ هـذيـلٌ رسـولَ الله فـاحشـةً ضلَّـت هـذيـلٌ بمـا سـالـتْ ولـم تُصِـبِ

أو من السيلانِ ويؤيده أنه قرىء سالَ سيلٌ على أنَّ السيلَ مصدرٌ بمعنى السائلِ كالغورِ والمعنى سالَ وادٍ بعذاب. ومُضِيُّ الفعلِ لتحقُّقِ وقوعه إما في الدنيا وهو قتل بدرٍ أو في الآخرة وهو عذابُ النار.

(٢) ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ صفةٌ أخرى لعذاب أو صلةٌ لواقع وإنْ صحَّ أن السؤالَ كان عمَّن يقع به العذابُ كان جواباً، والباءُ على هذا لتضمُّنِ سأل معنى اهتمَّ ﴿لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ﴾ يردُّه.

(٣) ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ من جهته لتعلُّقِ إرادتِه ﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ ذي المصاعدِ وهي الدرجاتُ التي يَصْعَدُ فيها الكلِمُ الطيبُ العملُ الصالحُ أو يترقَّى فيها المؤمنون في سلوكِهم أو في دار ثوابِهم أو مراتبِ الملائكة أو في السموات فإنَّ الملائكة يعرجُون فيها.

(٤) ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ استئنافٌ لبيان ارتفاع تلك المعارجِ وبُعْدِ مداها على التمثيلِ والتخييلِ، والمعنى أنها بحيث لو قدِّر قطعُها في زمان لكان في زمان يقدَّر بخمسين ألف سنة من سِنيِّ الدنيا. وقيل معناه تعرجُ الملائكة والروحُ إلى عرشه في يوم كان مقدارُه خمسينَ ألفِ سنةٍ من حيثُ إنهم يقطعون فيه ما يقطع الإنسانُ فيها لو فرض لا أنَّ ما بين أسفلِ العالم وأعلى شُرُفاتِ العرش مسيرةُ خمسين ألف سنةٍ لأن ما بين مركز الأرض ومقعرِ السماء الدنيا على ما قيل مسيرةُ خمسمائة عام وثخنُ كلِّ واحدة من السموات السبعِ والكرسي والعرشِ كذلك، وحيث قال في يوم كان مقدارُه ألفَ سنة يريد زمانَ عروجِهم من الأرضِ إلى محدبِ السماء الدنيا. وقيل في يوم متعلِّقٌ بواقع أو سالَ إذا جُعِلَ من السيلانِ والمرادُ به يومُ القيامة واستطالتُه إما لشدَّته على الكفار أو لكثرةِ ما فيه من الحالات والمحاسباتِ أو لأنه على الحقيقة كذلك، والروحُ جبريلُ عليه السلام وإفراده لفضلِه أو خلْقٌ أعظمُ من الملائكة.

(٥) ﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ لا يشوبُه استعجالٌ واضطرابُ قلبٍ وهو متعلِّقٌ بِسَأَلَ لأن السؤالَ كان عن استهزاءٍ أو تعنُّتٍ وذلك مما يضجره أو عن تضجُّر واستبطاء للنصرِ أو بسالَ لأن المعنى قربَ وقوعُ العذاب فاصبر فقد شارفْتَ الانتقامَ.

(٦) ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ﴾ الضميرُ للعذاب أو يوم القيامة ﴿بَعِيدًا﴾ من الإمكان.

(٧) ﴿وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾ منه أو من الوقوع.

(٨) ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ﴾ ظرفٌ لقريباً أي يمكن يومَ تكون أو لمضمر دلَّ عليه واقعٌ أو بدل من في يوم إنْ علِّقَ به، والمهلُ المذابُ في مَهْلٍ كالفِلِزَّاتِ أو دردي الزيتِ.

(٩) ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ﴾ كالصوفِ المصبوغ ألواناً لأنَّ الجبالَ مختلفةُ الألوان فإذا بُسَّتْ وطُيِّرتْ في الجو أشبهتِ العِهْنَ المنفوشَ إذا طيرتْه الريحُ.

(١٠) ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ ولا يسألُ قريبٌ قريباً عن حاله. وعن ابن كثير ولا يُسْأَلُ على بناءِ المفعول أي لا يُطْلَبُ من حميمٍ حميمٌ، أو لا يسألَ منه حالَه.

(١١) ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ استئنافٌ أو حال تدل على أن المانعَ من هذا السؤال هو التشاغلُ دون الخفاءِ أو

ما يغني عنه من مشاهدة الحالِ كبياض الوجْه وسوادِه. وجمعُ الضميرين لعمومِ الحميم. ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ﴾ . ﴿لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ﴾ .

وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾

(١٢) ﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ﴾ حالٌ من أحد الضميرين أو استئناف يدلُّ على أن اشتغالَ كل مجرم بنفسِه بحيث يتمنَّى أنْ يفتديَ بأقربِ الناس إليه وأعلقِهم بقلبه فضلاً أنْ يهتمَّ بحاله ويسأل عنها. وقرأ نافع والكسائيُّ بفتح ميم يومئِذٍ، وقرىء بتنوين عذابٍ ونصبِ يومئذ به لأنه بمعنى تعذيبٍ.

(١٣) ﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾ وعشيرتِه الذين فُصِلَ عنهم ﴿ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ﴾ تضمُّه في النَّسَبِ أو عند الشدائد.

(١٤) ﴿وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ من الثقلينِ أو الخلائق ﴿ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ عطفٌ على يفتدى أي ثم ينجيه الافتداءُ وثم للاستبعادِ.

(١٥) ﴿كَلَّآ﴾ ردعٌ للمجرم عن الودادةِ ودلالةٌ على أنَّ الافتداءَ لا ينجيه ﴿إِنَّهَا﴾ الضمير للنارِ أو مبهمٌ يفسِّره ﴿لَظَىٰ﴾ وهو خبرٌ أو بدل أو للقصةِ ولظى مبتدأٌ خبرهُ:

(١٦) ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾ وهو اللهبُ الخالصُ وقيل علمٌ للنار منقولٌ من اللَّظْي بمعنى اللهب. وقرأ حفص عن عاصم نزاعةً بالنصبِ على الاختصاصِ أو الحالِ المؤكدة أو المتنقلةِ على أنَّ لظى بمعنى متلظيةٍ والشَّوى الأطرافُ أو جمعُ شواةٍ وهي جلدة الرأسِ.

(١٧) ﴿تَدْعُوا۟﴾ تجذب وتُحْضِرُ كقول ذي الرِّمةِ، تدعو أنفَه الرَّبَبُ، مجازٌ عن جذبها وإحضارِها لمن فرَّ عنها، وقيل تدعو زبانيتُها، وقيل تدعو تهلِك مِنْ قولهم دعاه الله إذا أهلكَه ﴿مَنْ أَدْبَرَ﴾ عن الحقِّ ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ عن الطاعة.

(١٨) ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ﴾ وجمع المالَ فجعلَه في وعاء وكنزهُ حرصاً وتأميلاً.

(١٩) ﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ شديد الحرصِ قليلَ الصبر.

(٢٠) ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ الضر ﴿جَزُوعًا﴾ يكثِرُ الجزعَ.

(٢١) ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ﴾ السعةُ ﴿مَنُوعًا﴾ يبالغ بالإمساكِ، والأوصافُ الثلاثة أحوالٌ مقدَّرةٌ أو محققةٌ لأنها طبائعُ جُبِلَ الإنسانُ عليها، وإذا الأُولى ظرفٌ لجزوعاً والأخرى لمنوعاً.

(٢٢) ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾ استثناءٌ للموصوفين بالصفاتِ المذكورة بعدُ من المطبوعين على الأحوال المذكورة قبلُ لمضادةِ تلك الصفاتِ لها من حيثُ إنها دالةٌ على الاستغراقِ في طاعة الحق والإشفاقِ على الخلقِ والإيمان بالجزاء والخوفِ من العقوبة وكسرِ الشهوة وإيثارِ الآجلِ على العاجل وتلك ناشئةٌ من الانهماكِ في حبِّ العاجل وقصورِ النظرِ عليها.

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾

(٢٣) ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ لا يشغلُهم عنها شاغلٌ.

(٢٤) ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾ كالزكواتِ والصدقاتِ الموظفة.

(٢٥) ﴿لِّلسَّآئِلِ﴾ الذي يسأل ﴿وَٱلْمَحْرُومِ﴾ الذي لا يَسْأَلُ فيحسب نفسه غنياً فيُحْرَمُ.

(٢٦) ﴿وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ تصديقاً بأعمالهم وهو أن يتعب نفسه ويصرف ماله طمعاً في المثوبة الأخروية ولذلك ذكر الدين.

(٢٧) ﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ خائفون على أنفسهم.

(٢٨) ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ اعتراضٌ يدل على أنه لا ينبغي لأحدٍ أن يأمنَ عذابَ الله وإن بالغَ في طاعته.

(٢٩) ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ﴾.

(٣٠) ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾.

(٣١) ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ سبق تفسيره في سورة المؤمنين.

(٣٢) ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾ حافظون، وقرأ ابن كثير لأمانتِهم يعني لا يخونُون ولا ينكرون ولا يُخْفُونَ ما علمُوه من حقوق الله وحقوقِ العباد.

(٣٣) ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ﴾ وقرأ يعقوب وحفصٌ بشهاداتِهم لاختلافِ الأنواعِ[1].

(٣٤) ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ فيراعون شرائطَها ويكمِّلون فرائضَها وسُنَنَها. وتكريرُ ذكْرِ الصلاة ووصفُهم بها أولاً وآخراً باعتبارين للدلالةِ على فضلِها وإنافتِها على غيرها، وفي نظمِ هذه الصلاة مبالغاتٌ لا تخفى[2].

(٣٥) ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ بثوابِ الله تعالى.

---

(١) وتخصيص القيام بالشهادة مع اندراجها في الأمانات لإبانة فضلها (س٩/ ٣٣).

(٢) وتكرير الموصولات «الذين» لتنزيل اختلاف الصفات منزلة اختلاف الذوات، كما في قول من قال:

إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتائب في المزدحم

(س٩/ ٣٤).

فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

(٣٦) ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ﴾ حولك ﴿مُهْطِعِينَ﴾ مسرعينَ.

(٣٧) ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾ فِرَقاً شتَّى، جمعُ عِزَةٍ وأصلُها عزوةٌ من العزْو، وكأن كلَّ فرقةٍ تعتزي إلى غير مَنْ تعتزي إليه الأخرى، وكان المشركون يحتفونَ حولَ رسولِ الله ﷺ حِلقاً حِلقاً ويستهزئون بكلامه.

(٣٨) ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ بلا إيمان وهو إنكارٌ لقولهم لو صحَّ ما يقوله لِنكونَ فيها أفضلَ حظاً منهم كما في الدنيا.

(٣٩) ﴿كَلَّآ﴾ ردعٌ لهم عن هذا الطمع ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ تعليلٌ له والمعنى أنهم مخلَّقون من نطفةٍ مذرةٍ لا تناسبُ عالم القدُسِ فمَنْ لم يستكملْ بالإيمان والطاعة ولم يتخلَّقْ بالأخلاق الملكيةِ لم يستعدَّ لدخولها، أو إنكم مخلوقون من أجلِ ما تعلمون وهو تكميلُ النفسِ بالعلم والعملِ فمن لم يستكمِلْها لم يتبوأ في منازل الكاملين، أو الاستدلالُ بالنشأة الأولى على إمكان النشأةِ الثانية التي بنوا الطمعَ على فرضِها فرضاً مستحيلاً عندهم بعد رذْعِهم عنه.

(٤٠) ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ﴾.

(٤١) ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ أي نهلكَهم ونأتيَ بخلْقٍ أمثلَ منهم أو نعطي محمداً بدلكم مَنْ هو خيرٌ منكم وهم الأنصار. ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ بمغلوبين إن أردْنا ذلك.

(٤٢) ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾ مرَّ في آخر سورة الطور[1].

(٤٣) ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾ مسرعين جمعُ سريعٍ ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ﴾ منصوبٍ للعبادةِ أو عَلَمٍ ﴿يُوفِضُونَ﴾ يسرعون. وقرأ ابن عامر وحفصٌ إلى نُصُبٍ بضم النون والصاد، والباقون من السبعةِ نَصْبٍ بفتح النون وسكونِ الصاد، وقرىء بالضمِّ على أنه تخفيف نُصُب أو جمعٌ.

(٤٤) ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ مرَّ تفسيره ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾ في الدنيا عن النبيِّ ﷺ «مَنْ قرأ سورةَ سأل سائل أعطاه الله ثوابَ الذين هم لأماناتِهم وعهدِهم راعونَ»[2].

---

(١) الطور: «٤٥».

(٢) وهو حديث موضوع. أخرجه الواحدي وابن مردويه والثعلبي من حديث أبي بن كعب كما ذكره الحافظ في «الكافي الشافِ» (ص١٧٧ رقم ٢٢١). وقد تقدم الكلام عليه في أواخر سورة آل عمران.

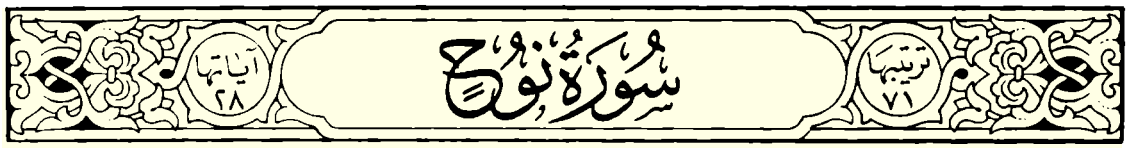

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾

سورة نوح مكية[1] وآيها تسع أو ثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ﴾ أي بأنْ أنذِرْ أي بالإنذارِ، أو بأن قلْنا له أنذرْ، ويجوزُ أن تكونَ مفسِّرةً لتضمُّنِ الإرسالِ معنى القولِ، وقرىء بغير أنْ على إرادةِ القول. ﴿قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ عذابُ الآخرة أو الطوفانِ.

(٢) ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

(٣) ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾ مرَّ في الشُّعراء نظيرهُ وفي أنْ يُحْتَمَلُ الوجهانِ.

(٤) ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ يغفرْ لكم بعضَ ذنوبكم وهو ما سبق فإنَّ الإسلام يجبُّه فلا يؤاخذُكم به في الآخرة. ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ هو أقصى ما قُدِّرَ لكم بشرطِ الإيمان والطاعةِ. ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ﴾ إنَّ الأجلَ الذي قدَّره. ﴿إِذَا جَآءَ﴾ على الوجْه المقدَّرِ به آجلاً. وقيل إذا جاء الأجلُ الأطولُ. ﴿لَا يُؤَخَّرُ﴾ فبادروا في أوقاتِ الإمهال والتأخير. ﴿لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ لو كنتم من أهلِ العلمِ والنظرِ لعلمتُم ذلك، وفيه أنهم لانهمَاكِهم في حبِّ الحياة كأنهم شاكُّون في الموت.

---

(١) قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٦/ ١٢٠): «وهي مكية بإجماع المتأولين».

قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾

(٥) ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ أي دائماً.

(٦) ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا﴾ عن الإيمان والطاعة، وإسنادُ الزيادة إلى الدعاء على السببيةِ كقوله ﴿فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾[1].

(٧) ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ﴾ إلى الإيمانِ. ﴿لِتَغْفِرَ لَهُمْ﴾ بسببه. ﴿جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ سدُّوا مسامِعَهم عن استماع الدعوة. ﴿وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾ تغطَّوْا بها لئلا يروني كراهةَ النظرِ إليّ مَنْ فرَّط كراهةَ دعوتي، أو لئلا أعرفَهم فأدعُوهم، والتعبير بصيغةِ الطلبِ للمبالغة. ﴿وَأَصَرُّوا﴾ وأكَبُّوا على الكفرِ والمعاصي مستعارٌ من أصرَّ الحمارُ على العانة[2] إذا صرَّ أذنيه وأقبلَ عليها. ﴿وَاسْتَكْبَرُوا﴾ عن اتباعي. ﴿اسْتِكْبَارًا﴾ عظيماً.

(٨) ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾.

(٩) ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ أي دعوتُهم مرةً بعد أخرى وكرةً بعد أُوْلَى على أي وجهٍ أمكنني. وثمَّ لتفاوُتِ الوجوه فإن الجهارَ أغلظُ من الإسرارِ والجمعُ بينَهما أغلظُ من الإفرادِ، أو لتراخي بعضِها عن بعض. وجهاراً نُصِبَ على المصدرِ لأنه أحدُ نوعي الدعاءِ؛ أو صفةُ مصدرٍ محذوفٍ بمعنى دعاءً جهاراً أي مجاهَراً به، أو الحالِ فيكون بمعنى مجاهِراً.

(١٠) ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ بالتوبة عن الكفرِ. ﴿إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ للتائبين وكأنهم لما أمرهم بالعبادةِ قالوا: إنْ كنَّا على حق فلا نتركُه وإنْ كنَّا على باطلٍ فكيف يقبلنا ويلطفُ بنا من عصيناهُ، فأمرهُم بما يجبُّ معاصيهم ويجلبُ إليهم المِنَحَ ولذلك وعدَهم عليه ما هو أوقعُ في قلوبهم. وقيل لما طالتْ دعوتُهم وتمادى إصرارُهم حبسَ الله عنهم القَطْرَ أربعينَ سنةً، وأعقمَ أرحامَ نسائِهم فوعدَهم بذلك على الاستغفارِ عما كانوا عليه بقوله:

(١١) ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾.

(١٢) ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾ ولذلك شُرِعَ الاستغفارُ في الاستسقاءِ، والسماءُ تحتملُ المظلَّةَ والسحابَ، والمدرارُ كثيرُ الدرورِ ويستوي في هذا البناءِ المذكَّرُ والمؤنَّثُ، والمراد بالجناتِ البساتينُ.

---

(١) التوبة: «١٢٤».

(٢) القطيع من حمير الوحش.

مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾

(١٣) ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ لا تأملُون له توقيراً أي تعظيماً لمن عبدَه وأطاعَه فتكونوا على حال تأملُون فيها تعظيمَها إياكم، ولله بيانٌ للموقَّرِ ولو تأخَّر لكان صلةً للوقارِ، أو لا تعتقدون له عظمةً فتخافوا عصيانَه. وإنما عبَّر عن الاعتقادِ بالرجاء التابعِ لأدنى الظنِّ مبالغةً.

(١٤) ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ حالٌ مقرِّرةٌ للإنكار من حيثُ إنها موجبةٌ للرجاء فإنه خلقَهم أطواراً أي تاراتٍ، إذ خلقَهم أولاً عناصرَ. ثم مركباتٍ تغذَّى بها الإنسانُ ثم أخلاطاً ثم نُطَفاً ثم عَلَقاً ثم مُضَغاً ثم عظاماً ولحوماً ثم أنشأهم خلقاً آخرَ، فإنه يدلُّ على أنه يمكنُ أنْ يعيدَهم تارةً أخرى فيعظِّمَهم بالثوابِ وعلى أنه تعالى عظيمُ القدرةِ تامُّ الحكمةِ، ثم أتبعَ ذلك ما يؤيده من آياتِ الآفاقِ فقال:

(١٥) ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾.

(١٦) ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ أي في السمواتِ وهو في السماء الدنيا، وإنما نُسِبَ إليهن لما بينهنَّ من الملابسةِ. ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ مثَّلَها به لأنها تزيلُ ظلمةَ الليل عن وجه الأرض كما يزيلُها السراجُ عما حولَه.

(١٧) ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ أنشأكُم منها فاسْتُعِيْرَ الإنباتُ للإنشاءِ لأنه أدلُّ على الحدوثِ والتكوُّنِ من الأرض، وأصلُه أنبتكُم من الأرضِ إنباتاً فنبتم نباتاً فاخْتَصَرَهُ اكتفاءً بالدلالة الالتزامية.

(١٨) ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾ مقبورين. ﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ بالحشرِ، وأكَّده بالمصدرِ كما أكَّد به الأولَ دلالةً على أنَّ الإعادةَ محقَّقةٌ كالإبداء، وأنها تكون لا محالةَ.

(١٩) ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ تتقلَّبون عليها.

(٢٠) ﴿لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ واسعةً جمعُ فَجٍّ، ومِنْ لتضمُّنِ الفعل معنى الاتخاذ.

(٢١) ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾ فيما أمرتُهم به. ﴿وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾ واتبعوا رؤساءَهم البطِرِيْنَ بأموالهم المغترينَ بأولادهم بحيثُ صار ذلك سبباً لزيادة خسارِهم في الآخرة، وفيه أنهم إنما اتبعوهم لوجاهةٍ حصلتْ لهم بالأموالِ والأولاد وأدَّت بهم إلى الخسارِ. وقرأ ابن كثير وحمزةُ والكسائي والبصريانِ وُلْدُه بالضمِّ والسكونِ، على أنه لغةٌ كالحزْنِ والحَزَنِ أو جمعٌ كالأُسْدِ.

(٢٢) ﴿وَمَكَرُوا﴾ عطفٌ على لم يزده والضميرُ لمن وجَمْعَهُ للمعنى. ﴿مَكْرًا كُبَّارًا﴾ كبيراً في الغاية فإنه أبلغُ من كبار وهو من كبير، وذلك احتيالُهم في الدين وتحريشُ الناس على أذى نوحٍ.

وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾

(٢٣) ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ﴾ أي عبادتها. ﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ ولا تذرُنَّ هؤلاءِ خصوصاً. قيل هي أسماءُ رجالٍ صالحين كانوا بين آدمَ ونوحٍ فلما ماتوا صُوِّروا تبرُّكاً بهم، فلما طال الزمانُ عُبِدُوا، وقدِ انتقلتْ إلى العرب فكان وُدٌّ لكلبٍ، وسواعٌ لهمدانَ، ويغوثُ لمذحجٍ، ويعوقُ لِمُرَادٍ، ونسرٌ لحميرٍ. وقرأ نافع وُداً بالضمِّ، وقرىء يغوثاً ويعوقاً للتناسُبِ، ومنعُ صرفهما للعلَميةِ والعجمةِ.

(٢٤) ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا﴾ الضميرُ للرؤساءِ أو للأصنام كقوله ﴿إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا﴾[١]. ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا﴾ عطفٌ على ربِّ إنهم عصوني[٢]، ولعلَّ المطلوبَ هو الضلالُ في ترويج مكرِهم ومصالحِ دنياهم لا في أمرِ دينهم، أو الضياعُ والهلاكُ كقوله ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾[٣].

(٢٥) ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ﴾ من أجلِ خطيئاتِهم، وما مزيدةٌ للتأكيد والتفخيمِ، وقرأ أبو عمرو مما خطاياهُم. ﴿أُغْرِقُوا۟﴾ بالطوفان. ﴿فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا﴾ المرادُ عذابُ القبر أو عذابُ الآخرة، والتعقيب لعدمِ الاعتدادِ بما بَيْنَ الإغراقِ والإدخالِ، أو لأن المسبب كالمتعقبِ للسببِ وإنْ تراخَى عنه لفقْدِ شرطٍ أو وجود مانعٍ، وتنكيرُ النارِ للتعظيم، أو لأنَّ المرادَ نوعٌ من النيرانِ. ﴿فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا﴾ تعريضٌ لهم باتخاذِ آلهة من دون الله لا تقدِرُ على نَصْرِهم.

(٢٦) ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ أي أحداً وهو مما يُسْتَعْمَلُ في النفي العامِّ فَيَعَالٌ مِنَ الدارِ أو الدورِ. وأصلُه ديوارٌ فَفُعِلَ به ما فُعِلَ بأصلِ سيِّد لافِعال وإلا لكانَ دَوَّاراً.

(٢٧) ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ قال ذلك لما جرَّبهم واستَقْرى أحوالَهم ألفَ سنةٍ إلا خمسينَ عاماً فعرفَ شِيَمَهُم وطِبَاعَهُم.

(٢٨) ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾ لِمَلِكِ بنِ متوشلخ وشمخا بنتِ أنوش وكانا مؤمنين. ﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ﴾ منزلي أو مسجدي أو سفينتي. ﴿مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ إلى يوم القيامة. ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ هلاكاً. عن النبيِّ ﷺ «مَنْ قرأ سورةَ نوحٍ كان من المؤمنين الذين تدْرِكُهم دعوةُ نوحٍ»[٤].

---

(١) إبراهيم: «٣٦».

(٢) ووضع الظاهر «الظالمين» موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالظلم المفرط وتعليل الدعاء عليهم به (س٩/ ٤١).

(٣) القمر: «٤٧».

(٤) وهو حديث موضوع.
أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي عن أبي بن كعب.
كما في «الكافي الشاف» (ص١٧٧ رقم ٢٢٧).
وقد تقدم الكلام عليه في آخر سورة آل عمران.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾

سورة الجن مكية[1] وآيها ثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ وقُرِىءَ أُحِيَ وأصلُه وُحِيَ من وَحَى إليه فقُلِبَتِ الواوُ همزةً لضمَّتها وَوَحَى على الأصلِ وفاعلُه: ﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ والنفرُ ما بين الثلاثةِ إلى العشرةِ. والجنُّ أجسام عاقلةٌ خفيةٌ يغلبُ عليهم الناريةُ أو الهوائيةُ، وقيل نوعٌ من الأرواحِ المجرَّدة، وقيل نفوسٌ بشريةٌ مفارَقةٌ عن أبدانِها. وفيه دلالةٌ على أنه عليه الصلاة والسلام ما رآهم ولم يقرأْ عليهم وإنما اتفقَ حضورُهم في بعض أوقاتِ قراءتِه فسمعُوها فأخبر الله به رسولَه. ﴿فَقَالُوٓاْ﴾ لما رجعُوا إلى قومِهم. ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا﴾ كتاباً. ﴿عَجَبًا﴾ بديعاً مبايناً لكلام الناسِ في حسنِ نظْمِه ودقَّةِ معناه. وهو مصدرٌ وُصِفَ به للمبالغةِ.

(٢) ﴿يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾ إلى الحقِّ والصوابِ. ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ بالقرآن. ﴿وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ على ما نطقتْ به الدلائلُ القاطعةُ على التوحيد.

(٣) ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ قرأه ابن كثير والبصريانِ بالكسرِ على أنه من جملةِ المحكيِّ بعدَ القولِ، وكذا ما بعدَه إلا قولَه ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾[2]، ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ﴾[3]، ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا

---

(١) قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٦/ ١٣٠): «وهي مكية بإجماع المفسرين».

(٢) الجن: «١٦».

(٣) الجن: «١٨».

قَامَ﴾[١] فإنها من جملةِ الموحَى به ووافقَهم نافعٌ وأبو بكر إلا في قوله ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ﴾[٢] على أنه استئنافٌ أو مقولٌ، وفتحَ الباقون الكلَّ إلا ما صُدِّرَ بالفاء على أن ما كان من قولهم فمعطوفٌ على محلِّ الجارِّ والمجرورِ في به كأنه قيل: صدَّقنا أنه تعالى جدُّ ربِّنا أي عظمتُه من جدَّ فلانٌ في عيني إذا عظُمَ، أو سلطانُه أو غِناهُ مستعارٌ من الجدِّ الذي هو البختُ، والمعنى وصْفُه بالتعالي عن الصاحبةِ والولدِ لعظمته أو لسلطانِه أو لغِنَاهُ وقوله: ﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ بيانٌ لذلك. وقرىء جداً على التمييز، وجد ربنا بالكسرِ أي صدق ربوبيتَهُ، كأنهم سمعوا من القرآنِ ما نبَّهَهُم على خطإِ ما اعتقدوه من الشركِ واتخاذِ الصاحبةِ والولدِ.

(٤) ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾ إبليسُ أو مردةُ الجنِّ. ﴿عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا﴾ قولاً ذا شططٍ وهو البعدُ ومجاوزةُ الحدِّ، أو هو شططٌ لفرْطِ ما أشطَّ فيه، وهو نسبةُ الصاحبةِ والولدِ إلى الله.

(٥) ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ اعتذارٌ عن اتِّباعِهم السفيهَ في ذلك بظنِّهم أنَّ أحداً لا يكذِبُ على الله، وكذباً نُصِبَ على المصدرِ لأنه نوعٌ من القولِ أوِ الوصفِ المحذوفِ، أي قولاً مكذوباً فيه، ومن قرأ أنْ لنْ تقوّلَ كيعقوبَ جعلَه مصدراً لأن التقوُّلَ لا يكونُ إلا كذِباً.

وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٰٔنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾

(٦) ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ فإنَّ الرجلَ كان إذا أمسى بقفرٍ قال أعوذُ بسيِّدِ هذا الوادي من شرِّ سفهاءِ قومِه. ﴿فَزَادُوهُمْ﴾ فزادوا الجنَّ باستعاذتِهم بهم. ﴿رَهَقًا﴾ كِبْراً وعتواً، أو فزاد الجنُّ والإنسَ غياً بأنْ أضلُّوهم حتى استعاذوا بهم، والرَّهقُ في الأصل غشيانُ الشيءِ.

(٧) ﴿وَأَنَّهُمْ﴾ وأنَّ الإنسَ. ﴿ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ﴾ أيُّها الجنُّ أو بالعكس، والآيتانِ من كلام الجنِّ بعضَهم لبعض أو استئنافُ كلامٍ من الله تعالى، ومَنْ فتحَ أنَّ فيهما جعلَهما من الموحَى به. ﴿أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا﴾ سادٌّ مسدَّ مفعولي ظنُّوا.

(٨) ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ طلبْنَا بلوغَ السماءِ أو خَبَرَهَا، واللمسُ مستعارٌ من المسِّ للطلبِ كالجسِّ يقَالُ لمسه والتمَسَهُ وتلمَّسه كطلبه واطَّلبه وتطلَّبه. ﴿فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا﴾ حُرَّاساً اسمُ جمعٍ كالخدمِ. ﴿شَدِيدًا﴾ قوياً وهم الملائكةُ الذين يمنعونَهم عنها. ﴿وَشُهُبًا﴾ جمع شِهابٍ وهو المضيءُ المتولِّد من النارِ.

(٩) ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ﴾ مقاعدَ خاليةً عن الحرس والشُّهبِ، أو صالحةً للترصُّد والاستماعِ، وللسمعِ صلةٌ لِنَقْعُدَ أو صفةٌ لمقاعدَ. ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٰٔنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ أي شهاباً راصِداً

---

(١) الجن: ﴿١٩﴾.

(٢) الجن: ﴿١٩﴾.

له ولأجله يمنعُه عن الاستماعِ بالرَّجْمِ، أو ذوي شهابٍ راصدينَ على أنه اسمُ جمعٍ للراصد، وقد مرَّ بيانُ ذلك في الصافات.

وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾

(١٠) ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بحراسةِ السماءِ. ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ خيراً.

(١١) ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ المؤمنون الأبرارُ. ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي قومٌ دون ذلك فحذفَ الموصوفَ وهم المقتصدون. ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ﴾ ذوي طرائقَ أي مذاهبَ، أو مثلَ طرائقَ في اختلافِ الأحوالِ أو كانتْ طرائقُنا طرائقَ. ﴿قِدَدًا﴾ متفرقةً مختلفةً جمعُ قِدَّةٍ من قدَّ إذا قَطَعَ.

(١٢) ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ﴾ علِمْنا. ﴿أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ كائنين في الأرض أينما كنَّا فيها. ﴿وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا﴾ هاربينَ منها إلى السماءِ، أو لن نعجِزَه في الأرض إن أرادَ بنا أمراً ولن نعجزَه هرباً إلى طلبنا.

(١٣) ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ﴾ أي القرآنَ. ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ﴾ فهو لا يخافُ، وقرىء فلا يَخَفْ والأولُ أدلُّ على تحقيقِ نجاةِ المؤمنينَ واختصاصِها بهم. ﴿بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ نقْصاً في الجزاءِ ولا أن يرهِقَه ذلّةً، أو جزاءَ بخسٍ لأنه لم يبخسْ لأحدٍ حقاً ولم يرهِقْ ظلماً، لأن من حقِّ المؤمن بالقرآنِ أنْ يجتنبَ ذلك.

(١٤) ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ﴾ الجائرون عن طريقِ الحقِّ وهو الإيمان والطاعةُ. ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا﴾ توخَّوْا رشداً عظيماً يبلِّغُهم إلى دار الثوابِ.

(١٥) ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ تُوْقَدُ بهم كما توقدُ بكفَّارِ الإنسِ.

(١٦) ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ أي أنَّ الشأنَ لو استقامَ الجنُّ أو الإنسُ أو كلاهما. ﴿عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾ أي على الطريقة المثْلَى. ﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ لوسَّعْنا عليهم الرزقَ، وتخصيصُ الماءِ الغَدَقِ وهو الكثيرُ بالذكرِ لأنه أصلُ المعاشِ والسعةِ ولعزَّة وجودِه بين العرب.

(١٧) ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ لنختبِرَهم كيف يشكُرونه، وقيل معناه أن لو استقامَ الجنُّ على طريقتهم القديمةِ ولم يسلموا باستماع القرآنِ لوسَّعنا عليهم الرزقَ مستدرجين لهم لنوقِعَهم في الفتنةِ ونعذِّبَهم في كُفرانِهم. ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ﴾ عن عبادتِه أو موعظته أو وحيِه. ﴿يَسْلُكْهُ﴾ يدخِلْه، وقرأ غيرُ الكوفيينَ بالنونِ. ﴿عَذَابًا صَعَدًا﴾ شاقاً يعلو المعذَّبَ ويغلبه مصدرٌ وُصِفَ به.

وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾

(١٨) ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ مختصةٌ به. ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ فلا تعبدُوا فيها غَيْرَهُ، ومن جعلَ أنَّ مقدَّرةً باللام علةً للنهي ألغَى فائدةَ الفاءِ، وقيل المرادُ بالمساجدِ الأرضُ كلُّها لأنها جعلِتْ للنبي عليه الصلاة والسلام مسجداً، وقيل المسجدُ الحرام لأنه قبلةُ المساجدِ ومواضعَ السجودِ على أنَّ المرادَ النهيُ عن السجود لغيرِ الله، وآرابُه السبعةُ أو السجدات على أنه جمعُ مسجدٍ.

(١٩) ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ أي النبيُّ عليه الصلاة والسلام، وإنما ذُكِرَ بلفظ العبدِ للتواضُعِ فإنه واقعٌ موقعَ كلامه عن نفسِه، والإشعار بما هو المقتضي لقيامِه. ﴿يَدْعُوهُ﴾ يعبدُه ﴿كَادُوا۟﴾ كاد الجنُّ. ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ متراكمينَ من ازدِحَامهم عليه تعجُّباً مما رأوا من عبادتِه وسمعُوا من قراءته، أو كاد الإنسُ والجنُّ يكونون عليه مجتمعينَ لإبطال أمرِه، وهو جمعُ لبدةٍ وهي ما تلبَّد بعضُه على بعض كلبدةِ الأسدِ. وعن ابن عامرٍ لُبداً بضمِّ اللامِ جمع لبدةٍ وهي لغةٌ، وقرىء لُبْداً كسجداً جمعُ لابدٍ، ولُبُداً كصبرٍ جمع لبودٍ.

(٢٠) ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا﴾ فليس ذلك ببدعٍ ولا منكرٍ يوجب تعجُّبَكُم أو إطباقكم على مقْتي، وقرأ عاصمٌ وحمزة قلْ على الأمر للنبيِّ عليه الصلاة والسلام ليوافقَ ما بعدَه.

(٢١) ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ ولا نفعاً أو غياً، عبَّر عن أحدِهما باسمه وعن الآخر باسمِ سببه أو مسبَّبِه إشعاراً بالمعنيين.

(٢٢) ﴿قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ﴾ إنْ أرادَ بي سوءاً. ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ منْحَرَفاً أو ملْتَجَأً وأصلُه المدخلُ من اللَّحْدِ.

(٢٣) ﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ استثناءٌ من قوله لا أملِكُ فإنَّ التبليغَ إرشادٌ وإنفاعٌ وما بينَهما اعتراضٌ مؤكِّد لنفيِ الاستطاعةِ، أو مِنْ ملتحداً، أو معناه أنْ لا أبلِّغَ بلاغاً وما قبله دليلُ الجواب. ﴿وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾ عطفٌ على بلاغاً ومن الله صفتُه فإنَّ صِلَتَهُ عن كقوله ﷺ «بلِّغوا عنِّي ولو آيةً»[1]. ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ في الأمر بالتوحيدِ إذ الكلامُ فيه. ﴿فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ وقُرِىءَ فأنَّ على فجزاؤُه أنَّ. ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ جمعَه للمعنَى.

(٢٤) ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ﴾ في الدنيا كوقْعَةِ بدْرٍ، أو في الآخرة، والغايةُ لقوله ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾[2] بالمعنى الثاني، أو لمحذوف دلَّ عليه الحالُ منِ استضعافِ الكفارِ وعِصْيَانِهم له.

---

(١) أخرجه البخاري (٦/٤٩٦ رقم ٣٤٦١) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص.

(٢) الجن: «١٩».

﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾ **هو أمْ هم.**

قُلْ إِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾

(٢٥) ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِيٓ﴾ **ما أدري.** ﴿أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا﴾ **غايةً تطولُ مدَّتُها كأنه لما سمعَ المشركون حتى إذا رأوا ما يوعدون قالوا متَى يكونُ إنكاراً، فقيل قلْ إنه كائنٌ لا محالةَ ولكن لا أدري ما وقْتُه.**

(٢٦) ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ **هو عالمُ الغيبِ.** ﴿فَلَا يُظْهِرُ﴾ **فلا يُطْلِعُ.** ﴿عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾ **أي على الغيب المخصوصِ به علمُه.**

(٢٧) ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ **لَعَلّمَ بعضَه حتى يكونَ له معجزةً.** ﴿مِن رَّسُولٍ﴾ **بيانٌ لِمَنْ، واسْتُدِلَّ به على إبطالِ الكراماتِ، وجوابُه تخصيصُ الرسول بالملْكِ والإظهار بما يكون بغير وسطٍ، وكراماتُ الأولياء على المغيَّباتِ إنما تكونُ تلقياً عن الملائكة كاطلاعنا على أحوالِ الآخرة بتوسُّطِ الأنبياء.** ﴿فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ **من بين يدي المرتَضى.** ﴿وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ **حَرَساً من الملائكة يحرسُونه من اختطافِ الشياطين وتخاليطِهم.**

(٢٨) ﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟﴾ **أي ليعلمَ النبيُّ الموحَى إليه أنْ قد أبلغَ جبريلُ والملائكةُ النازلونَ بالوحْي، أو ليعلم الله تعالى أنْ قد أبلغَ الأنبياءُ بمعنى ليتعلَّق علمُه به موجوداً.** ﴿رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ **كما هي محروسةٌ من التغيير.** ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ **بما عندَ الرسلِ.** ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًا﴾ **حتى القطْرَ والرملَ. عن النبيِّ ﷺ «مَنْ قرأ سورةَ الجنِّ كان له بعددِ كلِّ جنِّي صدَّقَ محمداً أو كذَّبَ به عتقُ رقبةٍ»**[1].

☆ ☆ ☆

(١) وهو حديث موضوع.
أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي عن أبي بن كعب.
كما في «الكافي الشاف» (ص١٧٨ رقم ٢٣٤).
وقد تقدم الكلام عليه في أواخر سورة آل عمران.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا
سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾

سورة المزمل مكية[1]، وآيها تسع عشرة أو عشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ أصلُه المتزمِّل من تزمَّل بثيابه إذا تلفَّفَ بها فأدغَم التاءَ في الزاي وقد قرىء به، وبالمزمل مفتوحةَ الميم ومكسورتَها أي الذي زمَّله غيرهُ، أو زمَّل نفسَه. سُمِّيَ به النبيُّ عليه الصلاة والسلام تهجيناً لما كان عليه فإنه كان نائماً أو مرتعداً مما دهشَه من بَدْءِ الوحي متزملاً في قطيفةٍ أو تحسيناً له، إذ رُوِيَ أنه عليه الصلاة والسلام كان يصلي متلففاً بمرطٍ مفروشٍ على عائشةَ رضيَ الله تعالى عنها فنزلتْ[2]، أو تشبيهاً له في تثاقلِه بالمتزمِّل لأنه لم يتمرّنْ بعدُ في قيام الليلِ، أو من تزمَّل الزِّملَ إذا تحمَّل الحملَ أي الذي تحمَّل أعباءَ النبوَّةِ.

---

(١) قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٦/ ١٤٤): «وهي مكية كلها في قول المهدوي وجماعة. وقال الجمهور: هي مكية إلاَّ قوله تعالى «إن ربك يعلم...» إلى آخر السورة فإن ذلك نزل بالمدينة» هـ.

(٢) قال ابن حجر في «الكافي الشافِ» (ص١٧٨ رقم ٢٣٥): لم أره هكذا.
قلت: وأصله في الصحيحين البخاري (١/ ١٨ رقم ٣) ومسلم (١/ ١٣٩ ـ ١٤٢ رقم ٢٥٢/ ١٦٠). من حديث عائشة.

(٢) ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ﴾ أي قمْ إلى الصلاة، أو داوِمْ عليها فيه، وقرىء بضمِّ الميم وفتحِها للاتباعِ أو التخفيفِ. ﴿إِلَّا قَلِيلٗا﴾.

(٣) ﴿نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا﴾.

(٤) ﴿أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ﴾ الاستثناءُ من الليلِ، ونصفَه بدلٌ من قليلاً وقلَّته بالنسبةِ إلى الكلِّ، والتخييرُ بينَ قيامِ النصفِ والزائدِ عليه كالثلثينِ والناقصِ عنه كالثُّلثِ. أو نصفَه بدلٌ من الليلِ والاستثناءُ منه والضميرُ في منه وعليه للأقلِّ من النصفِ كالثلثِ فيكون التخييرُ بينه وبين الأقلِّ منه كالرُّبعِ والأكثر منه كالنصفِ، أو للنصفِ والتخييرُ بينَ أنْ يقومَ أقلَّ منه على البتِّ وأنْ يختارَ أحدَ الأمرين من الأقلِّ والأكثر، أو الاستثناءُ من إعدادِ الليل فإنه عامٌ والتخيير بين قيام النصفِ والناقص عنه والزائدِ عليه. ﴿وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا﴾ اقرأه على تُؤَدَةٍ وتبيينِ حروفٍ بحيثُ يتمكَّن السامعُ من عدِّها، من قوله ثَغْرٌ رَتَلٌ ورَتِلٌ إذا كان مفلَّجاً.

(٥) ﴿إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا﴾ يعني القرآنَ فإنه لما فيه من التكاليفِ الشاقَّةِ ثقيلٌ على المكلَّفين سيَّما على الرسول ﷺ إذ كان عليه أنْ يتحمَّلها ويُحَمِّلَها أمَّتَهُ، والجملةُ اعتراضٌ يسهِّلُ التكليفَ عليه بالتهجُّدِ، ويدلُّ على أنه مشقٌّ مضادٌّ للطبعِ مخالِفٌ للنفسِ، أو رصينٌ لرزانةِ لفظِه ومتانةِ معناه، أو ثقيلٌ على المتأمِّل فيه لافتقارِهِ إلى مزيدِ تصفيةٍ للسرِّ وتجريدٍ للنظرِ، أو ثقيلٌ في الميزان أو على الكفار والفجَّارِ، أو ثقيلٌ تلقيه لقولِ عائشةَ رضي الله تعالى عنها: رأيته عليه الصلاة والسلام ينزلُ عليه الوحيُ في اليوم الشديد البردِ، فَيُفْصَمُ عنه وإنَّ جبينَه ليرفَضُّ عرَقاً[1]. وعلى هذا يجوز أن يكونَ صفة للمصدر، والجملةُ على هذه الأوجُهِ للتعليلِ مستأنفٌ فإنَّ التهجُّدَ يُعَدُّ للنَّفسِ ما به تعالِجُ ثِقَلَه.

(٦) ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ﴾ إنَّ النفسَ التي تنشأُ من مضجِعها إلى العبادة من نشأَ مِنْ مكانِه إذا نهض وقامَ، قال:

نَشَـأْنَـا إِلَـى خَـوْصٍ بَـرَانِيهَـا السُّـرَى ... وَأَلْصَـقَ مِنْهَـا مُشْـرِفَـاتِ القَمَـاحِـدِ

أو قيامَ الليلِ على أنَّ الناشئةَ له، أو العبادةَ التي تنشأُ بالليل أي تحدُثُ، أو ساعاتِ الليلِ لأنها تحدثُ واحدةً بعد أخرى، أو ساعاتِها الأُوَلَ من نشأتْ إذا ابتدأتْ. ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطۡئٗا﴾ أي كلفةً أو ثباتَ قدَمٍ، وقرأ أبو عمرو وابنُ عامر وِطاءً بكسر الواوِ وألفٍ ممدودةٍ أي مواطأةَ القلبِ اللسانَ لها أو فيها، أو موافقةً لما يُرَادُ منها من الخضوع والإخلاص. ﴿وَأَقۡوَمُ قِيلٗا﴾ أي وأسدُّ مقالاً أو أثبتُ قراءة لحضور القلبِ وهدوءِ الأصوات.

(٧) ﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا﴾ تقلُّباً في مهمَّاتِك واشتغالاً بها فعليك بالتهجدِ، فإنَّ مناجاةَ الحقِّ تستدعي فراغاً. وقرىء سبخاً أي تفرُّقَ قلب بالشواغل مستعارٍ من سبْخِ الصوفِ وهو نفشُه ونشرُ أجزائِه.

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ١٨ رقم ٢) ومسلم (٤/ ١٨١٦ ـ ١٨١٧ رقم ٢٣٣٣) والبغوي في شرح السنة (١٣/ ٣٢١ ـ ٣٢٢).

وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾

(٨) ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾ ودمْ على ذكره ليلاً ونهاراً، وذِكْرُ الله يتناولُ كلَّ ما يُذْكَرُ به من تسبيح وتهليل وتمجيد وتحميد وصلاة وقراءة قرآنٍ ودراسة علم. ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ وانقطِعْ إليه بالعبادة وجرِّد نفسَك عما سواه، ولهذه الرمزةِ ومراعاةِ الفواصل وضعَهُ موضِعَ تبتلاً.

(٩) ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ خبرٌ محذوف أو مبتدأٌ خبره: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ وقرأ ابن عامر والكوفيون غيرَ حفصٍ ويعقوبُ بالجرِّ على البدلِ من ربِّك، وقيل بإضمار حرفِ القسم وجوابُه لا إله إلا هو. ﴿فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ مسبَّبٌ عن التهليلِ، فإنَّ توحُّدَه بالألوهية يقتضي أن تُوَكلَ إليه الأمورُ.

(١٠) ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ من الخرافاتِ. ﴿وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ بأنْ تجانبهم وتداريَهم ولا تكافِئَهم وتكلَ أمرَهُم إلى الله فالله يكفيكهم كما قال:

(١١) ﴿وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ دعني وإياهم وكِلْ إليَّ أَمْرَهُم فإنَّ بي غنيةً عنك في مجازاتِهم. ﴿أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ﴾ أربابِ التنعُّمِ، يريد صناديدَ قريشٍ. ﴿وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾ زماناً أو إمهالاً.

(١٢) ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا﴾ تعليلٌ للأمرِ، والنكلُ القيدُ الثقيلُ. ﴿وَجَحِيمًا﴾.

(١٣) ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ طعاماً ينشَبُ في الحلق كالضريعِ والزقوم. ﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ ونوعاً آخرَ من العذاب مؤلماً لا يعرفُ كُنْهَهُ إلا اللهُ تعالى. ولما كانتِ العقوباتُ الأربعُ مما تشترك فيها الأشباحُ والأرواح ـ فإنَّ النفوسَ العاصيةَ المنهمكةَ في الشهواتِ تبقى مقيَّدةً بحبِّها والتعلُّقِ بها عن التخلصِ إلى عالم المجرَّداتِ متحرقةً بحرقةِ الفرقةِ متجرِّعةً غصَّةَ الهجْرَانِ معذبةً بالحرمانِ عن تجلي أنوار القدس ـ فسَّر العذابَ بالحرمان عن لقاءِ الله تعالى.

(١٤) ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾ تضطربُ وتتزلزلُ، ظرفٌ لما في ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا﴾[1] من معنى الفعلِ. ﴿وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا﴾ رملاً مجتمعاً كأنه فعيلٌ بمعنى مفعولٍ من كثبتُ الشيءَ إذا جمعتُه. ﴿مَّهِيلًا﴾ منثوراً من هِيْلَ هيلاً إذا نُثِرَ.

(١٥) ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا﴾ يا أهلَ مكَّة. ﴿شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ يشهدُ عليكم يومَ القيامة بالإجابة والامتناعِ. ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ يعني موسى عليه الصلاة والسلام ولم يعيِّنه لأنَّ المقصودَ لم يتعلَّقْ به.

(١٦) ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ﴾ عرَّفه لسبق ذِكْرِه. ﴿فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ ثقيلاً من قولهم طعامٌ وبيلٌ لا يُستَمْرَأُ لثقلِه، ومنه الوابلُ للمطرِ العظيمِ.

---

[1] المزمل: «١٢».

فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٧﴾ السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ ۚ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ ۙ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾

(١٧) ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ﴾ أنفسكم. ﴿إِن كَفَرْتُمْ﴾ بقيتُم على الكفر. ﴿يَوْمًا﴾ عذابَ يومٍ. ﴿يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ من شدة هولِه وهذا على الفرضِ أو التمثيلِ، وأصله أنَّ الهمومَ تُضعِف القوى وتسرعُ الشيبَ، ويجوز أنْ يكونَ وصفاً لليوم بالطولِ.

(١٨) ﴿السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ﴾ منشقٌّ، والتذكير على تأويلِ السقفِ أو إضمارِ شيءٍ[1]. ﴿بِهِ﴾ بشدةِ ذلك اليوم على عِظَمِها وأحكامِها فضلاً عن غيرها. والباءُ للآلةِ. ﴿كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾ الضميرُ لله عز وجل، أو لليومِ على إضافةِ المصدرِ إلى المفعولِ.

(١٩) ﴿إِنَّ هَٰذِهِ﴾ أي الآياتِ الموعِدَةِ. ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ عظةٌ. ﴿فَمَن شَاءَ﴾ أنْ يتَّعِظَ. ﴿اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ أي يتقربُ إليه بسلوك التقوى.

(٢٠) ﴿۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ﴾ استعارَ الأدنى للأقلِّ لأن الأقربَ إلى الشيءِ أقلُّ بعداً منه، وقرأ ابن كثير والكوفيونَ ونصفَه وثلثَه بالنصبِ عطفاً على أدنى. ﴿وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾ ويقومُ ذلك جماعةٌ من أصحابك. ﴿وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ لا يعلم مقاديرَ ساعاتِهما كما هي إلا اللهُ تعالى، فإنَّ تقديمَ اسمِه ـ مبتدأ مبنياً عليه يُقدِّر ـ يشعِرُ بالاختصاص ويؤيدُه قولُه: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾ أي لن تُحْصُوا تقديرَ الأوقات ولن تستطيعوا ضبطَ الساعاتِ. ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ بالترخُّصِ في تركِ القيام المقدَّرِ ورفعِ التبعةِ فيه كما رفعَ التبعةَ عن التائب. ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ فصلُّوا ما تيسَّر عليكم من صلاةِ الليل، عبَّر عن الصلاةِ بالقرآن كما عبَّر عنها بسائر أركانِها، قيل كان التهجدُ واجباً على التخييرِ المذكور فعسُر عليهم القيامُ به فنُسِخَ به، ثم نُسِخَ هذا بالصلواتِ الخمس، أو فاقرؤوا القرآنَ بعينه كيفما تيسَّر عليكم. ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ﴾ استئنافٌ يبين حكمةً أخرى مقتضيةً الترخيصَ والتخفيفَ ولذلك كرَّر الحكمَ مرتَّباً عليه وقال: ﴿وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ والضربُ في الأرض ابتغاءً للفضلِ المسافرةُ للتجارةِ وتحصيلِ العلم ﴿وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ المفروضةَ. ﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ الواجبةَ. ﴿وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ يريدُ به الأمرَ في سائرِ الإنفاقاتِ في سبلِ الخيراتِ، أو بأداءِ الزكاةِ على أحسن وجهٍ والترغيبِ فيه بوعد العِوَض كما صرَّح به في قوله: ﴿وَمَا

---

(١) وعبر عنها بذلك للتنبيه على أنه تبدلت حقيقتها وزال عنها اسمها ورسمها ولم يبقَ منها إلا ما يعبر عنه بالشيء (س٩/ ٥٢).

﴿تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ مِنَ الذي تؤخِّرونه إلى الوصيةِ عند الموت أو منْ متاعِ الدنيا. وخيراً ثاني مفعولي تجدُوه، وهو تأكيدٌ أو فصلٌ؛ لأن أَفْعَلَ مِنْ كالمعرفةِ ولذلك يُمتنعُ مِنْ حرفِ التعريف، وقرىء هو خيرٌ على الابتداءِ والخبر. ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ في مجامعِ أحوالِكم فإنَّ الإنسانَ لا يخلو من تفريطٍ. ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ عن النبيِّ ﷺ «من قرأ سورةَ المزملِ رفعَ الله عنه العُسْرَ في الدنيا والآخرة»[1].

☆ ☆ ☆

(١) وهو حديث موضوع.
أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه عن أبي بن كعب كما في «الكافي الشافِ» (ص١٧٩ رقم ٢٤٥).
وقد تقدم الكلام عليه في آخر سورة آل عمران.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾
وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾ فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾

سورة المدثر مكية[1]. وآيها خمس وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ أي المتدثِّر وهو لابسٌ الدثارَ. رُوِيَ أنه عليه الصلاة والسلام قال: «كنتُ بحراءَ فنُودِيتُ فنظرتُ عن يميني وشمالي فلم أرَ شيئاً، فنظرتُ فوقي فإذا هو على عرش بين السماء والأرض ـ يعني الملكَ الذي ناداه ـ فرُعِبْتُ، فرجعتُ إلى خديجةَ فقلت: دثِّروني، فنزل جبريلُ وقال: يا أيها المدثر»[2] ولذلك قيل هي أول سورةٍ نزلتْ. وقيل تأذى من قريش فتغطّى بثوبه مفكِّراً، أو كان نائماً مدثراً فنزلتْ. وقيل المراد بالمدثر المتدثرُ بالنبوةِ والكمالاتِ النفسانية، أو المختفي فإنه كان بحراءَ كالمختفي فيه على سبيلِ الاستعارةِ. وقرىء المُدثَّر أي الذي دُثِّر هذا الأمرَ وعُصِبَ به.

(٢) ﴿قُمْ﴾ من مضجعِك أو قمْ قيامَ عزْمٍ وجدٍّ. ﴿فَأَنذِرْ﴾ مطلقٌ للتعميم أو مقدَّر بمفعولٍ دلَّ عليه قولُه ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[3] أو قولُه ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[4].

---

(١) قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٦/ ١٥٤): «وهي مكية بإجماع من أهل التفسير».

(٢) أخرجه البخاري (٨/ ٦٧٦ ـ ٦٧٧ رقم ٤٩٢٢) و(٨/ ٧١٥ رقم ٤٩٥٤) ومسلم (١/ ١٤٣، ١٤٤ رقم ٢٥٦، ٢٥٧) من حديث جابر بن عبدالله.

(٣) الشعراء: «٢١٤».

(٤) سبأ: «٢٨».

(٣) ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ وخصِّصْ ربَّك بالتكبير وهو وصفُه بالكبرياء عقْداً وقولاً، روي أنه لما نزلَ كبِّر رسولُ الله ﷺ وأيقن أنه الوحي [(١)]، وذلك لأنَّ الشيطانَ لا يأمرُ بذلك. والفاءُ فيه وفيما بعدَه لإفادة معنى الشرطِ وكأنه قال: وما يكنْ فكبِّر ربَّك، أو الدلالةِ على أن المقصودَ الأولَ من الأمر بالقيام أن يكبِّر ربَّه عن الشرك والتشبيهِ؛ فإن أولَ ما يجب معرفةُ الصانعِ وأولُ ما يجب بعدَ العلم بوجوده تنزيهُهُ، والقوم كانوا مقرِّين به.

(٤) ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ من النجاساتِ فإن التطهير واجبٌ في الصلوات محبوبٌ في غيرها، وذلك بغسْلِها أو بِحفْظِها عن النجاسةِ بتقصيرها مخافةَ جرِّ الذيول فيها، وهو أول ما أُمِرَ به من رفضِ العاداتِ المذمومة. أو طهِّر نفسَك من الأخلاق الذميمة والأفعالِ الدنيئة، فيكون أمراً باستكمالِ القوة العمليةِ بعد أمره باستكمال القوّة النظريةِ والدعاء إليه. أو فطهر دِثَار النبوةِ عما يدنِّسه من الحقدِ والضَّجَرِ وقلَّةِ الصَّبْرِ.

(٥) ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ فاهجرِ العذابَ بالثباتِ على هجْرِ ما يؤدي إليه من الشرك وغيرِهِ من القبائحِ، وقرأ يعقوب وحفصٌ والرُّجزَ بالضمِّ وهو لغةٌ كالذكرِ.

(٦) ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ أي لا تعطِ مستكثراً، نهيٌ عن الاستغزار وهو أنْ يهبَ شيئاً طامعاً في عوضٍ أكثرَ، نَهْيَ تنزيهٍ أو نهياً خاصاً به لقوله عليه الصلاة والسلام «المستغزر [(٢)] يُثَابُ من هبتِهِ [(٣)]» والموجب له ما فيه من الحرصِ والضنَّةِ، أو لا تمننْ على الله تعالى بعبادتِك مستكثراً إياها أو على الناس بالتبليغِ مستكثِراً به الأجرَ منهم أو مستكثراً إياه. وقرىء تستكثرْ بالسكون للوقفِ أوِ الإبدالِ من تمننْ على أنه مِنْ منَّ بكذا أو تستكثر بمعنى تجدْه كثيراً، وبالنصبِ على إضمارِ أنْ؛ وقد قرىء بها، وعلى هذا يجوزُ أنْ يكون الرفعُ بحذفِها وإبطالِ عملِها كما رُوِيَ احضرُ الوغى بالرفعِ.

(٧) ﴿وَلِرَبِّكَ﴾ لوجهه أو أمرِهِ. ﴿فَاصْبِرْ﴾ فاستعملِ الصبرَ، أو فاصبرْ على مشاقِّ التكاليفِ وأذى المشركين.

(٨) ﴿فَإِذَا نُقِرَ﴾ نُفِخَ. ﴿فِي النَّاقُورِ﴾ في الصُّورِ فاعولٌ من النَّقْرِ بمعنى التصويتِ وأصلُه القرعُ الذي هو سببُ الصوتِ، والفاء للسببيةِ كأنه قال: اصبِرْ على زمانٍ صعبٍ تَلْقَى فيه عاقبةَ صبْرِك وأعداؤُك عاقبةَ ضُرِّهم، وإذا ظرفٌ لما دلَّ عليه قولُه:

(٩) ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ [(٤)].

(١٠) ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ لأن معناه عَسُرَ الأمرُ على الكافرين، وذلك إشارةٌ إلى وقتِ النَّقْرِ، وهو مبتدأٌ

---

(١) ذكره الألوسي في «روح المعاني» (٢٩/ ١١٦) بدون سند.

(٢) المستغزر: الذي يطلب أكثر مما يُعطي، وهي المغازرة: أي إذا أهدى لك الغريب يطلب أكثر منه فأعطه في مقابله هديته. قال: وفيه عن بعض التابعين «الجانب المستغزر يُثاب من هبته» [النهاية (٣/ ٣٦٥)].

(٣) قال ابن حجر في «الكافي الشافِ» (ص١٧٩ رقم ٢٥٠): «تقدم في الروم من قول شريح».
قلت: أخرجه عبدالرزاق في «المصنف» (٩/ ١٠٦) عن شريح.

(٤) ذلك: إشارة إلى وقت النقر.
وما فيه من معنىٰ البعد ـ مع قرب العهد بالمشار إليه ـ للإيذان ببعد منزلته في الهول والفظاعة (س٩/ ٥٥).

خبرُه يومٌ عسيرٌ، ويومئذ بدلٌ أو ظرفٌ لخبرِهِ إذ التقديرُ: فذلك الوقتُ وقتُ وقوعِ يومٍ عسير. ﴿غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ تأكيدٌ يمنعُ أنْ يكونَ عسيراً عليهم من وجْهٍ ويشعرُ بِيُسْرِه على المؤمنين.

ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا ۖ إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾

(١١) ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ نزلتْ في الوليد بنِ المغيرة[1]. ووحيداً حالٌ من الياء أي ذرني وحْدِي معه فإني أكفيكَهُ، أو من التاءِ أي ومَنْ خلقتُه وحدي لم يشرِكْني في خلقِه أحد، أو من العائد المحذوفِ أي من خلقتُه فريداً لا مالَ له ولا ولدَ، أو ذمٌّ فإنه كان ملقَّباً به فسمَّاه الله به تهكُّماً، أو إرادةُ أنه وحيدٌ ولكن في الشرارة أو عن أبيه فإنه كان زنيماً.

(١٢) ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا﴾ مبسوطاً كثيراً أو مُمَدَّاً بالنماء، وكان له الزرعُ والضرعُ والتجارةُ.

(١٣) ﴿وَبَنِينَ شُهُودًا﴾ حضوراً معه بمكَّةَ يتمتَّع بلقائِهم لا يحتاجون إلى سفرٍ لطلب المعاشِ استغناءً بنعمته، ولا يحتاج إلى أنْ يرسِلَهم في مصالِحِه لكثرةِ خدمِه، أو في المحافلِ والأنديةِ لوجاهَتِهم واعتبارِهم. قيل كان له عشرةُ بنينَ أو أكثرُ كلُّهم رجالٌ، فأسلمَ منهم ثلاثةٌ خالد وعمارةُ وهشامٌ.

(١٤) ﴿وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا﴾ وبسطْتُ له الرياسةَ والجاهَ العريضَ حتى لُقِّبَ ريحانةَ قريش، والوحيدُ أي باستحقاقِهِ الرياسةَ والتقدُّمَ.

(١٥) ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾ على ما أُوتِيَه وهو استبعادٌ لطمعِه إما لأنه لا مزيدَ على ما أوتي، أو لأنه لا يناسِبُ ما هو عليه من كفرانِ النِّعمِ ومعاندةِ المنعِم ولذلك قال:

(١٦) ﴿كَلَّا ۖ إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا﴾ فإنه ردعٌ له عن الطمعِ وتعليلٌ للردعِ على سبيل الاستئنافِ بمعاندة آيات المنعِمِ المناسبة لإزالة النعمةِ المانعةِ عن الزيادة، قيل: ما زالَ بعدَ نزولِ هذه الآيةِ في نقصانٍ ماله حتى هَلَكَ.

(١٧) ﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾ سأغشِّيه عَقَبَةً شاقَّةَ المصعدِ، وهو مَثَلٌ لما يَلْقَى من الشدائد. وعنه عليه الصلاةُ والسلام «الصَّعُودُ جبلٌ من نار يصعدُ فيه سبعينَ خريفاً ثم يهوي فيه كذلك أبداً»[2].

(١٨) ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ تعليلٌ للوعيدِ أو بيانٌ للعِنادِ، والمعنى فكَّر فيما يُخَيَّلُ طعناً في القرآن وقدَّر في نفسِه ما يقول فيه.

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٥٠٦) والبيهقي في «الدلائل» كما في «فتح القدير» (٥/ ٣٢٨) من طريق عبدالرزاق به وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه الترمذي (٧/ ٢٩٧ ـ ٢٩٨ مع التحفة) وقال هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلاّ من حديث ابن لهيعة. وأخرجه أحمد (٣/ ٧٥) وابن جرير (١٤/ ج٢٩/ ١٥٥) والحاكم (٢/ ٥٠٧) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ووافقه الذهبي. وانظر «الكافي الشافِ» (ص١٧٩ رقم ٢٥٢).

فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾

(١٩) ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ تعجُّبٌ من تقديره استهزاءً به، أو لأنه أصابَ أقْصَى ما يمكنُ أنْ يُقَالَ عليه مِنْ قولهم: قتلَه اللهُ ما أشجَعَه، أي بلغَ في الشجاعةِ مبلغاً يحقُّ أنْ يُحْسَدَ ويدعو عليه حاسِدُه بذلك. رُوِيَ[1] أنه مرَّ بالنبي ﷺ وهو يقرأ حمَ السجدة، فأتى قومَه وقال لقد سمعتُ من محمدٍ آنفاً كلاماً ما هو من كلام الإنس والجنِّ. إنَّ له لحلاوةً وإن عليه لطلاوةً. وإنَّ أعلاهُ لمثمرٌ وإنَّ أسفلَه لمغدِقٌ وإنه ليعلو ولا يُعْلَى، فقالتْ قريشٌ صبأ الوليدُ، فقال ابنُ أخيه أبو جهل: أنا أكفيكُموه، فقعدَ إليه حزيناً وكلَّمه بما أحماه فناداهم، فقال: تزعُمونَ أنَّ محمداً مجنونٌ فهل رأيتموه يخنقُ؟ وتقولون إنه كاهنٌ فهل رأيتموه يتكهَّنُ؟ وتزعمون أنه شاعرٌ فهل رأيتموه يتعاطَى شعراً؟ فقالوا لا، فقال: ما هو إلا ساحرٌ أما رأيتموه يفرِّق بينَ الرجلِ وأهلِه وولدِه ومواليه، ففرِحُوا بقوله وتفرَّقوا عنه متعجِّبينَ منه.

(٢٠) ﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ تكرير للمبالغة، وثم للدلالة على أن الثانية أبلغ من الأولى وفيما بعد على أصلها.

(٢١) ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ أي في أمرِ القرآن مرةً بعدَ أخرى.

(٢٢) ﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾ قطَّب وجْهَهُ لما لم يجدْ فيه مطْعَناً ولم يدرِ ما يقول، أو نظرَ إلى رسول الله ﷺ وقطَّب في وجْهِه. ﴿وَبَسَرَ﴾ إتباعٌ لِعَبَسَ.

(٢٣) ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ عن الحقِّ أو الرسولِ عليه الصلاة والسلام. ﴿وَٱسْتَكْبَرَ﴾ عن اتباعِه.

(٢٤) ﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ يُرْوَى ويُتَعَلَّمُ، والفاءُ للدلالة على أنه لما خَطَرتْ هذه الكلمةُ بباله تفوَّه بها من غير تلبُّثٍ وتفكُّرٍ.

(٢٥) ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ كالتأكيدِ للجملة الأولى ولذلك لم يُعْطَفْ عليها.

(٢٦) ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ بدلٌ من سأرهِقُه صُعُوداً.

(٢٧) ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ﴾ تفخيمٌ لشأنها، وقوله:

(٢٨) ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾ بيانٌ لذلك أو حالٌ من سقرَ، والعاملُ فيها معنى التعظيم، والمعنى لا تبقي على شيء يُلْقَى فيها ولا تدعُه حتى تهلِكَه.

(٢٩) ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾ أي مسوِّدةٌ لأعالي الجلْدِ، أو لائحةٌ للناس. وقرئتْ بالنصبِ على الاختصاصِ.

(٣٠) ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ ملَكاً أو صنفاً من الملائكة يلُونَ أمْرَها. والمخصَّصُ لهذا العددِ أنَّ اختلالَ النفوس البشريةِ في النظر والعمل بسبب القُوى الحيوانيةِ الاثنتي عشرة والطبيعيةِ السبعِ، أو أنَّ لجهنَّمَ

---

(١) انظر تفسير عبدالرزاق (٢/ ٣٢٨ ـ ٣٢٩) والواحدي في أسباب النزول ص٤٤٧.

سبعَ دركاتٍ ستٌّ منها لأصنافِ الكفار وكلُّ صنفٍ يُعَذَّبُ بتركِ الاعتقاد والإقرارِ أو العملِ أنواعاً منَ العذابِ تناسِبُها على كلِّ نوع مَلَكٌ أو صِنْفٍ يتولاَّه وواحدةٌ لعُصَاةِ الأمةِ يعذَّبون فيها بتركِ العملِ نوعاً يناسِبُه ويتولاه مَلَكٌ، أو صنفٌ، أو أن الساعاتِ أربعُ وعشرونَ خمسةٌ منها مصروفةٌ في الصلاة فيبقى تسعةَ عشرَ قد تصرَّف فيما يُؤَاخَذُ به بأنواعٍ من العذابِ يتولاَّها الزبانيةُ. وقرىء تسعةَ عُشَرَ بسكونِ العين كراهةَ توالي حركاتٍ فيها هو كاسمٍ واحدٍ، وتسعةَ أعشُرَ جمعُ عشيرٍ كيمينٍ وأيمنٍ، أي تسعةَ كلٌّ عشيرٍ جَمْعٌ يعني نقيبَهم أو جمعُ عشرٍ فتكون تسعينَ.

وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾

(٣١) ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ ليخالفوا جنسَ المعذَّبين فلا يرقُون لهم ولا يستروحُون إليهم، ولأنهم أقوى الخلْقِ بأساً وأشدُّهم غضباً لله. رُوِيَ أنَّ أبا جهلٍ لما سمِعَ عليها تسعةَ عشرَ قال لقريش: أيعجزُ كلُّ عشرةٍ منكم أنْ يبطشُوا برجلٍ منهم؟ فنزلتْ [١]. ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ وما جعلنا عَدَدهم إلا العددَ الذي اقتضَى فتنتَهم وهو التسعةَ عشرَ، فعبَّر بالأثرِ عن المؤثِّر تنبيهاً على أنه لا ينفكُّ منه، وافتتانُهم به استقلالُهم واستهزاؤُهم به واستبعادُهم أنْ يتولَّى هذا العددُ القليلُ تعذيبَ أكثرِ الثَّقَلَيْنِ، ولعلَّ المرادَ الجعلُ بالقولِ ليحْسُنَ تعليلُه بقوله: ﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي ليكتسِبوا اليقينَ بنبوةِ محمدٍ ﷺ وصدقِ القرآن لما رأوا ذلك موافقاً لما في كتابهم. ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾ بالإيمان به وبتصديقِ أهل الكتاب له. ﴿وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أي في ذلك وهو تأكيدٌ للاستيقانِ وزيادةِ الإيمانِ ونفيٌ لما يعرضُ للمتيقِّن حيثُما عراهُ شبهةٌ [٢]. ﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ شكٌّ أو نفاقٌ، فيكون إخباراً بمكَّةَ عما سيكونُ في المدينة بعدَ الهجرةِ. ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ﴾ الجازمون في التكذيبِ. ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ أيُّ شيءٍ أراد بهذا العددِ المستغْرَبِ استغرابَ المثَلِ، وقيل لما استبعدوه حسِبُوا أنه مثلٌ مضروبٌ. ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ مثلُ ذلك المذكور من الإضلالِ والهدى يضلُّ الكافرين ويهدي المؤمنين. ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ﴾ جموعَ خلْقه على ما هم عليه. ﴿إِلَّا هُوَ﴾ إذ لا سبيلَ لأحدٍ إلى حصْرِ الممكِنات والاطلاعِ على حقائقها وصفاتِها وما يوجبُ اختصاصَ كلٍّ منها بما يخصُّه من كمٍّ وكيفٍ واعتبارٍ ونسبةٍ. ﴿وَمَا هِىَ﴾ وما سقرُ أو عدَّةُ الخزنةِ أو السورةُ. ﴿إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ إلا تذكرةٌ لهم.

(٣٢) ﴿كَلَّا﴾ ردْعٌ لمن أنكرَها، أو إنكارٌ لأنْ يتذكَّروا بها. ﴿وَٱلْقَمَرِ﴾

---

(١) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (١٤/ج٢٩/١٥٩).

(٢) والتعبير عنهم باسم الفاعل «المؤمنون» ـ بعد ذكرهم بالموصول والصلة الفعلية المنبئة عن الحدوث ـ للإيذان بثباتهم على الإيمان بعد ازدياده ورسوخهم في ذلك (س٩/ ٦٠).

وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحۡدَى ٱلۡكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرٗا لِّلۡبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّٰتٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾

(٣٣) ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ﴾ أي أَدْبَرَ كقَبَلَ بمعنى أَقْبَلَ، وقرأ نافع وحمزةُ ويعقوب وحفص إذا أدْبَرَ على المضيِّ.

(٣٤) ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ﴾ أضاءَ.

(٣٥) ﴿إِنَّهَا لَإِحۡدَى ٱلۡكُبَرِ﴾ أي لإحدى البلايا الكُبَرِ أي البلايا الكبرِ كثيرةٌ وسقرُ واحدةٌ منها، وإنما جَمَعَ كُبْرى على كُبَرٍ إلحاقاً لها بفعلِه تنزيلاً للألفِ منزلةَ التاء كما أُلْحِقَتْ قاصعاءُ بقاصعةٍ فجُمِعَتْ على قواصعَ، والجملة جوابُ القسمِ أو تعليلٌ لكلاَّ، والقسمُ معترِضٌ للتأكيد.

(٣٦) ﴿نَذِيرٗا لِّلۡبَشَرِ﴾ تمييزٌ أي لإحدى الكُبَرِ إنذاراً أو حالٌ عما دلَّت عليه الجملةُ أي كَبُرَتْ منذِرةً، وقرىء بالرفعِ خبراً ثانياً أو خبراً لمحذوفٍ.

(٣٧) ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ﴾ بدلٌ مِنْ للبشرِ أي نذيراً للمتمكنينَ من السَّبْقِ إلى الخير والتخلُّفِ عنه، أو لمن شاء خَبَرٌ لأنْ يتقدمَ فيكونُ في معنى قوله ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾.

(٣٨) ﴿كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ﴾ مرهونةٌ عند الله مصدرٌ كالشكيمةِ أُطْلِقَتْ للمفعولِ كالرهنِ ولو كانتْ صفةً لقيلَ رهينٌ.

(٣٩) ﴿إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ﴾ فإنَّهم فكُّوا رِقَابَهم بما أحسَنُوا من أعمالِهم، وقيل هم الملائكةُ أوِ الأطفالُ.

(٤٠) ﴿فِي جَنَّٰتٖ﴾ لا يُكْتَنَهُ وصفُها وهي حالٌ من أصحابِ اليمين، أو ضميرِهم في قوله: ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾.

(٤١) ﴿عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ أي يسألُ بعضُهم بعضاً، أو يسألون غيرَهُم عن حالهم كقولك: تداعَيْناه أي دَعَوْناه[1]، وقولُه:

(٤٢) ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ﴾ بجوابِه حكايةٌ لما جرى بينَ المسؤولينَ والمجرمينَ أجابوا بها.

(٤٣) ﴿قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ﴾ الصلاةَ الواجبةَ.

(٤٤) ﴿وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ﴾ أي ما يجبُ إعطاؤُه، وفيه دليلٌ على أنَّ الكفارَ مخاطَبُوْنَ بالفروعِ.

(٤٥) ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ﴾ نشرعُ في الباطلِ. ﴿مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ﴾ مع الشارِعينَ فيه.

(٤٦) ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ أخَّره لتعظيمِه أي وكنَّا بعدَ ذلك كلِّه مكذِّبينَ بالقيامة.

---

(١) وحذف المسؤول لكونه عين المسؤول عنه (س٩/ ٦١).

حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾

(٤٧) ﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ﴾ الموتُ ومقدِّماتُه.

(٤٨) ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ لو شفَعُوا لهم جميعاً.

(٤٩) ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ أي معرضِينَ عن التذكيرِ يعني القرآنَ أو ما يعمُّه، ومعرضينَ حالٌ.

(٥٠) ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ﴾ شبَّهُهُم في إعراضِهم ونِفَارِهم عن استماعِ الذِّكْرِ بِحُمُرٍ نافرةٍ.

(٥١) ﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ﴾ أي أسدٍ فعولةٍ من القسْرِ وهو القهْرُ.

(٥٢) ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾ قراطيسَ تنشرُ وتُقْرَأُ وذلك أنهم قالوا للنبيِّ ﷺ: لن نتَّبِعَك حتى تأتيَ كلامنا بكتاب من السماء فيه من الله إلى فلان اتبع محمداً.

(٥٣) ﴿كَلَّا﴾ ردعٌ لهم عن اقتراحِهم الآياتِ. ﴿بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ فلذلك أعرضُوا عن التذكرة لا لامتناعِ إيتاءِ الصُّحُفِ.

(٥٤) ﴿كَلَّآ﴾ ردعٌ عن إعراضِهم. ﴿إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ﴾ وأيُّ تذكرةٍ.

(٥٥) ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ فمنْ شاء أنْ يذكُرَهُ.

(٥٦) ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ ذِكْرُهم أو مشيئتُهم كقوله ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[1] وهو تصريحٌ بأنَّ فِعْلَ العبدِ بمشيئة الله تعالى، وقرأ نافعٌ تَذْكُرونَ بالتاء وقرىء بهما مشدَّداً. ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ حقيقٌ بأنْ يُتَّقَى عقابُه. ﴿وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ حقيقٌ بأنْ يغفِر لعبادِه سيَّما المتقينَ منهم. وعن النبيِّ ﷺ «من قرأ سورةَ المدثرِ أعطاه الله عشرَ حسناتٍ بعددِ مَنْ صدق بمحمدٍ عليه الصلاة والسلام وكذَّب به بمكَّة شرَّفها الله تعالى»[2].

☆ ☆ ☆

---

(١) التكوير: «٢٩».

(٢) وهو حديث موضوع.
أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي عن أبي بن كعب كما في «الكافي الشافِ» (ص١٨٠ رقم ٢٥٥).
وقد تقدم الكلام عليه في آخر سورة آل عمران.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾

سورة القيامة مكية[1] وآيها أربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ إدخالُ لا النافيةِ على فعلِ القسمِ للتأكيد شائعٌ في كلامهم قال امرؤُ القيس:

لاَ وَأَبِيـــكَ ابْنَـــةَ العَـــامِـــرِيِّ لا يَـــدَّعِـــي القَـــوْمُ أَنِّـــي أفِـــرَ

وقد مرَّ الكلامُ فيه في قوله ﴿أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾[2] وقرأ قنبلٌ لأُقْسِمُ بغير ألف بعد اللامِ، وكذا روي عن البزِّي.

(٢) ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ بالنفسِ المتقيةِ التي تلومُ النفوسَ المقصِّرةَ في التقوى يومَ القيامة على تقصيرها أو التي تلوم نفسَها أبداً وإنِ اجتهدتْ في الطاعة، أو النفسِ المطمئنةِ اللائمةِ للنفس الأمارةِ، أو بالجنسِ لما رويَ أنه عليه الصلاة والسلام قال «ليس من نفسٍ برَّةٍ ولا فاجرةٍ إلا وتلوم نفسَها يومَ القيامة إنْ عملتْ خيراً قالتْ كيف لم أزدذ وإنْ عملتْ شراً قالت يا ليتني كنت قصَّرتُ»[3] أو نفسِ آدمَ

(١) قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٦/ ١٧٠): «وهي مكية بإجماع من المفسرين وأهل التأويل».
(٢) الواقعة: «٧٥».
(٣) ذكره الفراء في معاني القرآن (٣/ ٢٠٨) بدون راوٍ أو سند.

فإنها لم تزلْ تتلومُ على ما خرجتْ به من الجنةِ، وضمُّها إلى يوم القيامة لأنَّ المقصودَ من إقامتها مجازاتُها.

(٣) ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ يعني الجنسَ؛ وإسنادُ الفعل إليه لأن فيهم مَنْ يحسبُ، أو الذي نزلَ فيه وهو عدي بنُ أبي ربيعة سأل رسولَ الله ﷺ عن أمرِ القيامة، فأخبره به فقال: لو عاينتُ ذلك اليومَ لم أصدُقْكَ، أوَ يجمعُ اللهُ هذه العِظامَ[1]. ﴿أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ بعد تفرُّقها، وقرىء أن لن يُجْمَعَ على البناء للمفعول.

(٤) ﴿بَلَىٰ﴾ نجمعُها. ﴿قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ بجمعِ سُلاميَّاتِه وضمِّ بعضِها إلى بعض كما كانت مع صِغَرِها ولطافتِها فكيف بكبار العظامِ، أو على أن نسويَ بنانَه الذي هو أطرافُه فكيف بغيرها، وهو حالٌ من فاعل الفعلِ المقدر بعدَ بلَى، وقرىء بالرفع أي نحن قادرونَ.

(٥) ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ عطفٌ على أيحسبُ فيجوز أن يكون استفهاماً وأنْ يكون إيجاباً لجوازِ أن يكون الإضرابُ عن المستفهم وعن الاستفهام. ﴿لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ ليدومَ على فجوره فيما يستقبله من الزمان.

(٦) ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ متى يكون يومُ القيامة استبعاداً له أوِ استهزاء.

(٧) ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ﴾ تحيَّر فَزَعاً من بَرِقَ فدهِشَ بصرهُ، وقرأ نافع بالفتحِ وهو لغةٌ، أو من البريقِ بمعنى لمعَ من شدةِ شخوصه، وقرىء بلقَ من بلقَ البابُ إذا انفتحَ.

(٨) ﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ﴾ ذهب ضوءه، وقرىء على البناء للمفعولِ.

(٩) ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ في ذهاب الضوءِ أو الطلوع من المغرب، ولا ينافيه الخسوفُ فإنه مستعار للمُحاقِّ. ولمن حَمَلَ ذلك على أماراتِ الموت أنْ يفسِّر الخسوفَ بذهابِ ضوء البصر والجمعَ باستتباع الروح الحاسةَ في الذهابِ، أو بوصوله إلى من كان يقتبس منه نور العقلِ من سكان القدُسِ، وتذكيرُ الفعلِ لتقدمه وتغليبِ المعطوفِ.

(١٠) ﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ﴾ أي الفرارُ يقوله قولَ الآيس من وُجْدَانِه المتمنَّى، وقرىء بالكسر وهو المكانِ.

(١١) ﴿كَلَّا﴾ ردعٌ عن طلب المفرِّ. ﴿لَا وَزَرَ﴾ لا ملجأَ مستعارٌ من الحبلِ واشتقاقه من الوَزَرِ وهو الثِّقَلُ.

(١٢) ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾ إليه وحدَه استقرارُ العباد، أو إلى حكمِه استقرارُ أمرِهم، أو إلى مشيئته موضعُ قرارِهم يدخل مَنْ يشاء الجنةَ ومن يشاء النارَ.

(١٣) ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ بما قدَّم من عمل عمِلَه وبما أخَّر منه لم يعملْه، أو بما قدَّم من عملٍ عمِلَه وبما أخَّر من سنَّةٍ حسنةٍ أو سيئة عمل بها بعدَه، أو بما قدَّم من مال تصدَّق به وبما أخَّر فخلَّفه، أو بأول عمله وآخرِه.

---

(١) قال ابن حجر في «الكافي الشافِ» (ص١٨٠ رقم ٢٥٦): «ذكره الثعلبي والبغوي والواحدي بدون إسناد».

بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾

(١٤) ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾ حجَّةٌ بيِّنةٌ على أعمالِها لأنه شاهدٌ بها، وصفَها بالبصارةِ على المجاز، أو عين بصيرةٌ بها فلا يحتاج إلى الإنباء.

(١٥) ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ ولو جاء بكل ما يمكنُ أن يعتذرَ به جمعُ معذارٍ وهو العذْرُ، أو جمع معذرةٍ على غير قياس كالمناكير في المنكرِ فإنَّ قياسَه معاذِرُ وذلك أولى وفيه نظرٌ.

(١٦) ﴿لَا تُحَرِّكْ﴾ يا محمدُ. ﴿بِهِۦ﴾ بالقرآنِ. ﴿لِسَانَكَ﴾ قبل أن يتمَّ وحيُه. ﴿لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ لتأخذَه على عجلة مخافةَ أن ينفلِتَ منك.

(١٧) ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ﴾ في صدرك. ﴿وَقُرْءَانَهُۥ﴾ وإثباتَ قراءتِه في لسانِك، وهو تعليلٌ للنهي.

(١٨) ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾ بلسانِ جبريلَ عليك[1]. ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ قراءتَه وتكرر فيه حتى يرسخَ في ذهنك.

(١٩) ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ بيانَ ما أشكلَ عليك من معانيه، وهو دليلٌ على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب، وهو اعتراضٌ بما يؤكد التوبيخَ على حبِّ العجلة لأن العجلةَ إذا كانت مذمومةً فيما هو أهمُّ الأمور وأصلُ الدين فكيف بها في غيره، أو بذكرِ ما اتفقَ في أثناء نزولِ هذه الآياتِ. وقيل الخطابُ مع الإنسانِ المذكورِ والمعنى أنه يُؤْتَى كتابَهُ فيتلجلجُ لسانه من سرعةِ قراءتِه خوفاً، فيقالُ له لا تحرِّكْ به لسانَك لتعجلَ به فإن علينا بمقتضَى الوعدِ جمعَ ما فيه من أعمالك وقراءتَه، فإذا قرأناه فاتبعْ قراءتَه بالإقرار أوِ التأملِ فيه، ثم إن علينا بيانَ أمرِه بالجزاءِ عليه.

(٢٠) ﴿كَلَّا﴾ ردعٌ للرسول عن عادةِ العجلةِ أو للإنسان عن الاغترارِ بالعاجلِ. ﴿بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾.

(٢١) ﴿وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ تعميمٌ للخطابِ إشعاراً بأنَّ بني آدمَ مطبوعون على الاستعجالِ وإن كان الخطابُ للإنسان، والمرادُ به الجنسُ فجَمَعَ الضميرَ للمعنى ويؤيده قراءةُ ابنِ كثير وابن عامر والبصريينِ بالياءِ فيهما.

(٢٢) ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ بهيةٌ متهلِّلَةٌ.

(٢٣) ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ تراه مستغرقةً في مطالعةِ جماله بحيثُ تغفلُ عما سواه ولذلك قدَّم المفعولَ، وليس هذا في كل الأحوالِ حتى ينافيه نظرُها إلى غيره[2]. وقيل منتظرةٌ إنعامَه، ورُدَّ بأنَّ الانتظارَ

---

(١) وإسناد القراءة إلى نون العظمة للمبالغة (س٩/ ٦٧).

(٢) عن جرير بن عبدالله ـ رضي الله عنه ـ قال: كنا عند رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر، وقال: «إنكم سترون ربكم عِياناً كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته» رواه البخاري (٢/ ٢٧) ومسلم (٦٣٣).
وعن صهيب ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجّنا من النار؟ فيكشِفُ الحجابَ، فما أعطوا شيئاً

لا يسندُ إلى الوجْهِ وتفسيره بالجملةِ خلافُ الظاهرِ، وأنَّ المستعملَ بمعناه لا يتعدَّى بإلى. وقولُ الشاعر:

وَإِذَا نَظَـرْتُ إِلَيْـكَ مِـن ملـكٍ والبَحْـرُ دُونَـكَ زِدْتنـي نِعَمـاً

بمعنى السؤال فإنَّ الانتظار لا يستعقبُ العطاءَ.

وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾

(٢٤) ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ شديدةُ العبوس والباسلُ أبلغُ من الباسرِ لكنه غلبَ في الشجاعِ إذا اشتدَّ كلوحُه.

(٢٥) ﴿تَظُنُّ﴾ تتوقَّع أربابها. ﴿أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ داهيةٌ تكسرُ الفِقَارَ.

(٢٦) ﴿كَلَّآ﴾ ردعٌ عن إيثار الدنيا على الآخرة. ﴿إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ﴾ إذا بلغتِ النفسُ أعاليَ الصدرِ، وإضمارُها من غير ذكْرٍ لدلالةِ الكلامِ عليها.

(٢٧) ﴿وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ﴾ وقال حاضرٌ وصاحبُها مَنْ يرقيه مما به من الرقْيَةِ، أو قال ملائكةُ الموتِ أيكم يرقَى بروحِه ملائكةُ الرحمةِ أو ملائكةُ العذاب، من الرقيِّ.

(٢٨) ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ﴾ وظن المحتضِرُ أن الذي نزلَ به فراقُ الدنيا ومحابها.

(٢٩) ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ والْتَوَتْ ساقه بساقِه فلا يقدرُ على تحريكِهما، أو شدةُ فراقِ الدنيا بشدةِ خوف الآخرة.

(٣٠) ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾ سوقُه إلى الله تعالى وحُكْمِه.

(٣١) ﴿فَلَا صَدَّقَ﴾ ما يجب تصديقُه، أو فلا صدقَ مالَه أي فلا زكاةَ. ﴿وَلَا صَلَّىٰ﴾ ما فُرِضَ عليه والضمير فيهما للإنسان المذكور في أيحسبُ الإنسانُ.

(٣٢) ﴿وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ عن الطاعة.

(٣٣) ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ﴾ يتبختُرُ افتخاراً بذلك من المطِّ، فإن المتبختِرَ يمدُّ خطاه فيكون أصلُه يتمطَّطُ، أو من المطِّ وهو الظهرُ فإنه يلويه.

(٣٤) ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ ويلٌ لك من الولي، وأصلُه أولاك اللهُ ما تكرهُه، واللامُ مزيدةٌ كما في ﴿رَدِفَ لَكُم﴾[1] أو أولى لك الهلاكُ. وقيل أفعلُ من الويلِ بعد القلبِ أدنى من أدونَ، أو فعلى من آل يؤولُ بمعنى عقباك النارُ.

= أحب إليهم من النظر إلى ربهم» رواه مسلم (١٨١).

(١) النمل: «٧٢».

ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾

(٣٥) ﴿ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ﴾ أي يتكرر ذلك عليه مرةً بعد أُخرى.

(٣٦) ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ مهمَلاً لا يكلَّفُ ولا يجازى، وهو يتضمنُ تكريرَ إنكارِه للحشر، والدلالةُ عليه من حيثُ إن الحكمةَ تقتضي الأمرَ بالمحاسنِ والنهيَ عن القبائح، والتكليفُ لا يتحققُ إلا بالمجازاةِ وهي قد لا تكون في الدنيا فتكون في الآخرة.

(٣٧) ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ﴾.

(٣٨) ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ فقدَّره فعدَّله.

(٣٩) ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ﴾ للصِّنفينِ ﴿ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ وهو استدلالٌ آخرُ بالإبداءِ على الإعادةِ على ما مرَّ تقريره مراراً ولذلك رتَّب عليه قولَه:

(٤٠) ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ عن النبيِّ ﷺ أنه كان إذا قرأَها قال: «سبحانك، بلى»[1].
وعنه ﷺ «من قرأ سورةَ القيامة شهدتُ له أنا وجبريلُ يومَ القيامة أنه كان مؤمِناً به»[2].

☆ ☆ ☆

---

(١) أخرجه أبو داود (١/ ٥٤٩ رقم ٨٨٤) من طريق موسى بن أبي عائشة عن رجل سمعه من رسول الله ﷺ.
قلت: موسى هذا لم يدرك أحداً من الصحابة فهو معضل.
وأخرجه الحاكم (٢/ ٥١٠) من طريق إسماعيل بن أمية عن أبي اليسع من حديث أبي هريرة نحوه.
قال الحاكم: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.
قلت: بل فيه «يزيد بن عياض» كذبه مالك وغيره وأورده الذهبي في الميزان (٤/ ٤٣٦) وذكر فيه أقوال العلماء أنه ضعيف.
وكذلك أورد الذهبي الحديث في الميزان وقال: أبو اليسع لا يدري من هو والسند بذلك مضطرب.
والخلاصة أن الحديث ضعيف من كلا الطريقين.

(٢) وهو حديث موضوع.
أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي عن أبي بن كعب ـ كما في «الكافي الشافِ» (ص١٨٠ رقم ٢٥٩) ـ وقد تقدم الكلام عليه في آخر سورة آل عمران.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾

سورة الإنسان مكية[1] وآيها إحدى وثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ استفهامُ تقريرٍ وتقريبٍ ولذلك فُسِّر بقدْ وأصلُه أَهَلْ كقوله: أَهَلْ رَأَوْنَا بِسَفْحِ القَاعِ ذِي الأكمِ. ﴿حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ طائفةٌ محدودة من الزمان الممتدِّ الغيرِ المحدودِ. ﴿لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ بل كان شيئاً منسياً غيرَ مذكورٍ بالإنسانية كالعنصرِ والنطفةِ، والجملة حالٌ من الإنسان أو وصفٌ لحين بحذف الراجعِ والمراد بالإنسان الجنسُ لقوله:

(٢) ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ﴾ أو آدم بيَّنَ أولاً خلْقه ثم ذَكَر خلْقَه بنيه. ﴿أَمْشَاجٍ﴾ أخلاطٍ جمعُ مِشْجٍ أو مَشْجٍ أو مشيج من مشجتُ الشيءَ إذا خلطْتُه، وجَمَعَ النطفةَ به لأن المرادَ بها مجموعُ منيِّ الرجلِ والمرأةِ وكلٌّ منهما مختلف الأجزاءِ في الرقةِ والقوامِ والخواصِّ، ولذلك يصير كلُّ جزء منهما مادةَ عضوٍ. وقيل مفردٌ كأعشار وأكباشٍ. وقيل ألوان فإنَّ ماءَ الرجل أبيضُ وماءَ المرأةِ أصفرُ فإذا

(١) قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٦/ ١٨٢): قال بعض المفسرين هي مكية كلها، وحكى النقاش والثعلبي عن مجاهد وقتادة أنها مدنية، وقال الحسن وعكرمة: منها آية مكية وهي قوله تعالى: «ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً» والباقي مدني.

اختلطا اخضرًا، أو أطوارٌ فإنَّ النطفةَ تصير علقةً ثم مضغةً إلى تمام الخِلْقة. ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾ في موضع الحال أي مبتلينَ له بمعنى مريدينَ اختبارَه أو ناقلينَ له من حالٍ إلى حال فاستُعير له الابتلاءُ. ﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ ليتمكَّن من مشاهدةِ الدلائلِ واستماعِ الآيات، فهو كالمسبَّبِ عن الابتلاءِ ولذلك عطف بالفاءِ على الفعل المقيَّدِ به ورتَّب عليه قولَه:

(٣) ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ أي بنصبِ الدلائلِ وإنزالِ الآيات. ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ حالانِ من الهاء، وإما للتفصيلِ أو التقسيم أي هديناه في حالَيْه جميعاً أو مقسوماً إليهما بعضُهم شاكراً بالاهتداءِ والأخذِ فيه، وبعضُهم كفورٌ بالإعراضِ عنه، أو من السبيلِ ووصْفُهُ بالشكر والكفر مجازٌ. وقرىء أما بالفتح على حذفِ الجواب. ولعلَّه لم يقلْ كافراً ليطابقَ قَسِيمَهُ محافظةً على الفواصلِ، وإشعاراً بأنَّ الإنسانَ لا يخلو عن كفرانٍ غالباً وإنما المؤاخَذُ به التوغلُ فيه.

(٤) ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا﴾ بها يُقَادُونَ. ﴿وَأَغْلَٰلًا﴾ بها يقيَّدون. ﴿وَسَعِيرًا﴾ بها يحرقونَ، وتقديمُ وعيدِهم وقد تأخَّر ذِكْرُهم لأنَّ الإنذارَ أهمُّ وأنفع، وتصديرُ الكلام وخَتْمُهُ بذكرِ المؤمنين أحسنُ، وقرأ نافع والكسائيُّ وأبو بكر سلاسلاً للمناسبةِ.

إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨

(٥) ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ﴾ جمعُ بَرٍّ كأرباب، أو بارٍّ كأشهادٍ. ﴿يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ﴾ من خمر وهي في الأصلِ القدحُ تكون فيه. ﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾ ما يُمزَجُ بها. ﴿كَافُورًا﴾ لِبَرْدِهِ وعذوبتِهِ وطيبِ عُرْفِه. وقيل اسمُ ماءٍ في الجنة يشبه الكافورَ في رائحتِه وبياضِه. وقيل يخلقُ فيها كيفياتِ الكافورِ فتكون كالممزوجةِ به.

(٦) ﴿عَيْنًا﴾ بدلٌ من كافوراً إنْ جُعِلَ اسمَ ماء، أو من محلِّ من كأسٍ على تقدير مضافٍ أي ماءَ عينٍ أو خمرَها. أو نُصِبَ على الاختصاصِ، أو بفعلٍ يفسره ما بعدَها. ﴿يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ أي ملتذاً بها أو ممزوجاً بها، وقيل الباء مزيدةٌ أو بمعنى مِنْ لأنَّ الشربَ مبتدأٌ منها كما هو. ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ يُجرونَها حيثُ شاءوا إجراءً سهلاً.

(٧) ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ استئنافٌ ببيانِ ما رزقوه لأجلِه كأنه سُئِلَ عنه فأُجِيبَ بذلك، وهو أبلغُ في وصْفِهم بالتوفُّر على أداءِ الواجباتِ لأن من وفَّى بما أوجبه على نفسِه لله تعالى كان أوفَى بما أوجبه الله تعالى عليه. ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ﴾ شدائدُه. ﴿مُسْتَطِيرًا﴾ فاشياً منتشِراً غايةَ الانتشارِ من استطارَ الحريقُ والفجْرُ، وهو أبلغُ من طارَ، وفيه إشعارٌ بحسن عقيدتِهم واجتنابهم عن المعاصي.

(٨) ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ حبِّ الله تعالى أو الطعامِ أو الإطعام. ﴿مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ يعني أُسَرَاءَ الكفارِ فإنه ﷺ كان يُؤْتَى بالأسير فيدفعُه إلى بعض المسلمين فيقول أحسنْ إليه، أو الأسيرَ المؤمنَ ويدخلُ فيه المملوكُ والمسجونُ، وفي الحديث: «غريمك أسيرٌ فأحسنْ إلى أسيرك»[1].

---

(١) لم أقف عليه.

إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾

(٩) ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ على إرادةِ القول بلسانِ الحالِ أو المقالِ إزاحةً لتوهُّمِ المنِّ وتوقُّعِ المكافأة المنقِصَةِ للأجرِ. وعن عائشةَ رضي الله تعالى عنها أنها كانت تبعثُ بالصدقة إلى أهل بيتٍ ثم تسأل المبعوثَ ما قالوا، فإن ذكر دعاءً دعتْ لهم بمثلِه ليبقى ثوابُ الصدقةِ لها خالصاً عند الله[1]. ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ أي شكراً.

(١٠) ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا﴾ فلذلك نحسنُ إليكم أو لا نطلبُ المكافأةَ منكم. ﴿يَوْمًا﴾ عذابَ يوم. ﴿عَبُوسًا﴾ تعبُس فيه الوجوهُ أو يشبه الأسدَ العبوسَ في ضراوته. ﴿قَمْطَرِيرًا﴾ شديدَ العبوسِ كالذي يجمعُ ما بين عينيه من اقمطرَّتِ الناقةُ إذا رفعتْ ذَنَبَهَا وجمعتْ قِرْطَيْها، أو مشتقٌّ من القطرِ والميمُ مزيدةٌ.

(١١) ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ﴾ بسببِ خوفِهم وتحفُّظِهم عنه. ﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ بدلَ عبوسِ الفجار وحزنِهم.

(١٢) ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟﴾ بصبرِهم على أداءِ الواجبات واجتنابِ المحرَّماتِ وإيثارِ الأموال. ﴿جَنَّةً﴾ بستاناً يأكلون منه. ﴿وَحَرِيرًا﴾ يلبسونه. وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما: أَنَّ الحسنَ والحسينَ رضي الله عنهما مرِضَا فعادهما رسولُ الله ﷺ في ناسٍ فقالوا: يا أبا الحسن لو نذرتَ على ولديكَ، فنذرَ عليٌّ وفاطمة رضي الله تعالى عنهما وفضةُ ـ جاريةٌ لهما ـ صومَ ثلاثِ إنْ بَرِئا، فشُفِيا وما معهم شيءٌ، فاستقرضَ عليٌّ من شمعونَ الخيبريِّ ثلاثةَ أصْوُعٍ من شعيرٍ فطحنتْ فاطمةُ صاعاً واختبزتْ خمسةَ أقراصٍ فوضعوها بين أيديهم ليفطروا، فوقفَ عليهم مسكينٌ فآثروه وباتوا ولم يذوقوا إلا الماءَ وأصبحوا صياماً، فلما أَمْسَوْا ووضعوا الطعامَ وقفَ عليهم يتيمٌ فآثروه، ثم وقفَ عليهم في الثالثةِ أسيرٌ ففعلوا مثلَ ذلك، فنزلَ جبريلُ عليه السلام بهذه السورةِ وقال خذْها يا محمد هنَّاك الله في أهلِ بيتك[2].

(١٣) ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ حالٌ من همْ في جزاهُم، أو صفةٌ لجنةٍ. ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ يحتملُهما وأنْ يكون حالاً من المستكِنِّ في متكئينَ، والمعنى أنه يمرُّ عليهم فيها هواءٌ معتدلٌ لا حارٌّ

---

(١) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة (رقم: ٢٧٨) والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (رقم ٣٠٣) بإسناد حسن.

(٢) وهو حديث موضوع.
أخرجه ابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ٣٩٠ ـ ٣٩٢) من طريق أبي عبدالله السمرقندي عن محمد بن كثير الكوفي عن الأصبغ بن نباته مرسلاً.
وقال: «هذا حديث لا يشك في وضعه ولو لم يدل على ذلك إلا الأشعار الركيكة والأفعال التي يتنزه عنها أولئك السادة. قال يحيى بن معين: أصبغ بن نباته لا يساوي شيئاً، وقال أحمد بن حنبل: حرقنا حديث محمد بن كثير، وأما عبدالله السمرقندي فلا يوثق به» هـ.

محِمٌّ ولا باردٌ مؤذٍ، وقيل الزمهرير القمرُ في لغة طيءٍ قال راجزهم:

وَلَيْلَـةٌ ظَـلاَمُهَـا قَـدِ اعْتَكَـر قطَعْتُهَـا وَالـزَّمْهَـرِيـرُ مَـا زَهَـرْ

والمعنى أنَّ هواءها مضيءٌ بذاتِه لا يحتاج إلى شمسٍ وقمرٍ.

وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾

(١٤) ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا﴾ حالٌ أو صفةٌ أخرى معطوفةٌ على ما قبلَها، أو عطفٌ على جنةً أي وجنةً أخرى دانيةً على أنهم وُعِدُوا جنتينِ كقوله ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾[1] وقرئتْ بالرفعِ على أنها خبرُ ظلالُها. والجملةُ حالٌ أو صفةٌ. ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ معطوفٌ على ما قبلَه أو حالٌ من دانيةٍ، وتذليلُ القطوفِ أن تُجْعَلَ سهلة التناوُلِ لا تمتنعُ على قُطَّافِها كيفَ شاءوا.

(١٥) ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ﴾ وأباريقَ بلا عروةٍ. ﴿كَانَتْ قَوَارِيرَا۠﴾.

(١٦) ﴿قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ﴾ أي تكونتْ جامعةً بين صفاءِ الزجاجةِ وشفيفِها وبياضِ الفضةَ ولِيْنِها، وقد نوَّنَ قواريرَ من نوّن سلاسلاً، وابنُ كثير الأولى لأنها رأسُ الآيةِ، وقرىء قواريرَ من فضة على هي قواريرُ. ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ أي قدَّروها في أنفسِهم فجاءت مقاديرُها وأشكالُها كما تمنَّوه، أو قدَّروها بأعمالهم الصالحةِ فجاءتْ على حَسَبِها، أو قدَّرَ الطائفونَ بها المدلولُ عليهم بقولِه يُطَافُ شرابُها على قدرِ اشتهائِهم. وقرىء قُدِروها أي جُعِلُوا قادرينَ لها كما شاءوا، من قَدَرَ منقولاً من قَدَرتُ الشيءَ.

(١٧) ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾ ما يشبهُ الزنجبيلَ في الطعمِ وكانتِ العربُ يستلذُّون الشرابَ الممزوجَ به.

(١٨) ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾ لسلاسةِ انحدارِها في الحلْقِ وسهولةِ مساغِها، يقال شرابٌ سلسلٌ وسلسالٌ وسلسبيلٌ، ولذلك حُكِمَ بزيادةِ الباء، والمرادُ به أن ينفي عنها لذعَ الزنجبيلِ ويصفَها بنقيضِه، وقيل أصلُه سلْ سبيلاً فسُمِّيتْ به كتأبطَ شرّاً لأنه لا يشربُ منها إلا من سألَ إليها سبيلاً بالعملِ الصالح.

(١٩) ﴿۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ دائمون. ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ من صفاءِ ألوانهم وانبثاثِهم في مجالسِهم وانعكاسِ شعاع بعضِهم إلى بعض.

(٢٠) ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾ ليس له مفعولٌ ملفوظٌ ولا مقدَّرٌ لأنه عامٌّ معناه إنَّ بصرَك أينما وقعَ. ﴿رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ واسعاً، وفي الحديث «أدنى أهلِ الجنة منزلةً ينظر في ملكِه مسيرةَ ألف عام يرى أقصاهُ كما يرى أدناه»[2] هذا وللعارفِ أكبرُ من ذلك وهو أن تنتقشَ نفسُه بجلايا الملكِ وخفايا الملكوتِ،

---

(١) الرحمن: «٤٦».

(٢) قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٤/٥٠٨ رقم ٢٠):

فيستضيءَ بأنوار قُدُسِ الجبروت.

عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾

(٢١) ﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ يعلوهم ثيابُ الحرير الخضرُ ما رقَّ منها وما غلُظَ. ونصْبُه على الحالِ من هُمْ في عليهم أو حسبتَهم، أو ملكاً على تقدير مضافٍ أي وأهلَ ملكٍ كبيرٍ عالِيَهُم. وقرأ نافعٌ في عاليهم وحمزةُ بالرفعِ على أنه خبرُ ثيابٍ، وقرأ ابنُ كثير وأبو بكر خضرٍ بالجرِّ حملاً على سندسٍ بالمعنى فإنه اسم جنسٍ، وإستبرقٌ بالرفعِ عطفاً على ثيابٌ، وقرأهما حفص وحمزةُ والكسائيُّ بالرفعِ، وقرىء واستبرقَ بوصْلِ الهمزةِ والفتحِ على أنه استفعلَ من البريقِ جُعِلَ علماً لهذا النوع من الثياب. ﴿وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ عطفٌ على ويطوفُ عليهم ولا يخالفُه قولُه أساورَ من ذهب لإمكان الجمعِ والمعاقبةِ والتبعيضِ، فإنَّ حُليَّ أهلِ الجنة تختلف باختلافِ أعمالهم، فلعلَّه تعالى يفيضُ عليهم جزاءً لما عملوه بأيديهم حلياً وأنواراً تتفاوتُ تفاوتَ الذهب والفضةِ، أو حالٌ من الضمير في عاليهم بإضمارِ قد، وعلى هذا يجوز أنْ يكون هذا للخدم وذلك للمخدومينَ. ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ يريدُ به نوعاً آخرَ يفوقُ على النوعين المتقدمينِ ولذلك أَسْنَدَ سقْيَه إلى اللهِ عزَّ وجل، ووصفَه بالطهوريةِ فإنه يطهرُ شارِبَه عن الميلِ إلى اللذاتِ الحسيةِ والركون إلى ما سوى الحقِّ، فيتجرَّدُ لمطالعةِ جمالِه ملتذاً بلقائه باقياً ببقائه، وهي منتهى درجاتِ الصِّديقينَ ولذلك ختمَ بها ثوابَ الأبرارِ.

(٢٢) ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً﴾ على إضمارِ القولِ، والإشارةُ إلى ما عدَّ من ثوابِهم. ﴿وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ مُجَازَى عليه غيرَ مضيَّعٍ.

(٢٣) ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا﴾ مفرَّقاً منجَّماً لحكمة اقتضتْه، وتكريرُ الضمير مع أنَّ مزيدُ لاختصاصِ التنزيلِ به.

(٢٤) ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ بتأخير نصْرِكَ على كفارِ مكَّةَ وغيرِهم. ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ أي كلَّ واحدٍ من مرتكبِ الإثم الداعي لك إليه ومن الغالي في الكفرِ الداعي لك إليه، وأو للدلالةِ على أنهما سِيَّانِ في استحقاقِ العصيانِ والاستقلال به، والقسمُ باعتبار ما يدعونه إليه، فإنَّ ترتُّبَ النهي على الوصفينِ مشعِرٌ أنه لهما وذلك يستدعي أن تكونَ المطاوعةُ في الإثم والكفرِ، فإنَّ مطاوعتَها فيما ليس بإثمٍ ولا كفرٍ غيرُ محظورٍ.

(٢٥) ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ وداوِمْ على ذِكْرِهِ أو دُمْ على صلاة الفجر والظهرِ والعصر فإنَّ

= «وروى ابن أبي الدنيا عن الأعمش عن ثُوَيْرٍ قال: أراهُ عن ابن عمرَ قال: إنَّ أدنى أهل الجنة منزلة لرجلٌ له ألفُ قصرٍ بين كُلِّ قصرين مسيرةُ سنةٍ يرى أقصاها كما يرى أدناها في كل قصر من الحور العين والرياحين والولدان ما يدعُو بشيء إلاَّ أُتِيَ به. رواه هكذا موقوفاً» هـ.

الأصيلَ يتناولُ وقتَيْهِما.

وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾

(٢٦) ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ﴾ وبعضُ الليل فصلٌ له تعالى، ولعلَّ المرادَ به صلاةُ المغربِ والعشاء، وتقديمُ الظرف لما في صلاة الليل من مزيدِ الكلفةِ والخلوصِ. ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ وتهجَّدْ له طائفةً طويلةً من الليل.

(٢٧) ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ﴾ أمامَهم أو خَلْفَ ظهورِهم. ﴿يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ شديداً مستعارٌ من الثقلِ الباهظِ للحاملِ، وهو كالتعليلِ لما أَمَرَ به ونَهَى عنه.

(٢٨) ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ﴾ وأحكمْنا ربطَ مفاصِلهم بالأعصاب. ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾ وإذا شئنا أهلكْناهم وبدَّلنا أمثالَهم تبديلاً في الخِلْقَةِ وشدةِ الأسرِ يعني النشأةَ الثانيةَ ولذلك جِيءَ بإذا، أو بدلنا غيرهم ممن يطيعُ وإذا لتحققِ القدرةِ وقوةِ الداعيةِ.

(٢٩) ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ﴾ الإشارةُ إلى السورة أو الآياتِ القريبة، ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ تقرَّب إليه بالطاعة.

(٣٠) ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ وما تشاءون ذلك إلا وقتَ أنْ يشاءَ الله مشيئتَكُم، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر يشاءون بالياء. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بما يستأهلُ كلُّ أحد. ﴿حَكِيمًا﴾ لا يشاء إلا ما تقتضيه حكمتُه.

(٣١) ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ بالهداية والتوفيق للطاعةِ. ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ نصبَ الظالمينَ بفعلٍ يفسره أعدَّ لهم مثلَ أوعدَ وكافأَ ليطابقَ الجملةَ المعطوفَ عليها، وقرىء بالرفعِ على الابتداءِ. عن النبيِّ ﷺ «مَنْ قرأ سورةَ هل أتى كان جزاؤه على اللهِ جنةً وحريراً»[1].

☆ ☆ ☆

(١) وهو حديث موضوع.
أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي عن أبي بن كعب.
كما في «الكافي الشاف» (ص١٨١ رقم ٢٦٣).
وقد تقدم الكلام عليه في آخر سورة آل عمران.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴿١٤﴾

سورة المرسلات مكية[1] وآيها خمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾.

(٢) ﴿فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا﴾.

(٣) ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا﴾.

(٤) ﴿فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا﴾.

(٥) ﴿فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا﴾ إقسامٌ بطوائفَ من الملائكةِ أرسلهنَّ الله تعالى بأوامره متتابعةً فعصفْنَ عصفَ

---

(١) قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٦/١٩٦): «وهي مكية في قول جمهور المفسرين، وحكى النقاش أنه قيل إن فيها من المدني قوله «وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون» على قول من قال إنها حكاية عن حال المنافقين في القيامة. وإنها بمعنى قوله تعالى: «يدعون إلى السجود فلا يستطيعون».
وأخرج البخاري (٨/٦٨٥ رقم ٤٩٣٠) ومسلم (٤/١٧٥٥ رقم ٢٢٣٤) عن ابن مسعود قال: «كنا مع رسول الله ﷺ وأنزلت عليه «والمرسلات» وإنا لنتلقاها من فيه فخرجت حيّةٌ فابتدرناها، فسبقتنا فدخلت جُحرها فقال رسول الله ﷺ: «وقيت شركم كما وقيتم شرَّها».

الرياح في امتثالَ أمره ونشرْنَ الشرائعَ في الأرض، أو نشرنَ النفوسَ الموتى بالجهلِ بما أوحينَ من العلم. ففرقْنَ بينَ الحقِّ والباطل، فألقينَ إلى الأنبياءِ ذكراً عذراً للمحقِّين ونذراً للمبطلينَ[1]، أو بآياتِ القرآن المرسلةِ بكلِّ عرفٍ إلى محمد عليه الصلاة والسلام فعصفْن سائرَ الكتبِ والأديانِ بالنسخِ ونشرْنَ آثارَ الهدى والحِكَمِ في الشرقِ والغربِ وفرقْنَ بين الحقِّ والباطل فألقينَ ذِكْرَ الحقِّ فيما بين العالمين، أو بالنفوسِ الكاملة المرسَلةِ إلى الأبدانِ لاستكمالِها فعصفْنَ ما سوى الحقِّ ونشرنَ أثرَ ذلك في جميع الأعضاءِ ففرقْنَ بينَ الحقِّ بذاته والباطلِ في نفسِه فيرونَ كلَّ شيء هالكاً إلا وجْهَهُ فألقيْنَ ذكراً بحيث لا يكون في القلوب والألسنةِ إلا ذكرُ الله تعالى، أو برياحِ عذابٍ أُرْسِلْنَ فعصفْنَ ورياحِ رحمةٍ نشرْنَ السحابَ في الجوِّ ففرقْنَ فألقينَ ذكراً أي تسبَّبْنَ له فإن العاقلَ إذا شاهدَ هبوبَها وآثارها ذَكَرَ الله تعالى وتذكَّر كمالَ قدرتِه. وعرفاً إما نقيضُ النكرِ وانتصابُه على العلَّةِ أي أُرْسِلْنَ للإحسانِ والمعروف، أو بمعنى المتتابعةِ من عرفِ الفرسِ وانتصابُه على الحالِ.

(٦) ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ مصدرانِ لعذرٍ إذا محا الإساءةَ وأنذرَ إذا خوَّف، أو جمعانِ لعذيرٍ بمعنى المعذرةِ ونذير بمعنى الإنذارِ، أو بمعنى العاذرِ والمنذرِ، ونصبَهما على الأوَّلينِ بالعِلِّيَّةِ أي عذراً للمحقِّين أو نذراً للمبطِّلينَ، أوِ البدلِ من ذكراً على أنَّ المرادَ به الوحيُ أو ما يعمُّ التوحيدَ والشرك والإيمانَ والكفرَ وعلى الثالثِ بالحاليةِ، وقرأهما أبو عمرو وحمزةُ والكسائي وحفصٌ بالتخفيفِ.

(٧) ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾ جوابُ القسمِ ومعناه أن الذي تُوْعَدُوْنَهُ من مجيءِ القيامة كائنٌ لا محالة.

(٨) ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ مُحِقَتْ أو أُذْهِبَ نورُها.

(٩) ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾ صُدِعَتْ.

(١٠) ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾ كالحبِّ يُنْسَفُ بالمِنْسَفِ.

(١١) ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ عُيِّنَ لها وقتُها الذي يحضرون فيه للشهادةِ على الأمم بحصولِه، فإنه لا يتعيَّن لهم قبلَه، أو بلغتْ ميقاتَها الذي كانتْ تنتظرهُ، وقرأ أبو عمرو وُقِّتَتْ على الأصلِ.

(١٢) ﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾ أي يقال لأي يومٍ أُخِّرتْ، وضَرْبُ الأجلِ للجمعِ وهو تعظيمٌ لليوم وتعجيبٌ من هوله، ويجوز أن يكونَ ثاني مفعولي أقتَتْ على أنه بمعنى أعلِمَتْ.

(١٣) ﴿لِيَوْمِ الْفَصْلِ﴾ بيانٌ ليوم التأجيلِ.

(١٤) ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ ومن أين تعلمُ كُنْهَهُ ولم ترَ مثْلَه[2].

---

(١) ولعل تقديم نشر الشرائع أو نشر النفوس والفرق على الإلقاء للإيذان بكونها غاية للإلقاء حقيقة بالاعتناء بها، أو للإشعار بأن كلاً من الأوصاف المذكورة مستقل بالدلالة على استحقاق الطوائف الموصوفة بها التفخيم والإجلال بالإقسام بهن، ولوجيء بها على ترتيب الوقوع لربما فهم أن مجموع الإلقاء والنشر والفرق هو الموجب لما ذكر من الاستحقاق (س٩/ ٧٧).

(٢) وضع يوم الفصل موضع الضمير فقال: «وما أدراك ما يوم الفصل» ولم يقل: وما هو، وذلك لزيادة التفظيع والتهويل (س٩/ ٧٨).

وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾

(١٥) ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ أي بذلك، وويل في الأصل مصدرٌ منصوب بإضمارِ فعلِه عَدَلَ به إلى الرفعِ للدلالة على ثباتِ الهلكِ للمدعوِّ عليه، ويومئذ ظرفُه أو صفتُه.

(١٦) ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾ كقومِ نوحٍ وعاد وثمودَ، وقرىء نَهْلِك من هلَكَه بمعنى أهْلَكَه.

(١٧) ﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ﴾ أي ثم نحن نتبعُهم نُظَراءَه ككفار مكَّةَ، وقرىء بالجزمِ عطفاً على نهلكْ فيكونُ الآخرين المتأخرينَ من المهلَكِيْنَ كقوم لوطٍ وشعيب وموسى عليهم الصلاة والسلام.

(١٨) ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثلُ ذلك الفعلِ. ﴿نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ بكلِّ مَنْ أجرمَ.

(١٩) ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ بآياتِ الله وأنبيائه فليس تكريراً، وكذا إنْ أُطْلِقَ التكذيبُ أو علِّق في الموضعين بواحدٍ، لأنَّ الويلَ الأولَ لعذابِ الآخرةِ وهذا للإهلاكِ في الدنيا، مع أن التكرير للتوكيدِ حسنٌ شائع في كلام العرب.

(٢٠) ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ نطفةٍ مذِرةٍ ذليلةٍ.

(٢١) ﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ هو الرَّحِمُ.

(٢٢) ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ إلى مقدار معلومٍ من الوقتِ قدَّره الله تعالى للولادةِ.

(٢٣) ﴿فَقَدَرْنَا﴾ على ذلك، أو فقدَرْناه ويدلُّ عليه قراءةُ نافعٍ والكسائيِّ بالتشديد. ﴿فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ نحن.

(٢٤) ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ بقدرتِنا على ذلك أو على الإعادة.

(٢٥) ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ كافتةً اسمٌ لما يُكْفَتُ أي يضمُّ ويجمعُ كالضمامِ والجماعِ اسمٌ لما يضمُّ ويجمعُ، أو مصدرٌ نُعِتَ به أو جمعُ كافتٍ كصائمٍ وصيامٍ، أو كِفْتٍ وهو الوعاءُ أجري على الأرض باعتبارِ أقطارها.

(٢٦) ﴿أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا﴾ منتصبانِ على المفعولية، وتنكيرُهما للتفخيمِ، أو لأنَّ إحياءَ الإنس وأمواتِهم بعضُ الأحياءِ والأمواتِ، أو الحاليةِ من مفعولِه المحذوفِ للعلمِ به وهو الإنس، أو بنجعلْ على المفعوليةِ وكفاتاً حالٌ أو الحاليةِ فيكون المعنى بالأحياءِ ما ينبتُ وبالأمواتِ ما لا ينبتُ.

(٢٧) ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ﴾ جبالاً ثوابتَ طوالاً. والتنكير للتفخيم، أو الإشعار بأنَّ فيها ما لم يُعْرَفْ ولم يُرَ. ﴿وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا﴾ بخلقِ الأنهارِ والمنابعِ فيها.

(٢٨) ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ بأمثالِ هذه النِّعمِ.

ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾

(٢٩) ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ﴾ أي يُقَالُ لهم انطلقوا. ﴿إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ من العذابِ.

(٣٠) ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ﴾ خصوصاً وعن يعقوبَ انطلقوا على الإخبارِ عن امتثالِهم للأمرِ اضطراراً. ﴿إِلَىٰ ظِلٍّ﴾ يعني ظلَّ دخانِ جهنَّم كقوله تعالى ﴿وظل من يحموم﴾. ﴿ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ﴾ يتشعَّب لعِظَمِه كما ترى الدخانَ العظيمَ يتفرق. تفرُّقَ الذوائبِ، وخصوصيةُ الثلاثِ إما لأن حجابَ النفس عن أنوار القدسِ الحسُّ والخيال والوهْمُ، أو لأن المؤديَ إلى هذا العذابِ هو القوةُ الواهمةُ الحالية في الدماغِ والغضبيةُ التي في يمين القلبِ والشهويةُ التي في يسارِه، ولذلك قيل شعبةٌ تقف فوقَ الكافرِ وشعبة عن يمينِه وشعبةٌ عن يساره.

(٣١) ﴿لَّا ظَلِيلٍ﴾ تهكُّمٌ بهم وردٌّ لما أَوْهَمَ لفظُ الظلِّ. ﴿وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ﴾ وغيرُ مغنٍ عنهم من حرِّ اللهب شيئاً.

(٣٢) ﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ﴾ أي كلُّ شرارة كالقصرِ في عِظَمِها، ويؤيده أنه قرىء بشرارٍ، وقيل هو جمعُ قصرةٍ وهي الشجرةُ الغليظة. وقرىء كالقُصُرِ بمعنى القصورِ كرِهْنٍ ورُهُنٍ، وكالقِصَرِ جمعُ قَصَرةٍ كحاجةٍ وحِوَجٍ، وكالقَصِر جمع قصرةٍ وهي أصلُ العنقِ والهاءُ للشُّعبِ.

(٣٣) ﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ﴾ جمعُ جمالٍ أو جمالةٍ جمعُ جملٍ. ﴿صُفْرٌ﴾ فإنَّ الشرارَ بما فيه من النارية يكون أصفرَ، وقيل سودٌ لأن سوادَ الإبلِ يضربُ إلى الصفرةِ، والأول تشبيهٌ في العِظَم وهذا في اللونِ والكثرةِ والتتابُعِ والاختلاط وسرعةِ الحركةِ. وقرأ حمزة والكسائيُّ وحفص جمالةٌ، وعن يعقوبَ جُمالاتٌ بالضمِّ جمع جمالة، وقد قرىء بها وهي الحبلُ الغليظ من حبالِ السفينة شبَّهه بها في امتدادِه والْتِفَافِه.

(٣٤) ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

(٣٥) ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾ أي بما يستحقُّ فإنَّ النُّطْقَ بما لا ينفعُ كَلاَ نُطْقٍ، أو بشيءٍ من فَرْطِ الدهشةِ والحيرةِ وهذا في بعض المواقفِ، وقرىء بنصبِ اليوم أي هذا الذي ذُكِرَ واقع يومَئِذٍ.

(٣٦) ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾.

(٣٧) ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ عطفَ فيعتذرونَ على يُؤْذَنُ ليدلَّ على نفي الإذْنِ والاعتذار عقيبَهُ مطلقاً، ولو جعلَه جواباً لدلَّ على أن عدمَ اعتذارِهم لعدم الإذن فأَوْهَم ذلك أنَّ لهم عذْراً لكن لا يؤذنُ لهم فيه.

(٣٨) ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾ بين المحقِّ والمبطِل. ﴿جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ﴾ تقرير وبيانٌ للفصْلِ.

(٣٩) ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾ تقريعٌ لهم على كيدِهم للمؤمنين في الدنيا وإظهارٌ لعجزهم.

وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾

(٤٠) ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ إذ لا حيلةَ لهم في التخلُّص من العذاب.

(٤١) ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾ عن الشرك لأنهم في مقابلة المكذِّبين.

(٤٢) ﴿وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ مستقرُّون في أنواع الترفُّه.

(٤٣) ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي مقولاً لهم ذلك.

(٤٤) ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ في العقيدة.

(٤٥) ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ يمحضُ لهم العذابَ المخلَّد ولخصومهم الثوابَ المؤبَّدَ.

(٤٦) ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾ حالٌ من المكذبين أي الويلُ ثابتٌ لهم في حال ما يُقَالُ لهم ذلك، تذكيراً لهم بحالهم في الدنيا وبما جَنَوْا على أنفسِهم من إيثارِ المتاعِ القليل على النعيم المقيم.

(٤٧) ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ حيثُ عرَّضوا أنفسَهم للعذاب الدائمِ بالتمتُّعِ القليل.

(٤٨) ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا﴾ أطيعوا واخضَعُوا أو صلُّوا أو اركعوا في الصلاة، إذ روي أنه نزلَ حين أمرَ رسولُ الله ﷺ ثقيفاً بالصلاة فقالوا: لا نُجْبِي أي لا نركعُ فإنها مسبَّةٌ[1]. وقيل هو يومُ القيامة حين يُدْعَوْنَ إلى السجود فلا يستطيعون. ﴿لَا يَرْكَعُونَ﴾ لا يمتثلون، واستُدِلَّ به على أن الأمرَ للوجوبِ وأن الكفارَ مخاطَبون بالفروعِ.

(٤٩) ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

(٥٠) ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ﴾ بعدَ القرآن. ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ إذا لم يؤمنوا به وهو معجزٌ في ذاته مشتملٌ على الحججِ الواضحةِ والمعاني الشريفةِ. عن النبيِّ ﷺ «مَنْ قرأ سورةَ والمرسلاتِ كُتِبَ له أنه ليس من المشركينَ»[2].

☆ ☆ ☆

---

(١) وهو حديث ضعيف.
أخرجه أبو داود (٣/ ٤٢٠ ـ ٤٢١ رقم ٣٠٢٦) وأحمد في المسند (٤/٢١٨) والطبراني في الكبير (٩/ ٤٥ رقم ٨٣٧٢) من رواية الحسن عن عثمان بن أبي العاص. واختلف في سماع الحسن من عثمان كما قال المنذري.

(٢) وهو حديث موضوع.
أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي عن أبي بن كعب.
كما في «الكافي الشاف» (ص١٨١ رقم ٢٦٥).
وقد تقدم الكلام عليه في آخر سورة آل عمران.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾

سورة النبأ مكية[1]، وآيها إحدى وأربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ أصلُه عمَّا فحذفَ الألفَ لما مرَّ، ومعنى هذا الاستفهامِ تفخيمُ شأنِ ما يتساءلون عنه كأنه لفخامتِه خَفِيَ جنسُه فَيُسْأَلُ عنه، والضميرُ لأهلِ مكَّةَ كانوا يتساءلون عن البعثِ فيما بينهم، أو يسألون الرسولَ عليه الصلاة والسلام والمؤمنينَ عنه استهزاءً كقولهم: يتداعونَهم ويتراءونَهم أي يدعونَهم ويرونَهم، أو للناس.

(٢) ﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾ بيانٌ لشأنِ المفخَّمِ أو صلةُ يتساءلون، وعمَّ متعلِّقٌ بمضْمَر مفسَّرٍ به، ويدلُّ عليه قراءةُ يعقوبَ: عمَّهْ.

(٣) ﴿ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ بجزمِ النفي والشكُّ فيه، أو بالإقرار والإنكار.

(٤) ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ ردعٌ عن التساؤل ووعيدٌ عليه.

---

(١) قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٦/٢٠٦): «وهي مكية بإجماع، وليس فيها نسخ ولا حكم إلا ما قاله بعض الناس في قوله تعالى «لبثوا فيها أحقاباً» من أنه منسوخ وهو قول خلف لأن الأخبار لا تنسخ وإنما ذكرنا هذا القول تنبيهاً على فساده» هـ.

(٥) ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ تكريرٌ للمبالغة. وثمَّ للإشعار بأنَّ الوعيدَ الثاني أشدُّ، وقيل الأولُ عند النَّزْعِ والثاني في القيامةِ، أو الأولُ للبعثِ والثاني للجزاءِ. وعن ابن عامرٍ ستعلمون بالتاءِ على تقدير قلْ لهم ستعلمون.

(٦) ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا﴾.

(٧) ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ تذكيرٌ ببعضِ ما عاينوا من عجائبِ صُنْعِه الدالةِ على كمال قدرته ليستدِلُّوا بذلك على صحة البعثِ كما مرَّ تقريره مراراً، وقرىء مهداً أي أنها لهم كالمهدِ للصبيِّ مصدرٌ سُمِّي به ما يُمَهَّدُ لِيُنَوَّمَ عليه.

(٨) ﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ ذكراً وأنثى.

(٩) ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ قطْعاً عن الإحساسِ والحركة استراحةً للقِوى الحيوانيةِ وإزاحةً لِكَلاَلِها، أو موتاً لأنه أحدُ التوفيينِ ومنه المسبوتُ للميتِ، وأصله القطعُ أيضاً.

(١٠) ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾ غطاءً يستتِرُ بظُلْمتِه مَنْ أراد الاختفاءَ.

(١١) ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾ وقتَ معاشٍ تتقلَّبون فيه لتحصيل ما تعيشون به، أو حياةً تنبعثون فيها عن نومِكم.

(١٢) ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ سبعَ سمواتٍ أقوياءَ محكَماتٍ لا يؤثر فيها مرورُ الدهورِ.

(١٣) ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ متلألِئاً وقَّاداً من وهجتِ النارُ إذا أضاءتْ، أو بالغاً في الحرارة من الوهجِ وهو الحرُّ والمرادُ الشمسُ.

(١٤) ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾ السحائبُ إذا أُعْصِرَتْ أي شارفتْ أنْ تعصِرَها الرياحُ فتمرُّ كقولك: احصدِ الزرعَ إذا حان له أنْ يُحْصَدَ، ومنه أعْصَرتِ الجاريةُ إذا دنتْ أنْ تحيضَ، أو من الرياح التي حانَ لها أنْ تعصِرَ السحابَ، أو الرياحُ ذواتُ الأعاصير، وإنما جُعِلَتْ مبدأ للإنزال لأنها تنشىء السحابُ وتدرأ خلافَه، ويؤيدُه أنه قرىء بالمعصراتِ. ﴿مَآءً ثَجَّاجًا﴾ منصبًّا بكثرةٍ يقال ثجَّه وثجَّ بنفسِه. وفي الحديث: «أفضلُ الحجِّ العجُّ[1] والثجُّ[2]» أي رفعُ الصوتِ بالتلبية وصبُّ دماءِ الهدْي، وقرىء ثجاجاً، ومثاجِجُ الماءِ مصابُّه.

(١٥) ﴿لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا﴾ ما يُقْتَاتُ به وما يُعْتَلَفُ من التبنِ والحشيشِ.

---

(١) العج: رفع الصوت بالتلبية [النهاية: (٣/ ١٨٤)].

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٢٢٥ رقم ٢٩٩٨) من حديث ابن عمر.
وضعفه الترمذي بإبراهيم بن يزيد الخوزي. قلت: هو متروك الحديث [التقريب (١/ ٤٦)].
وأخرجه ابن ماجة (٢/ ٩٧٥ رقم ٢٩٢٤) والترمذي (٣/ ١٨٩ رقم ٨٢٨) من حديث أبي بكر الصديق مرفوعاً بنحوه. وانظر الكلام عليه في «الصحيحة» (رقم: ١٥٠٠).
وخلاصة ذلك أنه حديث حسن والله أعلم.
● والثج هو سيلان دماء الهدي والأضاحي [النهاية (١/ ٢٠٧)].

وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾

(١٦) ﴿وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا﴾ ملتفةً بعضُها ببعض جمعُ لفٍّ كجِذْعٍ. قال:

جَنَّـــة لـــفّ وَعَيْـــشٌ مُغْـــدق ونَـــدَامـــى كُلُّهُـــمْ بيـــضُ زهـــر

أو لَفيفٍ كشريفٍ أو لُفٌّ جمعُ لفَّاءَ كخضراءَ وخضْرٍ وأخضارٍ أو متلفةٍ بحذفِ الزوائدِ.

(١٧) ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ﴾ في علمِ الله تعالى أو في حُكْمِه. ﴿مِيقَٰتًا﴾ حداً تؤقَّتُ به الدنيا وتنتهي عندَه، أو حداً للخلائق ينتهون إليه.

(١٨) ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ بدلٌ أو بيانٌ ليوم الفصلِ. ﴿فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ جماعاتٍ من القبور إلى المحشر، روي أنه ﷺ سُئِلَ عنه فقال: «يحشر عشرةُ أصناف من أمتي بعضُهم على صورة القردةِ، وبعضُهم على صورة الخنازيرِ، وبعضهم منكَّسونَ يُسْحَبُونَ على وجوهِهم، وبعضُهم عميٌ وبعضُهم صمٌّ بكمٌ، وبعضُهم يمضغونَ ألسنتهم فهي مدلاةٌ على صدورهم فيسيل القيحُ من أفواهِهم يتقذَّرهم أهلُ الجمْعِ، وبعضُهم مقطَّعَةٌ أيديهم وأرجلُهم، وبعضُهم مصلوبونَ على جذوع من نارٍ، وبعضُهم أشدُّ نَتَناً من الجيفِ، وبعضهم مُلْبَسُوْنَ جباباً سابغةً من قَطِرانٍ لازقةً بجلودهم»[1]. ثم فسَّرهم بالقتّاتِ[2]، وأهلِ السحتِ، وأَكَلَةِ الربا، والجائرينَ في الحكم، والمعْجَبِيْنَ بأعمالهم، والعلماءِ الذين خالفَ قولُهم عملَهم، والمؤذِيْنَ جيرانَهم، والساعينَ بالناس إلى السلطان، والتابعينَ للشهواتِ المانعين حقَّ الله تعالى، والمتكبرينَ الخيلاءَ.

(١٩) ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ وشُقِّقَتْ. وقرأ الكوفيون بالتخفيفِ. ﴿فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا﴾ فصارتْ من كثرةِ الشقوقِ كأنَّ الكلَّ أبوابٌ أو فصارتْ ذاتَ أبوابٍ.

(٢٠) ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ﴾ أي في الهواء كالهباء. ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ مثلَ سرابٍ إذ تُرى على صورةِ الجبال ولم تبقَ على حقيقتِها لتفتُّتِ أجزائهَا وانبثاثِها.

(٢١) ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ موضعَ رصدٍ يرصُدُ فيه خزنةُ النارِ الكفارَ، أو خزنةُ الجنة المؤمنينَ ليحرسُوهم من فيحِها في مجازِهم عليها، كالمضمارِ فإنه الموضعُ الذي تُضْمَرُ فيه الخيلُ، أو مُجِدَّةً في ترصُّدِ الكفرةِ لئلا يشذَّ منها واحدٌ كالمطعانِ، وقرىء أنَّ بالفتح على التعليلِ لقيام الساعةِ.

(٢٢) ﴿لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا﴾ مرجِعاً ومأوى.

---

(١) وهو حديث موضوع.
أخرجه ابن مردويه عن البراء بن عازب ـ كما في «الدر المنثور» (٨/ ٣٩٣) ـ وذكره القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١٧٥ ـ ١٧٦). والألوسي (٣٠/ ١٢) ثم قال: «وهذا كما قال ابن حجر حديث موضوع. وآثار الوضع لائحة عليه» هـ.

(٢) القتّات هو النمام، والقتّ هم نمُّ الحديث (مختار الصحاح مادة قتت).

لَٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدٗا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمٗا وَغَسَّاقٗا ﴿٢٥﴾ جَزَآءٗ وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمۡ كَانُواْ لَا يَرۡجُونَ حِسَابٗا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابٗا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ كِتَٰبٗا ﴿٢٩﴾

(٢٣) ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ﴾ وقرأ حمزة وروْحٌ لبثينَ وهو أبلغُ. ﴿أَحۡقَابٗا﴾ دهوراً متتابعةً، وليس فيها ما يدلُّ على خروجهم منها إذ لو صحَّ أن الحقبَ ثمانونَ سنةً أو سبعونَ ألفِ سنةٍ، فليس فيه ما يتقضَّى تناهي تلك الأحقاب لجواز أنْ يكون المرادُ أحقاباً مترادفةً كلَّما مضى حِقْبٌ تبعه آخرُ، وإنْ كان فمِنْ قبيلِ المفهوم فلا يعارِضُ المنطقَ الدالَّ على خلود الكفارِ، ولو جُعِلَ قولُه:

(٢٤) ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدٗا وَلَا شَرَابًا﴾.

(٢٥) ﴿إِلَّا حَمِيمٗا وَغَسَّاقٗا﴾ حالاً من المستكِنِّ في لابثينَ أو نصبَ أحقاباً بلا يذوقون احتُمِل أنْ يلبثوا فيها أحقاباً غيرَ ذائقينَ إلا حميماً وغساقاً، ثم يُبَدَّلون جنساً آخرَ من العذاب، ويجوز أن يكونَ جمعَ حقبٍ من حَقِبَ الرجلُ إذا أخطأه الرزقُ وحقِبَ العامُ إذا قلَّ مطرهُ وخيرهُ فيكون حالاً بمعنى لابثينَ فيها حقبينَ، وقوله لا يذوقون تفسيرٌ له. والمرادُ بالبردِ ما يُرَوِّحُهم وينفِّسُ عنهم حرَّ النارِ أو النوم، وبالغساقِ ما يغسقُ أي يسيلُ من صديدِهم. وقيل الزمهريرُ وهو مستثنى من البردِ إلا أنه أُخِّرَ ليتوافقَ رؤوسُ الآي، وقرأ حمزة والكسائيُّ وحفص بالتشديدِ[1].

(٢٦) ﴿جَزَآءٗ وِفَاقًا﴾ أي جُوْزُوا بذلك جزاءً ذا وفاقٍ لأعمالهم، أو موافقاً لها أو وافقَها وفاقاً، وقرىء وِفَاقاً فِعَّالٌ من وَفِقَه كذَا.

(٢٧) ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ لَا يَرۡجُونَ حِسَابٗا﴾ بيانٌ لما وافقَه هذا الجزاءُ.

(٢٨) ﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابٗا﴾ تكذيباً وفِعَّالٌ بمعنى تفعيلٍ مطَّرِدٌ شائعٌ في كلام الفُصَحَاءِ. وقرىء بالتخفيف وهو بمعنى الكذِبِ كقوله:

فَصَدَقْتُهَا وَكَذَبْتُهَا والمَرْءُ يَنْفَعُهُ كِذَّابُهُ[2]

وإنما أُقِيمَ مقامَ التكذيب للدلالة على أنهم كَذَبُوا في تكذيبهم، أو المكاذبةِ فإنَّهم كانوا عند المسلمين كاذبينَ وكان المسلمون كاذبينَ عندَهم فكان بينَهم مكاذبةٌ، أو كانوا مبالِغينَ في الكذِب مبالغةَ المبالغينَ فيه، وعلى المعْنَيَيْنِ يجوزُ أنْ يكونَ حالاً بمعنى كاذبينَ أو مكاذبين، ويؤيدُه أنه قرىء كِذَاباً وهو جمعُ كاذبٍ، ويجوزُ أنْ يكونَ للمبالغةِ فيكون صفةً للمصدرِ أي تكذيباً مفرِطاً كذِبُه.

(٢٩) ﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ﴾ وقرىء بالرفع على الابتداءِ. ﴿كِتَٰبٗا﴾ مصدرٌ لأحصيناهُ فإنَّ الإحصاءَ والكتبةَ يتشاركان في معنى الضبطِ أو لفعلِه المقدَّرِ أو حال بمعنى مكتوباً في اللوحِ أو صحفِ الحفظة، والجملةُ اعتراضٌ وقوله:

---

(١) أي بتشديد السين من غسّاقاً، وقرأ آخرون بتخفيف السين غسَاقاً.

(٢) من مجزوء الكامل.

فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾

(٣٠) ﴿فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ مسبَّبٌ عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآياتِ، ومجيئُه على طريقةِ الالتفاتِ للمبالغةِ. وفي الحديث: «هذه الآيةُ أشدُّ ما في القرآن على أهلِ النار»[1].

(٣١) ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ فوزاً أو موضعَ فوزٍ.

(٣٢) ﴿حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا﴾ بساتينَ فيها أنواعُ الأشجار المثمرةِ بدلٌ من مفازاً بدلَ الاشتمالِ والبعضِ.

(٣٣) ﴿وَكَوَاعِبَ﴾ نساءً فُلِكَتْ ثديهنَّ. ﴿أَتْرَابًا﴾ لِدَاتٍ[2].

(٣٤) ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ ملآناً، وأدهقَ الحوضَ ملأه.

(٣٥) ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا﴾ وقرأ الكسائي بالتخفيفِ أي كذِباً أو مكاذبةً، إذ لا يكذِّبُ بعضُهم بعضاً.

(٣٦) ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ﴾ بمقتضى وعدِه. ﴿عَطَآءً﴾ تفضُّلاً منه إذ لا يجب عليه شيءٌ، وهو بدلٌ من جزاء، وقيل منتصبٌ به نصبَ المفعولِ به. ﴿حِسَابًا﴾ كافياً من أحْسَبَهُ الشيءَ إذا كفاهُ حتى قال حسبي، أو على حسبِ أعمالهم وقرىء حَسّاباً أي محسباً كالدرّاكِ بمعنى المدرِكِ.

(٣٧) ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ بدلٌ من ربِّك، وقد رفعَه الحجازيانِ وأبو عمرو على الابتداءِ. ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ بالجرِّ صفةٌ له وكذا في قراءة ابن عامر وعاصمٍ ويعقوبَ، وبالرفع في قراءة أبي عمرو، وفي قراءة حمزةَ والكسائي بجرِّ الأول ورفعِ الثاني على أنه خبرُ محذوف، أو مبتدأٌ خبرهُ: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ﴾ والواوُ لأهل السمواتِ والأرضِ أي لا يملكون خطابَه، والاعتراضُ عليه في ثوابٍ أو عقاب لأنهم مملوكونَ له على الإطلاق فلا يستحقُّون عليه اعتراضاً وذلك لا ينافي الشفاعةَ بإذنه.

(٣٨) ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ تقريرٌ وتوكيدٌ لقوله لا يملكون، فإنَّ هؤلاءِ الذين هم أفضلُ الخلائقِ وأقربُهم من الله إذا لم يقدروا أنْ يتكلَّموا بما يكون صواباً كالشفاعةِ لِمَنِ ارتضَى إلا بإذنه، فكيف يملكُه غيرُهم؟! ويومَ ظرفٌ لِلاَ يملِكُون، أو ليتكلمون. والروحُ مَلَكٌ موكَّل على الأرواحِ أو جنسِها، أو جبريلُ عليه السلام، أو خلْقٌ أعظمُ من الملائكة.

---

(١) قال الحافظ في «الكافي الشافِ» (ص١٨١ رقم ٢٦٨): «ـ أخرجه ـ ابن أبي حاتم، والثعلبي من رواية جسر بن فرقد السبخي عن الحسن سألت أبا برزة الأسلمي فذكره. وجسر ضعيف، ورواه الطبراني ـ (٧/ ١٣٣) وفيه شعيب بن بيان وهو ضعيف ـ والبيهقي في الشعب موقوفاً» هـ.

(٢) كواعب جمع كاعب وهي المرأة التي تكعّب ثدياها واستدار مع ارتفاع يسير، ويكون ذلك في سن البلوغ. وأتراباً أي لدات ينشأن معاً تشبيهاً في التساوي والتماثل بالترائب التي هي ضلوع الصدر، أو لوقوعهن معاً على التراب.. (روح المعاني ٣٠/ ١٨).

ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾

(٣٩) ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ﴾ الكائنُ لا محالةَ. ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ﴾ إلى ثوابه. ﴿مَـَٔابًا﴾ بالإيمان والطاعة.

(٤٠) ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ يعني عذابَ الآخرةِ، وقربه لتحقُّقِه فإنَّ كلَّ ما هو آتٍ قريبٌ ولأنَّ مبدأَه الموتُ. ﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ يرى ما قدَّمه من خير أو شرٍّ. والمرءُ عامٌّ، وقيل هو الكافر لقوله ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ﴾[1] فيكون الكافرُ ظاهراً وُضِعَ موضعَ الضمير لزيادة الذمِّ، وما موصولةٌ منصوبةٌ بينظرُ أو استفهاميةٌ منصوبةٌ بقدَّمت، أي ينظر أيَّ شيءٍ قدَّمتْ يداهُ. ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ في الدنيا فلم أُخْلَقْ ولم أكلَّفْ، أو في هذا اليومِ فلم أُبْعَثْ، وقيل يحشرُ سائرُ الحيواناتِ للاقتصاصِ ثم تَرَدُّ تراباً فيودُّ الكافرُ حالَها. عن النبيِّ ﷺ «مَنْ قرأ سورةَ عمَّ سقاه الله بَرْدَ الشرابِ يومَ القيامة»[2].

☆ ☆ ☆

(١) النبأ: «٤٠».

(٢) وهو حديث موضوع.
أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه من حديث أبي بن كعب. كما في «الكافي الشافِ» (ص١٨١ رقم ٢٦٩).
وقد تقدم الكلام عليه في آخر سورة آل عمران.

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

ترتيبها ٧٩ آياتها ٤٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَالنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَالسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَالسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَإِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾

سورة النازعات مكية[1] وآيها خمس أو ست وأربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ﴿وَالنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا﴾.

(٢) ﴿وَالنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا﴾.

(٣) ﴿وَالسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا﴾.

(٤) ﴿فَالسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا﴾.

(٥) ﴿فَالْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾ هذه صفاتُ ملائكةِ الموتِ فإنهم ينزعونَ أرواحَ الكفار من أبدانهم غَرْقاً أي إغراقاً في النزعِ. فإنهم ينزِعُونها من أقاصي الأبدانِ أو نفوساً غرقتْ في الأجسادِ، وينشطونَ أي يخرجونَ أرواحَ المؤمنينَ برفقٍ من نشطَ الدلْوَ من البئر إذا أخرجَها، ويسْبَحُون في إخراجها سبحَ الغوَّاصِ الذي يُخْرِجُ الشيءَ من أعماق البحر، فيسبقونَ بأرواحِ الكفارِ إلى النار وبأرواحِ المؤمنين إلى الجنة، فيدبرون أمرَ عقابِها وثوابها بأنْ يهيِّئُوها لإدراك ما أعدَّ لَها من الآلام واللذاتِ، أوَ الأوليانِ لهم

(١) قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٢١٨/١٦): «وهي مكية بإجماع من المتأولين».

والباقياتُ لطوائفَ من الملائكةِ يسبحون في مضيِّها أي يسرعون فيه فيسبِقُون إلى ما أُمِروا به فيدبرون أمْرَهُ. أو صفاتُ النجومِ فإنها تنزعُ من المشرقِ إلى المغرب غرقاً في النزعِ بأن تقطعَ الفلكَ حتى تنحطَّ في أقصى الغربِ، وتنشطُ من برجٍ إلى برجٍ أي تخرجُ من نشطَ الثورُ إذا خرجَ من بلد إلى بلد، ويسبَحْنَ في الفلكِ فيسبقُ بعضُها في السير لكونه أسرعَ حركةً فيدبر أمراً نِيْطَ بها، كاختلافِ الفصول وتقدير الأزمنة وظهور مواقيتِ العبادات، ولما كانت حركاتُها من المشرقِ إلى المغرب قسريةً وحركاتُها من برج إلى برج ملائمة سمّى الأولى نزعاً والثانية نشطاً. أو صفاتُ النفوسِ الفاضلةِ حالَ المفارقة فإنها تُنْزَعُ عن الأبدانِ غرقاً أي نزعاً شديداً من إغراق النازع في القوسِ، وتنشطُ إلى عالَمِ الملكوتِ وتسْبَحُ فيها فتسبقُ إلى حظائرِ القدُسِ فتصيرُ لِشَرَفِها وقوَّتها من المدبِّرات، أو حالَ سلوكِها فإنها تنزعُ عن الشهواتِ فتنشطُ إلى عالم القدس، فتسْبَحُ في مراتبِ الارتقاءِ فتسبقُ إلى الكمالاتِ حتى تصيْرَ من المكملاتِ. أو صفاتُ أنفسِ الغزاةِ، أو أيديهم تنزعُ القِسِيَّ بإغراقِ السهامِ وينشطون بالسهمِ للرمي ويسبحون في البرِّ والبحرِ فيسبقُون إلى حربِ العدوِّ فيدبرون أَمْرَهَا. أو صفاتُ خيلِهم فإنها تنزعُ في أعِنَّتها نزعاً تغرقُ فيه الأعنةُ لطولِ أعناقِها وتخرجُ من دار الإسلام إلى دار الكفرِ، وتسبح في حربها فتسبقُ إلى العدوِّ فتدبِّرُ أَمْرَ الظَّفَرِ.

أقسمَ اللهُ تعالى بها على قيامِ الساعة وإنما حُذِفَ لدلالة ما بعدَه عليه.

(٦) ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ﴾ وهو منصوبٌ به، والمرادُ بالراجفةِ الأجرامُ الساكنةُ التي تشتدُّ حركتُها حينئذ كالأرض والجبال لقوله تعالى ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾[1] أو الواقعةُ التي ترجفُ الأجرامُ عندَها وهي النفخةُ الأُولى.

(٧) ﴿تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾ التابعةُ وهي السماء والكواكبُ تنشق وتنتشرُ، أو النفخةُ الثانية. والجملةُ في موقع الحال.

(٨) ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ شديدةُ الاضطرابِ من الوجيفِ وهي صفة القلوب، والخبرُ.

(٩) ﴿أَبْصَـٰرُهَا خَـٰشِعَةٌ﴾ أي أبصارُ أصحابِها ذليلةٌ من الخوف ولذلك أضافَها إلى القلوب.

(١٠) ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ﴾ في الحالةِ الأولى يعنونَ الحياةَ بعدَ الموت من قولهم رجعَ فلانٌ في حافرته أي طريقِه التي جاء فيها، فحفَرها أي أثَّر فيها بمشْيِه على النسبة كقوله تعالى ﴿في عيشة راضية﴾ أو تشبيهُ القائلِ بالفاعل. وقرىء في الحَفِرةِ بمعنى المحفورةِ يُقَالُ حفرتْ أسنانُه فحفَرتْ حفَراً وهي حَفِرةٌ.

(١١) ﴿أَءِذَا كُنَّا﴾ وقرأ نافعٌ وابن عامر والكسائيُّ إذا كنَّا على الخبر. ﴿عِظَـٰمًا نَّخِرَةً﴾ باليةٌ وقرأ الحجازيانِ والشاميُّ وحفص وروحٌ نَخِرةً وهي أبلغُ.

(١٢) ﴿قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ ذاتُ خسرانٍ أو خاسرٌ أصحابُها، والمعنى أنها إنْ صحَّتْ فنحن إذاً خاسرون لتكذيبنا بها، وهو استهزاءٌ منهم.

---

(١) المزمل: «١٤».

فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾
ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾
فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾

(١٣) ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ متعلِّقٌ بمحذوف أي لا يستصْعِبوها فما هي إلا صيحةٌ واحدةٌ يعني النفخةَ الثانيةَ.

(١٤) ﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾ فإذا هم أحياءٌ على وجهِ الأرض بعدَ ما كانوا أمواتاً في بطْنِها. والساهرةُ الأرضُ البيضاءُ المستويةُ، سُمِّيَتْ بذلك لأنَّ السرابَ يجري فيها من قولهم: عينٌ ساهرةٌ للتي يجري ماؤها وفي ضدِّها نائمةٌ، أو لأن سالِكَها يسهرُ خوفاً، وقيل اسمٌ لجهنَّمَ.

(١٥) ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾ أليسَ قد أتاك حديثُه فيسلِّيكَ على تكذيبِ قومِك وتهدُّدِهم عليه بأنْ يصيبَهم مثلُ ما أصابَ من هو أعظمُ منهم.

(١٦) ﴿إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ قد مرَّ بيانُه في سورةِ طه.

(١٧) ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ على إرادةِ القولِ، وقرىء أنِ اذهبْ لما في النداءِ من معنى القولِ.

(١٨) ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ هل لك ميلٌ إلى أنْ تتطهرَ من الكفر والطغيان، وقرأ الحجازيانِ ويعقوب تزَّكَّىٰ بالتشديد.

(١٩) ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ وأرشِدُك إلى معرفتِه. ﴿فَتَخْشَىٰ﴾ بأداءِ الواجباتِ وتركِ المحرَّماتِ، إذ الخشيةُ إنما تكون بعدَ المعرفةِ وهذا كالتفصيلِ لقوله ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾[1].

(٢٠) ﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ أي فذهبَ وبلَّغ فأراه المعجزةَ الكبرى وهي قلبُ العصا حيةً فإنه كان المقدَّمُ والأصل، أو مجموعُ معجزاته فإنها باعتبار دلالتِها كالآية الواحدةِ.

(٢١) ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ﴾ فكذَّب موسى وعصى اللهَ عزَّ وجلَّ بعد ظهور الآية وتحقُّقِ الأمر.

(٢٢) ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ عن الطاعةِ. ﴿يَسْعَىٰ﴾ ساعياً في إبطال أمرِه، أو أدبر بعدَ ما رأى الثعبانَ مرعوباً مسرعاً في مشيِه.

(٢٣) ﴿فَحَشَرَ﴾ فجمعَ السحرةَ أو جنودَه. ﴿فَنَادَىٰ﴾ في المجْمَعِ بنفسِه أو بمنادٍ.

(٢٤) ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ أعلى كلِّ مَنْ يلي أمْرَكُم.

(٢٥) ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ﴾ أخذاً منكلاً لمن رآهُ، أو سمعه في الآخرة بالإحراقِ وفي الدنيا بالإغراقِ، أو على كلمتِه الآخرة وهي هذه وكلمتِه الأولى وهو قولُه ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾[2] أو للتنكيلِ فيهما، أو لهما، ويجوزُ أنْ يكون مصدراً مؤكداً مقدَّراً بفعلِه.

---

(١) طه: «٤٤».

(٢) القصص: «٣٨».

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾

(٢٦) ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ لمن كان من شأنِه الخشيةُ.

(٢٧) ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا﴾ أصعبُ خلقاً. ﴿أَمِ ٱلسَّمَآءُ﴾ ثم بين كيفَ خلقَها فقال: ﴿بَنَىٰهَا﴾ ثم بيَّن البناءَ فقال:

(٢٨) ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا﴾ أي جعلَ مقدارَ ارتفاعِها من الأرض أو ثُخْنَها لِذَاهبٍ في العلوِّ رفيعاً. ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾ فعدَلَها أو فجعلَها مستويةً، أو فتمَّمَها بما يتمُّ به كمالُها من الكواكبِ والتداوير وغيرها من قولِهم: سوَّى فلان أمْرَهُ إذا أصلحه.

(٢٩) ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ أظْلَمَهُ منقولٌ من غطشَ الليلُ إذا أظلمَ، وإنما أضافه إليها لأنه يحدثُ بحركتِها. ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا﴾ وأبرزَ ضوءَ شمسِها. كقوله تعالى ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾[1] يريدُ النهارَ.

(٣٠) ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ بسطَها ومهَّدَها للسُّكْنَى.

(٣١) ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا﴾ بتفجير العيونِ. ﴿وَمَرْعَىٰهَا﴾ ورعْيَهَا وهو في الأصلِ لموضعِ الرعي، وتجريدُ الجملة عن العاطفِ لأنها حالٌ بإضمارِ قد أو بيانٌ للدُّحوِّ.

(٣٢) ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا﴾ أثبتَها وقرىء والأرضُ والجبالُ بالرفعِ على الابتداء، وهو مرجوحٌ لأن العطفَ على فعليةٍ.

(٣٣) ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ تمتيعاً لكم ولمواشيكم.

(٣٤) ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ﴾ الداهيةُ التي تطمُّ أي تعلو على سائر الدواهي. ﴿ٱلْكُبْرَىٰ﴾ التي هي أكبر الطَّاماتِ وهي القيامة، أو النفخةُ الثانية أو الساعةُ التي يُسَاقُ فيها أهلُ الجنةِ إلى الجنة وأهل النار إلى النار.

(٣٥) ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ﴾ بأنْ يراهُ مدوَّناً في صحيفتِه وكان قد نسيه من فَرْطِ الغفلةِ أو طولِ المدة، وهو بدلٌ من إذا جاءتْ وما موصولةٌ أو مصدرية.

(٣٦) ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ﴾ وأُظْهِرَتْ. ﴿لِمَن يَرَىٰ﴾ لكل راءٍ بحيث لا تخْفَى على أحدٍ، وقرىء وبَرَزَتْ ولمن رأى ولمن تَرَى على أن فيه ضميرَ الجحيمِ كقوله تعالى ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾[2]. أو أنه خطابُ الرسولِ ﷺ أي لمن تراه من الكفارِ، وجوابُ فإذا جاءتْ محذوفٌ دلَّ عليه يوم يتذكَّر أو ما بعدَه من التفضيل.

---

(١) الشمس: «١».

(٢) الفرقان: «١٢».

فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾

(٣٧) ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ﴾ حتى كفَرَ.

(٣٨) ﴿وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ فانهمكَ فيها ولم يستعدَّ للآخرةِ بالعبادة وتهذيبِ النفس.

(٣٩) ﴿فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ هي مأواهُ واللامُ فيه سادَّةٌ مسدَّ الإضافةِ للعلم بأنَّ صاحبَ المأوى هو الطاغي، وهي فصلٌ أو مبتدأ.

(٤٠) ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ مقامه بين يدي ربه لعلمه بالمبدأ والمعاد. ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ لعلْمِه بأنه مردٌ.

(٤١) ﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ ليس لها سِواها مأوى.

(٤٢) ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ متى إرساؤُها أي إقامتُها وإثباتُها، أو منتهاها ومستقرُّها من مَرْسَى السفينةِ وهو حيث تنتهي إليه وتستقرُّ فيه.

(٤٣) ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ﴾ في أي شيءٍ أنْتَ من أنْ تذْكُرَ وقْتَها لهم أي ما أنت من ذِكْرِها لهم، وتبيينِ وقْتِها في شيء فإنَّ ذكْرَها لا يزيدُهم إلا غياً، ووقتُها مما استأثر الله تعالى بعلمِه. وقيل فيمَ إنكارٌ لسؤالِهم وأنتَ من ذِكْراها مستأنَفٌ، ومعناه أنت ذكرُ مَنْ ذكَرَها أي علامةٌ من أشراطِها، فإنَّ إرسالَه خاتَماً للأنبياءِ أمارةٌ من أماراتها، وقيل إنه متصلٌ بسؤالهم والجوابُ.

(٤٤) ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾ أي منتهى علْمِها.

(٤٥) ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾ إنما بُعِثْتُ لإنذار مَنْ يخاف هولَها، وهو لا يناسبُ تعيينَ الوقتِ وتخصيصَ مَنْ يخشى لأنه المنتفعُ به، وعن أبي عمرو منذرٌ بالتنوينِ والإعمالِ على الأصلِ لأنه بمعنى الحال.

(٤٦) ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟﴾ في الدنيا أو في القبور. ﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ أي عشيةَ يومٍ أو ضحاهُ كقوله ﴿إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾[1] ولذلك أضافَ الضُّحى إلى العشيةِ لأنهما من يوم واحدٍ. عن النبيِّ ﷺ «من قرأ سورةَ النازعات كان ممَّنْ حبسَهُ الله في القيامة حتى يدخلَ الجنةَ قدْرَ صلاةِ المكتوبة»[2].

☆ ☆ ☆

---

(١) الأحقاف: «٣٥».

(٢) وهو حديث موضوع.
أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه عن أبي بن كعب.
كما في «الكافي الشاف» (ص١٨١ رقم ٢٧٣).
وقد تقدم الكلام عليه في آخر سورة آل عمران.

•

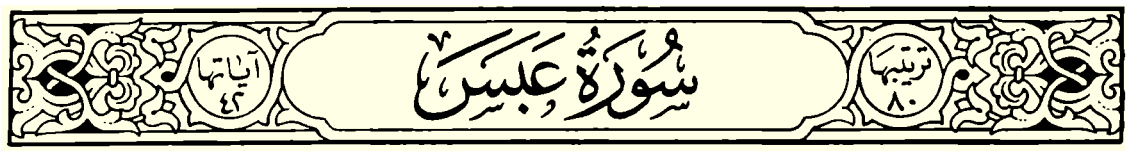

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾

سورة عبس مكية[1] وآيها ثنتان وأربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾.

(٢) ﴿أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾ رُوِيَ[2]: أنَّ ابنَ أمِّ مكتوم أتى رسولَ الله ﷺ وعنده صناديدُ قريش يدعوهم إلى الإسلام، فقال: يا رسولَ الله علِّمني مما علَّمكَ اللهُ، وكرر ذلك ولم يعلمْ تشاغُلَه بالقومِ، فكره

---

(١) قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٦/٢٢٨): «وهي مكية بإجماع المفسرين».

(٢) أخرجه الترمذي (٥/٤٣٢ رقم ٣٣٣١) وابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ج٣٠/٥٠ ـ ٥١). وابن حبان في الموارد (رقم: ١٧٦٩) والحاكم (٢/٥١٤) من حديث عائشة.
قال الترمذي: غريب، وروى بعضهم هذا الحديث عن هشام بن عروة عن أبيه ولم يذكر فيه عن عائشة.
وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، وقد أرسله جماعة عن هشام بن عروة، وقال الذهبي: وهو الصواب.
● وأخرج الحاكم نحوه (٣/٦٣٤ ـ ٦٣٥) من طريقين عن عائشة وسكت عليه، وذكر الذهبي متابعة طريق لآخر وسكت.
وقال الشيخ شعيب في «الإحسان» (٢/٢٩٤): رواه مرسلاً مالك في «الموطأ» (١/٢٠٧) وصوب الإمام الذهبي كونه مرسلاً» وانظر «الدر المنثور» (٨/٤١٦).

رسولُ الله ﷺ قطْعَه لكلامه وعَبَسَ وأعرضَ عنه فنزلتْ، فكان رسولُ الله ﷺ يكرمُه ويقول إذا رآه: «مرحباً بمن عاتبني فيه ربِّي، واستخلفَه على المدينة مرتين[1]. وقرىء عبَّس بالتشديد للمبالغةِ وأنْ جاءه علةٌ لتولَّى أو عبس على اختلافِ المذهبينِ. وقرىء آآنْ بهمزتينِ وبألفٍ بينَهما بمعنى أَئِنْ جاءه الأعمى فعلَ ذلك. وذَكَرَ الأعمى للإشعارِ بعذرِهِ في الإقدامِ على قطعِ كلامِ رسولِ الله ﷺ بالقومِ والدلالةِ على أنه أحقُّ بالرأفة والرِّفْقِ، أو لزيادة الإنكارِ كأنه قال: تولى لكونه أعمى كالالتفاتِ في قوله:

(٣) ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ أي: وأيُّ شيءٍ يجعلُك دارياً بحاله لعلَّه يتطهَّر من الآثام بما يتلقَّفُ منك. وفيه إيماءٌ بأنَّ إعراضَه كان لتزكيةِ غيرِه.

(٤) ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ﴾ أو يتَّعِظُ فتنفعَه موعِظَتُك، وقيل الضميرُ في لعله للكافر أي أنك طمعتَ في تزكيه بالإسلامِ وتذكُّرِه بالموعظةِ ولذلك أعرضْتَ عن غيرِه، فما يدريك أنَّ ما طمعْتَ فيه كائنٌ، وقرأ عاصمٌ فتنفعَهُ بالنصبِ جواباً لِلَعَلَّ.

(٥) ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ﴾.

(٦) ﴿فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾ تتعرَّض له بالإقبالِ عليه وأصلُه تتصدَّى. وقرأ ابن كثير ونافع تَصَّدَّى بالإدغام، وقرىء تُصَدَّىٰ أي تعرضُ وتُدْعَى إلى التصدِّي.

(٧) ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾ وليس عليك بأسٌ في أنْ لا يتزكَّى بالإسلام حتى يبعثَك الحرصُ على إسلامه إلى الإعراض عمَّن أسْلَمَ ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾[2].

(٨) ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ﴾ يسرعُ طالباً للخير.

(٩) ﴿وَهُوَ يَخْشَىٰ﴾ اللهَ أو أذيةَ الكفار في إتيانِك، أو كبوةَ الطريقِ لأنه أعمى لا قائدَ له.

(١٠) ﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾ تتشاغلُ، يقالُ لها عنه والْتهى وتلهَّى، ولعلَّ ذِكْرَ التصدُّقِ والتلهي للإشعارِ بأنَّ العتابَ على اهتمام قلبِه بالغنيِّ وتلهِّيه عن الفقيرِ، ومثلُه لا ينبغي له ذلك.

(١١) ﴿كَلَّآ﴾ ردعٌ عن المعاتَبِ عليه أو عن معاودةِ مثلِه. ﴿إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾.

(١٢) ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ حفظَه أوِ اتَّعظَ به والضميرانِ للقرآنِ، أو العتابُ المذكورُ وتأنيثُ الأول لتأنيثِ خبرِه.

(١٣) ﴿فِى صُحُفٍ﴾ مثبتةٍ فيها صفةٌ لتذكرةٍ، أو خبرٌ ثانٍ أو خبرٌ لمحذوفٍ. ﴿مُّكَرَّمَةٍ﴾ عند الله.

(١٤) ﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾ القدْرِ. ﴿مُّطَهَّرَةٍ﴾ منزَّهةٍ عن أيدي الشياطين:

(١٥) ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ﴾ كتبةٍ من الملائكةِ أوِ الأنبياءِ ينتسخُون الكُتُبَ من اللوح أو الوحي، أو سفراءَ

---

(١) انظر «أسد الغابة» لابن الأثير (٣/ ٢٧٦ رقم ٣٠٠٧).
واستخلافه على المدينة أخرجه الطبري في «جامع البيان» (١٥/ج٣٠/ ٥١ ـ ٥٢) وهو معضل.

(٢) الشورى: «٤٨».

يسفرونَ بالوحي بينَ الله تعالى ورسلِه، أو الأمةِ جمعُ سافرٍ من السَّفَرِ أو السِّفارةِ والتركيبُ للكشفِ يقالُ سَفَرَتِ المرأةُ إذا كشفتْ وجْهَهَا.

كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴿١٩﴾ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾

(١٦) ﴿كِرَامٍ﴾ أعزَّاءَ على الله أو متعطفينَ على المؤمنين يكلِّمونهم ويستغفِرون لهم. ﴿بَرَرَةٍ﴾ أتقياءَ.

(١٧) ﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ دعاءٌ عليه بأشنعِ الدعواتِ وتعجُّبٌ من إفراطه في الكفرانِ، وهو مع قِصَرِه يدلُّ على سخطٍ عظيم وذمٍّ بليغ.

(١٨) ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ بيانٌ لما أنعمَ عليه خصوصاً من مبدأِ حدوثِه، والاستفهامُ للتحقيرِ ولذلك أجابَ عنه بقوله:

(١٩) ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴾ فهيَّأه لما يصلُح له من الأعضاءِ والأشكالِ، أو فقدَّره أطواراً إلى أن تمَّ خِلْقَتَه.

(٢٠) ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ ثم سهَّل مخرجَه من بطنِ أمه بأنْ فتحَ فوهةَ الرحمِ وألهمَه أنْ ينتكِسَ، أو ذلَّلَ له سبيلَ الخير والشرِّ، ونصبَ السبيلَ بفعلٍ يفسِّره الظاهرُ للمبالغة في التيسير، وتعريفُه باللامِ دون الإضافةِ للإشعارِ بأنه سبيلٌ عام، وفيه على المعنى الأخير إيماءٌ بأنَّ الدنيا طريقٌ والمقصدُ غيرها ولذلك عقَّبه بقوله:

(٢١) ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾.

(٢٢) ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ﴾ وعدّ الإماتةَ والإقبارَ في النِّعم لأنَّ الإماتةَ وُصْلَةٌ في الجملةِ إلى الحياة الأبديةِ واللذاتِ الخالصة، والأمرُ بالقبرِ تكرمةٌ وصيانةٌ عن السِّباعِ، وفي إذا شاءَ إشعارٌ بأنَّ وقْتَ النشورِ غيرُ متعيِّنٍ في نفسه، وإنما هو موكول إلى مشيئته تعالى.

(٢٣) ﴿كَلَّا﴾ ردعٌ للإنسان بما هو عليه. ﴿لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾ لم يقضِ بعدُ من لدنْ آدمَ إلى هذه الغايةِ ما أمره الله بأمرِه، إذ لا يخلو أحدٌ من تقصيرٍ ما.

(٢٤) ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ﴾ إتباعٌ للنعمِ الذاتيةِ بالنعمِ الخارجيةِ.

(٢٥) ﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾ استئنافٌ مبيِّنٌ لكيفية إحداثِ الطعام، وقرأ الكوفيونَ بالفتحِ على البدلِ منه بدلَ الاشتمال.

(٢٦) ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا﴾ أي بالنباتِ أو بالكرابِ، وأسندَ الشقَّ إلى نفسِه إسنادَ الفعلِ إلى السَّببِ.

(٢٧) ﴿فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾ كالحنطةِ والشعير.

وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ فَإِذَا جَآءَتِ
ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾
وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ
ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾

(٢٨) ﴿وَعِنَبًا وَقَضْبًا﴾ يعني الرطبةَ سُمِّيَتْ بمصدرِ قضَبه إذا قطعَه لأنها تُقْضَبُ مرةً بعدَ أخرى.

(٢٩) ﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا﴾.

(٣٠) ﴿وَحَدَآئِقَ غُلْبًا﴾ عظاماً وصفَ به الحدائقَ لتكاثُفِها وكثرةِ أشجارها، أو لأنها ذاتُ أشجار غلاظٍ مستعارٌ من وصفِ الرقابِ.

(٣١) ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ ومرعًى من أبَّ إذا أمَّ لأنه يُؤمُّ وينتجعُ، أو من أبَّ لكذا إذا تهيَّأ له لأنه متهيءٌ للرعي، أو فاكهةً يابسةً تؤوب للشتاءِ.

(٣٢) ﴿مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ فإنَّ الأنواعَ المذكورة بعضُها طعام وبعضُها عَلَفٌ.

(٣٣) ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ﴾ أي النفخةُ وُصِفَتْ بها مجازاً لأنَّ الناسَ يصخُّون لها.

(٣٤) ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾.

(٣٥) ﴿وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ﴾.

(٣٦) ﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾ لاشتغالِه بشأنه وعلمِه بأنهم لا ينفعونَه، أو للحذرِ من مطالبتهم بما قصَّر في حقِّهم، وتأخيرُ الأحبِّ فالأحبِّ للمبالغةِ كأنه قيل: يفرُّ من أخيه بل من أبويْهِ بل من صاحِبَته وبنيهِ.

(٣٧) ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ يكفيه في الاهتمام به، وقرىء يعنيْهِ أي يهمُّه.

(٣٨) ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ مضيئةٌ من إسفارِ الصبح.

(٣٩) ﴿ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ لما ترى من النعيم.

(٤٠) ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ غبارٌ وكدورةٌ.

(٤١) ﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ يغشاها سوادٌ وظُلْمةٌ.

(٤٢) ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ﴾ الذين جمعوا إلى الكفر الفجورَ، فلذلك يجمعُ إلى سواد وجوهِهم الغبرةَ، قال النبيُّ ﷺ: «من قرأ سورةَ عبس جاء يومَ القيامة ووجْهُهُ ضاحِكٌ مستَبْشِرٌ»[1].

---

(١) وهو حديث موضوع.
أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي عن أبي بن كعب.
كما في «الكافي الشافِ» (ص١٨٢ رقم ٢٧٩).
وقد تقدم الكلام عليه في آخر سورة آل عمران.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾

سورة التكوير مكية[1] وآيها تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ لُفَّتْ من كوَّرت العمامةَ إذا لَفَفْتها بمعنى رُفِعَتْ لأنَّ الثوبَ إذا أُرِيدَ رفعُه لُفَّ، أو لُفَّ ضوءُها فذهبَ انبساطُه في الآفاقِ وزالَ أثرُهُ، أو أُلْقِيَتْ عن فَلَكِها من طَعَنَهُ فكوَّره إذا ألقاه مجتمِعاً. والتركيبُ للإدارة والجمعِ، وارتفاعُ الشمسِ بفعلٍ يفسره ما بعدَها أولىٰ لأنَّ إذا الشرطيةَ تطلب الفعلَ.

(٢) ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾ انقضتْ قال: أَبْصِرْ خَرْبَانَ فَضَاءَ فانكدَر. أو أظلمتْ من كدَّرت الماءَ فانكدر.

(٣) ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ عن وجه الأرضِ أو في الجوِّ.

(٤) ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ﴾ النوقُ اللواتي أتى على حملهنَّ عشرةُ أشهرٍ جمعُ عشراءَ. ﴿عُطِّلَتْ﴾ تُرِكَتْ مهملةً، أو السحائبُ عُطِّلَتْ عن المطرِ، وقرىء بالتخفيفِ.

---

(١) قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٦/ ٢٣٧): «وهي مكية بإجماع من المتأولين».

(٥) ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ جمعتْ من كلِّ جانب أو بعثت للقصاصِ ثمَّ رُدَّتْ تراباً، أو أُمِيتَتْ من قولهم إذا أجحفتِ السنةُ بالناس حشرتْهم، وقرىء بالتشديدِ.

(٦) ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ أُحْمِيَتْ أو مُلِئَتْ بتفجيرِ بعضِها إلى بعض حتى تعودَ بحراً واحداً، من سَجَرَ التنورَ إذا ملأه بالحطبِ ليحمِيَهُ، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وروحٌ بالتخفيف.

(٧) ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ قُرِنَتْ بالأبدانِ أو كلٌّ منها بشكْلِها، أو بكتابِها وعملِها، أو نفوسُ المؤمنين بالحورِ ونفوسُ الكافرين بالشياطينِ.

(٨) ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ﴾ المدفونةُ حيةً، وكانتِ العربُ تَئِدُ البناتِ مخافةَ الإملاقِ، أو لحوقِ العار بهم من أجلِهم ﴿سُئِلَتْ﴾.

(٩) ﴿بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ تبكيتاً لوائِدِهَا كتبكيتِ النصارى بقوله تعالى لعيسى عليه الصلاة والسلام ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[1] وقرىء سَأَلَتْ أي خاصمتْ عن نفسِها وسألتْ. وإنما قيل قُتِلَتْ على الإخبار عنها، وقرىء قُتِلْتُ على الحكايةِ.

(١٠) ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ يعني صحفَ الأعمالِ فإنها تُطْوَى عند الموتِ وتنشرُ وقتَ الحساب. وقيل نشرت فرَّقتْ بين أصحابها. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزةُ والكسائي بالتشديد للمبالغةِ في النشرِ، أو لكثرةِ الصحف أو شدةِ التطايُرِ.

(١١) ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ﴾ قُلِعَتْ وأُزِيلَتْ كما يُكْشَطُ الإهابُ عن الذبيحةِ، وقرىء قُشِطَتْ، واعتقابُ القافِ والكافِ كثيرٌ.

وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾

(١٢) ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ أُوقِدَتْ إيقاداً شديداً. وقرأ نافع وابن عامر وحفصٌ ورويس بالتشديدِ.

(١٣) ﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ قرِّبتْ من المؤمنين.

(١٤) ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ جوابُ إذا. وإنما صحَّ والمذكورُ في سياقها اثنتا عشرةَ خصلةً ستٌّ منها في مبادىء قيامِ الساعة قبل فناءِ الدنيا وستٌّ بعدَه لأنَّ المرادَ زمانٌ متسعٌ شاملٌ لها ولمجازاة النفوسِ على أعمالها، ونفسٌ في معنى العمومِ كقولهم تمرةٌ خير من جرادةٍ.

(١٥) ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ﴾ بالكواكبِ الرواجعِ من خَنَسَ إذا تأخَّر، وهي ما سِوَى النيرينِ من الكواكبِ السياراتِ ولذلك وصفَها بقوله:

(١٦) ﴿ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ﴾ أي السياراتِ التي تختفي تحتَ ضوءِ الشمس من كَنَسَ الوحشُ إذا دخل كِنَاسَهُ، وهو بيتُه المتخذُ من أغصانِ الشجر.

---

(١) المائدة: «١١٦».

وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ ﴿٢٥﴾ فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾

(١٧) ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ﴾ أقبل ظلامُه أو أدبرَ وهو من الأضدادِ يقال عسعس الليلُ وسعسعَ إذا أدبرَ.

(١٨) ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ أي أضاءَ غبرتَه عند إقبالِ روحٍ ونسيمٍ.

(١٩) ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي القرآنُ. ﴿لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ يعني جبريلَ فإنه قاله عن الله تعالى.

(٢٠) ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ كقوله شديدُ القوى. ﴿عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ﴾ عندَ الله ذي مكانة.

(٢١) ﴿مُّطَاعٖ﴾ في ملائكته. ﴿ثَمَّ أَمِينٖ﴾ على الوحي، وثَمَّ يحتملُ اتصالُه بما قبلَه وما بعدَه، وقرىء ثُمَّ تعظيماً للأمانة وتفضيلاً لها على سائر الصفاتِ.

(٢٢) ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ﴾ كما تبهتُه الكفرةُ[1]. واستُدِلَّ بذلك على فضل جبريلَ على محمدٍ عليه الصلاة والسلام حيث عد فضائلَ جبريلَ واقتصرَ على نفي الجنونِ عن النبيِّ ﷺ، وهو ضعيفٌ إذ المقصودُ منه نفيُ قولهم إنما يعلمُه بشرٌ أَفْتَرَى على اللهِ كذباً أم به جِنَّةٌ لا تعدادُ فضلِهما والموازنةُ بينَهما.

(٢٣) ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ﴾ ولقد رأى رسولُ الله ﷺ جبريلَ عليه الصلاة والسلام. ﴿بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ﴾ بمطلعِ الشمس.

(٢٤) ﴿وَمَا هُوَ﴾ وما محمدٌ عليه الصلاة والسلام. ﴿عَلَى ٱلۡغَيۡبِ﴾ على ما يخبرهُ من الموحَى إليه وغيره من الغيوب. ﴿بِضَنِينٖ﴾ بمتَّهمٍ من الظنَّةِ، وهي التهمةُ، وقرأ نافع وعاصم وحمزةُ وابن عامر بضنينٍ بالضاد من الضنِّ وهو البخلُ أي لا يبخلُ بالتبليغِ والتعليمِ، والضادُ من أصل حافةِ اللسان وما يليها من الأضراسِ من يمينِ اللسان أو يساره، والظاءُ من طرفِ اللسانِ وأصولِ الثنايا العليا.

(٢٥) ﴿وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ﴾ بقول بعضِ المسترقةِ للسمع، وهو نفيٌ لقولهم إنه لكهانةٌ وسحرٌ.

(٢٦) ﴿فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ﴾ استضلالٌ لهم فيما يسلكونه في أمرِ الرسولِ ﷺ والقرآنِ، كقولك لتارِك الجادَّةِ أين تذهبُ؟

(٢٧) ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ تذكيرٌ لمن يعلمُ.

(٢٨) ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ﴾ بتحري الحقِّ وملازمة الصواب، وإبدالُه من العالمين لأنهم المنتفعونَ بالتذكير.

---

(١) والتعرض لعنوان المصاحبة للتلويح بإحاطتهم بتفاصيل أحواله عليه الصلاة والسلام خبراً وعلمهم بنزاهته عليه السلام عما نسبوه إليه بالكلية (س٩/١١٨).

﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾

(٢٩) ﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾ الاستقامةَ يا مَنْ يشاؤُها. ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ إلا وقْتَ أنْ يشاء الله مشيئَتَكُم فله الفضلُ والحقُّ عليكم باستقامتِكم. ﴿رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ مالكُ الخلقِ كلِّه. قال عليه الصلاة والسلام «من قرأ سورةَ التكوير أعاذه الله أن يفضَحَه حين تنتشرُ صحيفتُه»[1].

☆ ☆ ☆

(١) وهو حديث موضوع.
أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي عن أبي بن كعب.
كما في «الكافي الشافِ» (ص١٨٢ رقم ٢٨١).
وقد تقدم الكلام عليه في آخر سورة آل عمران.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾

سورة الانفطار مكية[1] وآيها تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ انشقَّتْ.

(٢) ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾ تساقطتْ متفرقةً.

(٣) ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ فُتِحَ بعضُها إلى بعض فصار الكلُّ بحراً واحداً.

(٤) ﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ قُلِبَ ترابُها وأُخرِجَ موتاها. وقيل إنه مركب من بعثَ وراءَ الإثارةِ كبسمل ونظيرهُ بحثرَ لفظاً ومعنى.

(٥) ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ﴾ من عملٍ أو صدقة. ﴿وَأَخَّرَتْ﴾ من سيئة أو تركةٍ، ويجوز أنْ يُرَادَ بالتأخير التضييعُ وهو جواب إذا.

(٦) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ أيُّ شيء خدعك وجرَّأك على عصيانِه، وذَكَرَ الكريمَ للمبالغةِ في المنعِ عن الاغترارِ فإن محضَ الكرمِ لا يقتضي إهمالَ الظالمِ وتسويةَ الموالي والمعادي

(١) قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٦/ ٢٤٥): «وهي مكية بإجماع».

والمطيعِ والعاصي، فكيف إذ انضمَّ إليه صفةُ القهر والانتقام؟ والإشعارِ بما به يغرُّه الشيطانُ؛ فإنه يقول له افعلْ ما شئتَ فربُّكَ كريمٌ لا يعذِّب أحداً ولا يعاجِلُ بالعقوبة، والدلالةِ على أنَّ كثرةَ كرمِهِ تستدعي الجدَّ في طاعتِهِ لا الانهماكَ في عصيانه اغتراراً بكرمِهِ.

(٧) ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾ صفةٌ ثانية مقررةٌ للربوبية مبينةٌ للكرم منبهةٌ على أن من قَدَرَ على ذلك أولاً قَدَرَ عليه ثانياً، والتسويةُ جعْلُ الأعضاءِ سليمةً مسوَّاةً معدَّةً لمنافِعها، والتعديلُ جعْلُ البِنْيةِ معدلةً متناسبةَ الأعضاءِ، أو معدلةً بما تسعِدُها من القِوى. وقرأ الكوفيون فعَدَلك بالتخفيف أي عَدَلَ بعضَ أعضائِك ببعضٍ حتى اعتدلتْ، أو فصرفَك عن خلقةِ غيرك وميَّزك بخلقةٍ فارقتْ خلقةَ سائرِ الحيوانِ.

(٨) ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ أي ركَّبك في أي صورة شاءها، وما مزيدةٌ وقيل شرطيةٌ، وركَّبك جوابُها، والظرفُ صلةُ عَدَلَك، وإنما لم يعطفِ الجملةَ على ما قبلَها لأنها بيانٌ لِعَدَلَكَ.

(٩) ﴿كَلَّا﴾ ردعٌ عن الاغترارِ بكرم الله وقوله: ﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ﴾ إضرابٌ إلى بيان ما هو السببُ الأصلي في اغترارهم، والمرادُ بالدين الجزاءُ أو الإسلامُ.

وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾

(١٠) ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ﴾.

(١١) ﴿كِرَامًا كَٰتِبِينَ﴾.

(١٢) ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ تحقيقٌ لما يكذبون به وردٌّ لما يتوقعون من التسامحِ والإهمال، وتعظيمُ الكتبةِ بكونهم كراماً عند الله لتعظيم الجزاءِ.

(١٣) ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾.

(١٤) ﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾[1] بيانٌ لما يكتبون لأجلِه.

(١٥) ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ يقاسُون حرَّها. ﴿يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾.

(١٦) ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ﴾ لخلودِهم فيها. وقيل معناه وما يغيبونَ عنها قبلَ ذلك إذ كانوا يجدُون سَمُومَهَا في القبور.

(١٧) ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾.

(١٨) ﴿ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ تعجيبٌ وتفخيمٌ لشأن اليوم، أي كُنْهُ أمرِهِ بحيث لا تدركُه درايةُ دارٍ.

---

(١) تنكير النعيم والجحيم للتفخيم والتهويل (س٩/ ١٢٢).

يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾

(١٩) ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ تقريرٌ لشدة هوله وفخامةِ أمره إجمالاً. ورفعَ ابنُ كثير والبصريان يومُ على البدلِ من يومِ الدين، أو الخبرِ المحذوفِ. عن النبيِّ ﷺ «من قرأ سورةَ إذا السماء انفطرت كتبَ الله له بعددِ كلِّ قطرةٍ من السماء حسنةً، وبعددِ كلِّ قبر حسنةً»[1]. والله أعلمُ.

☆ ☆ ☆

(١) وهو حديث موضوع.
أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدى عن أبي بن كعب.
كما في «الكافي الشافِ» (ص١٨٢ رقم ٢٨٤).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾

سورة المطففين مختلف فيها[1]، وآيها ست وثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ التطفيف البخس في الكيل والوزن لأن ما يبخس طفيف أي حقير. روي أن أهل المدينة كانوا أخبث الناس كيلاً فنزلت فأحسنوه[2]، وفي الحديث «خمس بخمس ما نقض العهد

(١) قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٢٤٩/١٦): «وهي مكية في قول جماعة من المفسرين، واحتجوا لذكر الأساطير، وهذا على أن هذا تطفيف الكيل والوزن كان بمكة حسبما هو في كل أمة ولا سيما مع كفرهم.
وقال ابن عباس والسدي والنقاش وغيره: السورة مدنية. قال السدي: كان بالمدينة رجل يكنى أبا جهينة له مكيالان يأخذ بالأوفى ويعطى بالأنقص فنزلت السورة فيه.
يقال إنها أول سورة نزلت بالمدينة. وقال ابن عباس أيضاً فيما روى عنه: نزل بعضها بمكة ونزل أم التطفيف بالمدينة، لأنهم كانوا أشد الناس فساداً في هذا المعنى فأصلحهم الله تعالى بهذه السورة، وقال آخرون: نزلت السورة بين مكة والمدينة، وذلك ليصلح الله أمرهم قبل ورود رسوله عليهم» هـ.

(٢) أخرج النسائي في «تفسيره» (رقم: ٦٧٤) وابن ماجة (٧٤٨/٢ رقم ٢٢٢٣) عن ابن عباس، قال: لما قدم نبي الله ﷺ المدينة فكانوا من أخبثِ الناس كيلاً فأنزل الله عز وجل «ويل للمطففين» فحسنوا الكيل بعد ذلك» وإسناده حسن.
وانظر «الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان» تخريج الشيخ شعيب (٢٨٦/١١).

قوم إلا سلط الله عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر، وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت، ولا طففوا الكيل إلا منعوا النبات وأُخذوا بالسنين، ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر»[١].

(٢) ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ أي إذا اكتالوا من الناس حقوقهم يأخذونها وافية، وإنما أبدل على بمن للدلالة على أن اكتيالهم لما لهم على الناس، أو اكتيال يتحامل فيه عليهم.

(٣) ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ﴾ أي إذا كالوا الناس أو وزنوا لهم. ﴿يُخْسِرُونَ﴾ فحذف الجار وأوصل الفعل كقوله: وَلَقَدْ جَنَيْتُكَ أَكمؤاً وَعَساقلا[٢].

بمعنى جنيت لك، أو كالوا مكيلهم فحذف المضاف وأقيم المضاف مقامه، ولا يحسن جعل المنفصل تأكيداً للمتصل فإنه يخرج الكلام عن مقابلة ما قبله إذ المقصود بيان اختلاف حالهم في الأخذ والدفع لا في المباشرة وعدمها، ويستدعي إثبات الألف بعد الواو كما هو خط المصحف في نظائره.

(٤) ﴿أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ﴾ فإن من ظن ذلك لم يتجاسر على أمثال هذه القبائح، فكيف بمن تيقنه؟ وفيه إنكار وتعجيب من حالهم.

(٥) ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ عظّمه لعظم ما يكون فيه.

(٦) ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ﴾ نُصب بمبعوثين أو بدلَ من الجار والمجرور، ويؤيده القراءة بالجر ﴿لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ لحكمه. وفي هذا الإنكارِ والتعجيبِ وذكرِ الظن ووصفِ اليوم بالعِظم وقيامِ الناس فيه للهِ والتعبيرِ عنه بربِّ العالمين مبالغاتٌ في المنعِ عن التطفيف وتعظيمُ إثمِه.

(٧) ﴿كَلَّآ﴾ ردعٌ عن التطفيف والغفلةِ عن البعثِ والحسابِ. ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ﴾ ما يُكْتَبُ من أعمالهم أو كتابةُ أعمالهم. ﴿لَفِى سِجِّينٍ﴾ كتابٌ جامعٌ لأعمال الفجرةِ من الثَّقلينِ كما قال:

(٨) ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ﴾.

(٩) ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾ أي مسطورٌ بين الكتابةِ أو معلَّمٌ يعلَمُ مَنْ رآه أنه لا خيرَ فيه، فعيلٌ من السجنِ لُقِّبَ به الكتابُ لأنه سببُ الحبسِ، أو لأنه مطروحٌ كما قيل: تحتَ الأرضينَ في مكانٍ وحشٍ، وقيل

---

(١) وهو حديث حسن بشواهده.
● أخرجه الحاكم (٢/ ١٢٦) من حديث بريده. وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (١/ ٣٢٠).
● وأخرجه الحاكم (٤/ ٥٤٠) وابن ماجة (٢/ ١٣٣٢ رقم ٤٠١٩) من حديث عبدالله بن عمر. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.
● وأخرجه الطبراني في الكبير (١١/ ٤٥ رقم ١٠٩٩٢) من حديث ابن عباس.
وأورده الهيثمي في «المجمع» (٣/ ٦٥) وقال: «فيه إسحاق بن عبدالله بن كيسان المروزي لينه الحاكم، وبقية رجاله موثقون وفيهم كلام» هـ.
والخلاصة أن الحديث يرتقي إلى درجة الحسن والله أعلم.

(٢) من الكامل.

هو اسمُ مكان والتقديرُ ما كتابُ السجين، أو محلُّ كتابٍ مرقوم فحذفَ المضافَ.

وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾

(١٠) ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ بالحقِّ أو بذلك.

(١١) ﴿الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ صفةٌ مخصِّصة أو موضِّحةٌ أو ذامَّةٌ.

(١٢) ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ﴾ متجاوزٍ عن النظر غالٍ في التقليدِ حتى استقصرَ قدرةَ الله تعالى وعِلْمَه فاستحالَ منه الإعادةُ. ﴿أَثِيمٍ﴾ منهمكٍ في الشهواتِ المخدجة[1] بحيث أشغلَتْه عما وراءَها وحملتْه على الإتقانِ لما عداهُ.

(١٣) ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ من فَرْطِ جهلِه وإعراضِه عن الحقِّ فلا تنفعه شواهدُ النقلِ كما لم تنفعْه دلائلُ العقلِ.

(١٤) ﴿كَلَّا﴾ ردعٌ عن هذا القولِ. ﴿بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ردٌّ لما قالوه وبيانٌ لما أدى بهم إلى هذا القولِ، بأنْ غلبَ عليهم حبُّ المعاصي بالانهماكِ فيها حتى صارَ ذلك صدأً على قلوبهم فعمَّى عليهم معرفةَ الحقِّ والباطلِ، فإنَّ كثرةَ الأفعال سببٌ لحصولِ الملكاتِ كما قال عليه الصلاة والسلام: «إنَّ العبدَ كلما أذنبَ ذنباً حصلَ في قلبه نكتةٌ سوداءُ حتى يسودَّ قلبُه»[2] والرَّيْنُ الصدأُ، وقرأ حفصٌ بلْ رانَ بإظهارِ اللامِ.

(١٥) ﴿كَلَّا﴾ ردعٌ عن الكسبِ الرائنِ. ﴿إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ فلا يرونَه بخلافِ المؤمنينَ. ومن أنكرَ الرؤيةَ جعلَه تمثيلاً لإهانتِهم بإهانة من يُمْنَعُ عن الدخولِ على الملوك، أو قدَّر مضافاً مثلَ رحمةِ ربِّهم. أو قربِ ربِّهم.

(١٦) ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾ ليدخلونَ النارَ ويصْلَون بها.

---

(١) الشهوات المخدجة أي الناقصة ويراد بها شهوات الدنيا. والخداج النقص، وفي الحديث: «كل صلاة لا يقرأ فيها بأم الكتاب فهي خداج» أي نقصان (مختار الصحاح مادة خدج).

(٢) وهو حديث حسن.
أخرجه أحمد في المسند (٢/٢٩٧) والترمذي (٥/٤٣٤ رقم ٣٣٤٥) وابن ماجة (٢/١٤١٨ رقم ٤٢٤٤) وابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ج٣٠/٩٨) والحاكم (٢/٥١٧) والنسائي في عمل اليوم والليلة (رقم: ٤١٨) وابن حبان في الإحسان (٣/٢١٠ رقم ٩٣٠) من حديث أبي هريرة.
قال الترمذي: حديث حسن صحيح.
وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي. وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾

(١٧) ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ تقوله لهم الزبانيةُ.

(١٨) ﴿كَلَّآ﴾ تكرير ليعقبَ بوعدِ الأبرارِ كما عقَّب الأولَ بوعيدِ الفجارِ إشعاراً بأنَّ التطفيفَ فجورٌ والإيفاءَ برٌّ، أو ردعٌ عن التكذيب. ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾.

(١٩) ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾.

(٢٠) ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾ الكلامُ فيه ما مرَّ في نظيره[1].

(٢١) ﴿يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ يحضرونه فيحفظُونه، أو يشهدون على ما فيه يومَ القيامة.

(٢٢) ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾.

(٢٣) ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ على الأسرَّةِ في الحِجَالِ. ﴿يَنظُرُونَ﴾ إلى ما يسرُّه من النعمِ والمتفرّجاتِ.

(٢٤) ﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾ بهجةَ التنعمِ وبريقَه، وقرأ يعقوب تُعْرَفُ على البناءِ للمفعولِ ونضرةُ بالرفعِ.

(٢٥) ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ﴾ شرابٍ خالصٍ. ﴿مَّخْتُومٍ﴾.

(٢٦) ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾ أي مختومٌ أوانيه بالمسكِ مكانَ الطينِ، ولعلَّه تمثيلٌ لنفاسَتِه، أو الذي له ختامٌ أي مقطعٌ هو رائحةُ المسكِ، وقرأ الكسائيُّ خاتَمهُ بفتح التاءِ أي ما يُخْتَمُ به ويُقْطَعُ. ﴿وَفِى ذَٰلِكَ﴾ يعني الرحيقَ أو النعيمَ. ﴿فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ فليرتَغِبِ المرتغبونَ.

(٢٧) ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ﴾ عَلَمٌ لعينٍ بعينها سُمِّيَتْ تسنيماً لارتفاعِ مكانِها أو رفعةِ شرابها.

(٢٨) ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ فإنَّهم يشربونها صِرْفاً لأنهم لم يشتغلوا بغير الله، وتُمْزَجُ لسائرِ أهلِ الجنةِ، وانتصابُ عيناً على المدحِ أو الحالِ من تسنيمٍ والكلامُ في الباءِ كما في ﴿يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾[2].

(٢٩) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟﴾ يعني رؤساءَ قريش. ﴿كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ﴾ كانوا يستهزئون بفقراءِ المؤمنين.

---

(١) الآية «٩» من سورة المطففين.

(٢) الآية «٦» من سورة الإنسان.
والباء فيها إما مزيدة أو بمعنى من.

وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

(٣٠) ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ يغمزُ بعضُهم بعضاً ويشيرون بأعينهم.

(٣١) ﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ﴾ متلذذينَ بالسخريةِ منهم، وقرأ حفص فَكِهِيْنَ.

(٣٢) ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ﴾ وإذا رأوا المؤمنينَ نسبوهم إلى الضلال.

(٣٣) ﴿وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ﴾ على المؤمنين. ﴿حَٰفِظِينَ﴾ يحفظون عليهم أعمالَهم ويشهدون برشْدِهم وضلالهم.

(٣٤) ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ حين يرونَهم أذلاَّءَ مغلوبينَ في النار. وقيل يُفْتَحُ لهم بابٌ إلى الجنة فيقال لهم اخرُجوا إليها، فإذا وصلُوا أُغْلِقَ دونَهم فيضحكُ المؤمنون منهم.

(٣٥) ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ حالٌ من يضحكونَ.

(٣٦) ﴿هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ﴾ أي هل أُثِيبُوا. ﴿مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ وقرأ حمزة والكسائيُّ بإدغام اللامِ في الثاء.

عن النبيِّ ﷺ «من قرأ سورةَ المطففينَ سقاه الله من الرحيقِ المختومِ يومَ القيامة»[1].

☆ ☆ ☆

(١) وهو حديث موضوع.
أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي عن أبي بن كعب كما في «الكافي الشافِ» (ص١٨٣ رقم ٢٩٠).
وقد تقدم الكلام عليه في آخر سورة آل عمران.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾

سورة الانشقاق مكية[1] وآيها خمس وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ بالغمام كقوله تعالى ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ﴾[2] وعن علي[3] رضي الله تعالى عنه: تنشق من المجرة.

(٢) ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ واستمعت له أي انقادت لتأثير قدرته حين أراد انشقاقها انقياد المطواع الذي يأذن للآمر ويذعن[4] له. ﴿وَحُقَّتْ﴾ وجعلت حقيقة بالاستماع والانقياد. يقال: حق بكذا فهو محقوق وحقيق.

(٣) ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ بسطت بأن تزال جبالها وآكامها.

(٤) ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾ ما في جوفها من الكنوز والأموات ﴿وَتَخَلَّتْ﴾ وتكلّفت في الخلوّ أقصى جهدِها حتى لم يبقَ شيء في باطنها.

---

(١) قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٦/ ٢٦٠): «وهي مكية بلا خلاف بين المتأولين».
(٢) الفرقان: «٢٥».
(٣) ذكره الماوردي في تفسيره (٦/ ٢٣٣) عنه بدون سند.
(٤) والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إليها للإشعار بعلة الحكم (س٩/ ١٣١).

(٥) ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ في الإلقاءِ والتخلي. ﴿وَحُقَّتْ﴾ للإذنِ. وتكريرُ إذا لاستقلال كلٌّ من الجملتين بنوعٍ من القدرةِ، وجوابه محذوفٌ للتهويل بالإبهام أو الاكتفاءِ بما مرَّ في سورتي التكوير والانفطار أو لدلالةِ قوله:

(٦) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ﴾ عليه وتقديرُه لاقَى الإنسانُ كدْحَه أي جهداً يؤثرُ فيه من كَدَحَهُ إذا خَدَشَهُ، أو فملاقيه ويا أيها الإنسان إنك كادحٌ إلى ربك اعتراضٌ، والكدحُ إليه السعيُ إلى لقاء جزائِه.

(٧) ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾.

(٨) ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ سهلاً لا يُنَاقَشُ فيه.

وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾

(٩) ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾ إلى عشيرته المؤمنين، أو فريقِ المؤمنين، أو أهله في الجنةِ من الحورِ.

(١٠) ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾ أي يُؤْتَى كتابَه بشمالِه من وراء ظهرِه. قيل تُغَلُّ يُمْنَاهُ إلى عُنُقِه وتُجْعَلُ يسراهُ وراءَ ظهرِه.

(١١) ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا﴾ يتمنَّى الثُّبورَ ويقول يا ثبوراهُ وهو الهلاكُ.

(١٢) ﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ وقرأ الحجازيانِ والشاميُّ ويُصَلَّىٰ لقوله تعالى ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾[1] وقرىء ويُصْلىٰ لقوله تعالى ﴿وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ﴾[2].

(١٣) ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ﴾ أي في الدنيا. ﴿مَسْرُورًا﴾ بطِراً بالمالِ والجاهِ فارغاً عن الآخرة.

(١٤) ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ لن يرجعَ إلى الله تعالى.

(١٥) ﴿بَلَىٰٓ﴾ إيجابٌ لما بعدَ لن. ﴿إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا﴾ عالماً بأعماله فلا يهملُه بل يرجِعُه ويجازيه.

(١٦) ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ﴾ الحمرةِ التي تُرَى في أُفُقِ المغربِ بعدَ الغروب. وعن أبي حنيفةَ رحمه الله تعالى: أنه البياضُ الذي يليها، سُمِّي به لرقَّته من الشفقةِ.

(١٧) ﴿وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ وما جَمَعَهُ وسَتَرَهُ من الدوابِّ وغيرها يُقَالُ: وسقَه فاتَّسق واستوسقَ، قال:

---

(١) الواقعة: «٩٤».

(٢) النساء: «١١٥».

مُسْتَوْسِقَاتٍ لَوْ يَجِدْنَ سَائِقاً، أو طَرَدَه إلى أماكنِه من الوسيقةِ.

وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾

(١٨) ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾ اجتمعَ وتمَّ بدْراً.

(١٩) ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ حالاً بعدَ حالٍ مطابقةً لأختِها في الشدةِ، وهو لما طابقَ غيرَه فقيلَ للحال المطابقةُ، أو مراتبَ من الشدةِ بعدَ المراتب هي الموتُ ومواطنُ القيامة وأهوالُها، أو هي وما قبلَها من الدواهي على أنه جمع طبقةٍ. وقرأ ابنُ كثير وحمزة والكسائيُّ لتركَبَنَّ بالفتحِ على خطابِ الإنسان باعتبارِ اللفظ، أو الرسولِ عليه الصلاة والسلام على معنى لتركبنَّ حالاً شريفةً ومرتبةً عاليةً بعدَ حالٍ ومرتبةٍ، أو طَبَقاً من أطباقِ السماء بعدَ طبق ليلةَ المعراج وبالكسرِ على خطابِ النفس، وبالياءِ على الغيبة، وعن طبقٍ صفةٌ لطبقاً أو حالٌ من الضمير بمعنى مجاوزِ الطبقِ أو مجاوزينَ له.

(٢٠) ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بيومِ القيامة.

(٢١) ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩﴾ لا يخضَعون أو لا يسجدون لتلاوته. لما رُوِيَ أنه عليه الصلاة والسلام قرأ ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩﴾[1] فسجدَ بمن معه من المؤمنينَ وقريشٌ تصفقُ فوقَ رؤوسهم، فنزلتْ[2]. واحتجَّ به أبو حنيفة على وجوب السجودِ فإنه ذمٌّ لمن سمعَه ولم يسجدْ. وعن أبي هريرةَ رضيَ الله تعالى عنه أنه سجدَ فيها وقال: واللهِ ما سجدتُ فيها إلا بعدَ أنْ رأيتُ رسولَ الله ﷺ يسجدُ فيها[3].

(٢٢) ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ﴾ أي بالقرآنِ.

(٢٣) ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ بما يضمِرون في صدورهم من الكفرِ والعداوةِ.

(٢٤) ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ استهزاءً بهم.

(٢٥) ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ استثناءٌ منقطعٌ أو متصلٌ، والمرادُ مَنْ تاب وآمنَ منهم. ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ مقطوعٍ أو ممنونٍ به عليهم. وعن النبيِّ ﷺ «مَنْ قرأ سورةَ الانشقاقِ أعاذه الله أنْ يعطيه كتابَه وراءَ ظهْرِه»[4].

---

(١) العلق: «١٩».

(٢) قال ابن حجر في «الكافي الشافِ» (ص١٨٣ رقم ٢٩٣): لم أجده.

(٣) أخرجه البخاري (٢/٥٥٩ رقم ١٠٧٨) ومسلم (١/٤٠٧ رقم ٥٧٨) عنه بمعناه.

(٤) وهو حديث موضوع.
أخرجه الثعلبي، وابن مردويه والواحدي عن أبي بن كعب.
كما في «الكافي الشافِ» (ص١٨٣ رقم ٢٩٤).
وقد تقدم الكلام عليه في أواخر سورة آل عمران.

سُورَةُ البُرُوجِ

ترتيبها ٨٥ آياتها ٢٢

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾

سورة البروج مكية[1] وآيها اثنتان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾ يعني البروجَ الاثني عشرَ شبِّهتْ بالقصور لأنها تنزلها السياراتُ وتكون فيها الثوابتُ، أو منازلَ القمرِ أو عظامَ الكواكبِ سمِّيتْ بروجاً لظهورِها، أو أبوابَ السماء فإنَّ النوازلَ تخرجُ منها، وأصلُ التركيب للظهورِ.

(٢) ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ﴾ يومِ القيامةِ.

(٣) ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ ومَنْ يشهدُ في ذلك اليوم من الخلائقِ وما أُحْضِرَ فيه من العجائب، وتنكيرهُما للإبهام في الوصفِ أي وشاهدٍ ومشهودٍ لا يُكْتَنَهُ وصفُهما، أو المبالغةِ في الكثرة كأنه قيل: ما أفرطت كثرتُه من شاهد ومشهود، أو النبيُّ عليه الصلاة والسلام وأُمَّتُه، أو أمَّتُه وسائرَ الأمم، أو كلُّ نبيٍّ وأمَّتَهُ، أو الخالِقُ والخلْقُ، أو عكسه فإنَّ الخالقَ مطَّلِعٌ على خلْقِه وهو شاهدٌ على وجوده، أو المَلَكُ الحفيظُ والمكلَّفُ، أو يومُ النحرِ، أو عرفةُ والحجيجُ، أو يومُ الجمعة والجمْعُ فإنه يشهدُ له أو كلُّ يومٍ وأهلَه.

---

(١) قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٦/٢٦٧): «وهي مكية بإجماع من المتأولين لا خلاف في ذلك».

(٤) ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ قيل إنه جوابُ القسم على تقدير لقدْ قُتِلَ، والأظهرُ أنه دليلُ جوابٍ محذوف كأنه قيل إنهم ملعونون يعني كفارَ مكَّة كما لَعَنَ أصحابَ الأخدودِ، فإنَّ السورةَ وردتْ لتثبيتِ المؤمنين على أذاهم وتذكيرهم بما جرى على مَنْ قبلَهم، والأخدودُ الخدُّ وهو الشقُّ في الأرض ونحوُهما بناءً ومعنىً. الحقُّ والأُحقوقُ. روي مرفوعاً: أن مِلِكاً كان له ساحر فلما كبرُ ضمَّ إليه غلاماً ليعلِّمه، وكان في طريقه راهبٌ فمال قلبُه إليه، فرأى في طريقه ذاتَ يوم حيةً قد حبستِ الناسَ فأخذ حجراً وقال: اللَّهمَّ إن كان الراهبُ أحبَّ إليه من الساحرِ فاقتلْها فقتلَها، وكان الغلام بَعْدُ يبرىءُ الأكمهَ والأبرصَ ويشفي من الأدواءِ، وعميَ جليسُ الملِك فأبرأَه، فسأله الملكَ عمَّن أبرأه فقال ربي فغضبَ فعذَّبه فدلَّ على الغلام فعذَّبه، فدلَّ على الراهبِ فقدَّه بالمنشارِ، وأرسل الغلامَ إلى جبلٍ ليُطْرَحَ من ذُرْوَتِه، فدَعا فرجفَ بالقوم فهلكوا ونَجَا، وأجلسَه في سفينة ليغرقَ فدعا فانكفأَتِ السفينةُ بمن معه فغرقوا ونَجَا، فقال للملِك لستَ بقاتلي حتى تجمعَ الناسَ وتصلُبَني وتأخذَ سهماً من كنانتي وتقول: بسم اللهِ ربِّ هذا الغلام، ثم ترميني به فرماه فوقعَ في صدغه فماتَ، فآمن الناسُ بربِّ الغلام، فأمر بأخاديدَ وأوقدتْ فيها النيرانُ، فمن لم يرجعْ منهم طرحَه فيها حتى جاءتِ امرأةٌ معها صبيٌّ فتقاعستْ فقال الصبيُّ: يا أماه اصبري فإنكِ على الحقِّ فاقتحمتْ[1]. وعن علي رضي الله تعالى عنه: كان بعضُ ملوك المجوسِ خطبَ الناسَ وقال: إن الله أحلَّ نكاح الأخواتِ فلم يقبلُوه، فأمر بأخاديدِ النارِ فطَرَحَ فيها مَنْ أبى[2]. وقيل لما تنصَّر نجرانُ غزاهم ذو نواسٍ اليهوديُّ من حِمْيَرَ فأحرقَ في الأخاديدِ مَنْ لم يرتدَّ.

(٥) ﴿ٱلنَّارِ﴾ بدلٌ من الأخدود بدلَ الاشتمالِ. ﴿ذَاتِ ٱلْوَقُودِ﴾ صفةٌ لها بالعظمة وكثرةِ ما يرتفعُ به لهبُها، واللامُ في الوقود للجنسِ.

(٦) ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا﴾ على حافةِ النار. ﴿قُعُودٌ﴾ قاعدون.

(٧) ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ يشهدُ بعضُهم لبعضٍ عند الملك بأنهم لم يقصِّروا فيما أُمِرُوا به، أو يشهدون على ما يفعلون يومَ القيامة حين تشهدُ عليهم ألسنتُهم وأيديهم.

(٨) ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾ وما أنكروا. ﴿إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ استثناءٌ على طريقة قولِه:

وَلاَ عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الكَتَائِبِ

ووصْفُه بكونه عزيزاً غالباً يُخْشَى عقابُه حميداً منعِماً يُرْجَى ثوابُه وقرَّر ذلك بقوله:

(٩) ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ للإشعارِ بما يستحقُّ أنْ يُؤْمَنَ به ويُعْبَدَ.

(١٠) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ بَلَوْهُم بالأذى. ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ بكفرهم. ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ العذابُ الزائدُ في الإحراق بفتنتهم. بلِ المرادُ بالذين فتنوا أصحابَ الأخدودِ وبعذابِ الحريق ما روي أنَّ النارَ انقلبتْ عليهم فأحرقَتْهم.

---

(١) أخرجه مسلم (٤/٢٢٩٩ رقم ٣٠٠٥) عن صهيب.

(٢) أخرجه ابن جرير (١٥/ج٣٠/١٣٢).

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرۡعَوۡنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٖ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ﴿٢٠﴾ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ﴿٢١﴾ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ﴿٢٢﴾

(١١) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ﴾ إذِ الدنيا وما فيها تصغُر دونه[1].

(١٢) ﴿إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ مضاعَفٌ عنفُه فإنَّ البطشَ أخذٌ بعنفٍ.

(١٣) ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ﴾ يبدئُ الخلقَ ويعيده، أو يبدىء البطشَ بالكفرةِ في الدنيا ويعيدُه في الآخرة.

(١٤) ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ﴾ لمن تابَ. ﴿ٱلۡوَدُودُ﴾ المحبُّ لمن أطاعَ.

(١٥) ﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ﴾ خالقُه، وقيل المراد بالعرشِ الملْكُ، وقرىء ذي العرش صفةٌ لربِّك. ﴿ٱلۡمَجِيدُ﴾ العظيمُ في ذاته وصفاته، فإنه واجبُ الوجود تامُّ القدرةِ والحكمةِ، وجرَّه حمزةُ والكسائي صفةً لربِّك، أو للعرشِ، ومجدُه علوُّه وعظمتُه.

(١٦) ﴿فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ﴾ لا يمتنعُ عليه مرادٌ من أفعاله وأفعالِ غيرِه.

(١٧) ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ﴾.

(١٨) ﴿فِرۡعَوۡنَ وَثَمُودَ﴾ أبدلَهما من الجنودِ لأن المرادَ بفرعونَ هو وقومُه، والمعنى قد عرفت تكذيبهم للرسلِ وما حاقَ بهم فتسلَّ واصبرْ على تكذيب قومِك وحذِّرهم مثلَ ما أصابَهم.

(١٩) ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٖ﴾ لا يَرْعَوُوْنَ عنه، ومعنى الإضرابِ أنَّ حالَهم أعجبُ من حالِ هؤلاء فإنهم سمعوا قصَّتَهم ورأوا آثارَ هلاكِهم وكذَّبوا أشدَّ من تكذيبهم.

(٢٠) ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ﴾ لا يفوتونه كما لا يفوتُ المحاطُ المحيطَ.

(٢١) ﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ﴾ بل هذا الذي كذَّبوا به كتابٌ شريف وحيدٌ في النظم والمعنى، وقرىء قرآنُ مجيدٍ بالإضافةِ أي قرآنُ ربٍّ مجيدٍ.

---

(١) التذكير في «ذلك» للإشعار بأن مدار الحكم عنوانها الذي يتنافس فيها المتنافسون، فإن اسم الإشارة متعرض لذات المشار إليه من حيث اتصافه بأوصافه المذكورة، لا لذاته فقط كما هو شأن الضمير فإذا أشير إلى الجنات من حيث ذكرها فقد اعتبر معها عنوانها المذكور حتماً.
وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو درجته وبعد منزلته في الفضل والشرف (س٩/١٣٨).

(٢٢) ﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ من التحريفِ، وقرأ نافع محفوظٌ بالرفع صفةٌ للقرآن، وقرىء في لوح وهو الهواءُ يعني ما فوقَ السماء السابعة الذي فيه اللوحُ. عن النبيِّ ﷺ «من قرأ سورةَ البروج أعطاه الله بعددِ كل جمعةٍ وعَرَفَةٍ تكون في الدنيا عشرَ حسناتٍ»[1].

☆ ☆ ☆

(١) وهو حديث موضوع.
أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي عن أبي بن كعب.
كما في «الكافي الشافِ» (ص١٨٣ رقم ٣٠٠).
وقد تقدم الكلام عليه في آخر سورة آل عمران.

سُورَةُ الطَّارِقِ

ترتيبها ٨٦ آياتها ١٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾

سورة الطارق مكية[1] وآيها سبع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ والكوكبِ البادي بالليلِ وهو في الأصل لسالكِ الطريق، واختصَّ عُرْفاً بالآتي ليلاً ثم استُعْمِل للبادي فيه.

(٢) ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾.

(٣) ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ المضيءُ كأنه يثقبُ الظلامَ بضوئه فينفذُ فيه أو الأفلاكَ، والمرادُ الجِنسُ أو معهودٌ بالثقبِ وهو زُحَلُ عبَّر عنه أولاً بوصفٍ عام ثم فسَّره بما يخصُّه تفخيماً لشأنه.

(٤) ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا﴾ أي إنَّ الشأنُ كلُّ نفس لَعَلَيْهَا. ﴿حَافِظٌ﴾ رقيبٌ فإنْ هي المخففةُ واللامُ الفاصلةُ وما مزيدةٌ. وقرأ ابنُ عامر وعاصمٌ وحمزةُ لما على أنها بمعنى الأوانِ نافيةٌ، والجملةُ على الوجهين جوابُ القسم.

(٥) ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ لما ذَكَرَ أنَّ كلَّ نفس عليها حافظٌ أتبعه توصيةَ الإنسان بالنظرِ في

---

(١) قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٦/ ٢٧٤): «وهي مكية لا خلاف بين المفسرين في ذلك» هـ.

مبدئه ليعلمَ صحةَ إعادته فلا يملي على حافظِه إلا ما يسرُّه في عاقبتِه.

(٦) ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ جوابُ الاستفهام وماءٌ دافقٌ بمعنى ذي دفْقٍ، وهو صبٌّ فيه دفعٌ، والمرادُ الممتزِجُ من الماءين في الرحم لقوله:

(٧) ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ من بين صلبِ الرجلِ وترائبِ المرأةِ وهي عظامُ صدرها، ولو صحَّ أن النطفةَ تتولَّد من فضلِ الهضمِ الرابعِ وتنفصلُ عن جميعِ الأعضاءِ حتى تستعدَّ لأنْ يتولَّدَ منها مثلُ تلك الأعضاء، ومقرُّها عروقٌ ملتفٌّ بعضُها بالبعض عند البيضتينِ، فلا شكَّ أن الدماغ أعظمَ الأعضاء معونةً في توليدها، ولذلك تشبهُهُ، ويسرعُ الإفراطُ في الجماعِ بالضعفِ فيه وله خليفةٌ وهو النخاعُ! وهو في الصلبِ وشعبٌ كثيرة نازلةٌ إلى الترائب، وهما أقربُ إلى أوعية المنيِّ فلذلك خُصَّا بالذِّكْرِ. وقرىء الصَلَبُ بفتحينِ والصُّلُبُ بضمتينِ وفيه لغةٌ رابعة وهي صالبٌ.

(٨) ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ﴾ والضميرُ للخالقِ ويدلُّ عليه خلقَ.

(٩) ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ تتعرفُ ويميزُ بينَ ما طابَ من الضمائر وما خفيَ من الأعمال وما خبُثَ منها، وهو ظرف لرجْعِه.

(١٠) ﴿فَمَا لَهُۥ﴾ فما للإنسان. ﴿مِن قُوَّةٍ﴾ من مَنَعَةٍ في نفسه يمتنعُ بها. ﴿وَلَا نَاصِرٍ﴾ يمنعه.

(١١) ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ﴾ ترجعُ في كلِّ دورة إلى الموضعِ الذي تتحرَّك عنه، وقيل الرجعُ المطرُ سُمِّيَ به كما سُمِّيَ أوْباً لأنَّ الله يرجِعُه وقتاً فوقتاً، أو لما قيل من أنَّ السحابَ يحمِلُ الماءَ من البحارِ ثم يرجعهُ إلى الأرض، وعلى هذا يجوز أنْ يُرَادَ بالسماء السحابُ.

(١٢) ﴿وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ﴾ ما تتصدَّع عنه الأرضُ من النبات أو الشقِّ بالنباتِ والعيونِ.

(١٣) ﴿إِنَّهُۥ﴾ إنَّ القرآنَ. ﴿لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ فاصلٌ بين الحق والباطلِ.

(١٤) ﴿وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ﴾ فإنه جِدٌّ كلُّه.

(١٥) ﴿إِنَّهُمْ﴾ يعني أهلَ مكَّةَ. ﴿يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ في إبطالِه وإطفاءِ نورِه.

(١٦) ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ وأقابلُهم بكيدٍ في استدراجي لهم وانتقامي منهم من حيثُ لا يحتسبونَ.

(١٧) ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ فلا تشتغلْ بالانتقامِ منهم، أو لا تستعجلْ بإهلاكِهم. ﴿أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ إمهالاً يسيراً. والتكريرُ وتغييرُ البنيةِ لزيادة التسكينِ. عن النبيِّ ﷺ «مَنْ قرأ سورةَ الطارقِ أعطاه الله بكلِّ نجمٍ في السماء عشرَ حسناتٍ»[1].

☆ ☆ ☆

---

(١) وهو حديث موضوع.
أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه عن أبي بن كعب.
كما في «الكافي الشافِ» (ص١٨٣ رقم ٣٠٣).
وقد تقدم الكلام عليه في آخر سورة آل عمران.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَى ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَى ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴿١١﴾

سورة الأعلى مكية[1] وآيها تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ نزِّهِ اسْمَهُ عن إلحادٍ فيه بالتأويلاتِ الزائغةِ وإطلاقِه على غيره زاعماً أنهما فيه سواءٌ وذِكْرِه لاعلى وجهِ التعظيم، وقرىء سبحانَ ربِّيَ الأعلى. وفي الحديث لما نزلتْ ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾[2] قال عليه الصلاة والسلام «اجعلُوها في ركوعِكم»، فلما نزلتْ ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾[3] قال عليه الصلاة والسلام «اجعلوها في سجودِكم»[4] وكانوا يقولون في الركوع

---

(١) قال القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ١٣): «مكية في قول الجمهور. وقال الضحاك: مدنية» هـ.

(٢) الواقعة: «٧٤».

(٣) الأعلى: «١».

(٤) وهو حديث ضعيف.

أخرجه أبو داود (١/ ٥٤٢ رقم ٨٦٩) وابن ماجة (١/ ٢٨٧ رقم ٨٨٧) وأحمد (٤/ ١٥٥) والحاكم (١/ ٢٢٥) و(٢/ ٤٧٧) والبيهقي (٢/ ٨٦) وغيرهم من حديث عقبة بن عامر.

قال الحاكم: صحيح. وقد اتفقا على الاحتجاج برواته غير إياس بن عامر وهو مستقيم الإسناد ورده الذهبي بقوله: إياس ليس بالمعروف ووافقه الألباني في الإرواء (٢/ ٤١).

اللهم لك ركعتُ، وفي السجود اللهم لك سجدتُ.

(٢) ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ خلق كلَّ شيء فسوَّى خلْقه بأنْ جعلَ له ما به يتأتَّى كمالُه ويتمُّ معاشُه.

(٣) ﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ﴾ أي قدَّر أجناسَ الأشياءِ وأنواعَها وأشخاصَها ومقاديرَها وصفاتِها وأفعالَها وآجالَها. ﴿فَهَدَىٰ﴾ فوجَّهَهُ إلى أفعاله طبعاً واختياراً بخلقِ الميولِ والإلهاماتِ ونصْبِ الدلائلِ وإنزالِ الآياتِ.

(٤) ﴿وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ﴾ أنبتَ ما ترعاه الدوابُّ.

(٥) ﴿فَجَعَلَهُۥ﴾ بعد خضرته. ﴿غُثَآءً أَحْوَىٰ﴾ يابساً أسودَ. وقيل أحوى حالٌ من المرعَى أي أخرجَه أحْوى أي أسودَ من شدةِ خُضْرَتِه.

(٦) ﴿سَنُقْرِئُكَ﴾ على لسانِ جبريلَ عليه الصلاة والسلام، أو سنجعلُك قارئاً بإلهام القراءةِ ﴿فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ أصلاً من قوة الحفظِ مع أنك أميٌّ ليكون ذلك آيةً أخرى لك مع أنَّ الإخباريةَ عما يُسْتَقْبَلُ ووقوعُه كذلك أيضاً من الآياتِ، وقيل نهيٌ والألفُ للفاصلةِ كقوله السبيلا.

(٧) ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ نسيانَه بأنْ نسخَ تلاوتَه، وقيل أراد به القلةَ والنُّدْرَةَ. لما روي أنه عليه الصلاة والسلام أسقطَ آيةً في قراءته في الصلاة فحسبَ أُبَيٌّ أنها نُسِخَتْ فسأله فقال: «نسيتُها»[1]. أو نفيٌ النسيانِ رأساً فإنَّ القلَّة تُسْتَعْمَلُ للنفي. ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾ ما ظهرَ من أحوالكم وما بطنَ، أو جهْرَك بالقراءةِ مع جبريلَ عليه الصلاة والسلام وما دعاك إليه من مخافةِ النسيانِ فيعلمُ ما فيه صلاحُكم من إبقاء وإنساءِ.

(٨) ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾ ونعِدُّك للطريقة اليُسرى في حفظِ الوحي، أو التدينِ ونوفِّقُك لها. ولهذه النكتةِ قال نيسرك لا نيسِّرُ لك عطفٌ على سنقرئك، وإنه يعلمُ اعتراضٌ[2].

(٩) ﴿فَذَكِّرْ﴾ بعدَ ما استتبَّ لك الأمرُ. ﴿إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ لعلَّ هذه الشرطيةَ إنما جاءت بعد تكرير التذكيرِ وحصولِ اليأسِ من البعضِ لئلا يتعِبَ نفسَه ويتلهَّفَ عليهم كقوله: «وما أنت عليهم بجبارٍ» الآيةَ، أو لذمِّ المذكورين واستبعادِ تأثير الذكرى فيهم، أو للإشعار بأنَّ التذكير إنما يجبُ إذا ظُنَّ نفعُه ولذلك أُمِرَ بالإعراض عمَّن تولَّى.

(١٠) ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾ سيتَّعظُ وينتفعُ بها مَنْ يخشى اللهَ تعالى بأنْ يتأمَّلَ فيها فيعلمَ حقيقتَها، وهو يتناولُ العارِفَ والمتردِّدَ.

(١١) ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا﴾ ويتجنَّبُ الذِّكرى. ﴿ٱلْأَشْقَى﴾ الكافرُ فإنه أشقَى من الفاسقِ، أو الأشقَى من الكَفَرة لتوغُّلِه في الكفرِ.

---

(١) أخرجه النسائي في «الكبرى» ـ كما في «التحفة» (٧/ ١٨٨ رقم ٩٦٨٢) ـ عن عبدالرحمن بن أبزى.

(٢) وتعليق التيسير به عليه الصلاة والسلام، مع أن الشائع تعليقه بالأمور المسخرة للفاعل، كما في قوله تعالى «ويسر لي أمري» للإيذان بقوة تمكينه عليه الصلاة والسلام من اليسرى والتصرف فيها بحيث صار ذلك ملكة راسخة له كأنه عليه الصلاة والسلام جُبل عليها (س٩/ ١٤٥).

ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾

(١٢) ﴿ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ نارَ جهنَّم فإنه عليه الصلاة والسلام قال: «ناركم هذه جزءٌ من سبعين جزءاً من نارِ جهنَّم»[1]، أو ما في الدركِ الأسفلِ منها.

(١٣) ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فيستريحُ. ﴿وَلَا يَحْيَىٰ﴾ حياةً تنفعُه.

(١٤) ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ تطهَّر من الكفر والمعصية، أو تكثَّر من التقوى من الزكاة، أو تطهَّر للصلاة أو أدى الزكاةَ.

(١٥) ﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ﴾ بقلبِه ولسانِه ﴿فَصَلَّىٰ﴾ كقوله ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾[2] ويجوزُ أنْ يُرَادَ بالذِّكْرِ تكبيرةُ التحريم، وقيل تزكى تصدَّق للفطرِ وذكر اسمَ ربِّه كبَّره يومَ العيدِ فصلَّى صلاته.

(١٦) ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ فلا تفعلون ما يسعدُكم في الآخرة، والخطابُ للأشقينَ على الالتفاتِ أو على إضمار قلْ، أو للكلِّ فإنَّ السعيَ للدنيا أكثرُ في الجملةِ، وقرأ أبو عمرو بالياءِ.

(١٧) ﴿وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ فإنَّ نعيمَها ملذٌّ بالذاتِ خالصٌ عن الغوائل لا انقطاعَ له.

(١٨) ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ الإشارةُ إلى ما سبقَ من قد أفلحَ فإنه جامعُ أمرِ الديانةِ وخلاصةُ الكتبِ المنزَّلةِ.

(١٩) ﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ بدلٌ من الصحفِ الأُولى. قال ﷺ «مَنْ قرأَ سورةَ الأعلى أعطاهُ الله عشرَ حسناتٍ بعددِ كلِّ حرفٍ أنزله الله على إبراهيمَ وموسى ومحمدٍ عليهم الصلاةُ والسلام»[3].

☆ ☆ ☆

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) طه: «١٤».

(٣) وهو حديث موضوع.
أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه عن أبي بن كعب.
كما في «الكافي الشافي» (ص١٨٤ رقم ٣١٠).
وقد تقدم الكلام عليه في آخر سورة آل عمران.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾

سورة الغاشية مكية[1] وهي ست وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ﴾ الداهيةُ التي تغشَى الناسَ بشدائدها يعني يومَ القيامة، أو النارُ من قوله تعالى ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾[2].

(٢) ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ﴾ ذليلةٌ.

(٣) ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ تعملُ ما تتعبُ فيه كجرِّ السلاسل وخوضِها في النارِ خوضَ الإبل في الوحْلِ، والصعودُ والهبوطُ في تلالها ووهادِها ما عملتْ، ونَصِبَتْ في أعمالٍ لا تنفعُها يومئذ.

(٤) ﴿تَصْلَىٰ نَارًا﴾ تدخلُها. وقرأ أبو عمرو ويعقوب وأبو بكر تُصلَى من أصلاهُ الله، وقرىء تُصلَّ بالتشديدِ للمبالغة. ﴿حَامِيَةً﴾ متناهيةٌ في الحرِّ.

(٥) ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾ بلغتْ إناها في الحرِّ.

(٦) ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ يَبيسُ الشبرقِ وهو شوكٌ ترعاه الإبلُ ما دام رطْباً، وقيل شجرةٌ

---

(١) قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٦/٢٨٦): «وهي مكية لا خلاف في ذلك بين أهل التأويل».

(٢) إبراهيم: «٥٠».

نارية تشبهُ الضريعَ، ولعله طعامُ هؤلاءِ والزقومُ والغسلينُ طعامُ غيرهم، أو المراد طعامُهم ما تتحاماهُ الإبلُ وتعافُه لضُرِّهِ وعدمِ نفعِه كما قال.

(٧) ﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾ والمقصودُ من الطعام أحدُ الأمرين[١].

(٨) ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ ذاتُ بهجة أو متنعمةٌ[٢].

(٩) ﴿لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾ رضيتْ بعملها لما رأتْ ثوابَهُ.

(١٠) ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ عَلِيَّةِ المحلِّ أوِ القدْرِ.

(١١) ﴿لَّا تَسْمَعُ﴾ يا مخاطَبُ أوِ الوجوهُ، وقرأ على بناءِ المفعولِ بالياءِ ابنُ كثير وأبو عمرو ورويسٌ وبالتاء نافعٌ. ﴿فِيهَا لَاغِيَةً﴾لغواً أو كلمةً ذاتَ لغوٍ أو نفساً تلغُو، فإنَّ كلام أهلِ الجنة الذكرُ والحِكَمُ.

(١٢) ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ يجري ماؤُها ولا ينقطعُ، والتنكيرُ للتعظيم.

فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾

(١٣) ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ رفيعةُ السَّمكِ أو القدْرِ.

(١٤) ﴿وَأَكْوَابٌ﴾ جمعُ كوبٍ وهي آنيةٌ لا عُرْوَةَ لها. ﴿مَّوْضُوعَةٌ﴾ بين أيديهم.

(١٥) ﴿وَنَمَارِقُ﴾ وسائدُ جمعُ نَمْرَقَةٍ بالفتح والضمِّ. ﴿مَصْفُوفَةٌ﴾ بعضُها إلى بعض.

(١٦) ﴿وَزَرَابِيُّ﴾ بُسُطٌ فاخرٌ جمعُ زربيةٍ. ﴿مَبْثُوثَةٌ﴾ مبسوطةٌ.

(١٧) ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ﴾ نظرَ اعتبار. ﴿إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ خلْقاً دالاً على كمال قدرته وحسنِ تدبيره حيثُ خلقَها لجرِّ الأثقال إلى البلاد النائيةِ، فجعلها عظيمةً باركةً للمحلِّ ناهضةً بالحِمْل منقادةً لمنِ اقتادَها طِوالَ الأعناقِ لينوءَ بالأوقارِ، ترعَى كلَّ نابتٍ وتحتملُ العطشَ إلى عشرٍ فصاعداً ليتأتَّى لها قطعُ البوادي والمفاوزِ، مع ما لَها من منافعَ أخرى ولذلك خُصَّتْ بالذِّكْرِ لبيان الآياتِ المنبثة في الحيوانات التي هي أشرفُ المركباتِ وأكثرُها صنعاً، ولأنها أعجبُ ما عند العرب من هذا النوعِ. وقيل المرادُ بها السحابُ على الاستعارة.

(١٨) ﴿وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ بلا عَمَدٍ.

(١٩) ﴿وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ فهي راسخةٌ لا تميل.

---

(١) تنكير الجوع للتحقير، أو لا يغني من جوع ما (س٩/ ١٤٩).

(٢) شروع في رواية حديث أهل الجنة.
وتقديمُ حكاية حال أهل النار لأنه أدخل في تهويل الغاشية وتفخيم حديثها، ولأن حكاية حسن حال أهل الجنة بعد حكاية سوء حال أهل النار مما يزيد المحكي حسناً وبهجة (س٩/ ١٥٠).

وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾

(٢٠) ﴿وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ بُسِطَتْ حتى صارتْ مهاداً، وقرىء الأفعالُ الأربعةُ على بناء الفاعلِ للمتكلِّم وحذفِ الراجعِ المنصوب، والمعنى أفلا ينظرون إلى أنواعِ المخلوقاتِ من البسائط والمركباتِ ليتحققوا كمالَ قدرةِ الخالقِ سبحانه وتعالى، فلا ينكروا اقتدارَه على البعثِ ولذلك عقَّب به أمرَ المعادِ ورتَّب عليه الأمرَ بالتذكير فقال:

(٢١) ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ فلا عليكَ إن لم ينظروا ولم يذكروا إذ ما عليك إلا البلاغُ.

(٢٢) ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ بمتسلِّطٍ، وعن الكسائيِّ بالسين على الأصلِ وحمزةَ بالإشمامِ.

(٢٣) ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ﴾ لكنْ مَنْ تولى وكفَر.

(٢٤) ﴿فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ﴾ يعني عذابَ الآخرة. وقيل متصلٌ فإنَّ جهادَ الكفار وقَتْلَهم تسلُّطٌ، وكأنه أوعدهم بالجهاد في الدنيا وعذاب النار في الآخرة، وقيل هو استثناءٌ من قوله فذكِّر أي فذكِّر إلا مَنْ تولى وأصرَّ فاستحقَّ العذابَ الأكبر، وما بينَهما اعتراضٌ ويؤيدُ الأولَ أنه قرىء إلا على التنبيهِ.

(٢٥) ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ﴾ رجوعَهم، وقرىء بالتشديد على أنه فيعالٌ مصدرُ فيعلٍ من الإياب، أو فعَّالٌ من الأَوْبِ قُلِبَتْ واوُه الأولى قلْبَها في ديوانٍ ثم الثانيةُ للإدغام.

(٢٦) ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ في المحشرِ، وتقديمُ الخبر للتخصيصِ والمبالغةِ في الوعيد، عن النبيِّ «من قرأ سورةَ الغاشيةِ حاسبه الله حساباً يسيراً»[1].

☆ ☆ ☆

(١) وهو حديث موضوع.
أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي عن أبي بن كعب.
كما في «الكافي الشافِ» (ص١٨٤ رقم ٣١١).
وقد تقدم الكلام عليه في آخر سورة آل عمران.

سُورَةُ الفَجْرِ

ترتيبها ٨٩ آياتها ٣٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾

سورة الفجر مكية[1] وآيها ثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ﴿وَالْفَجْرِ﴾ أقسمَ بالصبحِ أو فَلَقِهِ كقوله ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾[2] أو بصلاتِهِ.

(٢) ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ عشرِ ذي الحجةِ ولذلك فُسِّرَ الفجرُ بفجرِ عرفةَ، أو النحرِ أو عشرِ رمضانَ الأخيرَ، وتنكيرُها للتعظيم، وقرىء وليالٍ عشرٍ بالإضافةِ على أنَّ المرادَ بالعشرِ الأيامُ.

(٣) ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ والأشياءِ كلِّها شفعِها ووترِها، أوِ الخلقِ لقوله ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾[3] والخالقِ لأنه فردٌ، ومن فسَّرهما بالعناصرِ والأفلاكِ أوِ البروج والسياراتِ أو شفعِ الصلواتِ ووترِها، أو بيومي النحرِ وعرفةَ، وقد روي مرفوعاً[4]، أو بغيرِها فلعلَّه أفردَ بالذكرِ من أنواعِ

---

(١) قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٦/ ٢٩٢): «وهي مكية عند جمهور المفسرين، وحكى أبو عمرو الداني في كتابه المؤلف في تنزيل القرآن عن بعض العلماء أنه قال هي مدنية والأول أشهر وأصح» ١هـ.

(٢) التكوير: «١٨».

(٣) الذاريات: «٤٩».

(٤) أخرجه النسائي في تفسيره (رقم: ٦٩١) وأحمد في المسند (٣/ ٣٢٧) والبزار (٣/ ٨٠ ـ ٨١ رقم ٢٢٨٦ ـ كشف) والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٢٠) وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي. قلتُ: إن سلم من تدليس أبي الزبير، وأما ما رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي الزبير فقد كفانا عن تدليسه، وأما خارج صحيحه فينظر في حديثه. والخلاصة أن الحديث ضعيف. وقد قال ابن كثير في تفسيره (٤/ ٥٤٠) بعد أن عزاه لابن جرير وابن أبي حاتم: «وهذا إسناد رجاله لا بأس بهم، وعندي أن المتن في رفعه نكارة والله أعلم» هـ.

المدلولِ ما رآه أظهرَ دلالةً على التوحيدِ، أو مدخلاً في الدين أو مناسبة لما قبلَهما أو أكثرَ منفعةً موجبة للشكرِ، وقرىء والوِتر بكسر الواوِ وهما لغتانِ كالحِبْر والْحَبْرِ.

(٤) ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ إذا يمضي كقوله ﴿وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾[١] والتقييدُ بذلك لما في التعاقبِ من قوة الدلالةِ على كمال القدرة ووفورِ النعمةِ، أو يسري فيه من قولهم صلَّى المقامَ، وحذفَ الياءَ للاكتفاءِ بالكسرة تخفيفاً، وقد خصَّه نافع وأبو عمرو بالوقفِ لمراعاةِ الفواصلِ ولم يحذفْها ابنُ كثير ويعقوبُ أصلاً، وقرىء يسْرٍ بالتنوينِ المبدلِ من حرفِ الإطلاق.

(٥) ﴿هَلْ فِى ذَٰلِكَ﴾ القسم أو المقسَم به[٢] ﴿قَسَمٌ﴾ حَلِفٌ أو محلوفٌ به. ﴿لِّذِى حِجْرٍ﴾ يعتبره ويؤكدُ به ما يريدُ تحقيقَه، والحِجْرُ العقلُ سمِّي به لأنه يحجرُ عما لا ينبغي كما سُمِّي عملاً ونهيةً وحصاةً من الإحصاءِ، وهو الضبطُ والمقسمُ عليه محذوفٌ وهو ليعذَّبنَّ يدلُّ عليه قولُه:

(٦) ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ يعني أولادَ عادِ بنِ عوصنِ بنِ إرمَ بنِ سامِ بنِ نوحٍ عليه السلام، قومَ هودٍ سُمُّوا باسم أبيهم كما سمِّي بنو هاشم باسمِه.

(٧) ﴿إِرَمَ﴾ عطفُ بيانٍ لعادٍ على تقدير مضافٍ أي سبطِ إرمَ، أو أهلِ إرمَ إنْ صحَّ أنه اسمُ بلدتِهم. وقيل سمِّي أوائلُهم وهم عادٌ الأولى باسمِ جدِّهم، ومُنِعَ صرفُه للعلمية والتأنيثِ. ﴿ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾ ذاتِ البناءِ الرفيع أو القدودِ الطوالِ، أو الرفعةِ والثباتِ. وقيل كان لعادٍ ابنانِ شدّادٌ وشديدٌ فملكا وقَهَرَا، ثم ماتَ شديدٌ فخلَصَ الأمرُ لشدّادٍ وملكَ المعمورةَ ودانتْ له ملوكُها، فسمعَ بذكرِ الجنةِ فبنى على مثالِها في بعضِ صحارى عدنٍ جنةً وسمَّاها إرمَ، فلما تمتْ سارَ إليها بأهله، فلما كان منها على مسيرةِ يوم وليلةٍ بعث الله عليهم صيحةً من السماءِ فهلكوا. وعن عبدالله بن قلابة[٣] أنه خرجَ في طلب إبلِه فوقعَ عليها.

(٨) ﴿ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ﴾ صفةٌ أخرى لإرمَ، والضميرُ لها سواءٌ جعلْتَ إرمَ القبيلةَ أوِ البلدةَ.

(٩) ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ﴾ قطَعوه واتخذُوه منازلَ لقوله ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا﴾[٤] ﴿بِٱلْوَادِ﴾ وادي القُرى.

(١٠) ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ﴾ لكثرةِ جنوده ومضاربِهم التي كانوا يضربونها إذا نزلوا، أو لتعذيبه بالأوتادِ.

(١١) ﴿ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ﴾ صفةٌ للمذكورين عادٍ وثمودَ وفرعونَ، أو ذمٌّ منصوبٌ أو مرفوعٌ.

(١٢) ﴿فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ﴾ بالكفر والظلمِ.

---

(١) المدثر: «٣٣».

(٢) والإشارة إليه بالبعيد «ذلك» للإيذان بعلو رتبة المشار إليه وبعد منزلته في الشرف والفضل (س٩/ ١٥٤).

(٣) أخرجه الثعلبي من طريق عثمان الدارمي، عن عبدالله بن أبي صالح، عن ابن لهيعة، عن خالد بن أبي عمران، عن وهب بن منبه، عن عبدالله بن قلابة، أنه خرج في طلب إبل له شردت فذكره مطولاً ـ كما في «الكافي الشافي» (ص١٨٤ رقم ٣١٣) ـ وقال ابن حجر: «قلت: آثار الوضع عليه لائحة» هـ.

(٤) الشعراء: «١٤٩».

فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾

(١٣) ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ ما خلطَ لهم من أنواع العذابِ، وأصلُه الخلطُ وإنما سمِّي به الجلدُ المضفورُ الذي يُضْرَبُ به لكونه مخلوطَ الطاقاتِ بعضُها ببعض، وقيل شَبَّه بالسوطِ ما أحلَّ بهم في الدنيا إشعاراً بأنه القياسُ إلى ما أعدَّ لهم في الآخرة من العذابِ كالسوطِ إذا قيسَ إلى السيفِ.

(١٤) ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ إلى المكان الذي يُتَرَقَّبُ فيه الرصدُ، مفعالٌ من رصدَه كالميقاتِ من وقَّته، وهو تمثيلٌ لإرصادِه العصاةَ بالعقاب.

(١٥) ﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ﴾ متصلٌ بقوله ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾[1] كأنه قيلَ إنه لبالمرصادِ من الآخرة فلا يريدُ إلا السعيَ لها فأما الإنسانُ فلا يهمُّه إلا الدنيا ولذَّاتُها. ﴿إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ﴾ اختبره بالغنى واليُسرِ. ﴿فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ﴾ بالجاهِ والمالِ. ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ فضَّلني بما أعطاني، وهو خبرُ المبتدأِ الذي هو الإنسان، والفاءُ لما في أما من معنى الشرطِ، والظرفُ المتوسطُ في تقديرِ التأخيرِ كأنه قيل: فأما الإنسانُ فقائلٌ ربي أكرمني وقْتَ ابتلائِه بالإنعامِ، وكذا قوله:

(١٦) ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ إذ التقديرُ وأما الإنسانُ إذا ما ابتلاه أي بالفقرِ والتقتير ليوازنَ قَسِيْمَهُ. ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ لقصورِ نظره وسوءِ فقره، فإنَّ التقتيرَ قد يؤدي إلى كرامةِ الدارين، والتوسعةُ قد تفضي إلى قصدِ الأعداءِ والانهماكِ في حبِّ الدنيا ولذلك ذمَّه على قوليه وردعَه عنه بقوله:

(١٧) ﴿كَلَّا﴾ مع أنَّ قولَه الأولَ مطابقٌ لأكرمَهُ ولم يقلْ فأهانه وقدَرَ عليه كما قال ﴿فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ﴾ لأنَّ التوسعةَ تفضلُ والإخلالُ به لا يكون إهانةً. وقرأ ابن عامر والكوفيونَ أكرمنِ وأهانن بغير ياءٍ في الوصلِ والوقفِ، وعن أبي عمرو مثلُه، ووافقَهم نافعٌ في الوقف، وقرأ ابن عامر فقدَّر بالتشديدِ. ﴿بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾.

(١٨) ﴿وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ أي بل فِعْلُهم أسوأُ من قولهم وأدلُّ على تهالُكِهم بالمال وهو أنهم لا يكرمونَ اليتيمَ بالنفقةِ والمبرَّةِ، ولا يحثُّون أهلَهم على طعامِ المسكينِ فضلاً عن غيرِهم، وقرأ الكوفيون ولا تحاضُّونَ.

(١٩) ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ﴾ الميراثَ وأصلُه وراثٌ. ﴿أَكْلًا لَّمًّا﴾ ذا لمٍّ أي جمعَ بينَ الحلالِ والحرامِ فإنَّهم كانوا لا يورِّثون النساءَ والصبيانَ ويأكلون أنصِباءَهم، أو يأكلون ما جمعَه المورِّثُ من حلالٍ وحرام عالمينَ بذلك.

---

(١) الفجر: «١٤».

وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾

(٢٠) ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ كثيراً مع حرصٍ وشَرَهٍ، وقرأ أبو عمرو وسهلٌ ويعقوب لا يُكرمون إلى ويحبُّون بالياءِ والباقون بالتاءِ.

(٢١) ﴿كَلَّآ﴾ ردعٌ لهم عن ذلك وإنكارٌ لفعلهم وما بعدَه وعيدٌ عليه. ﴿إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ أي دكّاً بعد دكٍّ حتى صارتْ منخفضةَ الجبالِ والتلالِ، أو هباءً منبثاً.

(٢٢) ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ أي ظهرتْ آياتُ قدرتِه وآثارُ قهرِهِ مثلُ ذلك بما يظهرُ عند حضورِ السلطانِ من آثار هيبتِه وسياسته. ﴿وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ بحسبِ منازِلهم ومراتبِهم.

(٢٣) ﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ﴾ كقوله تعالى ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ﴾[1] وفي الحديث: «يؤتى بجهنَّم يومئذ لها سبعون ألفِ زمام مع كلِّ زمام سبعون ألفِ مَلَكٍ يجرُّونها»[2]. ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدلٌ من إذا دُكَّتِ الأرضُ والعاملُ فيهما. ﴿يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ أي يتذكر معاصيه أو يتعظ لأنه يعلمُ قُبْحَها فيندمُ عليها. ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ أي منفعةُ الذكرى لئلا يناقِضُ ما قبلَه، واسْتُدِلَّ به على عدمِ وجوبِ قبولِ التوبةِ، فإنَّ هذا التذكُّرَ توبةٌ غيرُ مقبولةٍ.

(٢٤) ﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾ أي لحياتي هذه، أو وقْتَ حياتي في الدنيا أعمالاً صالحةً، وليس في هذا التمنِّي دلالةٌ على استقلال العبدِ بفعله فإنَّ المحجورَ عن شيء قد يتمنَّى أنْ كان ممكَّناً منه.

(٢٥، ٢٦) ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ۝ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ الهاءُ لله أي لا يتولَّى عذابَ الله ووثاقَه يومَ القيامة سواهُ إذ الأمرُ كلُّه له، أو للإنسان أي لا يعذِّب أحدٌ من الزبانية مثلَ ما يعذِّبونه، وقرأهما الكسائي ويعقوبُ على بناء المفعولِ.

(٢٧) ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ على إرادةِ القول وهي التي اطمأنتْ بذكر الله، فإنَّ النفسَ تترقى في سلسلة الأسبابِ والمسبباتِ إلى الواجب لذاتِه فتستفزُّ دون معرفته وتستغني به عن غيرِهِ، أو إلى الحقِّ بحيث لا يريبها شكٌّ أوِ الآمنةُ التي لا يستفزُّها خوفٌ ولا حزنٌ، وقد قرىء بهما.

(٢٨) ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ إلى أمرِهِ أو موعدِه بالموتِ، ويشعرُ ذلك بقولِ مَنْ قال: كانتِ النفوسُ قبلَ الأبدان موجودةً في عالم القدسِ أو البعثِ، ﴿رَاضِيَةً﴾ بما أوتيتِ. ﴿مَّرْضِيَّةً﴾ عندَ اللهِ تعالى.

---

(١) النازعات: «٣٦».

(٢) أخرج مسلم (٤/ ٢١٨٤ رقم ٢٩) من حديث ابن مسعود مثله.

(٢٩) ﴿فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي﴾ في جملةِ عبادي الصالحين.

(٣٠) ﴿وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾ معَهم أو في زمرةِ المقرَّبينَ فتستضيءُ بنورهم، فإنَّ الجواهرَ القدسيةَ كالمرايا المتقابلةِ، أو ادخلي في أجسادِ عبادي التي فارقْتِ عنها وادخلي دارَ ثوابي التي أُعِدَّتْ لك. عن النبيِّ ﷺ «من قرأ سورة الفجرِ في الليالي العشرِ غُفِرَ له، ومن قرأها في سائرِ الأيامِ كانت له نوراً يومَ القيامة»[1].

☆ ☆ ☆

(١) وهو حديث موضوع.
أخرجه الواحدي وابن مردويه والثعلبي عن أبي بن كعب.
كما في «الكافي الشافِ» (ص١٨٤ رقم ٣١٥). وقد تقدم الكلام عليه في آخر سورة آل عمران.

سُورَةُ البَلَدِ

ترتيبها ٩٠ آياتها ٢٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا الْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾

سورة البلد مكية[1] وآيها عشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ﴾.

(٢) ﴿وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا الْبَلَدِ﴾ أقسمَ سبحانه بالبلد الحرام، وقيَّده بحلولِ الرسول عليه الصلاةُ والسلام فيه إظهاراً لمزيدِ فضلِه وإشعاراً بأن شرفَ المكان بشرفِ أهله. وقيل حلٌّ مستحِلٌّ تعرُّضَك فيه كما يُسْتَحَلُّ تعرُّضُ الصيدِ في غيره، أو حلالٌ لك أنْ تفعلَ فيه ما تريدُ ساعةً من النهارِ فهو وعدٌ بما أحلَّ له عامَ الفتح.

(٣) ﴿وَوَالِدٍ﴾ عطفٌ على هذا البلدِ، والوالدُ آدم أو إبراهيمُ عليهما الصلاة والسلام. ﴿وَمَا وَلَدَ﴾ ذريتُه أو محمدٌ عليه الصلاة والسلام، والتنكيرُ للتعظيم، وإيثارُ «ما» على مَنْ لمعنى التعجبِ كما في قوله: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾[2].

---

(١) قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٦/٣٠٣): «وهي مكية في قول جمهور المفسرين وقال قوم هي مدنية» هـ. وانظر «معالم التنزيل» (٨/٤٢٩) و«الدر المنثور» (٨/٥١٦).

(٢) آل عمران: «٣٦».

(٤) ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ تعبٍ ومشقةٍ، منْ كَبِدَ الرجلُ كبداً إذا وجعتْ كبدُه ومنه المكابدةُ، والإنسان لا يزال في شدائدَ مبدؤُها ظلمة الرحمِ ومضيقُه ومنتهاها الموتُ وما بعدَه، وهو تسلية للرسول عليه الصلاة والسلام مما كان يكابده من قريش. والضميرُ في.

(٥) ﴿أَيَحْسَبُ﴾ لبعضِهم الذي كان يكابدُ منه أكثر، أو يغترَّ بقوته كأبي الأشدِّ بنِ كلدةَ فإنه كان يُبْسَطُ تحتَ قدميه أديم عكاظيّ ويجذبُه عشرةٌ فينقطعُ ولا تزالُ قدماهُ، أو لكلِّ أحد منهم، أو للإنسان. ﴿أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ فينتقمُ منه.

(٦) ﴿يَقُولُ﴾ أي في ذلك الوقتِ ﴿أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾ كثيراً، من تلبَّد الشيءُ إذا اجتمعَ، والمراد ما أنفقه سمعةً ومفاخرةً، أو معاداةً للرسول عليه الصلاة والسلام.

(٧) ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ حين كان ينفقُ أو بعدَ ذلك فيسألُه عنه، يعني أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى يراهُ فيجازيه، أو يجده فيحاسِبُه عليه، ثم بيَّنَ ذلك بقوله:

(٨) ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ﴾ يبصرُ بهما.

(٩) ﴿وَلِسَانًا﴾ يترجمُ به عن ضميرِه. ﴿وَشَفَتَيْنِ﴾ يسترُ بهما فاهُ ويستعينُ بهما على النُّطقِ والأكلِ والشربِ وغيرها.

وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾

(١٠) ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ طريقي الخير والشرِّ، أو الثديينِ وأصله المكانُ المرتفع.

(١١) ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾ أي فلم يشكرْ تلك الأيادي باقتحامِ العقبةِ وهو الدخولُ في أمرٍ شديد، والعقبةُ الطريقُ في الجبل استعارَها بما فسَّرها به من الفكِّ والإطعامِ في قوله:

(١٢) ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ﴾.

(١٣) ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾.

(١٤) ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ﴾.

(١٥) ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾.

(١٦) ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ لما فيهما من مجاهدةِ النفسِ. ولتعدُّدِ المرادِ بها حسنُ وقوع لا موقعَ لم، فإنها لا تكادُ تقعُ إلا مكرَّرةً، إذ المعنى فلا فكَّ رقبةً ولا أطعمَ يتيماً أو مسكيناً. والمسغبةُ والمقربةُ والمتربةُ مفعلاتٌ من سغِبَ إذا جاعَ وقربَ في النسبِ وتربَ إذا افتقرَ. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائيُّ فكَّ رقبةً أو أطعمَ على الإبدالِ منِ اقتحمَ وقوله ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ﴾[1] اعتراضٌ معناه إنك لم تدْرِ كُنْهَ صعوبتِها وثوابِها.

---

(١) البلد: «١٢».

ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ﴿٢٠﴾

(١٧) ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ عطفَه على اقتحمَ أو فكَّ بثُمَّ لتباعُدِ الإيمان عن العتقِ والإطعامِ في الرتبة لاستقلاله واشتراطِ سائرِ الطاعات به. ﴿وَتَوَاصَوْاْ﴾ وأوصى بعضُهم بعضاً. ﴿بِٱلصَّبْرِ﴾ على طاعة الله تعالى. ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾ بالرحمةِ على عباده، أو بموجباتِ رحمة الله تعالى.

(١٨) ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ اليمينِ أو اليُمْنِ.

(١٩) ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ بما نصبناه دليلاً على الحقِّ من كتاب وحجَّةٍ أو بالقرآن. ﴿هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ الشمالِ أو الشؤم، ولتكرير ذكرِ المؤمنينَ باسم الإشارةِ والكفارِ بالضمير شأنٌ لا يَخْفَى.

(٢٠) ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ﴾ مطبقةٌ من أوصدتَ البابَ إذا أطبقتُه وأغلقتُه. وقرأ أبو عمرو وحمزة وحفصٌ بالهمزة من آصدْتُه. عن النبيِّ ﷺ «مَنْ قرأ لا أقسمُ بهذا البلدِ أعطاه الله سبحانه وتعالى الأمانَ من غضبِه يومَ القيامةِ»[1].

☆ ☆ ☆

(١) وهو حديث موضوع.
أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي من حديث أبي بن كعب.
كما في «الكافي الشافِ» (ص١٨٥ رقم ٣٢١) وقد تقدم الكلام عليه في آخر سورة آل عمران.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾
وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾

سورة الشمس مكية[1]. وآيها خمس عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ وضوئِها إذا أشرقتْ. وقيل الضحوةُ ارتفاعُ النهار، والضُّحى فوقَ ذلك، والضَّحاءُ بالفتحِ والمد إذا امتدَّ النهارُ وكادَ ينتصِفُ.

(٢) ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾ تلا طلوعُه طلوعَ الشمسِ أولَ الشهرِ أو غروبَها ليلةَ البدرِ، أو في الاستدارةِ وكمالِ النور.

(٣) ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾ جلَّى الشمسَ فإنها تتجلَّى إذا انبسطَ النهارُ أوِ الظلمةُ، أو الدنيا أو الأرضُ وإنْ لم يَجْرِ ذكرُها للعلمِ بها.

(٤) ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ يغشَى الشمسَ فيغطِّي ضوءَها أوِ الآفاقَ، أوِ الأرضَ. ولما كانتْ واواتُ العطفِ نوائبَ للواوِ الأولى القسَمِيَّةِ الجارَّةِ بنفسِها النائبةِ منابَ فعلِ القسمِ من حيثُ استلزمتْ طرحَه معَها رَبَطْنَ المجروراتِ والظروفَ بالمجرورِ والظرفِ المتقدِّمينِ ربْطَ الواوِ لما بعدَها في قولك: ضربَ زيدٌ عمراً وبكرٌ خالداً على الفاعلِ والمفعولِ من غير عطفٍ على عاملين مختلفينِ.

---

(١) قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٦/ ٣١٠): «وهي مكية».

(٥) ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾ ومَنْ بناها، وإنما أُوثِرَتْ على مَنْ لإرادة معنى الوصفيةِ كأنه قيل: والشيءِ القادرِ الذي بناها، ودلَّ على وجودِه وكمالِ قدرته بناؤُها، ولذلك أُفْرِدَ ذِكْرُهُ، وكذا الكلامُ في قوله:

(٦) ﴿وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا﴾.

(٧) ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾ وجعلَ الماءاتِ مصدريةً يجردُ الفعلَ عن الفاعلِ ويخلُّ بنظمِ قوله:

(٨) ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ بقوله وما سوَّاها إلا أنْ يُضْمَرَ فيه اسمُ الله للعلمِ به. وتنكيرُ نفسٍ للتكثير كما في قوله تعالى ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾[1] أو للتعظيم. والمرادُ نفسُ آدمَ، وإلهامُ الفجور والتقوى إفهامُهما وتعريفُ حالهما أو التمكينُ من الإتيانِ بهما.

(٩) ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ أنماها بالعلم والعمل جوابُ القسم، وحذَفَ اللامَ للطولِ كأنه لما أرادَ به الحثَّ على تكميلِ النفس والمبالغةَ فيه أقسمَ عليه بما يدلُّهم على العلمِ بوجود الصانعِ ووجوبِ ذاته وكمالِ صفاته الذي هو أقصى درجاتِ القوة النظريةِ، ويذكِّرهم عظائِمَ آلائِه ليحمِلَهم على الاستغراقِ في شكرِ نعمائه الذي هو منتهى كمالاتِ القوةِ العملية. وقيل هو استطرادٌ بذكرِ بعضِ أحوالِ النفس، والجوابُ محذوفٌ تقديره ليُدَمْدِمَنَّ الله على كفارِ مكةَ لتكذيبهم رسولَه ﷺ كما دمدمَ على ثمودَ لتكذيبهم صالحاً عليه الصلاة والسلام.

وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَىٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَىٰهَا ﴿١٥﴾

(١٠) ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ نقَّصَها وأخفاها بالجهالة والفسوقِ، وأصلُ دَسَّىٰ دسَّسَ كتقضَّى وتقضَّضَ[2].

(١١) ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ﴾ بسببِ طُغيانِها، أو بما أُوعِدَتْ به من عذابها ذي الطغوى كقوله تعالى ﴿فَأُهْلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ﴾[3] وأصله طغياها وإنما قُلِبَتْ ياؤه واواً تفرقةً بينَ الاسم والصفةِ، وقرىء بالضمِّ كالرُّجعى.

(١٢) ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ﴾ حين قامَ، ظرفٌ لكذَّبتْ أو طغوى. ﴿أَشْقَىٰهَا﴾ أشقَى ثمودَ وهو قدارُ بنُ سالفٍ، أو هو ومن مالأَه على قتلِ الناقةِ فإنَّ أفعلَ التفضيلِ إذا أضفْتَه صلُحَ للواحدِ والجمعِ وفضَّل شقاوتَهم لتولِّيهم العقْرَ.

(١٣) ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾ أي ذروا ناقةَ اللهِ واحذروا عقْرَها[4]. ﴿وَسُقْيَىٰهَا﴾ وسقْيَها

---

(١) التكوير: «١٤».

(٢) وتكرير «قد» لإبراز كمال الاعتناء بتحقيق مضمونه، والإيذانِ بتعلق القَسَم به أيضا أصالة (س٩/ ١٦٤).

(٣) الحاقة: «٥».

(٤) وعبر عن الرسول بعنوان الرسالة إيذاناً بوجوب طاعته، وبياناً لغاية عتوهم وتماديهم في الطغيان، وهو السرّ في =

فلا تذودُوها عنها.

(١٤) ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ فيما حذَّرهم منه من حلولِ العذاب إنْ فعلوا. ﴿فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم﴾ فأطبقَ عليهم العذابَ وهو من تكريرِ قولهم ناقةٌ مدمومةٌ إذا ألْبَسَهَا الشحْمَ. ﴿بِذَنْبِهِمْ﴾ بسببه. ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾ فسوَّى الدمدمةَ بينَهم أو عليهم فلم يفلُتْ منهم صغيرٌ ولا كبيرٌ، أو ثمودَ بالإهلاك.

(١٥) ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ أي عاقبةَ الدمدمةِ أو عاقبةَ هلاكِ ثمودَ وتَبِعَتَها فيبقي بعضَ الإبقاءِ، والواوُ للحال، وقرأ نافعٌ وابن عامر فلا على العطفِ. عن النبيِّ ﷺ «من قرأ سورةَ والشمسِ فكأنما تصدَّقَ بكلِّ شيءٍ طلعتْ عليه الشمسُ والقمرُ»[1].

☆ ☆ ☆

= إضافة الناقة إلى الله تعالى (س٩/ ١٦٤).

(١) وهو حديث موضوع.
أخرجه الواحدي والثعلبي وابن مردويه عن أبي بن كعب.
كما في «الكافي الشافِ» (١٨٥ رقم ٣٢٢) وقد تقدم الكلام عليه في آخر سورة آل عمران.

سُورَةُ اللَّيْلِ

ترتيبها ٩٢ آياتها ٢١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾

سورة والليل مكية[1]. وآيها إحدى وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ أي يغشى الشمسَ أو النهارَ أو كلَّ ما يواريه بظلامِه.

(٢) ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ ظهرَ بزوالِ ظلمةِ الليل، أو تبيَّن بطلوعِ الشمسِ.

(٣) ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ والقادرُ الذي خلقَ صِنْفَي الذَّكَرِ والأُنْثَى من كلِّ نوع له توالدٌ، أو آدمُ وحواءُ، وقيل ما مصدريةٌ.

(٤) ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ إنَّ مساعِيَكُم لأشتاتٌ مختلفةٌ جمعُ شتيتٍ.

(٥) ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾.

(٦) ﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ تفصيلٌ مبيِّنٌ لتشتُّتِ المساعي، والمعنى من أعطَى الطاعةَ واتَّقى المعصيةَ وصدَّق بالكلمة الحسنى وهي ما دلتْ على حقٍّ ككلمة التوحيدِ.

---

(١) قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٦/٣١٥): «وهي مكية في قول الجمهور، وقال المهدوي: وقيل هي مدنية، وقيل فيها مدني».

(٧) ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ فسنهيئه للخُلَّةِ التي تؤدي إلى يُسْرٍ وراحةٍ كدخولِ الجنةِ، مِنْ يَسَرَ الفرسَ إذا هيَّأه للركوب بالسرجِ واللجامِ.

(٨) ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ﴾ بما أُمِرَ به. ﴿وَٱسْتَغْنَىٰ﴾ بشهواتِ الدنيا عن نعيمِ العقبى.

(٩) ﴿وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ بإنكارِ مدلولها.

(١٠) ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ للخلَّةِ المؤديةِ إلى العسرِ والشدةِ كدخول النار[1].

(١١) ﴿وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ﴾ نفيٌ أو استفهامُ إنكارٍ. ﴿إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾ هَلَكَ تفعَّلَ من الرَّدى، أو تردَّى في حفرة القبر أو قَعْرِ جهنَّمَ.

إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾

(١٢) ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ للإرشاد إلى الحق بموجبِ قضائِنا أو بمقتضى حِكْمَتِنا، أو إنَّ علينا طريقةَ الهدى كقوله سبحانه وتعالى ﴿وعلى الله قصد السبيل﴾[2].

(١٣) ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ﴾ فنعطي في الدارين ما نشاءُ لمن نشاءُ، أو ثوابَ الهداية للمهتدينَ، أو فلا يضرُّنا تركُكُم الاهتداءَ.

(١٤) ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ تتلهَّبُ.

(١٥) ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ﴾ لا يلزمُها مقاسياً شدَّتَها. ﴿إِلَّا ٱلْأَشْقَى﴾ إلا الكافرُ فإنَّ الفاسِقَ وإنْ دخلَها لا يلزمُها ولذلك سمَّاه أشقَى ووصفَه بقوله:

(١٦) ﴿ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ أي كذَّب الحقَّ وأعرضَ عن الطاعةِ.

(١٧) ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى﴾.

(١٨) ﴿ٱلَّذِى﴾ اتقى الشركَ والمعاصي فإنه لا يدخلُها فضلاً عن أن يدخلَها ويصْلاَها، ومفهومُ ذلك أنَّ منِ اتقى الشركَ دون المعصية لا يُجَنَّبُها ولا يلزمُ ذلك صلْيَها فلا يخالفُ الحصرَ السابقَ. ﴿يُؤْتِى مَالَهُۥ﴾ يصرِفُه في مضارفِ الخير لقوله: ﴿يَتَزَكَّىٰ﴾ فإنه بدلٌ من يُؤْتَى أو حالٌ من فاعله.

(١٩) ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ﴾ فيقصدُ بإيتائه مجازاتَها.

---

(١) ولعل تصدير القِسْمين بالإعطاء والبخل ـ مع أن كلاً منهما أدنى رتبة مما بعدهما في استتباع التيسير لليسرى والتيسير للعسرى ـ للإيذان بأن كلاً منهما أصل فيما ذكر لا تتمة لما بعدهما من التصديق والتقوى والتكذيب والاستغناء (س٩/ ١٦٧).

(٢) النحل: «٩».

(٢٠) ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ استثناءٌ منقطع أو متصلٌ عن محذوفٍ مثلُ لا يُؤْتَى إلا ابتغاءَ وجْهِ ربه لا لمكافأةِ نعمةٍ.

(٢١) ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ وُعِدَ بالثوابِ الذي يرضيه. والآياتُ نزلتْ في أبي بكر رضي الله تعالى عنه حين اشترى بلالاً في جماعة تولاَّهم المشركونَ فأعتقَهم[1]، ولذلك قيل: المرادُ بالأشقَى أبو جهل أو أمية بنُ خلف. عن النبيِّ ﷺ «مَنْ قرأ سورةَ والليلِ أعطاهُ الله سبحانه وتعالى حتى يرضَى وعافاهُ من العُسْرِ ويسَّر له اليسْرَ»[2].

☆ ☆ ☆

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ج٣٠/٢٢٨) عن عامر بن عبدالله بن الزبير عن أبيه.

(٢) وهو حديث موضوع.
أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه عن أبي بن كعب.
كما في «الكافي الشافِ» (ص١٨٥ رقم ٣٢٤).
وقد تقدم الكلام عليه في آخر سورة آل عمران.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾

سورة الضحى مكية[1]. وآيها إحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ ووقتِ ارتفاعِ الشمس، وتخصيصُه لأنَّ النهارَ يقوى فيه، أو لأنَّ فيه كلَّم موسى عليه الصلاة والسلام ربَّه وأُلقِيَ السحرةُ سجداً، أو النهارِ ويؤيدُه قولُه تعالى ﴿أن يأتيهم بأسنا ضحى﴾[2] في مقابلةِ بياتاً.

(٢) ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ سكَنَ أهلُه أو ركدَ ظلامُه من سجا البحرُ سُجُوّاً إذا سكنتْ أمواجُه. وتقديمُ الليل في السورةِ المتقدمة باعتبار الأصلِ، وتقديمُ النهارِ ها هنا باعتبارِ الشرف.

(٣) ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ ما قَطَعَكَ قطْعَ المودِّعِ، وقرىء بالتخفيفِ بمعنى ما تركَكَ وهو جوابُ القسمِ. ﴿وَمَا قَلَىٰ﴾ وما أبغضَك، وحذفَ المفعولَ استغناءً بذكرِهِ من قبلُ ومراعاةً للفواصلِ. رُوِيَ أنَّ الوحْيَ تأخَّر عنه أياماً لتركِهِ الاستثناءَ كما مرَّ في سورةِ الكهف، أو لزجرِهِ سائلاً ملِحّاً، أو لأنَّ جَرْوَاً ميتاً كان تحتَ سريرِهِ أو لغيرِهِ فقال المشركون: إنَّ محمداً ودَّعه ربُّه وقلاه فنزلتْ رداً عليهم[3].

---

(١) قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٦/ ٣٢٠): «وهي مكية لا خلاف في ذلك بين الرواة».

(٢) الدخان: «٤».

(٣) أخرجه مسلم (٣/ ١٤٢١ رقم ١١٤/ ١٧٩٧) من حديث جندب. =

(٤) ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ فإنها باقيةٌ خالصةٌ عن الشوائبِ وهذه فانيةٌ مشوبةٌ بالمضارِّ، كأنه لما بيَّنَ أنه سبحانه وتعالى لا يزالُ يواصلهُ بالوحي والكرامةِ في الدنيا وَعَدَ له ما هو أعلى وأجلُّ من ذلك في الآخرة، أو لنهايةُ أمرِك خيرٌ من بدايته فإنه ﷺ لا يزالُ يتصاعدُ في الرفعةِ والكمال.

(٥) ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ وعدٌ شاملٌ لما أعطاهُ من كمالِ النفسِ وظهورِ الأمرِ وإعلاءِ الدين، ولما ادَّخر له مما لا يعرفُ كُنْهَهُ سواهُ. واللامُ للابتداءِ؛ دخل الخبرَ بعدَ حذفِ المبتدأ والتقدير: ولأنتَ سوفَ يعطيك، لا للقسم فإنها لا تدخلُ على المضارعِ إلا مع النونِ المؤكِّدةِ، وجمعُها مع سوفَ للدلالةِ على أنَّ الإعطاءَ كائنٌ لا محالةَ وإنْ تأخَّر لحكمةٍ.

(٦) ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾ تعديدٌ لما أنعم عليه تنبيهاً على أنه كما أحسنَ إليه فيما مضى يحسِنُ إليه فيما يستقبلُ وإنْ تأخَّر. ويجدْك من الوجود بمعنى العلمِ ويتيماً مفعولُه الثاني، أو المصادفةِ ويتيماً حالٌ.

(٧) ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا﴾ عن علم الحكمِ والأحكام. ﴿فَهَدَىٰ﴾ فعلَّمك بالوحي والإلهامِ والتوفيقِ للنظر. وقيل وجدكَ ضالاً في الطريق حين خرجَ بكَ أبو طالب إلى الشامِ أو حين فطمتْكَ حليمةُ وجاءتْ بكَ لتردَّك إلى جدِّك، فأزالَ ضلالَكَ عن عمِّك أو جدِّك.

(٨) ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا﴾ فقيراً ذا عيالٍ. ﴿فَأَغْنَىٰ﴾ بما حصلَ لك من ربح التجارة.

(٩) ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ فلا تغلِبهُ على ماله لضعْفِه، وقرىء فلا تكهرْ أي فلا تعبسْ في وجهِهِ.

(١٠) ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ فلا تزجُرْهُ.

(١١) ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ فإنَّ التحدُّثَ بها شكْرُها. وقيل المراد بالنعمةِ النبوةُ والتحدثُ بها تبليغُها، عن النبيِّ ﷺ «مَنْ قرأ سورةَ والضحى جعلَه الله سبحانه وتعالى فيمنْ يرضَى لمحمدٍ ﷺ أنْ يشفعَ له وعشرُ حسناتٍ، يكتبها الله سبحانه وتعالى له بعددِ كلِّ يتيمٍ وسائلٍ»[1].

= ● وأخرج البخاري (٨/ ٧١٠ رقم ٤٩٥٠) ومسلم (٣/ ١٤٢٢ رقم ١١٥/ ١٧٩٧) عن جندب بن سفيان قال: اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقم ليلتين أو ثلاثاً، فجاءت امرأة فقالت: يا محمدُ إني لأرجو أن يكون شيطانَك قد تركَك، لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاثاً، فأنزل الله عز وجل: «والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى».

● وأخرج البخاري (٨/ ٧١١ رقم ٤٩٥١) عن جندب البجلي قالت امرأة: يا رسول الله ما أرى صاحبك إلاَّ أبطأك. فنزلت «ما ودعك ربك وما قلى» وقال الحافظ في «الفتح» عن هذه الرواية: هذا السياق يصلح أن يكون خطاباً لخديجة دون الخطاب الأول فإنه يصلح أن يكون خطاب حمالة الحطب، لتعييرها بالشيطان والترك، ومخاطبتها بخلاف هذه فقالت: صاحبك، وقالت: يا رسول الله، وقال: أبطأ. وجوز الكرماني أن يكون من تصرف الرواة وهو موجه لأن مخرج الطريقين واحد.

وانظر الفتح أيضاً (٣/ ٨ ـ ٩) ففيه كلام مفصل حول هذا الاختلاف.

(١) وهو حديث موضوع.

أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه عن أبي بن كعب.

كما في «الكافي الشافِ» (ص١٨٥ رقم ٣٣١).

وقد تقدم الكلام عليه في آخر سورة آل عمران.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾

سورة ألم نشرح مكية[1]. وآيها ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ ألم نفسحه حتى وسِعَ مناجاةَ الحقِّ ودعوةَ الخلْقِ فكان غائباً حاضِراً، أو ألم نفسحه بما أودعْنا فيه من الحِكَمِ وأزلْنا عنه ضيقَ الجهلِ، أو بما يسَّرنا لك تلقي الوحي بعدَما كان يشقُّ عليك، وقيل إنه إشارةٌ إلى ما رُوِيَ أن جبريل عليه الصلاة والسلام أتى رسولَ الله ﷺ في صباهُ أو يومَ الميثاقِ، فاستخرجَ قلْبَه فغسله ثم ملأه إيماناً وعلماً[2]. ولعلَّه إشارةٌ إلى نحوِ ما سبق، ومعنى

---

(١) قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٦/ ٣٢٥): «وهي مكية بإجماع من المفسرين لا خلاف بينهم في ذلك» هـ.

(٢) قلت: إن القاضي رحمه الله لفق بين حديثين.
(الأول): يتعلق بشق صدره ﷺ في صباه، وليس فيه ذكر ملأه إيماناً وعلماً. وهذا الحديث أخرجه مسلم (١/ ١٤٧ رقم ٢٦١) عن أنس أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الصبيان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه، فاستخرج منه علقة، فقال: هذا حظ الشيطان منك، قال: فغسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه، ثم أعاده في مكانه، قال: وجاء الغلمان يسعون إلى أمه ـ يعني ظئره ـ فقالوا: إن محمداً قد قتل، فأقبلت ظئره تريده، فاستقبلها راجعاً وهو منتقع اللون. قال أنس: وقد كنا نرى أثر المخيط في صدره.
● وغفل الحاكم فاستدركه (٢/ ٥٢٨) وقال: صحيح الإسناد، وقال الذهبي: على شرط مسلم.
(والثاني): يتعلق بشق صدره ﷺ عند المعراج، وفيه جاء ذكر ملأه إيماناً وعلماً.

الاستفهامِ إنكارُ نفيِ الانشراحِ مبالغةً في إثباته ولذلك عطف عليه.

(٢) ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ عِبْأَك الثقيلَ.

(٣) ﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ الذي حملَه على النقيض وهو صوتُ الرحلِ عند الانتقاضِ من ثقلِ الحملِ. وهو ما ثَقُلَ عليه من فرطاتِه قبلَ البعثةِ، أو جهلِه بالحِكَمِ والأحكامِ، أو حيرتِه، أو تلقي الوحي، أو ما كان يرى من ضلال قومِه من العجزِ عن إرشادِهم، أو من إصرارِهم وتعدِّيهم في إيذائِه حين دعاهم إلى الإيمان.

(٤) ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ بالنبوةِ وغيرِها وأيِّ رفعٍ، مثلُ أنْ قَرَنَ اسْمَه باسمِه تعالى في كلمتي الشهادةِ وجعلَ طاعتَه طاعتَه وصلَّى عليه في ملائكته وأمرَ المؤمنينَ بالصلاةِ عليه وخاطبه بالألقابِ، وإنما زادَ «لك» ليكون إبهاماً قبل إيضاحٍ فيفيد المبالغةَ.

(٥) ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ﴾ كضيقِ الصدرِ والوزرِ المنقِضِ للظهرِ وضلالِ القوم وإيذائِهم. ﴿يُسْرًا﴾ كالشرحِ والوضعِ والتوفيقِ للاهتداء والطاعةِ فلا تيأسْ من رَوْحِ الله إذا عراك ما يغمُّك، وتنكيرُه للتعظيم. والمعنى بما في «إنّ مع» مِنَ المصاحبةِ المبالغةِ في معاقبةِ اليُسْرِ للعسرِ، واتصالِه به اتصالَ المتقارِبَيْنِ.

(٦) ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ تكريرٌ للتأكيد أو استئنافٌ وعَدَه بأنَّ العُسْرَ متبوعٌ بِيُسْرٍ آخرَ كثوابِ الآخرة كقولك: إن للصائمِ فرحةً إنَّ للصائم فرحةً أي فرحةٌ عندَ الإفطارِ وفرحةٌ عند لقاءِ الربِّ. وعليه قولُه عليه الصلاةُ والسلام «لن يغلِبَ عسرٌ يُسْرَيْنِ»[1] فإنَّ العسرَ معرَّفٌ فلا يتعدَّدُ سواءٌ كان للعهدِ أو

= وهذا الحديث أخرجه البخاري (٦/٣٠٢ رقم ٣٢٠٧) و(٧/٢٠١ رقم ٣٨٨٧) ومسلم (١/١٤٩ ـ ١٥٠ رقم ٢٦٤).

عن أنس بن مالك وفيه: «قال النبي ﷺ: بينما أنا عند البيت بين النائم واليقظان فأتيت بطست من ذهب ملآن حكمة وإيماناً، فشق من النحر إلى مراق البطن ثم غسل البطن بماء زمزم، ثم ملىء حكمة وإيماناً».

(١) ● أخرجه عبدالرزاق في «تفسيره» (٥/٣٥٩١) والحاكم في المستدرك (٢/٥٢٨) من حديث الحسن البصري مرسلاً.

وسكت عليه الحاكم، وقال الذهبي مرسل.

● وأخرجه ابن مردويه ـ كما في «الدر» (٨/٥٥٠) ـ بإسناد ضعيف من حديث جابر موصولاً في سياق طويل (الكافي الشافِ) (ص١٨٦ رقم ٣٣٤).

● وله شاهد موقوف على عمر، أخرجه مالك في الموطأ (٢/٤٤٦ رقم ٦) والحاكم (٢/٣٠٠ ـ ٣٠١) في سياق طويل.

قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

وقال الحاكم في تفسير (ألم نشرح) (٢/٥٢٨) قد صحت الرواية عن عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب «لن يغلب عسر يسرين».

● وله شاهد مرفوع من حديث أنس بلفظ «كان النبي ﷺ جالساً فنظر إلى جُحر فقال لو جاء العسر حتى يدخل هذا الحجر لجاء اليسر حتى يخرجه، ثم تلا «فإن مع العسر يسراً».

أخرجه البزار (٣/٨١ ـ كشف) وأورده الهيثمي في «المجمع» (٧/١٣٩) وقال: فيه عائذ بن شريح هو ضعيف. =

للجنسِ، واليسر مُنَكَّرٌ فيحتملُ أنْ يُرَادَ بالثاني فردٌ يغاير ما أُرِيْدَ بالأولِ.

(٧) ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ من التبليغ. ﴿فَانصَبْ﴾ فاتْعَبْ في العبادة شكراً لما عَدَدْنا عليك من النعمِ السالفة ووعدْناك من النعمِ الآتية. وقيل إذا فرغْتَ من الغزوِ فانْصَبْ في العبادة، أو فإذا فرغْتَ من الصلاةِ فانصبْ بالدعاءِ.

(٨) ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾ بالسؤالِ ولا تسألْ غَيْرَهُ فإنه القادرُ وحدَه على إسعافِك، وقرىء فَرَغِّبْ أي فرغِّبِ الناسَ إلى طلبِ ثوابه. عن النبيِّ ﷺ «مَنْ قرأ سورةَ ألم نشرح فكأنما جاءني وأنا مغتمٌ ففرَّجَ عنِّي»[1].

☆ ☆ ☆

= ● وشاهد من حديث ابن مسعود مثل لفظ حديث أنس أخرجه الطبراني في الكبير (١٠/ ٨٥ رقم ٩٩٧٧). وأورده الهيثمي في «المجمع» (٧/ ١٣٩) وقال: فيه إبراهيم النخعي وهو ضعيف.
كذا قال: وقال الشيخ حمدي السلفي: لعله محرف من أبي مالك النخعي وهو متروك وأبو حمزة ضعيف.
وأخرجه عبدالرزاق، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا في الصبر. عن ابن مسعود موقوفاً ـ كما في «الدر» (٨/ ٥٥١) ـ.

(١) وهو حديث موضوع.
أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه عن أبي بن كعب كما في «الكافي الشافِ» (ص١٨٦ رقم ٣٣٦). وقد تقدم الكلام عليه في آخر سورة آل عمران.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾

سورة والتين مختلف فيها[1]. وآيها ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾ خصَّهما من الثمارِ بالقَسَم لأنَّ التينَ فاكهةٌ طيبةٌ لا فضلَ له وغذاءٌ لطيف سريعُ الهضم، ودواء كثيرُ النفعِ فإنه يُلينُ الطَّبْعَ ويحللُ البلغمَ ويطهِّر الكليتينِ ويزيلُ رملَ المثانةِ ويفتحُ سَدَدَ الكبدِ والطحالِ ويسمِّن البدنَ، وفي الحديث أنه يقطعُ البواسيرَ[2] وينفعُ من النقرسِ[2]. والزيتونُ فاكهةٌ وإدامٌ ودواءٌ وله دهنٌ لطيف كثير المنافعِ، مع أنه قد ينبتُ حيثُ لا دهنيةَ فيه كالجبالِ، وقيل المرادُ بهما جبلانِ من الأرضِ المقدسةِ أو مسجدا دمشقَ وبيتِ المقدس، أو البَلَدَانِ.

(٢) ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ يعني الجبلَ الذي ناجَى عليه موسى عليه الصلاة والسلام ربَّه، وسينينُ وسيناءُ اسمانِ للموضعِ الذي هو فيه.

قال القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ١١٠): «مكية في قول الأكثر، وقال ابن عباس وقتادة: هي مدنية» هـ.

أنواع من الأمراض.

● قال الحافظ في «الكافي الشافِ» (ص١٨٦ رقم ٣٣٧): «ـ أخرجه ـ أبو نعيم في الطب، والثعلبي من حديث أبي ذر. وفي إسناده من لا يعرف».

(٣) ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ أي الآمِنُ من أمِنَ الرجل أمانةً فهو أمينٌ، أو المأمونُ فيه يأمنُ فيه من دخلَه والمرادُ به مكةُ.

(٤) ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ يريدُ به الجنسَ. ﴿فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ تعديلٍ بأنْ خُصَّ بانتصابِ القامةِ وحسنِ الصورة واستجماعِ خواصِّ الكائنات ونظائرِ سائرِ الممكناتِ.

(٥) ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ بأنْ جعلناه من أهلِ النار أو إلى أسفل سافلينَ وهو النارُ. وقيل هو أرذلُ العمرِ فيكون قولُه:

(٦) ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ استثناءً منقطعاً. ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ لا ينقطعُ أو لا يَمُنُّ به عليهم، وهو على الأول حكمٌ مرتَّبٌ على الاستثناءِ مقرِّرٌ له.

(٧) ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾ أي فأيُّ شيءٍ يكذِّبك يا محمدُ دلالةً أو نطقاً. ﴿بَعْدُ بِٱلدِّينِ﴾ بالجزاءِ بعدَ ظهورِ هذه الدلائلِ. وقيل ما بمعنى مَنْ. وقيل الخطابُ للإنسان على الالتفاتِ، والمعنى فما الذي يحملُك على هذا الكذبِ.

(٨) ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ تحقيقٌ لما سبق. والمعنى أليس الذي فعلَ ذلك من الخلقِ والردِّ بأحكمِ الحاكمينَ صُنْعاً وتدبيراً ومَنْ كان كذلك كان قادراً على الإعادةِ والجزاءِ على ما مرَّ مراراً. عن النبيِّ ﷺ «من قرأ سورةَ والتينِ أعطاه الله العافيةَ واليقينَ ما دامَ حياً، فإذا ماتَ أعطاه اللهُ من الأجرِ بعددِ مَنْ قرأ هذه السورةَ»[1].

☆ ☆ ☆

---

(١) وهو حديث موضوع.
أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه عن أبي بن كعب.
كما في «الكافي الشافِ» (ص١٨٦ رقم ٣٤٠).
وقد تقدم الكلام عليه في آخر سورة آل عمران.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾

سورة العلق مكية[1]. وآيها تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ أي اقرأ القرآنَ مُفْتَتِحاً باسمه سبحانه وتعالى، أو مستعيناً به. ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ أي الذي له الخلقُ أو الذي خلقَ كلَّ شيء[2]، ثم أفردَ ما هو أشرفُ وأظهرُ صُنْعاً وتدبيراً وأدلُّ على وجوب العبادة المقصودةِ من القراءة فقال:

(٢) ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ أو الذي خلقَ الإنسانَ فأبْهِمَ أولاً ثم فُسِّر تفخيماً لخلقه ودلالةً على عجيب فطرتِه. ﴿مِنْ عَلَقٍ﴾ جمعَه على الإنسان في معنى الجمعِ، ولما كان أولُ الواجباتِ معرفةَ الله سبحانه

---

(١) قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٦/ ٣٣٣): «وهي مكية بإجماع..».

(٢) التعرض لعنوان الربوبية ـ المنبئة عن التربية والتبليغ إلى الكمال اللائق شيئاً فشيئاً ـ مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام للإشعار بتبليغه عليه السلام إلى الغاية القاضية من الكمالات البشرية بإنزال الوحي المتواتر.
ووصْفُ الرب بقوله تعالى «الذي خلق» لتذكير أول النعماء الفائضة عليه ـ عليه الصلاة والسلام ـ منه تعالى، والتنبيه على أن من قدر على خلق الإنسان على ما هو عليه من الحياة وما يتبعها من الكمالات العلمية والعملية. من مادة لم تشمَّ رائحة الحياة فضلاً عن سائر الكمالات قادرٌ على تعليم القراءة للحي العالم المتكلم (س٩/ ١٧٧).

وتعالى نزَّلَ أولاً ما يدلُّ على وجودهِ وفَرْطِ قدرته وكمالِ حِكْمَتِهِ.

(٣) ﴿ٱقْرَأْ﴾ تكريرٌ للمبالغةِ، أو الأولُ مطلقٌ والثاني للتبليغ، أو في الصلاة. ولعلَّه لما قيل له: اقرأ باسم ربِّك فقال: ما أنا بقارىء، فقيل له اقرأ: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾ الزائدُ في الكرمِ على كلِّ كريم فإنه سبحانه وتعالى ينعمُ بلا عوضٍ ويحلمُ من غير تخوُّفٍ، بل هو الكريمُ وحْدَه على الحقيقةِ.

(٤) ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾ أي الخطَّ بالقلمِ، وقد قرىء به لِتُقَيَّدَ به العلومُ ويُعْلَمَ به البعيدُ.

(٥) ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ بخلقِ القوى ونصْبِ الدلائلِ وإنزالِ الآياتِ فيعلِّمُك القراءةَ وإن لم تكن قارئاً. وقد عدَّد سبحانه وتعالى مبدأَ أمرِ الإنسانِ ومنتهاهُ إظهاراً لما أنعمَ عليه، من أنَّ نقْلَه من أخسِّ المراتِبِ إلى أعلاها تقريراً لربوبيته وتحقيقاً لأكرميَّتِه، وأشارَ أولاً إلى ما يدلُّ على معرفتِهِ عقلاً ثم نبَّه على ما يدلُّ عليها سمعاً.

(٦) ﴿كَلَّآ﴾ ردعٌ لمن كفَرَ بنعمةِ الله بطغيانِه وإن لم يُذْكَرْ لدلالة الكلامِ عليه. ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ﴾.

(٧) ﴿أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ أنْ رأى نفسَه[1]، واستغْنَى مفعولُه الثاني لأنه بمعنَى علِمَ ولذلك جازَ أنْ يكونَ فاعلُه ومفعولُه ضميرينِ لواحدٍ.

(٨) ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾ الخطابُ للإنسان على الالتفاتِ تهديداً وتحذيراً من عاقبة الطغيانِ، والرُّجْعَى مصدرٌ كالبُشْرى[2].

(٩) ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ﴾.

(١٠) ﴿عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾ نزلتْ في أبي جهل قال لو رأيتُ محمداً ساجداً لوطِئْتُ عُنُقَهُ، فجاءه ثم نكصَ على عقبيه فقيل له: مالَكَ؟ فقال: إنَّ بيني وبينَه لخندقاً من نارٍ وهولاً وأجنحةً، فنزلتْ[3]. ولفظُ العبدِ وتنكيرُه للمبالغةِ في تقبيحِ النهي والدلالةِ على كمال عبوديةِ المنهيِّ.

(١١) ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ﴾.

(١٢) ﴿أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ﴾ أرأيتَ تكريرٌ للأول وكذا الذي في قوله:

---

(١) تعليل طغيانه برؤيته لا بنفس الاستغناء ـ كما ينبىء عنه قوله تعالى: «ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض» للإيذان بأن مدار طغيانه زعمه الفاسد (س٩/ ١٧٠).

(٢) وتقديم الجار والمجرور إلى ربك عليه لقصره عليه، أي إن إلى مالك أمرك رجوعَ الكل بالموت والبعث لا إلى غيره استقلالاً ولا اشتراكاً فسنرى حينئذ عاقبة طغيانك (س٩/ ١٧٩).

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٥٤ رقم ٣٨/ ٢٧٩٧) من حديث أبي هريرة.
وزاد السيوطي نسبته في «الدر المنثور» (٨/ ٥٦٥) للنسائي وابن أبي حاتم وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي وأبي نعيم.

أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾

(١٣) ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾.

(١٤) ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ والشرطيةُ مفعولُه الثاني، وجوابُ الشرطِ محذوفٌ دل عليه جوابُ الشرط الثاني الواقعُ موقعَ القسيم له. والمعنى أخبرني عمَّن ينهى بعضَ عبادِ الله عن صلاته إن كان ذلك الناهي على هُدى فيما ينهى عنه أو آمراً بالتقوى فيما يأمرُ به من عبادةِ الأوثان كما يعتقدُه، أو إن كان على التكذيبِ للحق والتولي عن الصواب كما تقولُ: ألم يعلمْ بأنَّ الله يرى ويطَّلِعُ على أحواله من هداهُ وضلاله. وقيل المعنى أرأيتَ الذي ينهى عبداً يصلِّي والمنهي على الهدى آمراً بالتقوى والناهي مكذِّبٌ متولٍّ فما أَعْجَبَ مَنْ ذا. وقيل الخطابُ في الثانية مع الكافر فإنه سبحانه وتعالى كالحاكم الذي حضَره الخصْمانِ يخاطِبُ هذا مرةً والآخرَ أخرى، وكأنه قال يا كافِرُ أخبِرني إنْ كان صلاتُه هُدَىً ودعاؤُه إلى الله سبحانه وتعالى أمراً بالتقوى أتنهاهُ؟. ولعلَّه ذكرَ الأمرَ بالتقوى في التعجُّبِ والتوبيخِ ولم يتعرضْ له في النهي لأنَّ النهيَ كان عن الصلاة والأمر بالتقوى، فاقتصرَ على ذِكْرِ الصلاةِ لأنه دعوةٌ بالفعلِ أو لأنَّ نهيَ العبدِ إذا صلَّى يُحْتَمَلُ أنْ يكونَ لها ولغيرها وعامةُ أحوالِها محصورةٌ في تكميلِ نفسِه بالعبادة وغيرِه بالدعوة.

(١٥) ﴿كَلَّا﴾ ردعٌ للناهي. ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ﴾ عما هو فيه. ﴿لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾ لنأخذَنَّ بناصيتِه ولنسحبنَّه بها إلى النارِ، والسفعُ القبضُ على الشيءِ وجذْبه بشدَّةٍ. وقرىء لنسفعنَّ بنونٍ مشددة ولأسفعنَّ، وكتابتُه في المصحف بالألفِ على حكمِ الوقف، والاكتفاءُ باللام عن الإضافة للعلمِ بأنَّ المرادَ ناصيةُ المذكورِ.

(١٦) ﴿نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ بدلٌ من الناصيةِ وإنما جازَ لوصْفِها، وقرئت بالرفعِ على هي ناصيةٌ والنصبِ على الذمِّ. ووصْفُها بالكذب والخطأ ـ وهما لصاحِبها ـ على الإسناد المجازي للمبالغة.

(١٧) ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ﴾ أي أهلَ ناديه ليعينُوه وهو المجلسُ الذي ينتدي فيه القومُ. رُوِيَ أنا أبا جهل لعنه الله مرَّ برسولِ الله ﷺ وهو يصلِّي فقال: ألم أنهكَ، فأغلظَ له رسولُ الله ﷺ فقال: أتهدِّدُني وأنا أكثر أهلِ الوادي نادياً؟ فنزلتْ[1].

(١٨) ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ ليجرُّوه إلى النار. وهو في الأصلِ الشُرَطُ واحدُها زبنيةٌ كعفريةٍ من الزَّبْنِ وهو الدفعُ، أو زبنيّ على النسبِ وأصلُها زبانيٌّ والتاء معوَّضةٌ عن الياء.

(١٩) ﴿كَلَّا﴾ ردعٌ أيضاً للناهي. ﴿لَا تُطِعْهُ﴾ أي اثْبُتْ أنتَ على طاعتِك. ﴿وَٱسْجُدْ﴾ داوِمْ على سجودك. ﴿وَٱقْتَرِب ۩﴾ وتقرَّب إلى ربِّك وفي الحديث «أقربُ ما يكون العبدُ إلى ربه إذا سجدَ»[2].

---

(١) تقدم تخريجه قريباً.

(٢) أخرج مسلم (١/ ٣٥٠ رقم ٢١٥/ ٤٨٢) من حديث أبي هريرة مرفوعاً. =

عن النبيِّ ﷺ «من قرأ سورةَ العلقِ أُعْطِيَ من الأجرِ كأنما قرأ المفصَّلَ كلَّه»[1].

☆ ☆ ☆

= بلفظ «أقرب ما يكون العبدُ من ربه وهو ساجد». وأخرجه أيضاً البغوي في شرح السنة (٣/ ١٥١ رقم ٥٥٨) والنسائي (٢/ ٢٢٦) وأبو داود رقم (٨٧٥).

(١) وهو حديث موضوع.
أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي عن أبي بن كعب.
كما في «الكافي الشافِ» (ص١٨٦ رقم ٣٤٥).
وقد تقدم الكلام عليه في آخر سورة آل عمران.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾

سورة القدر مختلف فيها[1]. وآيها خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ الضميرُ للقرآن فخَّمه بإضماره من غير ذكرِ شهادةٍ له بالنباهةِ المغنيةِ عن التصريحِ كما عظَّمه بأنْ أسندَ نَزْلَه إليه، وعظَّم الوقْتَ الذي أُنزِلَ فيه بقوله:

(٢) ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾.

(٣) ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ وإنزالُه فيها بأنِ ابتدأَ بإنزالِه فيها، أو أنزلَه جملةً من اللوحِ إلى السماءِ الدنيا على السَّفرةِ، ثم كان جبريلُ عليه الصلاة والسلام ينزلُه على رسولِ الله ﷺ نجوماً في ثلاثٍ وعشرينَ سنةً. وقيل المعنى أنزلناه في فضلِها وهي في أوتارِ العشرِ الأخيرِ من رمضانَ، ولعلَّها السابعةُ منها، والداعي إلى إخفائها أنْ يحييَ مَنْ يريدها لياليَ كثيرةً، وتسميتُها بذلك لشرفها أو لتقديرِ

---

(١) قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٦/٣٣٨): «اختلف الناس في موضع نزول هذه السورة، فقال قتادة: هي مكية. وقال ابن عباس وغيره: هي مدنية» هـ.
وقال الماوردي في «النكت والعيون» (٦/٣١١): «مكية في قول الأكثرين، ومدنية في قول الضحاك، وذكر الواقدي أنها أول سورة نزلت بالمدينة» هـ.
وقال البغوي في «معالم التنزيل» (٨/٤٨٥): «مكية» هـ. وانظر «الدر المنثور» (٨/٥٦٧).

الأمورِ فيها لقوله سبحانه وتعالى ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾[١]. وذِكْرُ الألْفِ إما للتكثير، أو لما روي أنه عليه الصلاة والسلام ذكَرَ إسرائيلياً يلبسُ السلاحَ في سبيل الله ألفَ شهرٍ، فعجبَ المؤمنون وتقاصرتْ إليهم أعمالُهم، فأُعْطُوا ليلةَ القدر هي خيرٌ من مدَّةِ ذلك الغازي[٢].

(٤) ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾ بيانٌ لما له فُضِّلَتْ على ألفِ شهر وتنزُّلهم إلى الأرضِ، أو إلى السماء الدنيا أو تقرُّبهم إلى المؤمنين. ﴿مِن كُلِّ أَمْرٍ﴾ من أجلِ كلِّ أمر قُدِّرَ في تلك السنةِ، وقرىء من كلِّ امرىءٍ أي من أجلِ كلِّ إنسان.

(٥) ﴿سَلَامٌ هِيَ﴾ ما هي إلا سلامةٌ أي لا يقدِّر اللهُ فيها إلا السلامةَ، ويقضي في غيرها السلامةَ والبلاءَ، أو ما هي إلا سلامٌ لكثرةِ ما يسلِّمونَ فيها على المؤمنين. ﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ أي وقتِ مطلعِه أي طلوعِه. وقرأ الكسائي بالكسرِ على أنه كالمرجعِ أو اسمُ زمانٍ على غير قياس كالمشرِقِ.

عن النبيِّ ﷺ «من قرأ سورةَ القدرِ أُعْطِيَ من الأجْرِ كَمَنْ صامَ رمضانَ وأحيا ليلةَ القدرِ»[٣].

☆ ☆ ☆

---

(١) الدخان: «٤».

(٢) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (١٥/ج٣٠/٢٥٩ ـ ٢٦٠)، والواحدي في «أسباب النزول» ص٤٦١ كلاهما عن مجاهد.
وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٤/٣٠٦) وقال: هذا مرسل.
وذكره ابن كثير في التفسير (٤/٥٦٧) من رواية ابن أبي حاتم عن مجاهد «أن النبي ﷺ ذكر رجلاً من بني إسرائيل...» وهو منقطع، وفيه مسلم بن خالد الزنجي صدوق له أوهام.

(٣) وهو حديث موضوع.
أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي من حديث أبي بن كعب.
كما في «الكافي الشافِ» (ص١٨٦ رقم ٣٤٧).
وقد تقدم الكلام عليه في آخر سورة آل عمران.

سُورَةُ البَيِّنَةِ

ترتيبها ٩٨ — آياتها ٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾

سورة لم يكن مختلف فيها[1]. وآيها ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ اليهودُ والنصارى فإنَّهم كفروا بالإلحادِ في صفاتِ الله سبحانه وتعالى: ومِنْ للتبيين. ﴿وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾ وعبدةِ الأصنام. ﴿مُنفَكِّينَ﴾ عما كانوا عليه من دينهم، أو الوعدِ باتباع الحقِّ إذ جاءهم الرسولُ ﷺ. ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ الرسولُ عليه الصلاة والسلام، أو القرآنُ فإنه مبيِّنٌ للحقِّ، أو معجزةُ الرسولِ بأخلاقه والقرآنِ بإفحامِه مَنْ تحدَّى به.

(٢) ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ بدلٌ من البينةِ بنفسِه أو بتقدير مضافٍ أو مبتدأ ﴿يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ صفتُه أو خبره، والرسولُ عليه الصلاة والسلام وإن كان أمياً لكنه لما تلا مثلَ ما في الصحفِ كان كالتالي لها. وقيل المرادُ جبريلُ عليه الصلاة والسلام. وكونُ الصحفِ مطهَّرةً أنَّ الباطلَ لا يأتي ما فيها، أو أنها لا يمسُّها إلا المطهرونَ.

(٣) ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ مكتوباتٌ مستقيمةٌ ناطقةٌ بالحق.

(٤) ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ عما كانوا عليه بأن آمنَ بعضُهم أو تردَّد في دينه، أو عن وعْدِهم بالإصرارِ على الكفرِ. ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ فيكون كقوله ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟

(١) قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٦/٣٤٣): «وهي مكية في قول جمهور المفسرين، وقال ابن الزبير وعطاء بن يسار أنها مدنية، والأول أشهر» هـ.

فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾[1]. وإفرادُ أهلِ الكتابِ بعدَ الجمعِ بينَهم وبين المشركين للدلالةِ على شناعةِ حالهم، وأنهم لما تفرَّقوا مع علمِهم كان غيرهم بذلك أولى.

(٥) ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟﴾ أي في كُتُبِهم بما فيها. ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ لا يشركون به. ﴿حُنَفَآءَ﴾ مائلينَ عن العقائدِ الزائغةِ. ﴿وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ ولكنَّهم حرَّفوا وعَصَوْا. ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ دينُ الملَّةِ القيِّمةِ.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾

(٦) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ أي يومَ القيامة، أو في الحالِ لملابستِهم ما يوجبُ ذلك، واشتراكُ الفريقين في جنسِ العذاب لا يوجبُ اشتراكَهما في نوعِه فلعلَّه يختلفُ لتفاوُتِ كفرِهما. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ أي الخليقةِ. وقرأ نافع البريئةِ بالهمزِ على الأصلِ.

(٧) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾.

(٨) ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ فيه مبالغاتٌ: تقديمُ المدحِ، وذكْرُ الجزاءِ المؤذنِ بأنَّ ما مُنِحُوا في مقابلة ما وُصِفُوا به والحكمُ عليه بأنَّه مِنْ عندِ ربِّهم، وجمعُ جناتٍ وتقييدُها إضافة ووصفاً بما تزدادُ لها نعيماً، وتأكيدُ الخلودِ بالتأبيد. ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ استئنافٌ بما يكون لهم زيادةً على جزائِهم. ﴿وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ لأنه بلَّغهم أقصى أمانيهم. ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي المذكورُ من الجزاء والرضوانِ. ﴿لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾ فإنَّ الخشيةَ ملاكُ الأمرِ والباعثُ على كل خير. عن النبيِّ ﷺ «من قرأ سورةَ لم يكنِ الذين كفروا كان يومَ القيامة مع خيرِ البريةِ مساءً ومقيلاً»[2].

☆ ☆ ☆

---

١) البقرة: «٨٩».

٢) وهو حديث موضوع.
أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي من حديث أبي بن كعب.
كما في «الكافي الشاف» (ص١٨٦ رقم ٣٤٩).
وقد تقدم الكلام عليه في آخر سورة آل عمران.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾

سورة الزلزلة مختلف فيها[1]. وآيها ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ اضطرابَها المقدَّرَ لها عند النفخةِ الأولى أو الثانيةِ، أو الممكِنَ لها أو اللائقَ بها في الحكمةِ، وقرىء بالفتح وهو اسمُ الحركة وليس في الأبنية فعلالٌ إلا في المضاعفِ.

(٢) ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ ما في جوفها من الدفائن أو الأمواتِ جمعُ ثقْلٍ وهو متاعُ البيت.

(٣) ﴿وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا﴾ لما يبهرُهم من الأمر الفظيع، وقيل المراد بالإنسان الكافرُ فإنَّ المؤمنَ يعلمُ ما لها.

(٤) ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ﴾ تحدِّثُ الخلْقَ بلسان الحالِ. ﴿أَخْبَارَهَا﴾ ما لأجلِه زلزالُها وإخراجُها. وقيل ينطقُها الله سبحانه وتعالى فتخبرُ بما عُمِلَ عليها. ويومئذ بدلٌ من إذا وناصبُهما تحدِّثُ، أو أصلٌ وإذا منتصِبٌ بمضمرٍ.

(٥) ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ أي تحدِّث بسببِ إيحاء ربِّك لها بأنْ أحدثَ فيها ما دلَّتْ على الإخبار، أو أنطقَها بها، ويجوزُ أنْ يكون بدلاً من إخبارِها إذ يُقَالُ: حدَّثتُه كذا وبكذا، واللامُ بمعنى إلى أو

---

(١) قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٦/٣٤٧) «وهي مكية قاله ابن عباس وغيره وقال قتادة ومقاتل: هي مدنية لأن آخرها نزل بسبب رجلين كانا بالمدينة».

على أصلِها إذ لها في ذلك تشفٌّ من العصاةِ.

(٦) ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ﴾ من مخارجهم من القبور إلى الموقف. ﴿أَشْتَاتًا﴾ متفرِّقينَ بحسبِ مراتبِهم. ﴿لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ جزاءَ أعمالهم، وقرىء بفتحِ الياء.

(٧) ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾.

(٨) ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ تفصيلٌ ليَروا ولذلك قرىء يُرَهُ بالضمِّ، وقرأ هشامٌ بإسكان الهاء. ولعلَّ حسنةَ الكافرِ وسيئةَ المجتنبِ عن الكبائرِ تؤثرانِ في نقصِ الثواب والعقابِ. وقيل الآيةُ مشروطةٌ بعدم الإحباط والمغفرةِ، أو مَنْ الأولى مخصوصةٌ بالسعداء والثانيةُ بالأشقياءِ لقوله أشتاتاً. والذرَّة النملةُ الصغيرة أوِ الهباءُ. عن النبيِّ ﷺ «مَنْ قرأ سورةَ إذا زلزلتِ الأرضُ أربعَ مراتٍ كان كمن قرأ القرآنَ كلَّه»[1].

☆ ☆ ☆

(١) قال الحافظ في «الكافي الشافِ» (ص١٨٧ رقم ٣٥١): «أخرجه الثعلبي من حديث علي بإسناد أهل البيت. لكنه من رواية أبي القاسم الطائي، وهو ساقط.
وشاهده عند ابن أبي شيبة، والبزار من رواية سلمة بن وردان عن أنس مرفوعاً: «إذا زلزلت تعدل ربع القرآن» وهو حديث ضعيف.
وأخرجه ابن مردويه والواحدي بإسناديهما إلى أبي بن كعب بلفظ «من قرأ إذا زلزلت أعطى من الأجر كمن قرأ القرآن» وهو حديث موضوع.

سُورَةُ العَادِيَاتِ

ترتيبها ١٠٠ آياتها ١١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾

سورة والعاديات مختلف فيها[1]، وآيها إحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾ أقسمَ سبحانه بخيلِ الغزاةِ تعدو فتضبَحُ ضبحاً، وهو صوتُ أنفاسِها عند العدْوِ. ونصبَه بفعله المحذوفِ، أو بالعاديات فإنها تدلُّ بالالتزامِ على الضابحاتِ، أو ضبْحاً حالٌ بمعنى ضابحةٍ.

(٢) ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾ فالتي توري النارَ، والإيراءُ إخراجُ النارِ يُقَالُ قدحَ الزِّنْدَ فأورى.

(٣) ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ﴾ يغيرُ أهلُها على العدوِّ. ﴿صُبْحًا﴾ أي في وقتِه.

(٤) ﴿فَأَثَرْنَ﴾ فهيَّجْنَ. ﴿بِهِۦ﴾ بذلك الوقتِ. ﴿نَقْعًا﴾ غباراً أو صياحاً.

(٥) ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ﴾ فتوسَّطْنَ بذلك الوقتِ أو بالعدوِّ أو بالنقعِ، أي ملتبساتٍ به. ﴿جَمْعًا﴾ من جموع الأعداء، رُوِيَ أنه عليه الصلاة والسلام بعثَ خيلاً فمضتْ أشهرٌ لم يأتِه منهم خبرٌ

---

(١) قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٦/ ٣٥٢): وهي مكية في قول جماعة من أهل العلم. وقال المهدوي عن أنس بن مالك: هي مدنية» هـ.
وقال القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ١٥٣): «وهي مكية، في قول ابن مسعود وجابر والحسن وعكرمة وعطاء. ومدنية في قول ابن عباس وأنس ومالك وقتادة» هـ.

فنزلتْ[١]. ويُحْتَمَلُ أنْ يكونَ القسمُ بالنفوسِ العادِيَةِ إثر كمالِهنَّ، الموريات بأفكارهن أنوارَ المعارفِ، والمغيراتِ على الهوى والعاداتِ إذا ظهر لهنَّ مثلُ أنوارِ القدس، فأثرْنَ به شوقاً فوسطْن به جمعاً من مجموعِ العلِّيِّينَ.

(٦) ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾ لكفورٌ مِنْ كَنَدَ النعمةَ كُنُوداً، أو لَعاصٍ بلغةِ كِنْدَةَ، أو لبخيلٍ بلغةِ بني مالكٍ، وهو جوابُ القسم.

(٧) ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ﴾ وإنَّ الإنسان على كنودِه ﴿لَشَهِيدٌ﴾ يشهدُ على نفسه لظهور أثرِه عليه، أو أنَّ الله سبحانه وتعالى على كنوده لشهيدٌ فيكون وعيداً.

(٨) ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ﴾ المالِ من قوله سبحانه وتعالى ﴿إن ترك خيراً﴾[٢] أي مالاً. ﴿لَشَدِيدٌ﴾ لبخيلٌ أو لقويٌّ مبالغٌ فيه.

(٩) ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ﴾ بُعِثَ. ﴿مَا فِى ٱلْقُبُورِ﴾ من الموتى، وقرىء بُحْثِرَ وبُحِثَ.

(١٠) ﴿وَحُصِّلَ﴾ جُمِعَ محصَّلاً في الصحفِ أو مُيِّزَ. ﴿مَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ من خيرٍ أو شرٍّ، وتخصيصُه لأنه الأصلُ.

(١١) ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾ وهو يومُ القيامة. ﴿لَّخَبِيرٌ﴾ عالم بما أعلَنوا وما أسرُّوا فيجازيهم عليه، وإنما قال «ما» ثُمَّ قال «بهم» لاختلافِ شأنهم في الحالين، وقرىء أنَّ وخبيرٌ بلا لام. عن النبيِّ ﷺ «مَنْ قرأ سورةَ والعادياتِ أُعْطِيَ من الأجر عشرَ حسنات بعددِ مَنْ باتَ بالمزدلفةِ وشهدَ جُمَعاً»[٣].

☆ ☆ ☆

---

(١) ذكره الواحدي في «الأسباب» ص٤٦٣ عن مقاتل بدون سند.

(٢) البقرة: «١٨٠».

(٣) وهو حديث موضوع.
أخرجه الواحدي وابن مردويه والثعلبي عن أبي بن كعب.
كما في «الكافي الشاف» (ص١٨٧ رقم ٣٥٤).
وقد تقدم الكلام عليه في أواخر سورة آل عمران.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾

سورة القارعة مكية[1]، وآيها إحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ﴿الْقَارِعَةُ﴾.

(٢) ﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾.

(٣) ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ سبقَ بيانه في الحاقة.

(٤) ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ في كثرتِهم وذِلَّتِهم وانتشارِهم واضطرابهم. وانتصابُ يوم بمضمَر دلت عليه القارعةُ.

(٥) ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ كالصوفِ ذي الألوان. ﴿الْمَنفُوشِ﴾ المندوفِ لتفرُّقِ أجزائِها وتطايرها في الجوِّ.

(٦) ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ بأنْ ترجَّحت مقاديرُ أنواعِ حسناته.

---

(١) قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٦/ ٣٥٦): «وهي مكية بلا خلاف».
وقال القرطبي في «الجامع» (٢٠/ ١٦٤): «وهي مكية بإجماع».

(٧) ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ ﴾ في عيشٍ. ﴿ رَّاضِيَةٍ ﴾ ذاتِ رضا أو مرضيةٍ.

(٨) ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾ بأنْ لم يكنْ له حسنةٌ يُعْبَأُ بها، أو ترجَّحت سيئاتُه على حسناته.

(٩) ﴿ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴾ فمأواهُ النارُ المحرقةُ، والهاويةُ من أسمائِها ولذلك قال:

(١٠) ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴾.

(١١) ﴿ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴾ ذاتُ حِمَى. عن النبيِّ ﷺ «مَنْ قرأَ سورةَ القارعة ثقَّلَ الله بها ميزانَه يومَ القيامةِ»[1].

☆ ☆ ☆

(١) وهو حديث موضوع.
أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه عن أبي بن كعب.
كما في «الكافي الشافِ» (ص١٨٧ رقم ٣٥٧).
وقد تقدم الكلام عليه في أواخر سورة آل عمران.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾

سورة التكاثر مختلف فيها[١]، وآيها ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ﴿أَلْهَىٰكُمُ﴾ شغَلَكُم وأصلُه الصرفُ إلى اللهو منقولٌ من لها إذا غَفَلَ. ﴿ٱلتَّكَاثُرُ﴾ التباهي بالكثرةِ.

(٢) ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ إذا استوعبتُم عددَ الأحياءِ صرتُم إلى المقابر فتكاثرتُم بالأمواتِ، عبَّر عن انتقالهم إلى ذكرِ الموتى بزيارة المقابر. روي[٢] أن بني عبدِ منافٍ وبني سهم تفاخروا بالكثرة فكثَرَهُم بنو عبد مناف، فقال بنو سهمٍ إن البغي أهلكَنا في الجاهليةِ فعادُونا بالأحياءِ والأمواتِ فكثَرَهُم بنو سهمٍ. وإنما حذفَ المنهيَّ عنه وهو ما يعنيهم من أمر الدين للتعظيم والمبالغةِ. وقيل[٣] معناه ألهاكم التكاثرُ بالأموال والأولادِ إلى أن مِتُّم وقُبِرْتُم مضيِّعين أعماركم في طلبِ الدنيا عما هو أهمُّ

(١) قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٦/٣٥٨): «وهي مكية لا أعلم فيها خلافاً».
وقال القرطبي في «الجامع» (٢٠/١٦٨): «وهي مكية في قول جميع المفسرين، وروى البخاري أنها مدنية» هـ.

(٢) ذكره الواحدي في «الأسباب» (ص٤٦٤) من قول مقاتل والكلبي بدون سند وكذلك ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٨/٥١٧).

(٣) قاله الحسن البصري كما في تفسير ابن كثير (٤/٥٨٢).

لكم، وهو السعيُ لأُخْرَاكم فتكون زيارةُ القبور عبارةً عن الموتِ.

(٣) ﴿كَلَّا﴾ ردعٌ وتنبيهٌ على أنَّ العاقلَ ينبغي له أن لا يكونَ جميعُ همِّه ومعظمَ سعيه للدنيا فإنَّ عاقبة ذلك وبالٌ وحسرةٌ. ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ خطأَ رأيكم إذا عاينتُم ما وراءَكم، وهو إنذارٌ ليخافوا وينتبهوا من غفْلَتِهم.

(٤) ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ تكريرٌ للتأكيد. وفي ثمَّ دلالةٌ على أن الثاني أبلغُ من الأول، أو الأولُ عند الموت أو في القبرِ والثاني عندَ النشور.

(٥) ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ أي لو تعلمون ما بينَ أيديكم عِلْمَ اليقين أي كعلمِكم ما تستيقنونَه لَشَغَلَكُم ذلك عن غيره، أو لفعلتم ما لا يوصفُ ولا يكْتَنَهُ فحذفَ الجوابَ للتفخيم، ولا يجوزُ أنْ يكون قولُه:

(٦) ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ جواباً له لأنه محقَّقُ الوقوعِ بل هو جوابُ قسمٍ محذوف أكَّد به الوعيدَ وأوضحَ به ما أنذَرهم منه بعد إبهامه تفخيماً، وقرأ ابن عامر والكسائيُّ بضمِّ التاءِ.

(٧) ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا﴾ تكريرٌ للتأكيدِ، أو الأولى إذا رأيتَهم من مكان بعيد والثانية إذا وردُوها، أو المرادُ بالأولى المعرفةُ وبالثانية الإبصارُ. ﴿عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ أي الرؤيةَ التي هي نفسُ اليقين، فإنَّ علمَ المشاهدة أعلى مراتبِ اليقين.

(٨) ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ الذي ألهاكُم. والخطابُ مخصوصٌ بكلِّ مَنْ ألهاهُ دنياهُ عن دينه والنعيمُ بما يشغلُه، للقرينةِ والنصوصِ الكثيرةِ كقوله ﴿مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ﴾[1] ﴿كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾[2]، وقيل يعمَّانِ إذ كلٌّ يُسْأَلُ عن شكرِه، وقيل الآيةُ مخصوصةٌ بالكفارِ. عن النبيِّ ﷺ «مَنْ قرأ ألهاكم لم يحاسبْه الله سبحانه وتعالى بالنعيم الذي أنعمَ به عليه في دارِ الدنيا، وأُعْطِيَ من الأجرِ كأنما قرأ ألفَ آيةٍ»[3].

☆ ☆ ☆

(١) الأعراف: «٣٢».
(٢) المؤمنون: «٥١».
(٣) وهو حديث موضوع.
أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي من حديث أبي بن كعب.
كما في «الكافي الشافي» (ص١٨٨ رقم ٣٥٩).
وقد تقدم الكلام عليه في آخر سورة آل عمران.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾

سورة والعصر مكية[1]، وآيها ثلاث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾ أقسمَ سبحانه بصلاةِ العصرِ لفضلِها، أو بعصرِ النبوةِ أو بالدهرِ لاشتماله على الأعاجيبِ والتعريضِ بنفي ما يضافُ إليه من الخسرانِ.

(٢) ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ إنَّ الناسَ لفي خسرانٍ في مساعيهم وصرفِ أعمارِهم في مطالبهم، والتعريفُ للجنسِ والتنكيرُ للتعظيم.

(٣) ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ فإنَّهم اشتروا الآخرةَ بالدنيا ففازوا بالحياة الأبدية والسعادةِ السرمديةِ. ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ﴾ الثابتِ الذي لا يصحُّ إنكارُه من اعتقادٍ أو عملٍ. ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ عن المعاصي أو على الحقِّ، أو ما يبلُو اللهُ به عبادَه. وهذا من عطفِ الخاصِّ على العامِّ للمبالغةِ إلا أنْ يخصَّ العملَ بما يكون مقصوراً على كمالِه، ولعلَّه سبحانه وتعالى إنما ذَكَرَ سببَ الربح دون الخسرانِ اكتفاءً ببيان المقصودِ، وإشعاراً بأنَّ ما عدا ما عدَّ يؤدي إلى خسرٍ ونقصٍ حظٍّ، أو تكرُّماً فإن الإبهامَ في جانبِ الخسرِ كرمٌ. عن النبيِّ ﷺ «مَنْ قرأ سورةَ والعصرِ غفر الله له وكانَ ممنْ تواصَوْا بالحقِّ وتواصَوْا بالصَّبْرِ»[2].

---

(١) قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٦/ ٣٦١): «وهي مكية».

(٢) وهو حديث موضوع.
أخرجه الواحدي والثعلبي وابن مردويه عن أبي بن كعب كما في «الكافي الشافِ» (ص١٨٨ رقم ٣٦١).
وقد تقدم الكلام عليه في أواخر سورة آل عمران.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾ كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾

سورة الهمزة مكية[1]، وآيها تسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ الهمزُ: الكسرُ كالهزم، واللمزُ: الطعنُ كاللّهزِ فشاعَا في الكسرِ من أعراضِ الناسِ والطعنِ فيهم، وبناءُ فعلِه يدلُّ على الاعتيادِ فلا يقال ضُحَكَةٌ ولُعَنَةٌ إلا للمكثِر المتعوِّد، وقرىء همْزةٍ لمْزةٍ بالسكونِ على بناءِ المفعول وهو المسخرةُ الذي يأتي بالأضاحيكِ فَيُضْحَكُ منه ويُشْتَمُ. ونزولُها في الأخنسِ بنِ شريق[2] فإنه كان مِغْياباً، أو في الوليد بن المغيرة واغتيابِه رسولَ الله ﷺ.

(٢) ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا﴾ بدلٌ من كلٍّ أو ذمٍّ منصوبٌ أو مرفوعٌ، وقرأ ابن عامر وحمزةُ والكسائي بالتشديد للتكثير. ﴿وَعَدَّدَهُ﴾ وجعلَه عدَّةً للنوازلِ أو عدَّة مرةً بعدَ أخرى، ويؤيدُه أنه قرىء وعَدَدَهُ على فكِّ الإدغام.

(٣) ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ تركه خالداً في الدنيا فأحبَّه كما يحبُّ الخلودَ، أو حبُّ المالِ أغفله عن الموتِ أو طَوَّلَ أملَه حتى حسِبَ أنه مخلَّدٌ فعملَ عملَ مَنْ لا يظنُّ الموتَ، وفيه تعريضٌ بأنَّ المخلَّد هو السعيُ للآخرةِ.

---

(١) قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٦/ ٣٦٣): «وهي مكية بلا خلاف».

(٢) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٨/ ٥٣٠) عن الكلبي بدون سند.

(٤) ﴿كَلَّا﴾ ردعٌ له عن حسبانِه. ﴿لَيُنۢبَذَنَّ﴾ ليطرحنَّ. ﴿فِي ٱلْحُطَمَةِ﴾ في النارِ التي من شأنها أن تحطمَ كلَّ ما يطرحُ فيها.

(٥) ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ﴾ ما النارُ التي لها هذه الخاصيةُ.

(٦) ﴿نَارُ ٱللَّهِ﴾ تفسيرٌ لها. ﴿ٱلْمُوقَدَةُ﴾ التي أوقدها الله وما أوقدَه لا يقدرُ غيرهُ أنْ يطفِئَهُ.

(٧) ﴿ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾ تعلُو أوساطَ القلوب وتشتملُ عليها، وتخصيصُها بالذكرِ لأنَّ الفؤادَ ألطفُ ما في البدنِ وأشدُّه ألماً، أو لأنه محلُّ العقائد الزائفةِ ومنشأُ الأعمال القبيحةِ.

(٨) ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ مُطْبَقَةٌ من أوصدتُ البابَ إذا أطبقتُه. قال:

تَحِنُّ إِلَى أَجْبَالِ مَكَّةَ نَاقَتِي ... وَمَنْ دُونِهَا أَبْوَابُ صَنْعَاءَ مُوْصَدَة

وقرأ حفصٌ وأبو عمرو وحمزةُ بالهمزة.

(٩) ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ أي موثَّقين في أعمدةٍ ممدودةٍ مثلُ المقاطرِ التي تُقطَرُ فيها اللصوصُ. وقرأ الكوفيون غيرَ حفصٍ بضمتينِ، وقرىء عُمُد بسكون الميم مع ضمِّ العين. عن النبيِّ ﷺ «من قرأ سورةَ الهمزةِ أعطاه الله عشرَ حسناتٍ بعددِ منِ استهزأَ بمحمدٍ عليه الصلاة والسلام وأصحابِه»[1] رضوانُ الله عليهم أجمعينَ.

☆ ☆ ☆

(١) وهو حديث موضوع.
أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه عن أبي بن كعب.
كما في «الكافي الشـفِ» (ص١٨٨ رقم ٣٦٢).
وقد تقدم الكلام عليه في أواخر سورة آل عمران.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾

سورة الفيل مكية[1]، وهي خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾ الخطابُ للرسولِ ﷺ، وهو وإنْ لم يشهدْ تلك الوقعةَ لكن شاهدَ آثارَها وسمعَ بالتواترِ أخبارَها فكأنه رآها، وإنما قال كيفَ ولم يقلْ ما لأنَّ المرادَ تذكيرُ ما فيها من وجوهِ الدلالةِ على كمال علمِ الله تعالى وقدرتِه وعزةِ بيته وشرفِ رسوله عليه الصلاة والسلام فإنها من الإرهاصاتِ[2]. إذ روي[3] أنها وقعتْ في السنةِ التي وُلِدَ فيها رسولُ الله ﷺ. قصَّتُها أنَّ أبرهةَ بنَ الصباحِ الأشرمَ ـ ملِكَ اليمنِ من قبلِ أصحمةَ النجاشي ـ بنى كنيسةً بصنعاءَ وسمَّاها القُلَّيسَ وأرادَ أن يصرفَ الحاجَّ إليها، فخرجَ رجلٌ من كنانة فقعدَ فيها ليلاً فأغضبه ذلك، فحلفَ ليهدمنَّ الكعبةَ فخرج بجيشه ومعه فيلٌ قويٌّ اسمه محمودٌ وفيلةٌ أخرى، فلما تهيأَ للدخول وعبَّى جيشَه قدَّم الفيلَ، وكان كلَّما وجَّهوه إلى الحرمِ بركَ ولم يبرحْ، وإذا وجّهوه إلى اليمن أو إلى جهةٍ أخرى هَرْوَلَ، فأرسل الله تعالى طيراً مع كلِّ واحدٍ في منقارِه حجرٌ وفي رجليه حجرانِ، أكبرُ من العدسةِ وأصغر من الحمُّصةِ،

(١) قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٦/ ٣٦٥): «وهي مكية بإجماع الرواة».
(٢) هي التي تصدر عن النبي قبل النبوة وتكون خارقة للعادة (التعريفات للجرجاني ص١٦).
(٣) انظر «معالم التنزيل» (٨/ ٥٣٥ ـ ٥٤٠).

فترميهم فيقع الحجرُ في رأسِ الرجل فيخرجُ من دبرِهِ فهلكوا جميعاً. وقرىء ألم تَرْ جداً في إظهار أثرِ الجازم، وكيف نُصِبَ بفعلٍ لابِتَرَ لما فيه من معنى الاستفهام.

(٢) ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ﴾ في تعطيل الكعبةِ وتخريبها. ﴿فِي تَضْلِيلٍ﴾ في تضييعٍ وإبطالٍ بأنْ دمَّرهم وعظَّم شأنَها.

(٣) ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ جماعاتٍ، جمعُ إبالةٍ وهي الحزمةُ الكبيرةُ؛ شُبِّهَتْ بها الجماعةُ من الطير في تضامِّها. وقيل لا واحدَ لها كعبابيدَ وشماطيطَ.

(٤) ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ﴾ وقرىء بالياءِ على تذكير الطيرِ لأنه اسمُ جمعٍ، أو إسناده إلى ضمير ربِّك. ﴿مِّن سِجِّيلٍ﴾ من طينٍ متحجِّرٍ معرَّبُ، وقيل من السَّجْلِ وهو الدلو الكبيرُ، أو الإسجالِ وهو الإرسالُ، أو من السَّجْلِ ومعناه من جملة العذاب المكتوب المدون.

(٥) ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ كورقِ زرعٍ وقعَ فيه الأكالُ وهو أنْ يأكلَه الدودُ، أو أكلَ حبه فبقي صفراً منه، أو كتبنٍ أكلتْه الدوابُّ وراثتْه. عن النبيِّ ﷺ «من قرأ سورةَ الفيل أعفاهُ الله أيامَ حياته من الخسفِ والمسخِ»[1].

☆ ☆ ☆

(١) وهو حديث موضوع.
أخرجه ابن مردويه والواحدي والثعلبي من حديث أبي بن كعب.
كما في «الكافي الشافِ» (ص١٨٨ رقم ٣٦٣).
وقد تقدم الكلام عليه في أواخر سورة آل عمران.

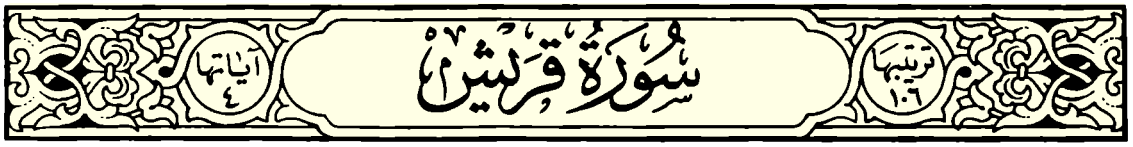

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾

سورة قريش مكية[1]، وآيها أربع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ متعلِّق بقوله ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ﴾[2] والفاءُ لما في الكلام من معنى الشرطِ، إذ المعنى أنَّ نِعَمَ الله عليهم لا تُحْصَى فإنْ لم يعبدوه لسائرِ نعمِه فليعبدُوه لأجلِ:

(٢) ﴿إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ﴾ أي الرحلةَ في الشتاءِ إلى اليمنِ وفي الصيف إلى الشام فيمْتَارون ويتَّجرون، أو بمحذوفٍ مثل أَعَجِبُوا، أو بما قبلَه كالتضمينِ في الشعر[3] أي فجعلَهم كعصفٍ مأكولٍ لإيلافِ قريش؛ ويؤيدُه أنَّهما في مصحفِ أُبَيٍّ سورةٌ واحدةٌ. وقرىء ليألفَ قريشُ إلْفَهم رحلةَ الشتاءِ. وقريشٌ ولدُ النضرِ بنِ كنانةَ منقولٌ من تصغيرِ قرشٍ، وهو دابةٌ عظيمةٌ في البحر تعبثُ بالسفنِ

---

(١) قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٦/٣٦٨): «وهي مكية بلا خلاف».
وقال القرطبي في «الجامع» (٢٠/٢٠٠): «مكية في قول الجمهور. ومدنية في قول الضحاك والكلبي» هـ.

(٢) قريش: «٣».

(٣) قوله كالتضمين في الشعر هو أن يضمن الشعر شيئاً من شعر الغير.
قال الكازروني في حاشية: (ولا يخفىٰ أن هذا المعنى لا يتحقق في القرآن من وجهين فوجه الشبه بين تعليق هذه السورة بما قبلها، والتضمين أن في كل منهما وصل كلامٍ ظاهرِ الانفصال عما قبله به) حاشية الكازروني على البيضاوي (٥/١٩٦).

فلا تُطَاقُ إلا بالنارِ، فَشُبِّهوا بها لأنها تأكلُ ولا تُؤْكَلْ وتعلُو ولا تُعْلَى. وصغَّر الاسمَ للتعظيمِ، وإطلاقُ الإيلافِ ثم إبدالُ المقيدِ عنه للتفخيمِ. وقرأ ابنُ عامر لِئِلافِ بغير ياءٍ بعدَ الهمزة.

(٣) ﴿ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴾.

(٤) ﴿ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ ﴾ أي بالرحلتينِ، والتنكيرُ للتعظيم، وقيل المرادُ به شدةٌ أكلوا فيها الجيفَ والعظامَ. ﴿ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴾ أصحابِ الفيل أو التخطُّفِ في بلدهم ومسايرِهم، أو الجذامِ فلا يصيبُهم ببلدِهم. عن رسولِ الله ﷺ «من قرأ سورةَ لإيلاف قريشٍ أعطاه الله عشرَ حسناتٍ بعدد من طافَ بالكعبةِ واعتكفَ بها»[1].

☆ ☆ ☆

(١) وهو حديث موضوع.
أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه عن أُبي بن كعب.
كما في «الكافي الشافِ» (ص١٨٨ رقم ٣٦٥).
وقد تقدم الكلام عليه في آخر سورة آل عمران.

سُورَةُ الماعُونِ

ترتيبها ١٠٧ آياتها ٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾

سورة الماعون مختلف فيها [1]، وآيها سبع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ﴿أَرَءَيْتَ﴾ استفهامٌ معناه التعجبُ. وقرىء أريتَ بلا همزٍ إلحاقاً بالمضارع، ولعلَّ تصديرها بحرفِ الاستفهامِ سهَّل أمْرَها، وأرأيتُك بزيادةِ الكافِ. ﴿ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾ بالجَزاءِ أو الإسلامِ، والذي يحتملُ الجنسَ والعهدَ ويؤيدُ الثاني قولُه:

(٢) ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ يدفعُه دفعاً عنيفاً. وهو أبو جهلٍ كان وصيَّاً ليتيمٍ فجاءه عرياناً يسألُه من مال نفسِه فدفعه، أو أبو سفيانَ نحرَ جَزُوراً فسأله يتيمٌ لحماً فقرعَه بعصاهُ، أو الوليد بنُ المغيرة، أو منافقٌ بخيلٌ [2]. وقرىء يدعُّ أي يترك.

---

(١) قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٦/ ٣٧٠). «وهي مكية بلا خلاف علمته، وقال الثعلبي: هي مدنية» هـ. وقال ابن الجوزي في «زاد المسير» (٩/ ٢٤٣): «وفيها قولان: أحدهما: مكية، قاله الجمهور. والثاني: مدنية، روى عن ابن عباس، وقتادة. وقال هبة الله المفسِّر: نزل نصفها بمكة في العاص بن وائل، ونصفها بالمدينة في عبدالله بن أبي المنافق» هـ.

(٢) انظر «أسباب النزول» للواحدي ص٤٦٥، و«معالم التنزيل» للبغوي (٨/ ٥٥١) و«النكت والعيون» للماوردي (٦/ ٣٥٠).

(٣) ﴿وَلَا يَحُضُّ﴾ أهلَه وغيرَهم. ﴿عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ لعدمِ اعتقادِه بالجزاءِ ولذلك رتَّب الجملةَ على يكذِّب بالفاء.

(٤) ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾.

(٥) ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ أي غافلون غيرَ مبالينَ بها.

(٦) ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ﴾ يُرُون الناسَ أعمالَهم ليروهم الثناءَ عليهم.

(٧) ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ الزكاةَ أو ما يُتَعَاوَرُ في العادةِ. والفاءُ جزائيةٌ؛ والمعنى إذا كان عدمُ المبالاة باليتيمِ من ضعفِ الدين والموجبِ للذمِّ والتوبيخ فالسهوُ عن الصلاة التي هي عمادُ الدين والرياءُ الذي هو شعبةٌ من الكفر ومنعُ الزكاة التي هي قنطرةُ الإسلام أحقُّ بذلك ولذلك رتَّب عليها الويلَ، أو للسببيةِ على معنى فويلٌ لهم، وإنما وضعَ المصلينَ موضعَ الضمير للدلالةِ على سوءِ معاملتهم مع الخالقِ والخلْقِ. عن النبيِّ ﷺ «من قرأ سورةَ أرأيتَ غُفِرَ له إنْ كان للزكاةِ مؤدِّياً»[1].

☆ ☆ ☆

(١) وهو حديث موضوع.
أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي من حديث أبي بن كعب.
كما في «الكافي الشافِ» (ص١٨٨ رقم ٣٦٩).
وقد تقدم الكلام عليه في أواخر سورة آل عمران.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾

سورة الكوثر مكية[١]، وآيها ثلاث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ﴾ وقرىء أنطَيناكَ. ﴿ٱلْكَوْثَرَ﴾ الخيرَ المفرِطَ الكثرةِ من العلمِ والعملِ وشرفِ الدارين. ورُوِيَ عنه عليه الصلاة والسلام أنه نهرٌ في الجنةِ وَعَدَنِيْه ربِّي فيه خيرٌ كثير[٢] أحلَى من العسلِ وأبيضُ من اللبنِ وأبردُ من الثلجِ وألينُ من الزُّبْدِ. حافتاهُ الزَّبَرْجَدُ وأوانيه من فضةٍ لا يظمأُ مَنْ شربَ منه[٣]، وقيل حوضٌ فيها، وقيل أولادُه وأتباعُه، أو علماءُ أمتِه والقرآنُ العظيم.

---

(١) قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٦/ ٣٧٢): «وهي مكية».
وقال ابن الجوزي في «زاد المسير» (٩/ ٢٤٧): «وفيها قولان: أحدهما: مكية، قاله ابن عباس، والجمهور. والثاني: مدنية قاله الحسن، وعكرمة، وقتادة» هـ.

(٢) وهو جزء من حديث أخرجه مسلم (١/ ٣٠٠ رقم ٤٠٠) من حديث أنس.

(٣) وهو مؤلف من حديثين:
(الأول): أخرجه أحمد (٣/ ١٠٣، ١١٥) وهنا وفي «الزهد» (١/ ٢١١) والنسائي في «التفسير» (رقم: ٧٢٦) وابن جرير (١٥/ج٣٠/ ٣٢٣ ـ ٣٢٤) وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٣/ ١٤٧) والآجري في «الشريعة» (ص٣٩٦) والبغوي في «معالم التنزيل» (٨/ ٥٥٨) وفي «شرح السنة» (١٥/ ١٧٠) عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: دخلتُ الجنة فإذا أنا بنهرٍ يجري بياضُه بياض اللبن، وأحلى من العسل، وحافتاه حيامَ اللؤلؤ، فضربت بيدي فإذا الثري مسك أذْخَرُ فقلت لجبريل: ما هذا؟ قال: الكوثر الذي أعطاكه الله عز وجل» وهو حديث صحيح. وأخرجه البخاري (١١/ ٤٦٤ رقم ٦٥٨١) والترمذي (٥/ ٤٤٩ رقم ٣٣٥٩ و٣٣٦٠) من طريق =

(٢) ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ فدُمْ على الصلاةِ خالصاً لوجه الله تعالى خلافَ الساهي عنها المرائي فيها شكراً لإنعامه، فإنَّ الصلاةَ جامعةٌ لأقسامِ الشكرِ. ﴿وَٱنْحَرْ﴾ البُدْنَ التي هي خيارُ أموالِ العرب وتصدَّق على المحاويجِ خلافاً لمن يدَعُهم ويمنَعُ عنهم الماعونَ، فالسورةُ كالمقابلةِ للسورةِ المتقدمةِ وقد فسِّرتِ الصلاةُ بصلاةِ العيدِ والنحرُ بالتضحيةِ.

(٣) ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ إنَّ مَنْ أبغضَك لبغضِه اللهَ. ﴿هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ الذي لا عقِبَ له إذ لا يبقى له نسلٌ ولا حُسْنُ ذِكْرٍ، وأما أنت فتبقى ذرِّيَّتُكَ وحُسْنُ صيتِك وآثارُ فضلِك إلى يوم القيامةِ، ولك في الآخرة ما لا يدخلُ تحتَ الوصْفِ. عن النبيِّ ﷺ «مَنْ قرأ سورةَ الكوثرِ سقاهُ الله من كلِّ نهرٍ له في الجنةِ، ويُكْتُبُ له عشرَ حسناتٍ بعدد كلِّ قُربانٍ قرَّبه العبادُ في يومِ النحرِ العظيمِ»[1].

☆ ☆ ☆

قتادة عن أنس بن مالك بنحوه.

(والثاني): أخرجه أحمد (٢/ ٦٧، ١١٢، ١٥٨) وهنا وفي «الزهد» (١/ ٢٠٨) والترمذي (٥/ ٤٤٩ ـ ٤٥٠ رقم ٣٣٦١) وابن ماجة (٢/ ١٤٥٠ رقم ٤٣٣٤). والدارمي (٢/ ٣٣٨) والحاكم (٣/ ١٧١) وابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ج٣٠/ ٣٢٤) والبغوي في «معالم التنزيل» (٨/ ٥٥٨) وفي «شرح السنة» (١٥/ ١٦٨ ـ ١٦٩) من طرق عن عطاء بن أبي السائب عن عازب بن دثار عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «الكوثر نهر في الجنة، حافتاهُ الذهبُ، مجراه على الدرِّ والياقوت، تربتهُ أطيبُ من المِسْك، وأشدُّ بياضاً من الثلج». وهو حديث صحيح.

لأن راويه عن عطاء عند أحمد حماد بن زيد وقد سمع منه قديماً.

وانظر «فتح الباري» (٨/ ٧٣٢) وجامع الأصول (٢/ ٤٣٩).

(١) وهو حديث موضوع.

أخرجه الواحدي والثعلبي وابن مردويه عن أبي بن كعب كما في «الكافي الشافِ» (ص١٨٨ رقم ٣٧٥). وقد تقدم الكلام عليه في أواخر سورة آل عمران.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾

سورة الكافرون مكية[1]، وآيها ست آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ يعني كفرةً مخصوصينَ قد علمَ اللهُ منهم أنَّهم لا يؤمنون. رُوِيَ أنَّ رهْطاً من قريش قالوا يا محمد تعبدُ آلهتَنا سنةً ونعبدُ إلهكَ سنةً، فنزلتْ[2].

(٢) ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ أي فيما يُسْتَقْبَلُ، فأنْ لا تدخلُ إلا على مضارعٍ بمعنى الاستقبالِ كما أنَّ ما لا تدخلُ إلا على مضارعٍ بمعنى الحالِ.

(٣) ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ أي فيما يستقبلُ لأنه في قرانِ لا أعبدُ.

(٤) ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾ أي في الحالِ أو فيما سلفَ.

(٥) ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ أي وما عبدتُم في وقتٍ ما ما أنا عابدُه، ويجوزُ أنْ يكونا تأكيدينِ

---

(١) قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٦/ ٣٧٤): «وهي مكية إجماعاً» هـ.

(٢) أخرجه ابن جرير (١٥/ج٣٠/ ٣٣١) والطبراني في «الصغير» (١/ ٢٦٥) عن ابن عباس وقال الطبراني: لم يروه عن داود بن أبي هند إلا عبدالله بن عيسى.
وقال الحافظ في «الفتح» (٨/ ٧٣٣): «وفي إسناده أبو خلف عبدالله بن عيسى، وهو ضعيف.

على طريقةِ أبلغَ، وأما لم يقلْ ما عبدْتُ ليطابقَ ما عبدتُم لأنهم كانوا موسومينَ قبل المبعَثِ بعبادةِ الأصنامِ، وهو لم يكن حينئذٍ موسوماً بعبادة الله، وإنما قال «ما» دونَ مِنْ لأنَّ المرادَ الصفةُ كأنه قال: لا أعبدُ الباطلَ ولا تعبدون الحقَّ أو للمطابقةِ. وقيل إنها مصدريةٌ وقيل الأوليانِ بمعنى الذي والأُخريانِ مصدريتانِ.

(٦) ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ الذي أنتم عليه لا تتركونه. ﴿وَلِيَ دِينِ﴾ ديني الذي أنا عليه لا أرفضُه، فليس فيه إذْنٌ في الكفر ولا منْعٌ عن الجهادِ ليكون منسوخاً بآية القتالِ، اللهمَّ إلا إذا فُسِّرَ بالمتاركةِ وتقريرِ كلٍّ من الفريقين الآخرَ على دينه، وقد فُسِّرَ الدينُ بالحسابِ والجزاءِ والدعاءِ والعبادةِ.

عَن النبيِّ ﷺ «مَنْ قرأ سورةَ الكافرونَ فكأنما قرأ رُبُعَ القرآن وتباعدتْ عنه مردةُ الشياطين وبَرِىءَ من الشركِ»[1].

☆ ☆ ☆

(١) وهو حديث موضوع.
أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه عن أبي بن كعب كما في «الكافي الشافِ» (ص١٨٩ رقم ٣٧٦).
وقد تقدم الكلام عليه في آخر سورة آل عمران.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾

سورة النصر مدنية[1]، وآيها ثلاث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ إظهارُه إياك على أعدائِك. ﴿وَٱلْفَتْحُ﴾ وفتحُ مكَّةَ، وقيل المرادُ جنسُ نصرِ الله المؤمنينَ وفتحُ مكةَ وسائرَ البلادِ عليهم، وإنما عبَّر عن الحصولِ بالمجيء تجوُّزاً للإشعارِ بأنَّ المقدَّراتِ متوجِّهةٌ من الأزلِ إلى أوقاتِها المعيَّنةِ لها فتقرُبُ منها شيئاً فشيئاً، وقد قَرُبَ النصرُ من وقته فكنْ مترقِّباً لورُودِه مستعِداً لشكرِه.

(٢) ﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ جماعاتٍ كثيفةً كأهلِ مكَّةَ والطائفِ واليمنِ وهوازنَ وسائرِ قبائلِ العرب، ويدخلون حالٌ على أنَّ أرأيتَ بمعنى أبصرتَ أو مفعولٌ ثانٍ على أنه بمعنى علمْتَ.

(٣) ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ فتعجَّبْ لتيسير الله ما لم يخطُر ببالِ أحدٍ حامداً له، أو فصلِّ له حامِداً على نعَمِه. روي أنه ﷺ لما دخلَ مكةَ بدأ بالمسجدِ فدخلَ الكعبةَ وصلى ثمانِ . . . . . .

(١) قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٦/ ٣٧٦): «وهي مدنية بإجماع» هـ.

ركعاتٍ[١]، أو فنزِّهْهُ تعالى عما كانت الظلمةُ يقولون فيه حامداً له على أنْ صدقَ وعدَه، أو فأثْنِ على الله تعالى بصفاتِ الجلال حامداً له على صفاتِ الإكرام. ﴿وَٱسْتَغْفِرْهُ﴾ هضْماً لنفسِك واستقصاراً لعملِك واستدراكاً لما فَرَطَ منك من الالتفاتِ إلى غيره. وعنه عليه الصلاة والسلام «إني لأستغفرُ اللهَ في اليوم والليلة مائةَ مرةٍ»[٢]. وقيل استغْفِره لأُمَّتِك. وتقديمُ التسبيح على الحمدِ ثم الحمدِ على الاستغفارِ على طريق النزولِ من الخالقِ إلى الخلقِ، كما قيل ما رأيتُ شيئاً إلا ورأيتَ الله قبلَه. ﴿إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ لمنِ استغفرهُ مذ خلَقَ المكلَّفينَ، والأكثرُ على أنَّ السورةَ نزلتْ قبلَ فتحِ مكةَ، وأنه نُعِيَ لرسول الله ﷺ لأنه لما قرأَها بكَى العباسُ رضي الله عنه، فقال عليه الصلاة والسلام «ما يبكيكَ»؟ فقال: نُعِيَتْ إليك نفسُك، فقال «إنها لَكَمَا تقولُ»[٣]، ولعلَّ ذلك لدلالَتِها على تمامِ الدعوةِ وكمالِ أمرِ الدينِ فهي كقوله تعالى ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[٤] أو لأنَّ الأمر بالاستغفارِ تنبيهٌ على دنوِّ الأجلِ، ولهذا سمِّيتْ سورةَ التوديعِ. وعنه عليه الصلاة والسلام «من قرأ سورةَ إذا جاء أُعْطِيَ من الأجرِ كَمَنْ شهدَ مع محمدٍ عليه الصلاةُ والسلام يومَ فتحِ مكَّةَ شرَّفَها الله تعالى»[٥].

☆ ☆ ☆

---

(١) أخرج البخاري (١/ ٤٦٩ رقم ٣٥٧) ومسلم (١/ ٤٩٨ رقم ٣٣٦) ومالك في «الموطأ» (١/ ١٥٢) والبغوي في «شرح السنة» (١١/ ٨٩) وفي «معالم التنزيل» (٨/ ٥٧٥). عن أم هانىء قالت: ذهبتُ إلى رسولِ الله ﷺ عامَ الفتحِ فوجدتُه يغتسلُ وفاطمةُ ابنتُه تستره. قالت: فسلمت عليه فقالَ: من هذا؟ فقلت: أنا أمُّ هانىء بنتُ أبي طالب، فقال: مرحباً بأمِّ هانىءٍ. فلما فرغَ من غُسلِه قام فصلَّى ثمانَ ركعاتٍ مُلتحفاً في ثوبٍ واحدٍ. فلما انصرفَ قلتُ: يا رسولَ اللهِ زعمَ ابنُ أمِّي أنه قاتلٌ رجلاً قد أجرْتُه فلان بنَ هُبيرةَ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «قد أجرنا من أجرتِ يا أمَّ هانىء» قالت أم هانىء: وذاكَ ضُحىً.
قلت: أما قوله: «لما فتح باب الكعبة صلى صلاة الضحى» لم أقف عليه وقال الحافظ ابن حجر في «الكافي الشافِ» (ص١٨٩ رقم ٣٨١): «لم أجده هكذا...».

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٧٥ رقم ٤١) عن الأغر المزني.

(٣) قال الحافظ في «الكافي الشافِ» (ص١٨٩ رقم ٣٨٤): «ذكره الثعلبي عن مقاتل وسنده إليه دون الكتاب» هـ.
قلت: مقاتل: كذاب، وفي السند إعضال.

(٤) المائدة: «٣».

(٥) وهو حديث موضوع.
أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي من حديث أبي بن كعب كما في «الكافي الشافِ» (ص١٩٠ رقم ٣٨٩) وقد تقدم الكلام عليه في أواخر سورة آل عمران.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾

سورة تبت مكية[1]، وآيها خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ﴿تَبَّتْ﴾ هلكتْ أو خسرتْ، والتَّبابُ خسرانٌ يؤدي إلى الهلاك. ﴿يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾ نفسه كقوله تعالى ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾[2] وقيل إنما خُصَّتا لأنه عليه الصلاة والسلام لما نزلَ عليه ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[3] جمعَ أقاربه فأنذَرَهم فقال أبو لهبٍ: تبّاً لك أَلِهَذَا دعوتَنَا، وأخذَ حجَراً ليرميَهُ به، فنزلتْ[4]. وقيل المرادُ بهما دنياهُ وأخراهُ، وإنما كنَّاه والتكنيةُ تكرِمةٌ لاشتهارِهِ بكنيته ولأنَّ اسمَه عبدُ العِزَّى فاستكرهَ ذِكْرَهُ، ولأنه لما كان من أصحاب النارِ كانت الكنيةُ أوفقَ بحاله، أو ليجانِسَ قولَه

(١) قال ابن الجوزي في «زاد المسير» (٩/٢٥٨): «وهي مكية بإجماعهم».
(٢) البقرة: «١٩٥».
(٣) الشعراء: «٢١٤».
(٤) أخرجه البخاري (٣/٢٥٩ رقم ١٣٩٤) و(٨/٥٠١ رقم ٤٧٧٠) و(٨/٥٣٩ رقم ٤٨٠١) و(٨/٧٣٧ ـ ٧٣٨ رقم ٤٩٧١ و٤٩٧٢ و٤٩٧٣).

﴿ ذَاتَ لَهَبٍ﴾ وقرىء أبو لهبٍ كما قيل عليُّ بنُ أبو طالبٍ. ﴿وَتَبَّ﴾ إخبارٌ بعدَ دعاءٍ، والتعبيرُ بالماضي لتحقُّقِ وقوعِه كقوله:

جَـزَانِـي جَـزَاهُ اللهُ شَـرَّ جَـزَائِـهِ جَزَاءَ الكِلَابِ العَاوِيَاتِ وقَدْ فعل[1]

ويدلُّ عليه أنه قرىء وقد تبَّ أوِ الأولُ إخبارٌ عما كسبتْ يداهُ والثاني عن عملِ نفسِه.

(٢) ﴿ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ﴾ نفيٌ لإغناءِ المالِ عنه حين نزلَ به التبابُ أو استفهامُ إنكارٍ له ومحلُّها النصبُ. ﴿وَمَا كَسَبَ﴾ وكسْبُه أو مكسوبُه بمالِه من النتائجِ والأرباحِ والوجاهةِ والاتباعِ، أو عملُه الذي ظنَّ أنه ينفعه، أو ولدُه عتبةُ وقدِ افترسَه أسدٌ في طريقِ الشامِ وقد أحدقَ به العيرُ وماتَ أبو لهب بالعدَسةِ بعدَ وقعةِ بدرٍ بأيامٍ معدودةٍ، وتُرِكَ ثلاثاً حتى أنتنَ ثم استأجَروا بعضَ السودانِ حتى دفنوه، فهو إخبارٌ عن الغيبِ طابقه وقوعُه.

(٣) ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ اشتعالٍ يريدُ نارَ جهنَّم، وليس فيه ما يدلُّ على أنه لا يؤمن لجوازِ أنْ يكون صَلِيِّها للفسقِ، وقرىء سيصلى بالضمِّ مخففاً وسيُصَلَّى مشدَّداً.

(٤) ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ﴾ عطفٌ على المستترِ في سيصْلَى أو مبتدأٌ وهي أمُّ جميل أختُ أبي سفيانَ. ﴿حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾ يعني حطبَ جهنَّم فإنها كانت تحملُ الأوزارَ بمعاداةِ الرسول ﷺ وتحملُ زوجَها على إيذائه، أو اليميمةُ فإنها كانت توقدُ نارَ الخصومةِ، أو حزمةُ الشوكِ أو الحسكُ، فإنها كانت تحملُها فتنثرُها بالليل في طريق رسولِ الله ﷺ، وقرأ عاصمٌ بالنصبِ على الشتمِ.

(٥) ﴿ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ أي مما مُسِدَ أي فُتِلَ، ومنه رجلٌ ممسودُ الخلقِ أي مجدولُه، وهو ترشيحٌ للمجازِ أو تصويرٌ لها بصورةِ الحطابةِ التي تحملُ الحزمةَ وتربطُها في جيدِها تحقيراً لشأنها أو بياناً لحالها في نارِ جهنَّم حيث يكون على ظهرها حزمةٌ من حطبِ جهنَّم كالزقومِ والضريعِ وفي جيدِها سلسلةٌ من النارِ، والظرفُ في موضعِ الحال أو الخبرِ وحبلٌ مرتفعٌ به. عن النبيِّ ﷺ «من قرأ سورةَ تبَّت رجوتُ أن لا يجمعَ اللهُ بينه وبينَ أبي لهبٍ في دارٍ واحدةٍ»[2].

☆ ☆ ☆

---

(١) من الطويل.

(٢) وهو حديث موضوع.
أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه عن أبي بن كعب.
كما في «الكافي الشافِ» (ص١٩٠ رقم ٣٩١).
وقد تقدم الكلام عليه في أواخر سورة آل عمران.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾

قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾

سورة الإخلاص مختلف فيها[1]، وآيها أربع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ الضميرُ للشأنِ كقولك: هو زيدٌ منطلقٌ وارتفاعُه بالابتداءِ وخبرهُ الجملةُ ولا حاجةَ إلى العائد لأنها هي هو، أو لما سُئِلَ عنه أي الذي سألتموني عنه هو اللهُ، إذ رُوِيَ أنَّ قريشاً قالوا: يا محمدُ صِفْ لنا ربَّك الذي تدعونا إليه فنزلتْ[2]. وأحدٌ بدلٌ أو خبرٌ ثانٍ يدلُّ على مجامعِ

(١) قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٦/ ٣٨٢): «هذه السورة مكية، قاله مجاهد بخلاف عنه وعطاء وقتادة، وقال ابن عباس والقرطبي وأبو العالية هي مدنية».
وانظر «زائد المسير» (٩/ ٢٦٤).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ١٣٣) وابن جرير (١٥/ ج٣٠/ ٣٤٢) والواحدي في «الأسباب» (ص٤٧١) والترمذي (٥/ ٤٥١ رقم ٣٣٦٤) والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٤٠) وابن عدي في «الكامل» (٦/ ٢٢٣١) وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٢٩٧ رقم ٦٦٣) من طريق أبي سعيد الصنعاني عن أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب به.
وقال الألباني: إسناده ضعيف. لسوء حفظ أبي جعفر الرازي. وأبو سعيد الخراساني هو محمد بن ميسر الجعفي الصاغاني البلخي الضرير ضعفه غير واحد، ولكنه قد توبع...».

صفاتِ الجلالِ كما دلَّ اللهُ على جميعِ صفاتِ الكمال إذ الواحدُ الحقيقيُّ ما يكونُ منزَّهَ الذاتِ عن أنحاءِ التركيبِ والتعدُّدِ، وما يستلزمُ أحدَهما كالجسميةِ والتحيُّزِ والمشاركةِ في الحقيقة وخَوَاصِّها كوجوبِ الوجودِ والقدرةِ الذاتيةِ والحكمةِ التامةِ المقتضية للألوهية. وقرىء هو الله بلا قلْ مع الاتفاقِ على أنه لا بدَّ منه في قل يا أيها الكافرون، ولا يجوزُ في تبَّتْ، ولعلَّ ذاك لأن سورةَ الكافرون مشاقةٌ الرسولِ أو موادعتُه لهم وتبَّت معاتبةُ عمِّه فلا يناسبُ أنْ تكون منه، وأما هذا فتوحيدٌ يقول به تارةً ويُؤْمَرُ بأنْ يدعوَ إليه أخرى.

(٢) ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ السيدُ المصمودُ إليه في الحوائج من صَمَدَ إليه إذا قَصَدَ، وهو الموصوف به على الإطلاق فإنه يستغني عن غيرِهِ مطلقاً، وكلُّ ما عداه محتاجٌ إليه في جميع جهاته، وتعريفُه لعلمِهم بصمديَّتِهِ بخلاف أحديَّته، وتكريرُ لفظةِ اللهِ للإشعار بأنَّ مَنْ لم يتصفْ به لم يستحقَّ الألوهيةَ، وإخلاءُ الجملةِ عن العاطفِ لأنها كالنتيجةِ للأُولى أو الدليلِ عليها.

(٣) ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ لأنه لم يجانسْ ولم يفتقرْ إلى ما يعينُه أو يخلُفُ عنه لامتناعِ الحاجةِ والفناءِ عليه، ولعلَّ الاقتصارَ على لفظِ الماضي لوروده رداً على مَنْ قال الملائكةُ بناتُ الله، أو المسيحُ ابنُ الله أو ليطابقَ قولَه: ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ وذلك لأنه لا يفتقرُ إلى شيء ولا يسبقُه عدمٌ.

(٤) ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ أي ولم يكنْ أحدٌ يكافئه أو يماثلُه من صاحبةٍ أو غيرها، وكان أصلُه أنْ يؤخَّرَ الظرفُ لأنه صلةُ كفواً لكنْ لما كان المقصودُ نفيَ المكافأةِ عن ذاته تعالى قُدِّم تقديماً للأهمِّ، ويجوزُ أنْ يكونَ حالاً من المستكِنِّ في كفواً أو خبراً، ويكونُ كفواً حالاً من أحدٍ، ولعلَّ ربطَ الجملِ الثلاثِ بالعطفِ لأنَّ المرادَ منها نفيُ أقسامِ المكافأة فهي كجملةٍ واحدة منبهةٍ عليها بالجملِ، وقرأ حمزةُ ويعقوبُ ونافع في رواية كفؤاً بالتخفيفِ، وحفصٌ كفُواً بالحركةِ وقلبِ الهمزةِ واواً، ولاشتمالِ هذه السورِ مع قِصَرِها على جميعِ المعارف الإلهية والردِّ على من ألحدَ فيها جاء في الحديث أنها تعدلُ ثلثَ القرآن[1]. فإنَّ مقاصِدَه محصورةٌ في بيانِ العقائد والأحكامِ والقصصِ ومَنْ عدَلَها بكلِّه اعتبرَ المقصودَ بالذاتِ من ذلك. وعنه ﷺ، أنه سمعَ رجلاً يقرؤها فقال «وجبتْ» قيل يا رسول الله وما وجبتْ؟ قال: «وجبتْ له الجنةُ»[2].

☆ ☆ ☆

---

(١) أخرجه مالك (١/ ٢٠٨ رقم ١٧) وأحمد (٣/ ٣٥، ٤٣) والبخاري (٩/ ٥٨ ـ ٥٩ رقم ٥٠١٣) و(١١/ ٥٢٥ رقم ٦٦٤٣) و(١٣/ ٣٤٧ رقم ٧٣٧٤) وأبو داود (٢/ ١٥٢ رقم ١٤٦١) والنسائي (٢/ ١٧١ رقم ٩٩٥) عن أبي سعيد الخدري به.

(٢) وهو حديث صحيح.
أخرجه مالك (١/ ٢٠٨ رقم ١٨) والترمذي (٥/ ١٦٧ رقم ٢٨٩٧) والنسائي في عمل اليوم والليلة رقم (٧٠٢) وفي السنن (٢/ ١٧١) وفي التفسير رقم (٧٣٥). وصححه الحاكم في المستدرك (١/ ٥٦٦) ووافقه الذهبي والبغوي في «التفسير» (٨/ ٥٨٩ ـ ٥٩٠) وفي «شرح السنة» (٤/ ٤٧٦ ـ ٤٧٧).
وللحديث شواهد انظر في «تفسير النسائي» (٢/ ٥٧١).

سُورَةُ الفَلَقِ

ترتيبها ١١٣ آياتها ٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾

سورة الفلق مختلف فيها[1]، وآيها خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ ما يُفْلَقُ عنه أي يفرقُ كالفرقِ فَعَلٌ بمعنى مفعولٍ، وهو يعمُّ جميعَ الممكِناتِ فإنه تعالى فلقَ ظلمةَ العدمِ بنور الإيجادِ عنها، سيَّما ما يخرجُ من أصلٍ كالعيون والأمطارِ والنباتِ والأولادِ، ويختصُّ عرفاً بالصبحِ ولذلك فُسِّرَ به. وتخصيصُه لما فيه من تغيُّرِ الحالِ وتبدُّلِ وحشةِ الليلِ بسرورِ النور ومحاكاةِ فاتحةِ يومِ القيامة والإشعارِ بأنَّ مَنْ قدرَ أنْ يزيلَ به ظلمةَ الليل عن هذا العالمِ قدرَ أنْ يزيلَ عن العائذِ به ما يخافُه، ولفظُ الربِّ هنا أوقعُ من سائرِ أسمائه تعالى لأنَّ الإعاذةَ من المضارِّ قريبةٌ.

(٢) ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ خصَّ عالمَ الخلْقِ بالاستعاذة عنه لانحصارِ الشرفية، فإنَّ عالم الأمرِ خيرٌ

---

(١) قال ابن الجوزي في «زاد المسير» (٩/ ٢٧٠): «وفيها قولان:
(أحدهما): مدنية، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال قتادة في آخرين.
(والثاني): مكية، رواه كريب عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وعطاء وعكرمة، وجابر.
والأول أصح. ويدل عليه أن رسول الله ﷺ سحر وهو مع عائشة فنزلت عليه المعوذتان» هـ.

كلُّه، وشرُّه اختياري لازمٌ ومتعدٍّ كالكفرِ والظلمِ، وطبيعيٌّ كإحراقِ النارِ وإهلاكِ السمومِ.

(٣) ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ ﴾ ليلٍ عظيم ظلامُه من قوله ﴿ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ ﴾[1] وأصلُه الامتلاءُ يقال غسقتِ العينُ إذا امتلأتْ دمعاً. وقيل السيلانُ وغسقُ الليلِ انصبابُ ظلامِه وغسقُ العين سيلانُ دمعِه. ﴿ إِذَا وَقَبَ ﴾ دخلَ ظلامُه في كلِّ شيء. وتخصيصُه لأنَّ المضارَّ فيه تكثُر ويعسُر الدفعُ، ولذلك قيل الليلُ أخفَى للويلِ. وقيل المرادُ به القمرُ فإنه يكسفُ فيغسقُ ووقوبُه دخولُه في الكسوفِ.

(٤) ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴾ ومن شرِّ النفوس أو النساءِ السواحرِ اللاتي يعقدْنَ عقداً في خيوط وينفُثْنَ عليها. والنفثُ النفخُ مع ريقٍ، وتخصيصُه لما رُوِيَ أنَّ يهودياً سحرَ النبيَّ ﷺ في إحدى عشرةَ عقدةً في وَتَرٍ دسَّه في بئرٍ، فمرضَ النبيُّ ﷺ ونزلتِ المعوِّذتانِ، وأخبره جبريلُ عليه الصلاة والسلام بموضعِ السحرِ فأرسل علياً رضي الله تعالى عنه فجاء به فقرأهما عليه، فكان كلّما قرأ آيةً انحلَّت عقدةٌ ووجدَ بعضَ الخفةِ[2]، ولا يوجبُ ذلك صدقَ الكفرةِ في أنه مسحورٌ، لأنهم أرادوا به أنه مجنونٌ بواسطة السحرِ. وقيل المرادُ بالنفثِ في العقدِ إبطالُ عزائمِ الرجال بالحيلِ مستعارٌ من تليينِ العقدِ بنفثِ الريقِ ليسهلَ حلُّها وإفرادُها بالتعريف لأنَّ كلَّ نفاثةٍ شريرةٌ بِخِلافِ كلِّ غاسق وحاسدٍ.

(٥) ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ إذا أظهرَ حسدَه وعملَ بمقتضاهُ، فإنه لا يعودُ ضررٌ منه قبلَ ذلك إلى المحسود بل يُخَصُّ به لاغتمامِه بسرورِه، وتخصيصُه لأنه العُمْدَةُ في إضرار الإنسانِ بل الحيوانِ غيرَه. ويجوزُ أنْ يُرَادَ بالغاسقِ ما يخلُو عن النور وما يضاهيه كالقوى، وبالنفاثاتِ النباتاتُ فإنَّ قُواها النباتيةَ من حيثُ إنها تزيدُ في طولها وعرضِها وعُمْقِها كانت تنفثُ في العقدِ الثلاثةِ، وبالحاسدِ الحيوانُ فإنه إنما يقصدُ غيْرَهُ غالباً طمعاً فيما عنده، ولعلَّ إفرادَها من عالم الخلْقِ لأنها الأسبابُ القريبةُ للمضرَّة.

عن النبيِّ ﷺ «لقد أُنْزِلَتْ عليَّ سورتانِ ما أُنْزِلَ مثلُهما وإنك لن تقرأ سورتين أحبَّ ولا أرضى عند الله منهما» يعني المعوذتينِ[3].

☆ ☆ ☆

---

(١) الإسراء: «٧٨».

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٦١٤ ـ ٦١٥) عن الثعلبي ثم قال: «هكذا أورده به وفيه غرابة، وفي بعضه نكارة شديدة، ولبعضه شواهد مما تقدم والله أعلم» هـ.

(٣) وهو مؤلف من حدثين:
(الأول): أخرجه مسلم (١/ ٥٥٨ رقم ٢٦٥/ ٨١٤) عن عقبة بن عامر قال: قالَ لي رسولُ الله ﷺ: «أُنْزِلَ أو أُنْزِلَتْ عليَّ آياتٌ لم يُرَ مثلهنَّ قطُّ المعوذتين».
(والثاني): ● أخرج ابن حبان في «صحيحه» (رقم: ٧٩٥) عن عقبة بن عامر...
فذكر نحوه، إلا أنه قال: «إنك لن تقرأ شيئاً أبلغَ عند الله من «قل أعوذُ برب الفلق» وهو حديث صحيح.
● وأخرج ابن حبان في «صحيحه» (رقم: ٧٩٦) عن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: «اقْرَأ يا جَابرُ» فقلت: بأبي وأمي، ما أقرأ؟ قال: «اقرأ: «قل أعوذ برب الفلق»، و«قل أعوذ برب الناس»» فقرأتهما، فقال النبيُّ ﷺ: «اقرأ بهما، فلن تقرأ بمثلهما» وهو حديث حسن.

سُورَةُ النَّاسِ

ترتيبها ١١٤ آياتها ٦

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾

سورة الناس مختلف فيها[1]، وآيها ست آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ﴿قُلْ أَعُوذُ﴾ وقرىء في السورتين بحذفِ الهمزة ونقلِ حركتها إلى اللام. ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ لما كانتِ الاستعاذةُ في السورة المتقدمةِ من المضارِّ البدنية وهي تعمُّ الإنسانَ وغيره والاستعاذةُ في هذه السورة من الأضرارِ التي تعرضُ للنفوسِ البشرية وتخصُّها، عمَّمَ الإضافةَ ثمَّ وخصَّصَها بالناس ها هنا فكأنه قيل: أعوذ من شرِّ الموسوِس إلى الناس بربِّهم الذي يملك أمورَهم ويستحقُّ عبادتَهم.

(٢) ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾.

(٣) ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ عطفا بيانٍ له فإنَّ الربَّ قد لا يكون ملكاً والملكُ قد لا يكون إلهاً، وفي هذا النظمِ دلالةٌ على أنه حقيقٌ بالإعاذة قادر عليها غيرُ ممنوعٍ عنها وإشعارٌ على مراتب الناظرِ في المعارف فإنه يعلمُ أولاً بما يرى عليه من النعم الظاهرةِ والباطنةِ أنَّ له رباً، ثم يتغلغل في النظر حتى يتحقَّقَ أنه

(١) قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٦/ ٣٨٨): قال ابن عباس وغيره: هي مدنية. وقال قتادة: هي مكية. وانظر «زاد المسير» (٩/ ٢٧٧).

غنيٌّ عن الكلِّ وذاتُ كلِّ شيء له ومصارفُ أمرِهِ منه، فهو الملك الحقُّ، ثم يستدلُّ به على أنه المستحقُّ للعبادة لا غيرُ، وتندرج في وجوه الاستعاذةِ كما يُتدرجُ في الاستعاذة المعتادةِ تنزيلاً لاختلافِ الصفات منزلةَ اختلافِ الذاتِ إشعاراً بعظمِ الآفة المستعاذِ منها، وتكريرُ الناس لما في الإظهارِ من مزيد البيانِ والإشعارِ بشرفِ الإنسان.

(٤) ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾ أي الوسوسةِ كالزلزالِ بمعنى الزلزلةِ، وأما المصدرُ فبالكسر كالزلزالِ، والمرادُ به الموسوسُ وسمِّي بفعله مبالغةً. ﴿ٱلْخَنَّاسِ﴾ الذي عادتُه أنْ يخنسَ أي يتأخَّر إذا ذَكَرَ الإنسانُ ربَّه.

(٥) ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾ إذا غفلُوا عن ذكرِ ربِّهم، وذلك كالقوة الوهميةِ فإنها تساعدُ العقلَ في المقدماتِ، فإذا آلَ الأمرُ إلى النتيجةِ خنستْ وأخذتْ توسوسهُ وتشكِّكُهُ. ومحلُّ الذي الجرُّ على الصفةِ أو النصبُ أو الرفعُ على الذمِّ.

(٦) ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ بيانٌ للوسواسِ، أو الذي أو متعلِّقٌ بيوسوسُ أي يوسوسُ في صدورهم من جهة الجنةِ والناسِ. وقيل بيانٌ للناسِ على أنَّ المرادَ به ما يعمُّ الثقلينِ، وفيه تعسُّفٌ إلا أنْ يُرَادَ به الناسي كقوله تعالى ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾[1] فإنَّ نسيانَ حقِّ الله تعالى يعمُّ الثقلينِ. عن النبيِّ ﷺ «من قرأ المعوِّذتين فكأنما قرأ الكتبَ التي أنزلها اللهُ تبارك وتعالى»[2].

قال المصنفُ رحمه الله تعالى: وقدِ اتفقَ إتمامُ تعليقِ سوادِ هذا الكتاب المنطوي على فرائد فوائد ذوي الألباب، المشتملِ على خلاصةِ أقوالِ أكابرِ الأئمةِ وصفوةِ آراءِ أعلامِ الأمةِ، في تفسير القرآن وتحقيقِ معانيه، والكشفِ عن عُوَيْصَاتِ ألفاظه ومعجزاتِ مبانيه، مع الإيجازِ الخالي عن الإخلالِ، والتلخيصِ العاري عن الإضلال، الموسومِ بأنوار التنزيل وأسرارِ التأويل، وأسأل اللهَ تعالى أن يتمِّمَ نفعَه للطلابِ، ولا يخلي سعيَ مَنْ يتعبُ فيه من الأجر والثواب، ويختم كلَّ خاتمةِ امرىءٍ يؤمُّه بتمحيصٍ عن الآثام ويبلغني أعلى منازلِ دارِ السلام، في جوار العلِّيِّينَ من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسُنَ أولئك رفيقاً وهو سبحانه حقيقٌ بأن يحقِّقَ رجاءَ الراجينَ تحقيقاً، والحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على خير خلْقِه محمدٍ وآله وصحبه الطيبينَ الطاهرينَ وأتباعِهم أجمعينَ.

☆ ☆ ☆

---

(١) القمر: «٦».

(٢) وهو حديث موضوع.
أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي عن أبي بن كعب، وقد مضى غير مرة أنها واهنة، وأن الحديث المرفوع في ذلك موضوع والله تعالى أعلم كما في «الكافي الشافِ» (ص١٩٠ رقم ٣٩٨).

فهرس السور

اسم السورة	رقم الصفحة
تفسير سورة القصص	٥
تفسير سورة العنكبوت	٢٨
تفسير سورة الروم	٤٤
تفسير سورة لقمان	٥٩
تفسير سورة السجدة	٦٩
تفسير سورة الأحزاب	٧٦
تفسيرة سورة سبأ	٩٩
تفسير سورة فاطر	١١٤
تفسير سورة يّس	١٢٦
تفسير سورة الصافات	١٤٢
تفسير سورة ص	١٦٤
تفسير سورة الزمر	١٨١
تفسير سورة غافر	٢٠٠
تفسير سورة فصلت	٢١٩
تفسير سورة الشورى	٢٣١
تفسير سورة الزخرف	٢٤٤
تفسير سورة الدخان	٢٥٩
تفسير سورة الجاثية	٢٦٧
تفسير سورة الأحقاف	٢٧٤
تفسير سورة محمد	٢٨٤
تفسير سورة الفتح	٢٩٣
تفسير سورة الحجرات	٣٠٣
تفسير سورة قّ	٣١٢
تفسير سورة الذاريات	٣٢٠

تفسير سورة الطور ٣٢٨
تفسير سورة النجم ٣٣٥
تفسير سورة القمر ٣٤٤
تفسير سورة الرحمن ٣٥١
تفسير سورة الواقعة ٣٦٠
تفسير سورة الحديد ٣٧٠
تفسير سورة المجادلة ٣٧٩
تفسير سورة الحشر ٣٨٧
تفسير سورة الممتحنة ٣٩٥
تفسير سورة الصف ٤٠٠
تفسير سورة الجمعة ٤٠٤
تفسير سورة المنافقون ٤٠٧
تفسير سورة التغابن ٤١٠
تفسير سورة الطلاق ٤١٤
تفسير سورة التحريم ٤١٩
تفسير سورة الملك ٤٢٤
تفسير سورة القلم ٤٣١
تفسير سورة الحاقة ٤٣٩
تفسير سورة المعارج ٤٤٥
تفسير سورة نوح ٤٥٠
تفسير سورة الجن ٤٥٤
تفسير سورة المزمل ٤٥٩
تفسير سورة المدثر ٤٦٤
تفسير سورة القيامة ٤٧١
تفسير سورة الإنسان ٤٧٦
تفسير سورة المرسلات ٤٨٢
تفسير سورة النبأ ٤٨٧
تفسير سورة النازعات ٤٩٣
تفسير سورة عبس ٤٩٨
تفسير سورة التكوير ٥٠٢
تفسير سورة الانفطار ٥٠٦
تفسير سورة المطففين ٥٠٩
تفسير سورة الانشقاق ٥١٤

تفسير سورة البروج ٥١٧
تفسير سورة الطارق ٥٢١
تفسير سورة الأعلى ٥٢٣
تفسير سورة الغاشية ٥٢٦
تفسير سورة الفجر ٥٢٩
تفسير سورة البلد ٥٣٤
تفسير سورة الشمس ٥٣٧
تفسير سورة الليل ٥٤٠
تفسير سورة الضحى ٥٤٣
تفسير سورة الشرح ٥٤٥
تفسير سورة التين ٥٤٨
تفسير سورة العلق ٥٥٠
تفسير سورة القدر ٥٥٤
تفسير سورة البينة ٥٥٦
تفسير سورة الزلزلة ٥٥٨
تفسير سورة العاديات ٥٦٠
تفسير سورة القارعة ٥٦٢
تفسير سورة التكاثر ٥٦٤
تفسير سورة العصر ٥٦٦
تفسير سورة الهُمَزَةَ ٥٦٧
تفسير سورة الفيل ٥٦٩
تفسير سورة قريش ٥٧١
تفسير سورة الماعون ٥٧٣
تفسير سورة الكوثر ٥٧٥
تفسير سورة الكافرون ٥٧٧
تفسير سورة النصر ٥٧٩
تفسير سورة المسد ٥٨١
تفسير سورة الإخلاص ٥٨٣
تفسير سورة الفلق ٥٨٥
تفسير سورة الناس ٥٨٧ ـ ٥٨٨

☆ ☆ ☆

فهرس الأجزاء

سورة القصص جـ/ ٢٠/	٥
سورة العنكبوت جـ/ ٢١/	٣٩
سورة الأحزاب جـ/ ٢٢/	٨٥
سورة يّس جـ/ ٢٣/	١٣١
سورة الزمر جـ/ ٢٤/	١٨٩
سورة فصلت جـ/ ٢٥/	٢٢٨
سورة الأحقاف جـ/ ٢٦/	٢٧٤
سورة الذاريات جـ/ ٢٧/	٣٢٣
سورة المجادلة جـ/ ٢٨/	٣٧٩
سورة الملك جـ/ ٢٩/	٤٢٤
سورة النبأ جـ/ ٣٠/	٤٨٧ ـ ٥٨٨

☆ ☆ ☆